الإيمان

السيد عبد الحسين دستغيب



ترجمة: لجنة الهدى

دار البلاغة

الإيمان

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة: لجنة الهدى

الجزء الأول

دار البلاغة

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥ - ٨٢٠٣٢٠ - ٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين وبعد..

قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[1] أي جاهدوا فينا أنفسهم، فهذبوها وروّضوها بالتقوى ومخافة الله عز وجلّ كما قال عليّ (ع) «إنما هي نفسي، أروضها بالتقوى».

وهذا ليس سهلاً يستطيعه كل إنسان وكيفما كان، بل لا بد للوصول الى هذه المرحلة من صبرٍ وتحمّلٍ للمشاق في طريق ذات الشوكة، والصبر من الأمور التي يترتب عليها أجر في الآخرة وثواب من الله ﴿ولا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم﴾[2]، كذلك فإنّ له آثاراً وضعية ينالها الصابرون في الدنيا كما هو مدرك بالتجارب.

وكذلك فإن الصبر أحد دعائم الإيمان الأربعة التي ذكرها أمير المؤمنين (ع) في رواية طويلة رواها الكافي[3] حيث قال ـ عندما سُئل عن

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٣) الكافي، ج١، ص٢٤.

الإيمـان ـ « إن الله عز وجـلّ جعل الإيمـان على أربـع دعـائم: على الصبـر، واليقين، والعدل، والجهاد. . . . ».

ثم شرع (ع) في تعداد شعب الصبر وشعب اليقين وشعب العدل وشعب الجهاد.

والشهيد دستغيب ـ رحمه الله ـ كعادته اختـار هذا الحـديث المروي عن أمير المؤمنين (ع) موضوعاً لمحاضراته والتي كان يلقيها في المسجد الجامع في شيراز في شهر رمضان من كل سنة.

والدار وقد صممت على نشر كامل ما خلّفه الشهيد ـ رحمـه الله ـ تباعـاً حتى تتيح للقارىء الكريم، فرصة التلاقي مع فكر هـذا الشهيد ـ رحمـه الله ـ والذي وفّقه المولى لتخريج جيلٍ من الشباب المثقف الواعي.

بيروت ٦/١١/١٩٩١



القسم الأول

بســم الله الرحمــن الرحيــم

روي عن أبي جعفر (ع)[1] أنه قال : سُئلَ أمير المؤمنين (ع) عن الإيمان ، فقال : إنَّ الله تعالى جعل الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ،

فالصبر من ذلك على أربع شُعب : على الشوق ، والإشفاق ، والزهد ، والترقّب ، فمن اشتاق إلى الجنّةِ سلا عن الشهوات . ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات . ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات .

واليقين على أربع شعب ، تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة وسنة الأولين . فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنّة ، ومن عرف السنة ، فكأنما كان مع الأولين ، واهتدى إلى التي هي أقوم ونظر إلى من نجا بما نجا ، ومن هلك بما هلك ، وإنما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته .

---

(١) وهو الإمام محمد الباقر (ع) .

والعدل على أربع شعب غـامض الفهم ، وغمر العلم ، وزهـرة الحكم وروضة الحلم ، فمن فهم فسّر جميـع العلم ، ومن علم عرف شـرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً .

والجهـاد على أربع شعب ؛ على الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمنَ كيده ، ومن صدَّق في المـواطن قضى الذي عليه ، ومن شنىء الفاسقين غضب لله ، ومن غضبَ لله غضب الله له ، فذلك الإيمان ودعائمه وشعبه[1] .

وعن ابن ميثم (ره)[2] جاء : إعلم أن المقصود من الايمان هنا هو الإيمان الكامل المستند لأصل والكمالات المتممة له هي أصله المصدَّق بوجود الصانع وصفـات الكمال ونعـوت الجلال وكـل شيء ذُكر في الله في مضـامين الكتب النازلة ، وكلّ ما بلّغ به الرسل من كمالات متممة للأقـوال والأخلاق الحميـدة والعبادات التي يرتكز عليها هذا الأصل ، ومتمماته من الكمال النفسي الانسـاني لأنه يتضمن قوتي العلم والعمل وإن كماله تابع لكمال هذين الأصلين ، إيمان كمال قوة علمه ومتمماتـه من مكارم الأخـلاق وعباداتـه ، ولأنك عـرفت كمال القوى العملية التي هي مثل أصول فضائل الخلقة وكمال الإيمـان في أربعة : الحكمة والعفّة والشجاعة والعـدالة ، وقـد أعارهـا لفظة الـدعامـة لأن الايمان الكامل بدونها لا يكون مثل الأعمدة الأربعة التي يستند عليها بناء البيت .

اليقين : تعبير عن الحكمة العملية والعلمية ، فعلم هـذا الكمال يستنـد

---

(١) وهذا الحديث رواه في الكافي (ج٢ ، ص٥٠) عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ومحمد عن ابن عيسى والعدة عن البرقي جميعاً عن السـرّاد عن يعقوب السـرّاج عن جابر .

(٢) هو كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفي سنة ٦٧٩هـ . وله شرح نهج البلاغة في ٥ أجزاء .

إلى القوى الفكرية بتصور وتصديق الحقائق العلمية إلى حد تفهّم البشر الممكن ؛ والحكمة العملية هي تكميل النفس بتحصيل الفضائل الذاتية والابتعاد عن الاخلاق الفاسدة والمنحطّة والحكمة العملية هي من ثوابت هذا اليقين .

والصبر : تعبير عن العفّة من خلال الامتناع عن مسايرة الهوى في كل أنواع الشهوات المحسوسة ، وترك متابعة الشهوة والامتناع والصدّ عنها ، وهذا ما يحتاج إلى عزيمة قويّة .

والجهاد تعبير عن الشجاعة لأنّه يستلزم ذلك ، والشجاعة استعداد على الاقدام لانجاز أي مهمة ، والانسان يحتاج ذلك ومن أجله يتحمل المكاره والألام والتعب .

العدالة : ملكه برزت من هذه الخصال الثلاثة والعدالة لازمة لهذه الخصال لأن كل فضيلة من هذه الفضائل تحتمل الافراط والتفريط الذي هو سيء أساساً وكذلك سيءٌ في مقابل خلق الله ، وهو (الافراط والتفريط) والعدالة على طرفي نقيض . انتهى ـ هذا ما نُقِلَ عن العلامة المجلسي (ره)[1] .

أنا أقول ـ إن حديث إبن ميثم في مقام تطبيق مضمون الحديث الشريف خرج مع مصطلحات علم الاخلاق المعروف ، والموارد التي هي مكان اعتراض تطرق إليها باختصار وامتنع عن شرحها باسهاب تاركاً إياها لأفكار القرّاء الكرام .

(١) ما نقل عن ابي ميثم كشرح للمقصود من كلامه عليه السلام إنما نقله العلامة المجلسي في شرحه على الكافي المسمى بمرآة العقول ، وهو معروف .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب كسب العلم الديني وفضيلته :

عليكم بتخصيص ساعة للتذاكر في علم الدين في شهر رمضان هذا ، لأن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وفي رواية أخرى « ومسلمة » ، وإن من الواجب على كلّ مسلم ومسلمة أن يُقَوِّم دينه ليُحكم أصول عقائده ، عليه أن يتعلم أحكام الحلال والحرام ، والمسائل التي يمكن أن يُبتلى بها في الصلاة والصيام والخُمس ، والحج إذا كان مستطيعاً ، فالزرّاع يتعلمون مسائل الزكاة والفلاحة وغيرها ، والكسبة يتعلمون الاحكام التي تتعلق بالمتاجرة وكيفية المعاملة .

وخلاصة القول يتوجب على كل فرد أن يتعلم العلوم الدينية ـ الأصول والفروع ـ بمقدار رفع الحاجة ـ ونذكر هنا :

أولاً : فضيلة هذا التعلم ؛ حيثُ ينقل لنا الشهيد الثاني (رض) في (منية المريد) عن خاتم الأنبياء محمد (ص) ما مضمونه : « من أحبّ أن ينظر إلى عُتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكلّ قدم عبادة سنة ، وبنى الله له بكل

قدم مدينة في الجنّة ، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار » .

فيما إذا كانت هذه العبادة لمدة سنة تصدر عن جاهل أو عبادة شخص يروم النور لساعة في طلب نور الفهم والعلم تناسباً مع العمل . وعلى العكس من ذلك فإن الضرر يتحقق مع عبادة في ظلام الجهل ، أو ترجع عليه هذه العبادة بنفع قليل .

على الإنسان أن يعرف علم الله والنبي والإمام ، وعلم المذاهب ، ومعرفة الواجبات والمحرمات ، وآفات النفس والعمل ، وعليه أن يعلم كيف يُذلل الصعوبات وعلينا أن نعلم أن للصيام آفة ينبغي لنا أن نتجنّبها ونحفظ منها صيامنا ، وبغير هذا نخرج من الصوم بالجوع والعطش فقط ، عليك أن تعرف أن خطايا لسانك تذهب بصومك أدراج الرياح ، وأن سبّ المؤمن وايذاءه والتصدّي له يهدر عليك صومك .

شروط قبول الصوم وصحته

إعلم أن شروط صحة الصوم هي ما يعاكس نفس العشرة أشياء المفطرة : الأكل ، الشرب ، رمس الرأس في الماء ، تعمّد القيء ، البقاء على الجنابة عمداً ، الجماع ، الكذب على الله ورسوله والأئمة المعصومين ، إيصال الغبار إلى الحلق وغيرها وشروط القبول مع عدم كونك فقيهاً أو مقلداً يسقط عملك ، فإذا ما سببتَ شخصاً ، أو أذيت مؤمناً فلن يكون نصيبك من الصيام غير الجوع والعطش .

منافاة العبادة لأكل الحرام :

من شروط قبول الصوم ، الأكل الحلال ، حيث يتوجب عليك الحذر في أكل لقمة من حرامٍ أو من شبهة ، وهنا تحضرني حكاية كيف كان السابقون حذرين من أن تُهدر أعمالهم العبادية وتذهب سُدى .

ينقل لنا أحد العلماء الكبار : قديماً وقبل ستين أو سبعين سنة ، وفي أيام كنا في النجف الأشرف ، كان هناك أحد اللصوص الذي يمارس مهنة السرقة على طول أيام السنة ولكنّه يمتنعُ عن ذلك في أيام شهر رمضان ، يصوم ؛ وحينما يكون صائماً لا يسرق ، فاسقٌ هو ، ولكنه لا يخلو من شيءٍ من الايمان ، فكان يذهب وقت الإفطار إلى الصحن المقدس لأمير المؤمنين علي (ع) ويلتمس أهل العلم ـ على الرغم من ردّهم له ـ بافطارٍ يمكن أن يعطوه له قائلاً : ليس عندي مال حلال أفطرُ منه ، وفي بعض الأحيان ـ وكما يقول هذا العالم راوي الحكاية ـ يبقى هذا اللص المسكين إلى منتصف الليل بدون إفطار لعدم حصوله من أحد على شيء يأكله أو يفطر به ، وهو كذلك لا يقدر أن يفطر من مال الحرام الذي معه .

لا تكن أقلّ من هذا اللص في هذا الأمر ، انتبه لنفسك ، لا ينبغي لك أن تُدْخِل جوفك لقمة حرام ـ إن الاسنان في خطر شديد ، هذه الساعة بعد الظهر التي يمكن أن تتدارس فيها العلم ـ العلم الواجب يعني الأصول والفروع ـ فيها الأمل في أن يكون الإنسان فقيهاً في الدين ، أو قُلْ خطيباً ، يجب عليه التعلم ؛ انتم أيضاً عليكم أن تنصتوا لهذا العلم الواجب تعلمّه مشروطاً بكمال الأدب سماعه ، وبالعمل به ، هذه الطريقة وهذا الطريق العلمي علينا أن نُديمَ السير عليه لما له من فضائل حباها الله أهل العلم لا نعرف أرقى منها فضيلة[1] .

العبادة والعلم :

إذا خليت العبادة من التعقل والفهم ، فلا يمكن أن يصلك جسمك إلى

---

(١) ﴿ . . . يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات . . ﴾ سورة المجادلة ، الآية١١ .

﴿ . . هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . . ﴾ سورة الزمر ، الآية٩ .

ما ترنو إليه ، ولكن العبادة التوأم مع الفهم والعلم ، يمكن أن تصلَ بـالانسان إلى مكان ما ؛ فقد جاء في أصول الكافي في كتاب العقل ما نصه : « أن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن يحيىٰ بن المبـارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن اسحاق بن عمار عن أبي عبـد الله (ع) [أي الإمام الصـادق (ع)] قال : قلتُ له : جعلتُ فداك إنّ لي جاراً كثير الصلاة ، كثير الصدقة ، كثير الحج لا بأس به قال : فقال : يا اسحاق كيف عقلهُ ؟ قال : قلت له : جُعلتُ فداك ليس له عقل ، قال ! فقال : لا يرتفع بذلك منه »[1] .

اعتراض عابد على ما خلق الله

كان في الزمان السـالف عابدٌ انزوى عن العباد لما رأى من نفسه استعداداً للعبادة ، وكان قد اتخذ من إحدى الجزائر مكاناً له يمـارس فيه عبـادته ، فمن ثِمار الاشجار غذاؤه ، وعند عبور أحد الملائكة من تلك الجزيرة رأى أنَّ عبادة هذا العابد استمرت سنين طويلة ، ولكنه لم ير تغييراً ملموساً في الثواب الذي يمكن أن يكون نصيباً له ، في الوقت الذي كانَ المفروض أن توصله عبادته هذه إلى درجة الأولياء ، ففكرّ هذا المَلَك في الأمر ، وقال في نفسه : ما السبب في ذلك ؟ ثم قال متعجباً : الهي ما السرُ في عبادة هذا العابد التي لم تصلهُ لحد الآن إلى مقام الأولياء على الرغم من استمرارها وتواصلها ، فإذا شِئْتَ أختبره .

فأمر الله الملكَ أن ينزل عند العابدِ على هيئةِ إنسان ، وبعد ساعات من النزول التفت العابدُ إلى الملَك وسأله من أنت ؟ فقال الملَك : أنا عبدٌ من عباد الله ، كان مسيري من هنا ، فرأيتك تذكر الله كثيراً ، فـأردت أن أشاركـك في التفكر بالله ، فكيف حالك هنا ؟

فأجاب العابد : لقـد أنعم الله على هذه الجـزيرة بـدوام الخضرة وكثـرة الثمار ولكن للأسف لم يكن لله حمار هنا ، حتى يأكل من هذا العلف الذي هو

---

(١) الاصول من الكافي ، ج١ ص٢٤ .

من حقه قبل أن يجف ويتلف ؛ وهنا انتبه الملَك إلى الخلل ؛ إدراك ضعيف وشعور قليل ؛ مع عدم معرفةٍ بالعظمة والحكمة الالهية ؛ عجباً لهذا المخلوق الذي هو ليس بأكثر من كفّين من التراب يعترض على الخالق ، ولا يفهم أن المولى يفيضُ من رحمته على مكانٍ بخضرة يقتضي أن تكون ؛ لا أن يمنع مكاناً من نموّ علفٍ أو ثمار لا وجود لحمارٍ فيه .

إن الشخص الذي لا يدرك عظمة الله واسماء الله ، وصفات الله الجمالية والجلالية ، لا نمو ولا رُقيٌّ لعقله ، وإن أعماله وعبادته ليس لها ذلك الأثر المطلوب ، ولا يمكن أن توصله إلى المقامات العالية .

عليك أن تكون بشكل تعلم معه أن الله هو معك دائماً ، وهو الذي خلقك « مولاي مولاي أنت الصانع وأنا المصنوع » عليك أن تتيقن أن الله هو المربّي وهو الذي يمنحُ الرقيّ ، إعلم أن الله هو الذي يُطعمكَ ويجعلُ من طعامك جزءاً من بدنك فيكون دماً ، وأن أيّ نفس تتنفسه هو بقدرةٍ من الله وبمعية فيوّميته ، في نفس الوقت عليك أن تكون هذه المعاني واضحة جليّةً لك ، لتتمكن من استثمار عبادتك لله ، وإذا ما اتفق أن وُفّقت لصيام شهرٍ من شهور رمضان لا ينبغي لك أن تقول : أنا أنا ، بل قل الله الله هو الذي وفقني لذلك .

الاستثمار الصحيح للعبادات :

إذا ما وصلت إلى آخر شهر رمضان ، فإنك سوف ترى عطاء الله لك من نور الإيمان واليقين والمعرفة .

إن الانسان لا يحصل على شيء إلاّ بعد سعي حثيث ، عليه أن يبحث عن عالِمٍ يستفيد من علمه ، فالعمل بدون علم معناه عدم العمل ، فيا ليته لم يقم بعملٍ يُتوقع منه نتيجة عكسية ؛ وبهذا أذكر مثالاً على ذلك : زيدٌ من الناس يقوم من هنا ليذهب إلى حرم الإمام الرضا (ع) الذي هو مكانٌ من الاماكن التي يحب الله أن يذكر فيها ، فالشخص الذي يذهب لزيارة هذا المقام الشريف بنيةٍ

خالصة ، كذاك الذي يحجّ ويعتمر ألف ألف مرّة ، فيرقى الشخص إلى مرتبة المليون إذا ما كان مدركاً لهكذا مقام ، ولكنّ هناك اشخاصاً يذهبون لزيارة الإمام الرضا (ع) ولا يصلون إلى أي معنى ، بل يرجعون أدراجهم بخُفّي حنين ، لما يمارسونه من إساءة أدبية أو إرتكاب محرم داخل المقام المبارك أو أولئك الذين يتسببون في أذى الآخرين من خلال أقدامهم المتعفّنة في الوقت الذي كان عليهم أن يتعطروا حين الزيارة في مثل هذا الحرم الشريف .

من هذا الذي قال لك أدخل بدون غسلٍ داخل الحرم الشريف ، عليك أن تحسن الأدب وتفرّق بين الحرم ومكان إقامتك ؛ فهنا مكان حاكمية الله التي تحتم عليك أن يكون ظاهرك وباطنك يتناسب مع لطافة الحرم المبارك ، وكذا الأمر بالنسبة للمسجد ، فلا يوجد فارق يذكر بين بيت الله ـ المسجد ـ وهذا المكان ؛ فكلّها أماكن لذكر الله ؛ وهنا يجدر الذكر بأن ما هو شعور الشخص الذي لا يفرق بين بيت الله وبيته هو ؛ هل تعرف جيداً مدى إدراكك وشعورك ؛ فعباداتك تابعة لإدراكك وشعورك .

إن المسجد متعلقٌ بالله ـ وتواجدك في المسجد بالمقدار الذي يتيحه الوقت لك لا ينبغي أن يكون لك مدعاةً لأن تتمنى به على الله أن يصلح باطنك بوجودك الظاهري هذا في المسجد ؛ أو على سبيل المثال إلتصاقك بضريح الإمام الرضا (ع) والتسبب في أذى الناس ومزاحمتهم ، ظناً منك أن الإمام فقط يتجلى بالشباك المحيط بالضريح على الرغم من أن الإمام حاضرٌ وناظرٌ بعين الله العظيم ، فلا ينبغي لك أن تتسابق لتصل إلى شباك الضريح والذي قد يسبب مسَّ النساء الأجنبيات مبرراً ذلك بالوصول إلى الضريح المبارك .

نور الإمام له تشعشع أكثر من قبره :

من قلّة العقل والادراك أن البعض يتصورون أن شباك الضريح يعني الإمام ، الإمام روح من الروح الكليّة الإلهية ، والتي هي حاضرة في كل

مكان ، أما الذهاب إلى زيارة القبر المبارك فليكن تبريره بأن الشمس عندما تشعّ على كل مكان ومن جملة ذلك إشعاعها على الحديد ، الماء ، التراب ، الحجر ، الجدار ، وكذلك المرايا ، فعندما يسألك سائل في أي مكانٍ رأيت تشعشع الشمس اكثر ، على الحجر أو على المرايا والبلّور ؟ ، حينها وبلا شك يكون الجواب : إن تشعشع وتلألؤ الشمس يتضاعف مراتٍ عديدة من خلال انعكاسه على المرايا والبلّور .

فالروح الكليّة الإلٰهية المتمثلة بجزء منها في الإمام محيطة بتمام عوالم الذر تفيض على كل مكان ، ولكن قطعة الأرض تلك التي تحتوي على البدن المبارك مثلها كمثل قطعة البلّور تلك ، ففي الحرم يتضاعف تشعشع النور ، ويفيض البدن المبارك على الزائرين أكثر منه خارج الحرم ؛ وفي جوار الحرم يطهرك نور الإمامة مما أنت فيه من الدرن ، يبتعد بك هذا النور عن مسار الإنزلاق ، ولكن ما هو مدى استثمارك لهذه الحالة ؟ فإذا ما كان العقل والمعرفة حاكمة في البدن لن يكون هناك مجال لورود الرياء ، فجأة على هذا العمل .

دفع الفساد بالفساد سببه الجهل :

على سبيل المثال ـ الجاهل عندما يريد أن ينهى عن المنكر يأتي بأعمال منكرة ، هل سمعتم بالاشخاص الأربعة الذين وقفوا للصلاة ؛ إذ بصق أحدهم متعمداً أثناء الصلاة في المسجد ، فأرتكب مكروهاً ، فأراد الذي يقف في جانبه أنه يصلح الأمر ، قائلاً لماذا فعلت ذلك قاطعاً صلاته ، ووقوفه بين يدي الله ، فأجابه الثاني قائلاً : ما كان لك أن تتحدث أثناء الصلاة ، فقال الثالث : إن صلاتكما باطلة وقال الرابع : الحمد لله الذي لم يجعلني أنطق بحرف واحد .

يريد أن ينهىٰ عن المنكر مضمناً نهيه هذا بالسباب الذي يذهب بماء وجهِ المؤمن ، إن السبّ هو أحد المنكرات التي مارستها ، وبتصوّره أنه نهى عن المنكر ؛ فمثلاً يتبوّل أحدهم مستقبلاً القبلة ، فيقال له : لماذا تفعل هذا يا

كلب ؟! فمن أين لك أن تعلم بأنه كان يعرف باستقبالِه للقبلة أو كان على ريبٍ في الأمر ، ومن أين لك معرفة خطأه القطعي ، فإنّ بعض الجُهال يتجاوزون إلى اكثر من ذلك ، فينعتون الطرف المقابل بالكلب علاوةً على تسمية والده أيضاً بذلك ، إن ولدَ الطرفِ له الحقّ في محاجة السابِّ غداً في محكمة العدلِ الإلهي يومَ القيامة سائلاً السابَّ : لماذا نسبتني إلى الكلب ناهيك عن حقانيةِ المسبوبِ بتعزيزِ السابّ .

أملي في أن تكون مجالسنا مجالسَ علم ، تُزيد لمعلوماتِنا الدينية علماً إضافياً لأن علامة العلم الخشوع ، وعلامة الجهل الغرور ، وكلما زاد جهلُ الانسان زاد غرورُه ، وكلما زاد علمهُ زاد تواضعُه ﴿ إنما يخشىٰ الله من عبادِه العلماء ﴾[1] ؛ فكل شخص على علم يقين بعظمة الله يبقى مضطرباً قلبُه ويخاطِب نفسَه ، هل أن ما قضيته من عمري في العمل الفلاني أو الفلاني يُتقبّل مني أولا ؟ فالشخص الذي عرف الله حقّ معرفته يبقى دائماً شديد الخجل من الله تعالى .

كيف أصدر عن خجل في مواجهة الحبيب .

لما لم تعمله يداي من عملٍ لائق في حضرته .

قد تورّمت أقدامُ الرسول الأكرم (ص) من كثرةِ ما قام لله تبارك وتعالى وفي جوابه لعائشة عندما سألته لم هذا القيام والانين فأجابها بذكره للاية الشريفة ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[2] علاوة على قوله (ص) : ﴿ أفلا أكونُ عبداً شكورا ﴾[3] .

---

(١) سورة فاطر ، الآية٣٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٣ .

(٣) سفينة البحار : ج١ ، ص ٧١١ .

فالشخص الذي لم يعرف في الدنيا ما أنعم الله عليه من نعمٍ كثيرة يأتي يومَ القيامةِ مطأطِـأً رأسه مـع وقوف ٤٠ عـاماً على قـدميه ، ليتعـرف على عدم معرفته وفهمه وحينها يُدرك كفرانَه لنعمِ الله العظيمة ، ويعرف في محضر الله ما جنى ومـا خان ومـا ارتكب من أعمالٍ مخجلة ، حسب مـا جاء في الـروايات المتواترة ؛ إذن ينبغي للإنسـان أن يتعرف على أخطائه وكفره بالنعمة ، ويخجل مما عمله من ذنوب ليتمكن بذلك من الاستغاثةِ بالله في شهر رمضان المبارك ، ويستبشر بالروايات التي تتطرق إلى أن الصائم مستجابٌ دعاؤه ، وينبغي لنا أن لا نتجرأ بالقول بأننا صيّام ، بل عملنا هذا أشبه ما يكون بالصيام ، ربّنا إن نبيك وعدنا وعداً حسـناً بأن تستجيب لدعائنا في هذا الشهرِ الفضيلِ ، وأن نوفّقَ فيـه لأن نكون من أهلِ العلمِ والمعرفة فتقبل منا على أن نكون أهلاً لذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ والعصر إنَّ الإنسان لفي خُسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

لقد كان صلبُ حديثنا بالامس عما يمكن أن يستفيد الإنسان منه في هذا الشهرِ المبارك إن شاء الله في ساعةٍ يقضيها خطيباً أو مستمعاً وعلى الرغم من المعاناة التي يمكن أن تبدو عليهما ولكن النفس قد تتلهف إلى هكذا أحاديث مَثَلُها مثل القصة أو الخبر ؛ اما الموعظة فهي على خلاف الرغبة والميول ناهيك عن صعوبتها ؛ مجلسنا انشاء الله يكون مجلسَ تذاكرٍ علميّ فالخطيب فيه يتحدث عن علومِ القرآن وعلومِ اهل بيت الرسول (ص) والمستمعُ فيه يستمع بقصدِ التفهم والتعلم والعمل بنهجهم ، فالخبيرُ المؤمنُ بعلم الرسول (ص) ينبغي له أن يكون عارفاً لمسائل الحلالِ والحرام وعالماً بآفات النفس وآفات الأعمال .

أجنحة الملائكة فِراش لطلاب العلم

جاء في الروايات أن شخصاً ذهب إلى منزل الإمام زين العابدين (ع) في ساعةٍ مبكرة من صباح أحد الأيام ، فسأله الإمامُ : ما الهدفُ من مجيئكِ في هذا الوقتِ فقال جئت إليكَ لاستفيدَ حديثاً منك فقال الإمامُ (ع) : أبشّرُك بأن

الملائكة تفرش أجنحتها تحت قدميك .

قال كثير بن قيس : لقد كنت عشاء يوم في منزل (أبو الدرداء) فدخل علينا المنزل اعرابيٌ فسأله أبو الدرداء : من أنت ؛ فقال : لقد جئتك ماشياً على قدميَّ من المدينة إلى الشام لسماعي بأنك قد سمعتَ حديثاً من شفاه الرسول (ص) ؛ فبشَّرَهُ ابو الدرداء وقال له : سَمعتُ رسول بالله (ص) يقول : من سار في طلب العلم فرشت له الملائكةُ اجنحتها تحت قدميه .

وبهذه المناسبة نحكي لكم حكايةً اعجازية نقلها الشهيد الثاني حيث قال : كان في احد الأيام عدةٌ من طلاب العلم يرومون أن يكونوا من أهلِ الفهم طالبين تعلم مبطلات الاعمال وآفاتِ النفس ويرغَبون صلاحَ دينهم بالذهاب إلى دار أحد المحدثين لاستماع حديثٍ منه وكان الوقتُ متأخراً فقال أحدهم لنعجلّ المسير علّنا نصلُ في الوقتِ المناسب فصادفوا شخصاً جاهلاً في طريقهم فأرادَ ان يسخَر منهم وقال لهم : لا تعجلوا في المسيرِ يا سادة فتسببوا في الحاقِ الضرر باجنحةِ الملائكة ، وفجأةً وبعد اكماله هذه الجملة شاهد الجميع انكماش هذا الساخر في مكانه ولم يكن ليتمكن من أن يحرك قدماً واحدة ، وهكذا بقي حتى آخر عمرِه ، لما قامَ به من استخفافٍ بحديثِ خاتم الأنبياء محمد (ص) .

نتيجة الأستهزاء بحديث النبي (ص)

وهذا هو حديث آخر سماعي : كان الإمام السجاد (ع) جالساً في أحد الأيام في مجلس يضم جمعاً من الناس فقال له عِدَّةٌ منهم : لقد جئنا لسماع حديثٍ منك وكان الإمام (ع) يعلم أن من قال ذلك كان من المنافقين ومن جملتهم ضمرة بن ضرار الذي لم يكن يمتلك زرة من ايمان وخشوع في قلبه ؛ فقال الإمام : ماذا نفعل ؟ إذا سكتنا وامتنعنا عن الحديث قالوا بخل الرجل بعلمه ولم يزكيّه ، وإذا تحدثنا خشينا الاستهزاء والسخرية ولكننا نقول : «وقال

جدّي خاتم الأنبياء محمد (ص) : «إذا مات المرء رفرفت روحه فوق نعشه ثم يقول : يا أهلي وولدي لا تغرّنكم الحياة الدنيا كما غرّت بي ، جمَعْتُ من حِلِهِ وغير حلّه ، فالمهنأ لغيري والوزرُ عليّ »[1] وما أن اكمل الإمام حديثه هذا حتى قال ضُمره بلهجة تنمّ عن سخرية واستهزاء : حسناً إذا نطق بشيء يمكن له أن يفرّ على تلك التي تنقله (قاصداً الملائكة) .

سكت الإمام ولم يقل شيئاً ، فقام المسكين ضمـرة وذهب ، وبعد أيـام وحينما خرج ابو حمزة الثمالي من داره يريد دار الإمام السجاد (ع) واذا بصديق له يخبره بأنّ ضمرةَ قد مات ، فقـال أبو حمـزة : قلت في نفسي لاذهب وأرى دفنه « وعند الوصول إلى الجثمان رأيتهم يريدون انزاله في القبر فـاقتربتُ منـه بحجةِ أني أريد وضع وجهه على التراب » فنزلت القبر مع الجسد ، واقسم بالله الواحد أني رأيت شفاه ضمرة تتحرك وتقول : الويل لـك ، الويـل لك ، لقـد وصلت يـا ضمرة إلى مـا كان يتحـدث عنه الإمـام ؛ حينها ارتعـدت فـرائصي وخرجت من قبره مذهولاً ومتـوجهاً إلى دار الإمـام السجاد (ع) وعنـدما وصلت قلت للإمام : مات هذا الرجل الذي سَخِرَ منك بالأمس وقد سمعته بأذنيّ هاتين وهـو يقول : الـويل لـك ، لقد وصلتَ يـا ضمـرة إلى مـا كـان يتحـدثُ عنـه الإمام (ع) .

الأيمان والعمل الصالح يبتعدان بالانسان عن الضرر

إن مجلسنا العلمي اليوم هـو آية محكمـة من محكمات القـرآن المجيد أقدمها لكم بعنوان أصل أصيـل وقطعي ومعتـدل من الايات المحكمـة الإلهية فالأصل فيها عدم احتمال الخلاف في دلالتهـا وهي من السور المشتـابهة انهـا سورة والعصر .

---

(١) نقلنا هذا الحديث بالمضمون .

إن اهميتها تتأتى من قسم الله بالعصر ، فالبشر مهما أراد وفي كل مقام ومنصب ، ابيض واسود ، تركي ورومي ، عرب ، وعجم ، قديم وجديد ، ماضي وحاضر ، نوعيته (أي نوعية الإنسان) في خُسر ، حيث تمكن النجاة له في شيئين : الايمان والعمل الصالح ، فهاذان الشيئان وحدهما اللذان يخرجانه من الخسارة ، فطالب السعادة في الدنيا والاخرة مهما كان لا يمكن أن يتحقق له ذلك إلاّ بالايمان والعمل الصالح .

ابحثوا في فهرست آيات القرآن فإنكم سوف تجدون أن كلمتي الإيمان والعمل الصالح قد تجاوزت حدّ المئة ، فقد جعل المولى تبارك وتعالى الإيمان توأم العمل الصالح حيث يقول عزّ من قائل : آمنو وعملوا الصالحات ـ ويتطرق الله إلى ان خير البرية هو المؤمن العامل بالعمل الصالح .

كذلك شر البرية «الكافر» الذين يكون نصيبهم جهنم ، وتقتصر الجنة على افراد خير البرية فقط .

علينا أن نفهم أولاً ما هو الإيمان ، ونرى ثانياً بعد ذلك هل هو متجلّي فينا أم لا ، نمتلك الايمان ، أو نذهب من الدنيا بيد خالية هذا ما سنتعرض له ، وثالثاً نبحث على أي مدى نحن من الايمان ، ذلك الايمان المطمئن ، أو أننا لا نمتلك من الايمان شيئاً حيث التعرض للمخاطر .

اتطرق هنا بحديث إلى المغرورين والسابحين في الخيال هل لهم نصيب من الإيمان ؟ ذلك ما سأعرض له .

الإيمان ودرجاته

جاء عن الصادق (ع) مرويّاً في اصول الكافي أنه قال لأبي بصير وهو أحد خواص الإمام (ع) ما مضمونه : « وانما تمسكتم بأدنى الإسلام واياكم وان يفلت من أيديكم » ؛ إن الإيمان الضعيف أو قلة الايمان يجرّ على صاحبه المخاطر . فاسمعوا لأن تُزيدوا من ايمانكم وتقوّوه .

واليوم نودُّ أن نبحث المنزلة الدنيا والمنزلة العليا لايمان العبد ليتسنى وضع ميزان يتمكن به الفرد المسلم من تقييم ايمانه حسب هذا الميزان . .

كل شيء يخطى بدرجات كثيرة يُرام تفهيمه ينبغي حساب درجته الاولى (العليا) والأخيرة (الدنيا) بعد ذلك يجدرُ إخراج وتقييم الدرجات الأولى والاخيرة والتي هي عنوان الايمان لا أقل ولا اكثر ، ونسمع ذلك من لسان الرواية حيث قال رسول الله (ص) ما مضمونه : من سرّته حسنته واساءته سيئته فهو مؤمن .

إن من المسلّم به هو إنفطار القلب على الإيمان بالغيب ، وبالفطرة أيضاً يعلم أن هناك ثواباً وعقاباً لكلّ الأعمال ؛ فضربك لطفل ، إبنك كان أو ابن غيرك ، كلمة تفوهت بها خطأً ، هتكك لعرض أو تعرض لأحد في ظهر الغيب أو ما شابه سوف يؤدي بك غداً إلى الوقوف في محكمة الله لتجيب ، ولكنك تستبق الأحداث لتسأل نفسك : بأي شيء سوف اجيب الله غداً ، وهذا من علائم الايمان اما إذا كنت ـ لاسمح الله ـ على غير طهارة أو تتهور في التعامل مع الناس وتنتهك الحرمات ولا تبالي فكن مطمئناً إلى قلبك لن يهتز به عِرقٌ ليسألك ماذا فعلت ؛ وهنا ساعرض بشكل أوضح لهذه المسألة :

الإيمان مرهون بالقلب :

إن اللغة الفارسية تستعمل مصطلح الرهن « الرهينة » المرهون ، وإذا ما أردنا أن نستعمل الفاظ أُخرى فنقول : ليس بالعلم وحده يحصل الايمان ، فإذا ما كان الانسان قد عرِفَ الله ، وعرف الآخرة ، فلا يكفي أن نعتبر أن المعرفة والمحبة لوحدها تبعث على الايمان بل ان الالتصاق الخاشع والتذلل في مقابل المحبوب علاوة على المعرفة بالله وبالاخرة يمكن احتسابه ايماناً .

كيف يكون تعامل الوليد مع امّه وابيه ؟ انه لا ايمان له في السنين الاولى ما عدا ايمانه بثدي امه الذي يسدّ جوعته ، فلا يرى اي شيء إلاّ من خلال هذا

الثدي ؛ فيعتبر ثدي امه هو الربّ وغيره لا يعرف شيئاً ، وكلّما قالوا لـه توجـد أشيـاء أخرى تعمـل عمل الشـدي ، فتعطي حليب البقـر ، والحليب المجفف واشياء اخرى لا يفهم ما يقال لـه ، ولكن عندمـا يتقدم بـالسنّ قليلاً ويـرى أن الغذاء يمكن أيضاً أن يسد حاجتـه وان اشياء أخـرى يمكن أن تمنع عنـه البرد والحرّ واشياء اخرى ايضاً يراها تسد بعض حوائجهِ الباقيـات تصدر عن أبيـه ؛ وحين بلوغه السبع أو الثمان سنين لا يمكن أن يرى غير الوالد رزّاقاً له فيؤمن به وحده ولا ينظر إلي غير الأب بعنوان انه يؤمن به ، فيبدأ الطفل هنا بـالتودد إلى ابيه ويدعوا من كلّ قلبه لابيه الذي يرى انَّ الملبس والمطعم والمسكن يؤمَّنُ من قِبَلِهْ .

وعند بلوغ سنّ الرشد سنّ تشعشع نـور التوحيـد والايمان بـالغيب ودفع اشتباهات الطفولة ، يرتفع ايمانه إلى الايمان بـالله ولا اعتراض لـديه على من كان يؤمنُ به .

أيعا الفتى الذي وصل به العمر إلى سنيّه الخمسة عشر لقد كنت على غير الصواب حين ظننت أن الأب والأم هما ربك ، ألا تعلم أن اباك محتـاج وكذا امك ، لقد كنت ترى الاسود والابيض بل وكل ألوان الحياة من أبيك ، عليك أن تـدرك الآن أن الايمان بـالله من عند الله الـذي نزع عنـك الايمان بـوالـدك واختصه لنفسه ، ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضْتُ فهو يشفين ﴾[1] ، فإذا ما اراد المولى تبارك وتعالى أن أشبع هيأ وسائل واسباب الشبع ؛ إن الله لا يريد أن يهيء الوالدان والاخرون الغذاء الذي لا يسدّ حاجتي ، بل تكفـل هو سبحانه بالرزق وبالكفاية .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية٧٩ ، ٨٠ .

ابتلاء معاوية وعبد الملك بعدم الرّي والشبع :

لقد كتبوا بصـدد معـاويـة عليه الهـاوية أن رسـول بالله (ص) ارسـل إليه ليحضر عنده ليكتب شيئاً للرسول فقـال معاويـة للشخص الذي بعثـه الرسـول اذهب وقل إنّي مشغول بالطعام ، وعندما سمع الرسول (ص) قال : لا أشبع الله بطنه ، فكان حتى آخر عمره يأكل الطعام الكثير ويتعب من الأكل ولا يشبع .

تتصور أن الاكل يشبعك كلا ، إلاّ إذا اراد الله ؛ أو تتصّور أن الماء يروي عطشك كلا ، إلاّ إذا أراد الله .

وحيناً يكون الماء بلاء على الإنسان مثلما حصل لعبد الملك بن مروان بعد قتله لمصعب بن عمير فوصل به الأمر إلى ان طبيبه الخاص قال له : لو شربتَ قطرة واحدةً من الماء لكان فيها هلاكك ، عليك أن تصبر فترة معينة بدون ماء ، وبعد صبرٍ دام سويعات وصل عبد الملك إلى مرحلةٍ لم يطق بعدها الصبر على العطش فقال : اسقوني ريّاً وإن كان فيه نفسي ، فشرب الماء حتى. مات ، فالماء سبب الحياة كما هو معروف ولكنه اصبح سبب هلاكه ، فانظر إلى ما يريد الله تبارك وتعالى وما هي المصلحة التي يحدد بها أعمالنا جل وعلا .

لقد كان سليمان بن عبد الملك بن مروان يأكل ثمانين دجاجة مشويّة ويقول تعبتُ وما شبعت ، وربّما يصدر صباحاً من حمامّه ويسأل عن الفطور ، فيقال له : ذبحنا ثلاثة رؤوس من الغنم لغذائك فيقول ائتوني بسرعة بقلوبها واكبادها فلا طاقة لي بعد الآن على الجوع ، فيشرع عمّاله بشواء القلوب والاكباد فيحثهم على شواءٍ غير كامل فيأخذ بالمشواة من أيديهم بكمّ رداءه آكلاً صارخاً من حرارة اللحم المشوي فيكون نار الجوع غالباً على نار الشواء .

والانكى من هذا هو تلك النفوس التي تعتبر الأثاث المادي هو كل شيء تاركين الايمان بالله تبارك وتعالى ومؤمنين بالوسائل والتكنلوجيا المتقدمة وصراحة نقول انهم يحسبون أن المال حلاّل المشكلات والثروة ينبغي لها أن

تزداد وتنمو وكل شيء هو المال لا غير المال ، ايها الكافر المشرك ، هل ان المال هو الخلاق أم الله الواحد الأحد ؟ انه يرى أن كل فردٍ غني مادياً يستطيع أن يشتري منتزّهاً ولكنه لا يعلم ماذا يفعل ، لقد استُغْفِلَ هذا الفرد بنسيانه الله الواحد الأحد وعثوره على ايمانٍ بمال كثير .

لقد أضحى هذا المال في نظر هذا الفرد هو الرب والإله والايمان ، يحتمي به ، فإذا ما زاد فرِحَ وبدا عليه السرور وإذا ما نقص يصبح الهه «المال» أقلّ حظاً من نعلٍ قديمة » فمسكين هذا الذي يعتبر أن كل شيء يمكن أن يكون بالمال ان البعض ، يمتعضون لهكذا أحاديث لأننا وبهذه الأحاديث تفضح عيوب حبيبهم ، وتنتقص من الههم ؛ فيا ايها الشخص الذي حسب مال الدنيا هو الاول والآخر من المفروض عليك أن تضع الله سبحانه وتعالى هو الاول والآخر وتحسب للآخره ألف حساب ؛ فالذي يتصور أن المال والجاه هو الثروة الحقيقية عليه أن يتأمل بغدِ الآخره حيث يقول الله في هكذا موارد عن لسان الهالكين :

﴿ ما أغنى عنّي ماليه هلك عنّي سلطانيه ﴾[1] .

جثمان ملكة مع مجوهرات ثمينة

لقد جاء في كتاب المستطرف ؛ بعد العثور في مصر على صندوق يحتوي على جثمان لاحدى الملكات تنام إلى جانب مجوهرات ثمينة وعجيبة وإلى جانب هذه الجواهر لوحة ، كُتب عليها بخطٍ ترجمه الخبراء جاء فيه : اني الملكة فلانه ملكة اليمن ، لقد عمّ القحط مملكتي (نلوذ بالله حين يريد أن يُلفتَ البشر إلى أن التصوّر في أن المال والجاه لا يدوم) وقام كلّ عماليّ بالبحث عن رغيف من الخبز في مقابل كل ما املك من مجوهرات ، ولكن

---

(١) سورة الحاقة، الآيات ٢٨ ـ ٢٩ .

ذهبت أتعابهم ادراج الرياح ولم يعثروا لي على قرص من الخبز أسدُّ به جوعتي ويحفظني من الموت المحتم ، فكتبت وصيتي في أن يجعلوا جميع مجوهراتي في تابوتي هذا ويدفنوني لكي يفهم من يأتي بعدي ان المال والمقام لا يدوم ، واسأل هنا هل أن المال يمكن أن يدفع الموت أو يعالج المرض ، وإذا ما أراد المولى تبارك وتعالى أن يُذهب السلاطين فقل كيف يمكن أن يدرء الاطباء خطر الموت ، إذن كلّ الأمر راجع إلى الله وحده .

كلِ الأمرَ لله في بناتك :

لقد عاد الإمام الصادق (ع) احدَ اصحابه وهو على فراش الموت سائلاً عن وضعه وأحواله ، وكان المسكين هذا ضعيف الايمان فقال : يابن رسول الله : ليس لي همّ ولا غمّ إلا بنات اتركهم بعدي واخشى عليهم من ان يصيبهم مكروه ؟ فأجابه الإمام : الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجوه لاصلاح حال بناتك » .

إذا كنت تأمل أن المولى تبارك وتعالى سوف يتجاوز عن جبال المعاصي والذنوب التي مارستها باستغفارك ، فمن المفروض بك أن تتأمل منه تعالى أن يلتزم حمل اولادك ، فهل أنت إله ، حتى تكون وظيفتك أن تتحمل عمل وعاقبة ابناءك ؟ الم يكن المولى تعالى هو الذي خلقهم ، إذن عليك أن تجعل ذلك في عهدة الباري سبحانه فهو الذي تكفلك وتكفلهم إلى هذه اللحظة ، ولا تنظر إلى ما يقوم به الناس من ارادة لبيوتاتهم والاهتمام بابنائهم ، عليك فقط ان تعرض اعمالك على التوحيد وتجعل ايمانك قوياً بالله ، ولا تنظر إلى الاسباب بل عليك النظر إلى المسبب ، فلا ينبغي لك أن تكون رغبتك مادية تحته بل عليك أن تكون رغبتك الهية ؛ فما دام اعتمادك على هذه الناحية فإنّ تلك الناحية ستكون خالية وهل يمكن احتساب هذه الحالة علامة للايمان أم لا ، فإذا ما

---

(١) سفينة البحار : ج١ ، ص١٠٨ .

ضاعت الاموال أو تعرضت إلى ضرر أو سرقة فماذا سيكون عليه حالك .

فإذا ما سببت أحداً وبعدها تأثرت كثيراً وتأسفت على ما فعلت وقلتَ في نفسك : لقد عصيتُ الله وان الله غير راضٍ منّي ، فهنا يجدر القول : أيهم أشد عليك أن يضيع مالك أو يضيع دينك ويقلّ بذلك ايمانك ، وتصبح بذلك كمن يقول : يا علي انت يعسوب مال الكفار عوضاً عن قولك يا علي أنت يعسوب المؤمنين .

هذه القضايا يجب أن نجريها على انفسنا فالميزان هو إذا ما ضاع مالٌ لي أو تلف فإنَّ الاصعبَ علي أن امارس الخطأ والمعصية والأسهل منه والاهون هو تحمّلي ضياع المال وتلفه .

مصيبة فَوْت العبادة

جاء في لآلي الاخبار ان عدة من الطلبة ذهبوا إلى دار استاذهم لينهلوا من علمه ، ولما حضروا رأوا الاستاذ في وضع لا يُحسد عليه من الحيرة والذهول فراحوا يسألونه : ما الذي حدث يا استاذ ، منحك الله الصبر الجزيل على ما نزل بك فما الذي حصل ، هل مات لك أحد ؟ ومتى نذهب معك لدفنه ؟ ومتى سيقام العزاء على روحه ؛ فقال : ماذا اقول لكم بالامس غلبني النوم ولم أصحُ إلّا على أذان الفجر ، لقد فاتتني صلاة الليل ، وفاتتني قافلة المستغفرين بالاسحار لقد مسّني الضرّ حيث أقمت القضاء وفاتني الاداء ، فأيّ مصيبة أكبر من هذا ؟ فلأن أيمانه الهي فإنه يرى القلّة في العبادة ضرر مهم وخطِر على ايمانه مثل ذلك الشخص الجليل الذي فاتتهُ صلاة العشاء فبدا عليه في الحال الهمّ والغمّ وذلك لإيمانه الكامل بالصلاة وبالآخره .

« فإنّ الشقيّ مَنْ حُرِمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم »[1] .

---

(١) الخطبة الشعبانية للنبي الأكرم (ص) . انظر مفاتيح الجنان المعرب ـ لعباس القمي ص١٧٣ .

وخلاصة ما ذكرنا ، إذا اراد الشخص أن يعرف حاله من الايمان ، وجوده أو عدمه ، فإنه يمكن ان يستدل على ذلك حينما يسيء أو يخطأ ، فإذا كان خطاؤه أو إساءتُه تجعل منه إنساناً مضطرباً مرتبكاً بسبب ما عمله فهذا مؤمن ، فيحتسب الضرر في دينه اكثر من الضرر بماله وموت ابناءه .

ولقد ذكر رسول الله (ص) في خطبته الغراء آخر شعبان بصدد شهر رمضان المبارك حين سأله امير المؤمنين علي (ع) قائلاً : يا رسول الله : ما هي افضل الأعمال في شهر رمضان فقال (ص) : الورع عن محارم الله .

وفي عين الوقت بشّره الرسول الاكرم بأنه يقتل في شهر رمضان المبارك على يد اشقى الاشقياء قائلاً له يضربك على قرنك ويخضب الدم رأسك ولحيتك فيقول امير المؤمنين (ع) : اذلك في سلامة من ديني .

إننا نرى البعض وقد ضعُفَ ايمانهم وقلَّ عن السابق من السنين وهؤلاء ينبغي لهم أن يراجعوا حساباتهم ولا يحسبوا للمال والرئاسة والجاه والمقام والشهرة أي حساب ، وعليهم أن لا يتصوّروا مكانتهم المادية في المجتمع اكثر من اللازم لأن ذلك يجرّهم إلى إضعاف الملكة الايمانية في النفس الانسانية .

إذاعملت خطيئة ولم ترَ من نفسك رادعاً أو عدم ارتياح لعملك السيء فاعلم انه لا ايمان لك ، وكذا السرور والفرح حينما يعمل الانسان الخير فان ذلك يدلل على الايمان ، فكل وقت تتوفق فيه لعمل الخير تطيب نفسك إذا كنت مؤمناً ، فمن كان بمثل عمرك لا يصوم وانت صائم إعلم أن الله وفقك لعمل ترجو منه مرضاته تبارك وتعالى ، مثل ذلك الشخص الذي يفرح بشرائه أرضاً المتر منها بدينار وبعد فترة يرى أن ارضه اصبح مترها بألف دينار ، وانت ايضاً عليك أن تفرح أول الافطار لما حباك الله من توفيق واعانك على طاعته فاشكر الله في سجودك على انك بدأت تتجاوز مرحلة الذنوب إلى مرحلة الطاعات من غير فخرٍ ولا مباهاة .

عليك أن تقول : أنا بجهلي وذنوبي رجعت مرةً اخرى إلى حيث الفطرة ووفقني الله لأن اصوم واعطاني المولى مُهلةً هي شهر رمضان لاتدارك ما بدرَ منّي فأيامي اصبحت مثل ايام العابدين الزاهدين ولياليَّ كليالي القائمين في الاسحار وكل حين تستطيع أن تبذل من مالك فاعلم انه توفيق من الله وحريٌّ بك أن تقبّل يدك على العطاء وتقول : الشكر لله الذي جعل من هذه اليد المسيئة مجرى خير ، فمن الجدير أن تفرح لعطائك في سبيل الله ولا تتشاءم حين البذل والعياذ بالله .

إن الدين السليم هو الرضا بقدر وقضاء الله ، فقمر بني هاشم العباس (ع) كان أيضاً مثل ابيه علي (ع) يتحدث عن سلامة دينه فيقول :

والله إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي ابداً عن ديني
وعن إمامٍ صادق اليقين

فتصوّر لو انك ايها المسلم قُطعت يدك اليمنى ، فلا مزاح في الأمر ، فلو خُدش جلدك بشيءٍ خشن أو جُرحت جرحاً بليغاً لا تدري ولا تعرف ما ستقول فكيف إذا كان مع هذا الجلد الشرايين والاوردة واللحم والعظم ؟!! فالعباس (ع) يقول ما مضمونه : إذا ما قطعت يدي فإنَّ قلبي مع الحسين ومع ربِّ الحسين ، لي يدٌ اخرى تمكنني من الدفاع عن ابن بنت رسول الله (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إنَّ الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

الرجاء والأمل من مستلزمات الإيمان :

﴿ اولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[1] .

لا ينبغي للإنسان أن يضطرب ويرتبك لمرتبته المتدنية بالامس بل عليه أن يعمل ويتقدم نحو الافضل ويضع في الذاكرة دائماً المنزلة الراقية العالية ، وبعد ذلك يمكن لأي انسان أن يقيّم وضعه الفعال .

والجدير بالذكر أن السؤال ليكون من سلطان امير المؤمنين عن المراتب العليا للايمان ، فالتقييم من الناس باعطاء الالقاب احدهم للآخر ليس له ميزان صحيح في الاعم الأغلب ولكن عندما يضفي المولى تبارك وتعالى أو الرسول الأكرم (ص) لقباً لأحد الناس فحتماً علينا الأخذ به لأنّه لا يمكن أن يكون إلاّ الواقع مثلما صرَّح بذلك الرسول الأكرم (ص) في حق علي (ع) حين قال ما مضمون : أنت امير على جميع المؤمنين يا علي .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ، ٨٣ .

فلقب امير المؤمنين يختصّ به علي (ع) فقط لا غير ، وحرّم على غيره لأنّ أصل الايمان هو علي (ع) والدليل على ذلك ما قاله الرسول الأعظم (ص) : والايمان مخالطٌ لحمَك ودمَك كما خالط لحمي ودمي[1] ؛ وكل من سار على نهج علي (ع) فقد فاز بالايمان ، فالمرتبة الراقية والمثالية للايمان نتعلمها من علي (ع) .

في نهج البلاغة :

لقد جاء في خطبة لأمير المؤمنين (ع) حين قاله همام لأحد اصحابه ان يصف له المتقين جاء فيها : وصفٌ للصفات اليقينية حيث يقول الإمام (ع) : لولا الأَجل الذي كُتِبَ عليهم لم تستقِرَّ أرواحُهم في اجسادِهم طرفةَ عينٍ شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب[2] .

وقد مرّ بنا في اصول الكافي جواب الإمام علي (ع) حينما سئل : ما الايمان ؟ حيث قال ما مضمونه : «إن الله عزّ وجل جعل الإيمان على اربعة دعائم ، فإذا نقصت دعامة لم يكن الايمان كاملاً » .

العبودية والإيمان مثل الرأس والجسد :

إن دعائم الايمان اربعة « الصبر واليقين والعدل والجهاد » فالصبر هو ركن الايمان الاعظم وفي رواية للإمام علي (ع) يقول فيها : إنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد »[3] . فالجسد بلا رأس ميّت ، ينبغي دفنه ، فإذا عُدم

---

(١) دعاء الندبة في مفاتيح الجنان المغرب ـ لعباس القمي ـ دار احياء التراث ـ بيروت ص٥٣٤ .

(٢) من خطبة لأمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين . إنظر شرح نهج البلاغة .

(٣) نهج البلاغة ـ ص٤٨٣ . تنظيم الدكتور صبحي الصالح لابن ميثم البحراني ج٣ ص٤١٠ .

المؤمن الصبر فقد إيمانه ، فعليه أن يصبر ليكون إحكام دعائم الدين حافظاً للإيمان .

فعندما يكون الانسان صغيراً فتقبله ايضاً يتناسب وصغره ، ولكنه على الكبر ينبغي له أن يتكامل عقله ويحظى بمسألة الايمان بالغيب ويصبح رقيّه إلى درجةٍ يضع معها المادة والماديات تحت قدمه في مقام الرغبة والشهوة ، ويتسامى على باقي المخلوقات ليصبح اشرف من الماديات بالتغذّي ، فينمّي بدنه وحاجاته الحيوانية من خلال تسامي عقله وهذا لا يكون إلا بالصبر ، وببركة الصبر يكتسب التجارب ويصل درجة راقية ليس بعدها رقيّ ، وهذا يتأتى من توجيهات علي ابن ابي طالب (ع) وبالتعرف على نهجه وسيرته والعمل بهما .

فإذا لم تسمو وتكبر فانت صغير ، اين انت من الإمام ، فالصغير ليس له عمل مع الكبير ، فأين الخفاش حين تبزغ الشمس ؟ يفر لضعفٍ في عينيه ولا طاقة له على تحمل النور ؛ فالطفل الصغير لا يتسنى له أن يدرك جمال محمد (ص) إلا بعد أن يكبر فلا يمكن أن يدرك الكبير غير الكبير ، والآن ما الذي يجب أن يكون حتى يتم السير على طريق التسامي والخروج على مرحلة الصغر ، الحل هو طيّ درجات الصبر .

النمو العقلي من بركات الصبر :

إذا تمكنت من التعامل برجولة وترك التصابي جانباً ؛ فطفولة النبات تستمر إلى السبع أو الثمان سنين معتمدات الالعاب وعرائس الأطفال ولكن بعد أن تتكلف البنت تترك لعبتها ولعبها جانباً حيث كان اللعب بالنسبة لها ظرافة وسرور ، والآن وبعد أن كبرت عليها أن تعتمد الصبر والعفة والعصمة المناسبة ، عاكسة العابها البريئة على صبرها .

أيها الفتى ، ايتها الفتاة : لقد كنتم تجمعون الاطفال من حولكم على زمن الطفولة لتبنوا الاخشاب والاحجار بيتاً صغيراً أو دكاناً أو ما شابه ولكنكم

الآن وصلتم الاربعين من العمر فلم يبق من الماضي إلا الشوق وفي السابق كنتم كالسائل اما الآن فاصبحتم كالاسمنت والحديد .

عندما كنتَ صغيراً وعلى سبيل المثال لو كانت بيدك قطعة صغيرة من النقود ويحاول شخص أن يأخذها منك تُحكم مسكها كي لا تصبح لغيرك والآن كذلك بقيت عاشقاً للمال الذي لا تنفقه في سبيل الله ، لقد سيطرت عليك الأوهام منذ الطفولة فعلقت وبانت رواسبها ، فعلى الصغر تئن وتصرخ حينما تُؤخذ منك قطعة نقدية ، يا ليت لو كانت هذه الاربعين أو الخمسين سنة هي تلك الاربع سنوات عندما كنتَ صغيراً ويا ليت لو انتهى بالعمر في الاربع الأولى من السنين ، لأن الأطفال على ذلك العمر يتخاصمون مع بعضهم البعض وتراهم بعد ساعة يتصالحون ويلعبون وكأنّ شيئاً لم يكن ، أما على الاربعين أو الخمسين من العمر وحينما يتخاصم الكبار مع بعضهم البعض يبقى الحقد آخذاً مكانه في القلب على هذه السنّ و . . .

عليك أن تكون دائماً وابداً بجوار محمد وآل بيت الرسول (ص) تطلب منهم العون في اكتساب الهمة العالية بالسير على نهجهم ، لأنّ الرجال وصلوا إلى ما يريدون بهممهم العالية ؛ عليك أن تصل إلى ما تريد ولا تطلب في ذلك حتمية جوار عليّ ابن ابي طالب (ع) لك .

اصبر في مواجهة الذنوب ابتداءً :

منذ البداية ينبغي لكما انتما ايها الفتيان ، أيها الفتيات أن تصبروا ، لا يجدر بك أيتها الفتاة أن تتجاهري بالسفور ولا تستعرضي محاسنك ، وانت ايها الفتى إحْكِم السيطرة على عينيك منذ البداية فإذا ما نظرت هنا أو هناك فسترسخ هذه العادة السيئة وتبقى معك على مرور الايام ، فيصبح عمرك اربعين عاماً وانت على هذه الحال . فأين أنت من متابعة محمد (ص) والمسير على منهجه

عليك أن تصمد ، ولا تكن كالحشائش تحركها النسائم حيثما تريد عليك

ان تكون هكذا « المؤمن أشد من الجبل والجبل يستقل منه بالفأس والمؤمن لا يستقل على دينه »[1] .

لا أدري أأتخذ من يوسف (ع) مثلاً اضربه لكم ، لقد كان يوسف نبيّاً فلأضرب مثلاً بشخص عادي أفضل .

صبر ابن سيرين ، الفتى الجميل :

لقد كان ابن سيرين فتىً جميلاً يعمل في صياغة الذهب ، لقد جاءت ابن سيرين امرأة من اعيان المدينة مع خادمةٍ لها وهو في دكّانه ، فذكرت له : أنّ لها جواهر موجودةً في منزلها وانّ عليه أن يذهب إلى المنزل ليرى المجوهرات ويشتريها وعندما رافقها إلى البيت قالت المرأة لخادمتها بعد أن توردا البيت : اقفلي الباب خلفنا ، وهناك التفتت إلى ابن سيرين وقالت له : لقد خدعتك ، فلم تكن هناك من حيلة إلاّ حديث هذه الجواهر لتكون حجةً لجلبك إلى هنا ، فإني عاشقة ، فبهت ابن سيرين وبدأ يفكر في طريقة للفرار من هذا المشكل والنجاة من هذه الحادثة صابراً محتسباً .

لقد اعانه المولى تبارك وتعالى ـ فوافق ظاهراً على ما ترغب المرأة وتريد وبعد لحظات طلب إلى المرأة أن ترشده إلى مكانٍ يتخلّى فيه ويقضي حاجته وفي الخلاء مدّ ابن سيرين يديه في النجاسة ولوّث رأسه ووجهه بها ، وخرج للمرأة على هذه الحال وحين مواجهتُه لها هربت المرأة من الدار من هول ما رأت فذهب ابن سيرين إلى الحمام ساعةً صابراً محتسباً ، ولم ير في نفسه ان يكون طعمة لنار جهنم فحباه الله تفسير الأحلام في الدنيا ، ولا ندري كيف سيجزيه المولى تبارك وتعالى على ما فعل في البرزخ والقيامة .

---

(١) سفينة البحار ج١ ص٣٥ .

سير الجاحظ بعشواء الطريق :

وفي قبال ابن سيرين كان الجاحظ الذي سبر أغوار الكتب (لقد كان ابن سيرين من عوام الناس) ؛ كان الجاحظ قبيح المنظر ويتصف بالحماقة ، اسود اللون بأنفٍ طويل وشفاه غليظة و . . . .

وعند مرور الجاحظ في احدى الحارات رأى امرأة جميلة تشير من طرفٍ خفيّ إليه فتبعها ظنّاً منه انها راغبةٌ فيه ، وكلما سارت خطوة التفتت اليه بغنج ودلال حتى وصلت إلى دكان احد الصيّاغ ، دخلت لوحدها وقالت للصائغ جملة وخرجت بعدها ذاهبةً ادراجها عندها دخل الجاحظ الدكّان وسأل الصائغ بالوجهة التي ذهبت إليها المرأة ولماذا تأخرت ؟ فقال الصائغ له : لقد أرادتك المرأة لشيء غير الذي ظننت ، فلقد جاءت إليّ قبل ساعةٍ من مجيئك طالبة مني صياغة طلسم على شكل شيطان فأجبتها بعدم رؤيتي للشيطان ، فأتت بك إلى هنا لأراك واصوغ لها ما تريد » والآن وبعد أن اتممتُ عملي وانجزتُ ما أرادت ، فأنت حرّ في الذهاب إن اردتَ ذلك .

إن رشد ابن سيرين الفتى الجميل القويّ جعله يقول لنفسه ، أصبرُ ساعة على النجاسة أحسن لي وأفضل من ان الوّث عفتي فصبرت على ما حدث . فيا ايها الفتى العزيز ، لا تتباطأ في المشي وانت تسير من امام سينما لترى صوراً لا تليق بالاخلاق السامية ، فإذا ما خذلتك رجلاك ودخلت إلى صالة العرض لترى ما ينافي الاخلاق فإنك بهذا تفقد درجةً من درجات الرقيّ والتقدم نحو الجادة السويّة فإن هذه الافلام الخليعة تهيج خيالك وتبعدك عن زوجتك وحليلتك بل وتقبح زوجتك في عينك » عليك أن تخرج من السينما . حرامٌ أن تتخلف عن المسيرة ، لماذا لم تمارس من البداية ما يرفّه عنك حلالاً ويغنيك ابداً عن السفاسف والقشور ، لِمَ لم تصبر على ان تجد تسلية سليمة وحلالاً ، لقد تابعت الشهوات وسعيتَ وراءها وحسبتها صغيرة .

إن النساء الذين لا يستمعن القول فيتبعن أحسنه يكبرن على الصغائر ، إنك وعندما كنت صغيراً إنْ كنت تنظر إلى المعاصي بخفة وحقارة فحينما تصل إلى السبعين من العمر ستبقى على ما أنت عليه من الطفولة وخصوصياتها ومقتضياتها . إذا لم تصبر على عمل الذنوب فإنك لن تكبر ، ولن يبقى ايمان في قلبك ولا ولاء ، فلا تكبر ولا تصبح ذات تجربة .

الصبر على الطاعة :

لا يعذر أحد على ترك الصيام ، ولكنّه لا يمكن له أن يقف أمام الجوع ولكن المسألة بشكل اجمالي غير مستحيلة غير انها صعبة وفيها معاناة ، فيعاني الانسان مثلاً عندما يتأخر غذاؤه ولكنه وبهذا التأخير وذاك التحمل يكبر ، فعندما كنت صغيراً ويتأخر غذاؤكَ ساعةً عندها تبكي وتصرخ وما إلى ذلك ، والآن مع عدم تحملك لتأخيرٍ قد يطرأ على طعامك وتجهيزه لا تصبر ، إذن لا زلتَ صغيراً ولم تكبُر ، إذن متى تصبح من أهل الصبر والايمان ، تصوم وتفرح لصيامك ، فـ (للصائم فرحتان فرحةٌ عند الافطار وفرحة يوم القيامة) كما هو مضمون الحديث الموصد روي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال ما مضمونه : « لا تخرج الروح من الجسد قبل أن تذوق من حوض الكوثر .

﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾[1] .

فيا أيها الصائمون ، أيها العطاشى » اشربوا هنيئاً من حوض الكوثر رياً رويّاً هنيئاً لا ظمأ بعده أبداً .

إن الماء الزلال الذي لا ظمأ بعده هو نتيجة حتمية للصبر ، فإذا ما وقع نظر الشاب على امرأة ولم يكرر النظر إليها ، سوف يتعامل الله معه في الآخرة معاملة ترضيه ، واما معاملة الله له في الحياة الدنيا ، إذاقته حلاوة الايمان وجعل

---

(١) سورة الحاقه ،الآية ٣٤.

صدرهُ مشروحاً مسروراً ، فرح روحي وسرور معنويّ وفي الآخرة يبقى نصيبه محفوظ من الحور العين وما عين رأت ولا أذن سمعت .

هل أن الصبر على الخطايا أحسن أو التصابي ، ان الذنوب وعملها نكبة للانسان وترك الواجبات نكبةٌ كذلك فاصبر على الانفاق في سبيل الله .

الصبر على المصيبة :

إن الصبر على الشدائد بكل أنواعها يبعث على الرقيّ والتسامي ، فعلى سبيل المثال لو أن قدمك اصطدمت بحجرٍ عليك أن تصبر ولا تكن كما كنتَ على زمن الطفولة ، فكل لحظة صبر تزيد الإنسان رقيّاً وتسامياً . فيا من تريد أن تسمو بانتهاج سيرة علي بن أبي طالب (ع) عليك أن تكبُر ، وبعد السموّ والرقيّ تتمكن من ان تعمل في خدمة الصالح الاسلامي العام والخاص وتدرك بعدها ما في القضايا التي جعلت منك كبيراً ، فالصبر على المصيبة محبب فمثلاً عندما يضيع منك مبلغ كبير من النقود فعليك أن تصبر ولا تجزع .

البطل ، الشخص الكيّس :

كان رسول الله (ص) يمرّ من احد الأزقة فشدّه منظر جمع من الناس ، فجاء إليهم وسألهم ما الخبر ؟ فقالوا أبطال يعرضون ابدانهم فيحملون الاحجار والصخور الكبار والثقيلة ، ويتباهون بقوتهم برفع هذه الأثقال ، فقال رسول الله (ص) ـ على ما يُروى ـ هل تريدون أن اعيّن من هو البطل فقالوا : لنا الشرف في ان تعيّن منّا أحداً بعنوان بطل ، فقال (ص) ما مضمونه : البطل ذلك الذي يحفظ نفسه في حال الغضب ، وفي الحقيقة ان الميدالية المحمدية هي من نصيب الشخص الذي يسيطر على نفسه حين الغضب ولا يشتم أحداً ، ولا يذيع سراً ، ولا ينتقم لنفسه ، هذا هو البطل الحقيقي والذي يجب أن تطلق عليه كلّ عبارات الرجولة .

بطلُ الأمة هو ذلك الشخص الذي يحصل على المال الحلال بعرق

جبينه ولا يبخل به ، رامياً الشيطان أرضاً ، فإذا ما كان نصيبك مليون واحد من النقود عليك أن تخرج مائتي الف منها بعنوان « خمس » ؛ يقول السيد بن طاووس : في واحد من أحاديثه ، ما كان مضمونه : ان اخراج (عُشر) من المال بعنوان زكاة على حدّ تعيين الشريعة الاسلامية للفقراء ، ولكنّي وبقوة وتأييد الله أعكس المسألة تماماً فآخذ (العُشر) لي وأعطي الباقي للفقراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إنَّ الانسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

إن ظهور الإيمان ، وزيادة درجاته ، لا يعرف ولا يكون إلّا بعد أن تُعرف اسبابه وتُدرس جيداً ، وبعد معرفتنا لاسبابه ودراستنا لهذه الأسباب ، فما هي الخطوة الثانية لايجاد الايمان وزيادته وبالتاليْ حفظه وبماذا يجب أن يحفظ هذا الايمان ؟ . . .

فالفرد الذي يروم معرفة الايمان عليه ان يكون خبيراً من خلال التزامه بنهج امير المؤمنين (ع) الذي هو الحكم في مسائل الايمان على ما جاء في الروايات التي تناقلها الاسلاف متواترةً حتى وصلت الينا ، وعلى حدّ قول الرسول الأعظم (ص) عليكم أن تتعرفوا على الايمان من عليّ ، اسألوا الايمان من عليّ (ع) امير الولاية وقمر الهداية اسد الله الغالب علي ابن أبي طالب (ع) » ونقول هنا يا أمير المؤمنين من هو المؤمن » وما هو الإيمان ؟ وما هي اسبابه ، وكيف تعرف مراتبه ودرجاته ؟ فقد جاء في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علي (ع) يردّ على هكذا اسئلة حيث يقول : (الايمان على اربع دعائم : الصبر واليقين والعدل والجهاد) وإذا فَقِدَ أحد هذه الدعائم تهدّم بناء

الايمان ، واول عمود في الايمان هو الصبر ، فالانسان العديم الصبر ، عديم الايمان ؛ وفي الامس القريب كنّا قد تعرضّنا إلى مسألة مهمة وهو أن فاقد الصبر لا يمكن أن يكون له رقيّ عقلي ، ولكن كيف يكون للطفل ايمان بالغيب . فالطفل لا يؤمن إلا بالاشياء المادية المحسوسة المرئية بالعين المجرّدة ، فعندما ينتزع الطفل من شيء ما لا يمكن أن تُرجعهُ إلى طبيعته الاولى إلاّ بملىء يده نقوداً فتلاصق هذه المسألة روحه حتى بعد اربعين أو خمسين عاماً ولا يأمن مِنْ شيء إلا بهذه الاشياء من مثل النقود ، المرأة ، المقام بهذه الاشياء يهدأ بينما عليه أن يصل إلى حدٍ يؤمن معه ويطمئن بما وراء الطبيعة ، بالله بمحمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام فإذا لم يكن يعلم تمارين الصبر والمعاناة لن يكون راشداً ولن يكون بذلك ليؤمن بما وراء الطبيعة ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾[1] ؛ فالغيب معناه ما وراء الحسّ غير هذه المحسوسات غير ما تراه بعينك فالذي في الغيب والخفاء يُحَسُّ به ويمكن أن يكون للانسان علاقة مع ما وراء الحس وبذلك يكون باعثاً على تجلّي الصبر في الروح الانسانية .

ففي درجات الصبر التي تعرّضنا لها بالأمس القريب ذكرنا أن الصبر على الخطايا والمساويء يجرّك رويداً رويداً إلى الرشد والسّمو ، وكذا الأمر بالنسبة للطاعة فالرشد يجرك إليها وعلى هذا الأساس سمي المولى تبارك وتعالى الصيام بالصبر ضمن الآية الشريفة التي تقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾[1] فسروا الصيام بالصبر ، والصبر معناه كفّ النفس ومنعها وتهدئة القلب واللسان والاعضاء والجوارح ، فيقول الشخص بعد ساعة ساتناول طعامي وليس الآن فهو بذلك كفّ نفسه عما تريد وبهذه الطريقة يرقى العقل ويسمو وهذه الحالة هي ارضية للايمان بالغيب ، والاعتماد عليه فيكون الاطمئنان بما وراء الطبيعة

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣ .

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٥ .

وليس بالمادة والماديات التي توقعه في حبّ الدنيا رويداً رويداً ومن طرف آخر يحصل الحبّ لله وللآخره ولآل بيت الرسول (ص) ومن هنا نخلص إلى القول وكما قال الإمام علي (ع) : « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد » ؛ ففقدان الرأس يُنفي مسؤولية الجسد ، فالشخص الذي يدّعي الايمان ويقول لا صبر عندي ، فأينَ ايمانُهُ إذن ؟ هنا لا يمكن أن يتواجد الايمان وإذا وُجِدَ اين يبقى ؟ فعدم الصبر مساوٍ لعدم ترك المعاصي وعدم الوقوف على تنفيذ الواجبات والطاعات فيصير القلب إلى ظلمة وتتكدر النفس ، وكيف له بعد ذلك أن يجمع بين ظلمة القلب ونور الايمان فعلى سبيل المثال : تميل النفس إلى النوم اللذيذ بينَ الطلوعين صيفاً ، فتقول نفسه نمْ وتمتع بنومك فيجيبها العقل قم وأطع الأمر ، فإذا ما كان صابراً كافّاً نفسه من الملذات يتمكن أن يقيم صلاة الصبح ، وإذا ما استمر الأمر على أن يكابد قليلاً ويصبر على الملذات فإن الرشد العقلي يتكامل عنده منعكساً على روحه وادراكه حتى يصل إلى ما يصبو إليه وهو الايمان بالغيب .

إن كل الطاعات في الاغلب الأعم على هذا المنوال ، فإذا انفقت فاصبر وإذا ذهب من يدك مال كثير على جادة العمل الخيرّ فاعلم انك قد أحسنت لنفسك وتلطّفتَ عليها ، أما إذا امسكت يدك وجعلتها مغلولة إلى عنقك فلن تظلم إلاّ نفسك .

لا تظلم نفسك التي تحبها اكثر من الجميع :

لقد جاء في موعظة لأبي ذرٍ الغفاري (انتبه إلى ما يقول هذا الصحابي الجليل وتمعّن بكلماتها) ؛ حينما بُعّدَ أبو ذر إلى الشام ارسل صديقٌ له رسالة يسأله فيها حكمةً أو موعظةً أو كلام خير فيأتي جواب الرسالة إليه بهذا الشكل : بسم الله الرحمن الرحيم : يا فلان « رجائي منك شيء واحد وهو : لا تظلم اعزّ الناس إلى نفسك ولا تعاديه والسلام » . وصلت الرسالة إلى الشخص السائل من جانب ابي ذر فتحيّر وقال : هذا تناقض ، هل من الممكن عداء شخص

احبّه ؟ فكتب ثانية إلى ابي ذر يطلب شرح طلبه ورجائه فجاء الجواب : إن احب الناس اليك هو نفسك ، لأن الإنسان وبلا شك يحب نفسه اكثر من الآخرين ولو كان ابناءه ؛ إلاّ إذا كانوا أفراداً نادرين ، فالانسان اعزّ شيءٍ يعرفه نفسُهُ واحب الناس إليه هي نفسه أيضاً ، فلا تكن ظالماً وعدواً لنفسك يعني لا تُذنب ولا تسيء فإذا ما وجهتَ ضربة لأحدٍ من الناس فكأنما وجهتها إلى نفسك ولكن لا تدري أنك ظلمت نفسك بعملك هذا ، مثل ما قالت العقيلة زينب(س) في مجلس يزيد : «وما فريتَ إلاّ جلدك ولا حززت إلا لحمك»[1] فالصورة الحقيقية هي لجسد ورأس الحسين هي نفسها تَرِدُ المحشر فالقتلى والرؤوس وكل خطيئة تصدرُ عن الانسان انما هو ظالم لنفس عامل الظلم وقد يحتسبها الانسان ظالماً للغير ولكنها في الحقيقة نفسه لا غيرها .

أيها البخيل ، الا تقدر أن تخلع من قلبك الأموال وتنفقها في سبيل الله فإنك إن لم تفعل ذلك فقد ظلمت نفسك الا تعلم ﴿ **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾[1] فلا ينبغي لك أن تظلم احب النفوس إلى شخصك ولا تكن ظالماً لأعزّ الناس عندك ، لا تظلم نفسك ، لا شيء ، ولا تترك الواجبات اصبر عسى أن يؤدي بك الصبر إلى الرشد والتسامي فيكون الايمان من نصيبك فالمصائب التي تنزل بك ـ لاسمح الله ـ أو بمالك ، أو باقاربك ، وتجزع وتفزع ، حينها لن يتأتى لك أن تكبر وترقى بل ان الجزع والفزع اشياءُ مخالفةٌ للايمان .

الايمان من الامن ، أمان الله ، الجزع على عكس الأمن في حال عدم الصبر ينفي الائتمان بالله ، فهو يضرب رأسه ويشق قميصه ويضرب نفسه في الأرض فهو في الاعم الاغلب إنسانٌ مضطرب بعيد عن رحمة الله ، لعدم اعتقاده بأمن وامان الله لأنه عديم الصبر ولكنّه لو كان يصبر ويحتسب لحباه الله

---

(١) عبد الرزاق المقرّم ـ مقتل الحسين (ع) . دار الكتاب الاسلامي ـ بيروت ص٣٥٨ .
(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٠ .

أمامه وأحسّ بذلك في داخله وحينها يفهم ويستطعم حلاوة الايمان ، ذلك هو حال الكفر المختلط بالجزع والفزع من الآتي ، والمرارة غير المطبوعة ، والمصائب غير المأجورة والبعيدة عن ذكر الله تبارك وتعالى ؛ ذلك امير المؤمنين (ع) هو الذي قال : من لا صبر له لا ايمان له ؛ كونوا على يقين ايها السادة هذا الذي قال علي (ع) هو من المسلّمات ، فالافراد الذين وفقهم المولى تبارك وتعالى ان يجتمعوا في شهر رمضان على سفرةٍ واحدة ، هي من الحقائق التي يأمل الانسان فيها ان يكون لوحة منقوش عليه انّه مِن الصابرين وكلما توالي شهر رمضان على الفرد صائماً ، اعطاه المولى قوة قلب وتمام أمن وراحة ولذة خاصة بهذا الشهر العظيم فمَهما أراد الله ان يذهب بمالنا من بين ايدينا لمصلحة لا ندركها فعلينا أن نتذكر أننا وُلدنا عراة ونذهب من الدنيا عراة أيضاً إذن فما هي اهمية المال الذي لا نستطيع الاستفادة منه على حال ذهابنا من الدنيا الفانية فعند الولادة لم يكن الانسان غير الف بدون همزة ؟! لا ولد ولا تلد ولا أقرباء ولا ولا . . . ،

وخلاصة القول انه : لا ينبغي للانسان أن يضطرب لأن الاضطراب على خلافٍ مع الايمان وإذا ما استمر الانسان على حالة الاضطراب فقد إيمانه ﴿ أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون ﴾[1] .

فيه يعمل في سوق لبيع وشراء الحاجات المستعملة فيقول : لقد كنت في زوايا هذا السوق وإذا بأحد العلماء المحترمين العاملين بالتدريس في الحوزات العلمية وكان صاحب عنوانٍ معروف فرأيته وهو يحمل تحت ابطه قدراً صغيرة له أخرجها من تحت عباءته عارضاً اياها للبيع مع ما يباع من الوسائل والحاجات المستعملة ثم قال للمشتري اعطني عوضاً عنها نصف روبية أو روبية واحدة ، فأعطى المشتري ما اراد العالم ، فذهب العالم قاصداً بيته ولكنني تبعته وقلت

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

له : السلام عليكم فردّ عليّ السلام بوجه يبش ويهش وكأنما شيئاً لم يكن ولم يظهر عليه أي تغيير أو اضطراب بل كان مبسوط الوجه كعادته فقلت له : سيدي الجليل هل حدثت لكم حادثة جليلة ؛ فقال لا ؛ فقلت ! إذن ما الذي أوصلك لأن تبيع قِدْرَ بيتك ؟ فأجاب متبسماً لم يكن هناك شيء يذكر فالأمر طبيعي جداً ، بعت قدراً لي لاشتري به عدّة أقراص من الخبز فلقد استفدنا منها في الطبخ لمدة سنتين ، واليوم ايضاً نستفيد منها بمعاوضتها بالخبز إلى أن يأذن الله برزق .

الغرض من هذا الحديث ان الصبر يتنافى مع الاضطراب فكل ما يعطيه الله هو رزق سواءٌ كان قليلاً أو كثيراً فلا يمكن أن تحظى بأهمية قلّته أو كثرته .

إن بعض درجات الصبر مريرة وكلما كان الصبر شديداً وطويلاً فإنَّ اجره كذلك يتضاعف طردياً مع صعوبته حتى يصل إلى مرحلة ﴿ **إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[1] فلكل عمل خيرٍ حساب ، الصلاة ، والصوم ، الذكر وما شابه ذلك إلا في الاعمال التي لا يمكن أن يحصيها إلّا الخالق البارىء تعالى بحيث يصلُ الأجر فيها لا يقدّر إلا من قبله وهذا لا يحصل في الغالب إلّا لمن هم أهل للصبر .

تناسب درجات الصبر مع الاشخاص :

لقد ذكرنا أن درجات الصبر تتناسب مع الاشخاص طردياً فكل انسان يذوق حالة الصبر في مرحلة معينة من عمره فالشاب أو الفتاة تختلف درجات صبرهما مع درجات اعمارهما ، فصبر الشاب أصعب في مقابل المساوىء والاخطار إذا ما قسنا ذلك مع صبر الشيخ الكبير ، فالشيخ الكبير يصبر على الذنوب لانه لا تقتضي الحاجة لذلك ، فإذا لم يكن هناك اقتضاء فلا حاجة للصبر ، فالشاب عندما يصبر يكون صبره ذا قيمة عالية قبال الطاعات والذنوب

(١) سورة الزمر ، الآية ١٠ .

كذلك ، نعم ان الصبر على الاخلاص ليس فيه فتىً وشيخ وهـذا أيضاً صعب جداً .

الصبر على الإخلاص صعب على الجميع

أبين هنا لكم الصبر على الاخلاص بشكل عليكم أن تلتفتوا إلى ما اقول يعني أن الإنسان ينبغي له أن يعمل عمل الخير خالصاً لله تبارك وتعالى لا لشيء آخر وهذا من الامور الصعبة جداً فنفرض مثلاً ان شخصاً يريد أن ينفق مبلغاً من المال في سبيل الله فلا يجدر به أن يكون له قصدٌ آخر في هذا الانفـاق ، وفي الحقيقة ان النفس الامارة بالسوء تقول للمتصدق هذا أنفق أمام الناس لتكبُرَ في أعينهم ، أو تقول النفس : على الأقل يحظى بهم (أي بالناس) ان يقولوا لك بارك الله لك في اعمالك واقعاً انك رجل مؤمن ومتديّن وتعرف الله جل جلاله .

إذا كنت تروم المعاملة مع المولى تبـارك وتعالى لا ينبغي لـك أن يعرف أحد بانفاقك ابتداءً واستمراراً ، نعم هـذا الاخلاص صعب جـداً ولكن ﴿ ولا يُلقّاها إلاّ الذين صبروا ﴾[1] .

اخلاص زين العابدين في الانفاق :

لقد كان الإمام زين العابدين (ع) انموذجاً حيّاً للانفاق الخالص لله تعالى لقد كان الإمام (ع) يجوب الحارات في الليالي ضارباً لثامه وحاملاً على كتِفـهِ الشـريف الطعـام والأموال طـارقاً الأبـواب وخاصـة اقـاربـه وهم في غفلةٍ منـه متسائلين من يكون هذا الرجل ؟ وحيناً يشتمون زين العابدين (ع) ويقولون نِعمَ الرجل انت امـا ذاك الذي يسمى زين العـابدين فلن نخـطر على بالـه ، انه لا يذكرنا وانت الغريب تذكرنا ؛ لقد كانوا يعتبون على زين العابـدين (ع) ، وفي احدى الليالي ذهب الإمام إلى جوار ربه ، ولـم يذهب ما كان يفعل حينها انتبه

---

(١) سورة فصلّت ، الآية ٣٥ .

الناس من غفلتهم ؛ لقد كان الإمام مثالاً حياً للاخلاص حيث لم يفهم أحد وضعه العبادي هذا الذي ذكرناه غير الباري جلّت قدرته . إن هذا النوع من الصبر يحتاج إلى لجام للنفس قوي وتحمل كبير ، وقد يكون الانسان على هذه الحالة في بداية الأمر وبعد ذلك تخرق النفس إلى غيره ، فتقول له نفسه : على الأقل قل انّي عملتُ الشيء الفلاني أو ساعدت فلان أو غير ذلك فالنفس الأمارة بالسوء تحاول منع الانسان ما استطاعت ، وإذا لم تُحرِفِ الانسان عن المسيره السويّة لا تتركه ، ان الرجل ليصبر يريد وجه الله بعمله الخيرّ فإذا ما كان كذلك فما لَهُ وحساب الناس ووجههم . من الفضل ان يعمل الانسان في السرّ خير له من ان يكون حديثاً للآخرين ونحن في هذا الحرّ الشديد بعد ظهر يومٍ من أيام رمضان أود أن اتحدث لكم عن حكاية كمصداق للاخلاص والصبر على الاخلاص بعنوان انموذج لكي تتعرف على نفسك وخوالجك هل لك من الاخلاص شيء أو لا ؟

حكاية عجيبة عن الصبر على الإخلاص :

لقد جاء في كتاب ثمرات الاوراق وهو من الكتب القديمة خلاصة لحكاية في جزيرة قرب الموصل ، هذا المكان كان بالضبط بين الموصل وتركية وكان اسم الجزيرة « آنجا » ، يسكن هذه الجزيرة رجلٌ من الأشراف واعيان العرب يدعى خزيمة ، ولا يحضرني لقبه ، ولكن يمكن أن اقول تقريباً ان لقبه كان حاتم الزمان لقد كان ثريّاً وكريماً فاتحاً باب داره على الدوام للفقراء والمساكين وكذا للاقرباء والشعراء والغرباء صارفاً عمره وماله وكل ما يملك في خدمة الناس ولكن الزمان قلبَ له ظهر المجنّ فاضحى فقيراً غير قادرٍ على شيء ووصل إلى حدٍ بدأ يبيع معه أثاث بيته ، وثم باع داره ، ثم انتهىٰ إلى الاقتراض ولكن لم يكن احد ليساعده أو يقرضهُ شيئاً من المال ، وكان على زمانه حاكمٌ لتلك الجزيرة رجل سمي عكرمة فسأل عنه وعن اخباره فأخبره الناس انه أصبح فقيرٌ لا منزل ولا أثاث ، فبدا عدم الارتياح على عكرمة الحاكم ، وعند حلول المساء

حمل الحاكم اربعة الآف اشرفي قسّمها على اربعة اكياس فحملها غلامه فركب قارباً والغلام قارباً آخر وعند الوصول إلى حيث يسكن خزيمة ، ومن أجل أن لا يعرف الغلام ما الخبر قال لغلامه الآن حان لك أن ترجع من حيث أتينا واتركني لوحدي ، فضيّع نفسه عن نظر غلامه وذهب بلثامه إلى دار خزيمة فطرق الباب عليه ، خرج إليه خزيمة قائلاً من أنت ؟ قال خذ هذه الأربعة الآف اشرقي ولا تسألني عن اسمي ؛ فقال خزيمة لن تصل إلى يدي ما لم تقل ما اسمك ؟ فقال انا جابر عثرات الكرام تاركاً المال وطالقاً لرجليه العنان فتعجب خزيمة وادخل المال إلى داره وقال لامرأته أضيئي الدار لأرى ما في الأمر فأجابته لا نمتلك وقوداً لاضيء لك ؛ فقال : اصبري حتى يطلع علينا النهار ، ولما جاء النهار سألته امرأته من اين لك هذا المال ؟ ومن هذا الذي جاء به نصف الليل ٠ فقال لها لقد سعيت من أجل أن اعرف اسمه ولكن الحظ لم يسعفني لأن اتعرف عليه انه قال لي انا جابر عثرات الكرام وبعدها أدار ظهره وذهب من حيث أتى ؛ وعند وصول الحاكم عكرمة إلى داره بعد أن بذل مالاً ليس بالقليل التقته زوجته بعدم ارتياح وانزعاج ساحبةً ثوبه بشدة قائلة له : اين كنت يا هذا في هذا الليل المظلم ؟ ، إلى أين ذهبت في هذا الوقت ؟ اين كنت ؟ فاجاب عكرمة : لقد كان عندي عمل ؛ فقالت : إنه عمل خير . حتماً ، أنا اعلم جيداً أنك ذهبت إلى امرأةٍ اخرى غيري ، ولكن ما هي المناسبة التي جعلت منك راجلاً في هذا الليل ؟ فاجاب عكرمة بعد أن قسم لها انه لم أذهب إلى امرأة وانما كنت في عمل خاص قضيته ورجعت ؛ فلم تهدأ امرأته وهو ما معلوم عن النساء في هكذا مواقع ؛ فشقّت ثوبها ولطمت خدّها صارخة تقول سأنتحر إذا لم تخبرني بوجهتك التي ذهبت إليها ؟ فأجاب : اقسم بالله باني لم اكن عند امرأة ولم اتزوج ولا أريد ذلك ؛ لم يكن ليريد عكرمة أن تفهم امرأته ما حدث ولكن امرأته لم تكن لتتركه بدون ان يصرح لها بما فعل ، فاضطر إلى الأمر وقال لها لقد سمعت ان خزيمة أصبح نزيل بيته لفقرٍ مدقع ألمّ به فذهبت إليه بدون ان

يتعرف عليّ ومنحته اربعة الاف اشرفي فسألني من أنت ؟ فقلت : انا جابر عثرات الكرام ، فهدأت المرأة واستقرت وتناست الأمر .

أدخل خزيمة جزءً من امواله في تجارة واشترى بالباقي متاعاً وسافر إلى الشام ، فالتقى هناك بالخليفة الاموي ، فقال له الخليفة : لماذا تركتني كل هذ السنين ولم تحضر عندي فما الخبر ؟ فقال : نعم ، لقد أدارت لي الدنيا ظهرها فأصبحت من المساكين وحينما دعوتني لأن أجيء إليك لم يكن لدي من المال ما استطيع أن أصل إلى هنا على الرغم أنك قلت لي انّي سأعوضك ما تريد ، فقال الخليفة وكيف أتيت الآن ؟ فأجاب : لقد جاءني في ظلمة الليل شخص اعطاني اربعة الاف اشرفي ولم يعرّف نفسه إلا بجابر عثرات الكرام ، فقال الخليفة : ليتني عرفتُ هذا الرجل لكافأته على فتوته واخلاصه وكرمه ، وعندما رام خزيمة الذهاب قال الخليفة لخزيمة : انا قلت لك بجبران ما أصابك من مصيبة وقد صممت على أن اجعل منك حاكماً للجزيرة بدلاً عن عكرمة ، وهذا كتابي خذه معك واعزل عكرمة وحاسبه على بيت المال فان كانت هناك خيانة فأرسله مكتوف الايدي إلى الشام !!

اصبح خزيمة حاكماً جديداً للجزيرة متحركاً طبق المرسوم للحاكم الجديد فقبل مجيئه إلى الجزيرة ارسل شخصاً يبلغ أهل الجزيرة بالخبر . فاستقبله حين المجيء كبار شخصيات الجزيرة بكامل الاحترام ، فطلب إلى عكرمة ان يأخذه إلى مكان الحكومة ففعل عكرمة ذلك ولم ينبس ببنت شفة ولم يقل له من أنا وماذا فعلت معك !!

وهذا ما أردت قوله فالبعض عندما ينفقون مقداراً من المال قليلاً تراهم يتبجحون بذلك إلى آخر عمرهم بمناسبة وبدون مناسبة يتبعون بمنة ما عملوا . فنشاهد البعض يقول : انا اعطيت كذا لك في الوقت الفلاني وانا علمتك كذا . وانا الذي جعلت منك رجلاً وما إلى ذلك ؛ خلاصة القول انهم يذهبون بأجرهم

بمنتهم هذه ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ﴾[1] .

بعد أن استقر الحكمُ لخزيمة في منصبه الجديد جالساً على كرسيّ الحكم قال : ائتوني بعكرمة ، فجاؤه بالحكم المعزول فقال له : ائتني بحساباتك وحين الحساب شاهد خزيمة نقصاً في الخزانة من جملتها الاربعة آلاف أشرفي التي اعطيت له فقال : عليك يا عكرمة أن تردّ النقص الحاصل في الخزانة ـ بيت المال ـ فقال : الله يعلم انّي لا أملك من حطام الدنيا شيء ، ويعلم المولى أني لم أتخذ منها شيئاً لنفسي فقال الحاكم : أرموه في السجن ؛ مسكين هو عكرمة على الرغم من الاربعة الآف التي أعطاها للحاكم الجديد رموهُ في السجن ؛ ولم يتفوّه بكلمة واحدة ولم يقُل إني أنا الذي جئتك تلك الليلة إلى منزلك واعطيتك اربعة الآف من الدنانير ، وانت تفعل معي كلّ هذا ؟ ولم يقل أيضاً : لقد فعلتُ ذلك من اجل الله وحده » فلم يُجِزْ لنفسه ان يضع منّةً في عنق الحاكم » فعلاوة على سجنه ولعدم وجود مالٍ لديه وُضِعَ تحت التعذيب ، فوصل به التعذيب إلى حدٍ ارسل معه رسالة إلى الحاكم الجديد يقول فيها : هل هذا هو جزاء جابر عثرات الكرام ؟ وما أن وصلت رسالة عكرمة إلى خزيمة حتى ارسل إليه فلما جيء به اعتذر له بشكل كان يقبّل فيه يديه ورجليه ويقول له : صل سلسلة رجلك برجلي فلم يرضَ عكرمة فقال خزيمة إذن اركب دابتي وانا اسير معك إلى الخليفة فلم يرضَ ايضاً بذلك فقال له : انت الذي انقذتني تلك الليلة فقال عكرمة : لم يكن ذلك لك بل كان لغيرك ، وخلاصة القول وبكل احترام واجلال ذهب به إلى الشام عند الخليفة وقال : لقد قلتَ انك ستكافيء من انقذني تلك الليلة وهذا هو بين يديك ؛ فعرض الخليفة على عكرمة أن يرجع "ى حكومته في الجزيرة فرفض ذلك قائلاً : لا يمكن أن آخذ مكان خريمة » فاختار الخليفة له مكاناً آخر ليكون حاكماً فيه بكل احترام وعزة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

شاهد حديثنا هذا، ان قمة الاخلاص أن يكون الشخص تحت التعذيب وفي السجن ولا يمنّ على الذي أحسن، فمثل هذا الشخص الذي يصبر على كلّ هذا البلاء لن يكون عمله لغير الله بل يكون خالصاً لوجهه تبارك وتعالى؛ فلم يبُح بعملٍ من أجل الله تعالى ولم يتبع عمله مِنّةً تُعرف، ولم يؤذي من أعطى، ولم يتوقع ممن أعطى ان يحصل على شيء منه، فالصبر لا ينسجم مع توقعٍ تتلاشى معه البلايا لأنه يُضِرُّ بالعمل الخيّر الذي هو من أجل الله وحده. ولا ينبغي أن يحسب الإنسان إلاّ لعطاء الله تبارك وتعالى.

طعام الفقراء يحمل في الليل على الاكتاف

كتبوا لقد جاء قومٌ ليروا بدن أبي عبد الله الحسين (ع) في الحادي عشر من محرم الحرام فعاينوا الجراح فشاهدوا آثار جُرح يشبه إلى حدٍّ ما ضربة سيف أو رمحٍ ولكن الجرح لم يكن حديث عهد بل كان يدلّ على قِدم الزمان فعرضوا الأمر على الإمام زين العابدين (ع) فقال: لقد كان سلام الله عليه يحمل على كتفهِ الشريف التمر والحنطة والدنانير في تلك الليالي الدامسة بدون ان يعرف أحدٌ بذلك ليقدمها إلى الفقراء والمساكين قُربةً إلى الله تعالى[1].

لقد كانت رويّة كل إمام من الأئمة الأطهار (ع) على هذه الشاكلة فهذا هو معلّى بن خنيس ناظر مصروفات الإمام الصادق (ع) يتحدث عن الإمام ما يستفاد منه: لقد كان ليلاً حالكاً والمطر يهبط رذاذاً، وفي ظلمة الليل الدامس رأيت شخصاً يتحرك الهوينا فدققت النظر وإذا به سيدي ومولاي الإمام الصادق (ع) يعبر من تحت طاق وكأنٌ شيئاً قد سقط منه ويقول: اللهم ردَّهُ إليّ؛ فكان يجمع حبّات الحنطة حبة حبة في حينه، فتقدمت إليه وقلت: السلام عليكم يا سيدي وبدأت اجمع معه أقراص خبز وحبوب حنطة وشعير ثم سألته: إلى أين تذهب بهذا يابن رسول الله فقال: إن في سقيفة بني ساعدة مساكين نيام

---

(١) ورد متواتراً في الكثير من المصادر التي تحدثت عن الإمام الحسين (ع).

فأحببت أن أذهب بهذا اليهم ؛ فقلت وهل تسمح لي بأن أتكلف حمل ما تريد نقله إليهم فقال : لا والله فإني أولى به منك ؛ فحمله على كتفه الشريفة ووضعه عندهم وهم لا يعلمون بعد ان قسّم ما لديه عليهم لكل واحدٍ منهم نصيب معلوم .

إن عمل الخير لا ينبغي أن يكون إلاّ بحساب الله فأحسب في عمرك كم من الأعمال الخيرية قمت بها لوجه الله فقط ، ولم يكن غير الله ولقاء وجهه في الحسبان ؛ إن حبيب بن مظاهر سلام الله عليه وسائر الشهداء الذين استشهدوا مع الحسين (ع) يذكر لنا كتاب المقتل عنهم ما يلي : ان قتل حبيب هزّ الإمام الحسين (ع) لما كان لديه من حب خاصٍ في قلب الإمام (ع) وعندما قُتِلَ حبيب قال الإمام الحسين (ع) : اللهُمّ أحتسبه عندك ، قاصداً أن حسابه فقط لديك وانّي لأصبر لذلك من اجلك وعلى نهجك الذي سلكته وصبري هذا الذي هو لك لا أشرك معك به أحداً .

نحن أفضل الشركاء

يؤتىٰ بشخص يوم القيامةِ له من أعمال الخير الكثير ولكن اعماله هذه لم تكن خالصة لوجه الله تعالى فقد أشرك الناسَ فيها من خلال تظاهرِه بها، فيأتي نداءُ الله على ما في بعض الروايات نحن أحسنُ الشركاء وكل شيءٍ اشركت معنا أحداً فيه لا نقبله فخذ أجرَك ممن أشركته معنا، فإذا كان لديك عمل خالصٌ لنا فاتِ به .

إن الله يريد منّا عملاً صالحاً خالصاً في الغد القريب ونحن لا نعلم في عمرنا عملاً خالصاً بدر منّا وليس فيه شريك، أو حبّ ظهور وهوى واستعراض لغير الله تبارك وتعالى، فعلينا اذن أن نكون مطمئنين من اعمالنا على انها خالصةٌ له وحده بدون قصد يجرّ على المراءآةِ والاستظهارِ لا «ابتداءً» ولا «استمراراً»، علينا أن نفتش في اعمالنا فقد يكون فيها بداية حسنة لله ومن ثمّ

تتكالب عليها الشركاء، أي ابتداءً لم يكن في الأمر غير الله ولكن وبمرور الزمان ينحرف الإنسان إلى كسب السمعة عند الآخرين فيتلف الأمر كلّه علينا، فالأعمال التي تقترب بشدة من الإخلاص هي تلك التي تكون فيه لوحدك مع الله في قلب الليل أو السحر، تنهمر دموعك خوفاً من المولى ورجاءً في مغفرته وطلباً في ان يتجاوز عمّا فعلت من الذنوب.

يقال: ليس في الميزان أثقل من قطرة دمعٍ تذرفها العين خوفاً من الله تبارك وتعالى وليست قطرة تذرفها على امرأةٍ ليست عندك، ولكن الأمر المهم هو الخلوص لله وحده وهذا في الواقع له الأثر الفعال في كثير من الأعمال حيث أن دموعك هذه تصبح كالبحار التي تطفىء النار المتأججه.

البكاء على الحسين (ع) عمل خالص :

إن العمل الخالص انشاء الله يتجلّى كذلك في حضور عزاء الإمام الحسين (ع) والبكاء عليه فهذا البكاء لا تظاهر فيه، فالبكاء الذي يخرج من قلبٍ ملؤه المحبة لإمامٍ بذل نفسه في حبّ الله يؤمل منه تلطّف الله تبارك وتعالى في التجاوز عن الخطايا والسيئات أما غير العمل الخالص لله فلا يعتبر عملاً خالصاً فنحن نتساهل في كثير من الأمور ولكن الاجلاء يئنّون حيث يقول الإمام زين العابدين (ع) وهو ينتحب : اللزاد أبكي أم لبعد مسافتي ؛ وماذا نقول نحن : ما الذي يمكن أن تعمله البعوضة حين نزول العقاب الشديد .

الحل هو عند الإمام زين العابدين (ع) حين يقول : واعلم أنّه لن ينجيه إلاّ التضرّع إليك بين يديك[1] .

ان التضرع إلى الله وخصوصاً في هذا اليوم الذي هو بعد الظهر ، وهو يومٍ من أيام شهر رمضان المبارك فإنه يجلب الرحمة الربانية بشكل كأنه تلاطم

---

(١) جملة من أحد أدعيته (ع) .

في البحر ،

إن كـان فضلك لا يـرجـوه ذو فـرط فمن يجـود على العـاصين بـالكـرم

لقد جاء الإمام الحسين (ع) مع حبيب بن مظاهر ووقفا على رأس مسلم بن عوسجة وهو يعالج الروح ، فقال مسلم : سألحق بك قريباً ولكني ما بقيت اقول لك قل وصيّتك ، فهل لك وصيّة ؟ قال : نعم ؛ ماذا كانت وصية مسلم ؟ وبحبّ ماذا وصّى ؟ لم يوص بامرأة ولا بولد ولا بمعيشة ، لقد جُرح وقُتل ووقع ولم يقل اعطوني ماءً ، أو عالجوا جروحي واخرجوني من الميدان لكيلا اكـون عرضةً لسنابك الخيل خوفاً من السحق ، ولم يذكر المنزل ولا غيره بل قال : ؟ يا حبيب لا تتخلى عن الحسين (ع) ، ان محبـة الحسين جـرت في عـروقي فلامست شغاف قلبي فإن استطعت أن تبعده فافعل .

يا أيها العزيز مسلم بن عوسجة إنك أوصيت حبيباً بالحسين في وقت كان فيه الحسين صحيحاً وسالماً ولكنك لو شاهدته أثناء القتل يقع على الرمضاء مثله كمثل فصّ خاتمٍ احاطت به العساكر من كل جانب ، فهذا بسيفه وذلك بحربته ويا ليت شاهدت بدنه الذي قطّعوه وكل قطعةٍ منه تصرخ لربها آه آه .

بسم الله الرحمن الرحيم
والعصرِ إنَّ الإنسانَ لفي خسرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصَوا بالحقِّ وتواصَوا بالصبر .

إن الإيمان طريق النجاة ، ولقد انزل الله الكتب وارسل الرسل والآيات الإلهية من اجل زيادته ليصل بالإنسان إلى السعادة والأمن في الدنيا والآخرة ويجلب له الرخاء الحقيقي ، والآن نرى أن الإيمان من أين يبدأ « قلنا فلنسأل أمير المؤمنين فيقول (ع) : له أربع دعائم .

قد شرح باسهاب (ع) فقال : « واما الصبر فله اربع شعب : الشوق والاشفاق والزهد والترقب » .

الاشتياق إلى الجنة يلغي الشهوة :

أما الشوق : « من اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات » إذا لم يكن هناك شوق إلى شيء معين لن يتغاضى الإنسان عن الشهوات ، فعندما يكون الأمل في الجنة وثواب الله يسعى الإنسان لأن يرفع يده عن هوى النفس وعندها لن يحرص على شيء ، فيسعى ابداً للابتعاد عن الذنوب ويشارك في كل خير ؛ فعلى سبيل المثال إذا ما أراد شخص جلب بضاعة من الخارج يعلم انها ستدرُّ عليه الكثير فإنه حينها يتناسى تعبه وعدم نومه ويعتبر ذلك كله سهلاً في قبالة

الارباح الطائلة .

ولما كان شوق الفائدة مُتيقَّن فإنه يحرّم على نفسه وقتها النوم العزيز ويحتمل المشاق الاخرى وتعب السفر والبعد عن الوطن والأهل والأبناء . فيا حبذا هل يقضي شخص توطّنَ فيه الشوق إلى الجنة صلاة الصبح ؟ فمن اجل منفعة دنيوية يحرم الإنسان النوم على عينيه ، فكيف به ينجر إلى النوم اثناء الصلاة فالتسامح في الاتيان بالصلاة على وقتها والبخل في اخراج المال بعنوان انفاق لا يحتسب من الشوق في شيء ؛ فكثيرة هي الأموال التي يضّحي بها على املٍ أن يكون نصيبه الضعف منها في الأشهر القادمة ، فإذا ما كان الشوق إلى الجنة على هذه الصورة فكم يزداد العمل الخيّر ، ولكن الأمل ضعيف ، فإذ كان الأمل قوياً بالثواب والاجر الإلهي والوعود التي وعد الله بها عباده في القرآن المجيد حينها تجدُ أثرَ كل هذه الآيات القرآنية التي تتعرض لوصف الجنة واضحاً وجلياً على الإنسان بشكل شوق ، وببركة هذا الشوق يتأتى الصبر . فالخصام الذي قد يحصل بين اثنين يتذكر أحدهم القرآن الذي يقول ﴿ الا تحبون أنْ يغفر الله لكم ﴾[1] « وليعفوا وليصفحوا » حينها تضرب هذه الآيات صدر الإنسان فيقول : ما هذا الكلام ؟ هذا يقوله من كان لا يؤمن بوعدِ الله . واما ذلك الذي يأمل رحمة ربّه ويخاف عقابه ، فحين التذكر بهكذا آيات . يرتبّ أثراً فورياً على ما يمكن أن يعمله .

إذن ، ففي الوقت الذي يقول فيه الفرد « الهي العفو » ولا يرددها القلب ويأمل رحمة الله » في هكذا امور يقول المولى جلّت صفاته : إذا كنت تريد الوصول إلى مرامك « قل العفو واصفح » .

---

(١) سورة النور ، الآية ٢٢ .

تشجيع القرآن المجيد يبعث على الاشتياق :

إن الثواب الذي قال به القرآن الكريم ما هو إلاّ تشجيع للانسان بالنعم التي يتفضل بها الله على عباده في الجنّة : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية** ﴾[1] وقد تطرق المولى تبارك وتعالى إلى جانبٍ من الاغذية والشراب في الجنة ، « فأُكُلُها دائمٌ وظلّها » ، فهي ليست مثل الدنيا ولكن الآيات تشير إلى اشتراك في اللفظ واختلاف في الحقيقة ، فالفواكه دائمة الوجود علاوة على عطرها الذي يأتي من مسافة الف سنة ، وطبيعة الغذاء في الأخرة هو عدم إثقال الأكل منها كما هو الحال في الدنيا ، ففي الدنيا شعورٌ عند الأكل بالثقل والامتلاء وفي الآخرة استطعام اكثر مما هو إثقال للبدن ، ناهيك عن ان الفواكه فيها لها مئة ألف طعم كما تواتر الحديث .

وأما الشراب فيشير المولى إلى أن المؤمن في بستانٍ تجري من تحته اربعة أنواع من العيون ؛ ﴿ **فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرَ آسنٍ وانهارٌ من لبنٍ لم يتغيرّ طعمُه وانهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين وانهارٌ من عَسلٍ مُصَفّى** ﴾[2] ويذكر الله تبارك وتعالى كذلك إلى أنَّ الأنهار تبعثُ على لذّةِ الشُرْبِ التي تختلفُ عن اللذةِ والاستطعامِ الدنيوية وهذا الشرابُ يبعثُ على الفطنةِ والطهارةِ ، ولا يبعثُ على السُكرِ والنجاسةِ كما هو الحالُ في الحياة الدنيا ؛ ﴿ **وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾[3] .

هذا الطعامُ والشرابُ لأيِّ شخصٍ يُعطى ؟ انه لِمَنْ صَبَر على عدّةِ ساعات في ايامِ شهرِ رمضان مانعاً نفسه عن الأكلِ والشُرب .

فذلك الذي لا يصومُ لعدمِ تأثيرِ ذلك التوجيه عليه لن يشتاقَ إلى الجنة

---

(١) سورة الحاقة ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١٥ .

(٣) سورة الانسان ، الآية ٣١ .

لذا لا يتأتى لـه أن يمتنعَ عن السجائرِ ، والخبز ، والماءِ لعدمِ امتلاكه من الإيمانِ شيئاً أو على الأقل ان إيمانَه ضعيف ، وإذا لم يكن كذلك وكان إيمانهُ قوياً حينها يتأتى ويتجذّر عنده الشوق إلى ان يرى تنفيذ الأمور العبادية سهلاً .

حديث طريف بين الحجاج وأحد الرعاة :

لقد جاء في بعضِ التواريخ أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على الحجازِ وسيرِه في حركةِ جهازِ الحكومة الحاكم آنذاك ، وحين كان في زيارة لبعض المناطق وصل إلى مكانٍ وقت الظهر فنصبوا لـه فسطاطاً ورفعوا طرفي الفسطاط ليرى من خلالِه الذاهبَ والآيب وليدخلَ الهواءُ إلى فسطاطِه ، ففرشو له مائدةً جلس إليها فشاهَد من بعيد راعياً وعدّةِ خراف ، فرأى أن الراعي هذ ومن شدةِ الحّرِ ولهيب الشمس يُدخلُ رأسه تحتَ بطنِ احدِ الخراف لكي لا تصل إلى رأسِه الشمسُ حينها رقَّ حالُ الحجّاجِ الشقي لهذا الراعي فأرسلَ إليه من يأتي به .

جاؤا بالراعي فدخلَ على الحجاجِ غيرَ آبهٍ به فقالَ لهُ الحجاج : إجْلس فأجابَ : عندي عمل إذ عليَّ أن احفظَ واراقبَ الخرافَ فقال الحجاج : إجلس الآنَ هنا وكُل ما عندَنا من طعامٍ لذيذ واسترِح حتى تغيبَ الشمس بعدَها اذهب إلى حيثُ ما تريد ، فقال الراعي : إنيّ مدعُو ، فتعجبَ الحجاج لقوله وقال : أين ؟ فقال لقد دعاني لضيافته من هو أحسن وافضل منك واكبر فقال الحجاج : من يكون هذا ؟ فقال : أنا صائم وضيفٌ على الله تبارك وتعالى .

لقد بُهِت الحجاج لقولِ الراعي وايمانِه القويّ فقال لـه : إن هذا اليوم الحارّ غيرُ مناسب للصيام ؛ فأجابَه الراعي : ﴿ قل نارُ جهنم أشدُّ حراً ﴾[1] ؛

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٨١ . ﴿ قل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون ﴾ .

فقال له الحجاج كل اليوم هذا الطعام وصُمْ غداً ؛ فأجابَ الراعي : هل تضمنُ لي العيش إلى الغدّ فقد يكون اليوم آخر أيام عمري .

فتغيّر وجهُ الحجاج وقال : كم انت قليل العقل لأنك ترفضُ طعام الملوك الذي لم تره في عمرِك ولن ترى بعد ذلك وتمتنع عن الأكل لأنك صائم ؟ فقال الراعي : أأنت جعلته طيباً ؟ ان الله تعالى إذا حبا الانسان العافية طاب مطعمُه ، وإذ سلبَ الله العافية من شخصٍ لن يطيبَ له خبزُ الشعير ولا سفرتك يقصد انك لا تنظرُ إلى سُفرتك المفصلة ، فإذا ما كان هناك ألمٌ في أسنانك لن يجعلك تمضغ لقمتك جيداً مما يتيح أن تنزل اللقمة بدون مضغ فتفعل فعلها في اضطرابِ المعدة . إذن ، عافية الله التي اعطاها للبشرِ هي التي تُطيّب الطعام وعليه فلا فرق بين الحلوى وخبز الشعير في حال التعافي بل ان الفرق في الذوقِ والطعم ، وإلا فلا فرقَ بين الشعيرِ ولحم الطيور في معدةِ الإنسان .

الغرضُ من حديثنا هذا هو الشوق ، فالراعي يشتاق إلى ثواب المولى جلّت قدرته ؛ من خلال تحملّه لحرارةِ الشمس اللافحة ، وامتناعهِ عن استطعام طعام الملوك ؛ فيا ترى ألم تكن لهذا الراعي شهوة بطنيّة ، أو غريزة الطعام ، نعم ، له ذلك ، ولكن الشوق إلى العالم الأعلى يصغّر في عين المشتاق كل الشهوات والغرائز .

جمال الحور باعثٌ على تأجيل الشهوة :

« من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » فالشابّ الذي يتلاعبُ بقلبِه ودينِه من جرّاء نظرِه المحرّم هو نتيجة قطعية لعدم علمه بما في العالَم الآخر ، فإذا ما تيقّنَ وجودَ الحور العين في الجنّةِ وفهمَ ما خلق الله من مخلوق جذاب ولطيف ، انتهى عن النظرةِ المحرمة ، فنجد في القرآن مثلاً وصفاً للحورِ العين وكذا في الاخبارِ والروايات حيث يقول عزّ من قائل : ﴿ وحورٌ عينٌ * كأمثال

اللؤلؤ المكنون ﴾[1] وأيضاً يقول : ﴿ لم يطمثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولا جان ﴾[2] و﴿ حورٌ مقصوراتٌ في الخيام ﴾[3] .

إن بعض الحواريين يمكن أن يخدمهم اثنا عشر الف حوريّة جميلة بدرجةٍ لا يمكن معها النظر إليها فيما إذا تجلّت لعالمنا الماديّ هذا ، فهذا الجمال لا يظهر هنا وإذا قدّرَ للحور العين الظهور في الحياة الدنيا فسوف يكون باعثاً لانتحار ملكة الجمال الدنيوية بسبب عدم علمها بجمال حور العين .

هل سمعت بجمال يوسف الذي كان لا نظير له في عالم المادة ، هذا المقدار من الجمال الذي ظهر على زمان يوسف كان بقدرٍ دفع بنساء مصر في مجلس زليخا لأن يُقطّعنَ ايديَهن بدلاً من ازالة قشورِ المادة المقدّمة لهن ولم ينتبهن إلى ما فعلن بايديهن لجذب جمال يوسف لهن ؛ ﴿ فلما رأينهُ اكبرنه وقطّعن أيديهن ﴾[4] .

وعندما استقر الوضع لحكومة يوسف (ع) بعد وفاة عزيز مصر ، سأل يوسف زليخا قائلاً : لماذا فعلت فعلتك تلك ؟ ، فأجابت : كل ذلك كان سببه جمالك فقال لها : « كيف لو رأيت نبياً يقال له محمد (ص) يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفاً »[5] فإنه اصل الجمال ؛ فهل تتصورين أن جمالي جمال ؟ انهُ رشحةٌ مؤقتة من الجمال في معرض الآفات .

إن اصل الجمال في العالم الأعلى الذي تداركه الله تبارك وتعالى ، أصله

---

(١) سورة الواقعة ، الآية ٣٢ ، ٢٣ .
(٢) سورة الرحمن ، الآية ٥٦ .
(٣) سورة الرحمن ، الآية ٧٢ .
(٤) سورة يوسف ، الآية ٣ .
(٥) سفينة البحار ج١ ص٥٥٤ .

في الجنة ، ذلك هو جمال الحور العين الذي إذا ما خُبِرَ بِه المرء اشتاق إلى الجنة وابتعد عن نساء الحياة الدنيا ، وبغير ما ذكرنا فإنهُ لا خبرَ للانسان ؛ هل تعلم لماذا يتعلّق الطفل باللعبةِ التي تشبه العروس ؟ إنه يتعلق بها لأنه لا يفهم ولا يعرف غيرها .

إن وعود الله تبارك وتعالى لم تؤثر فيه ولم يفهمها ولم يعرف أن الجمال الحقيقي مكانه في الجنة وليس هنا ، وهنا استعرض لكم جانباً من المال والجمال بعد الموت ؛ فقد جاء في الروايات أن في الحور نوعٌ عظيم مطلق الجمال مكتوب على ذراعها الأيمن محمد رسول الله وعلى الأيسر : علي ولي الله وعلى جبهتها الحسن وعلى ذقنها الحسين ، فيا أيها الشخص الذي تدور عيونك على هذه وتلك أين أنت من هذه الحور ؟ فالعين الملوّثة بعيدة عن هكذا ارواح ، ان برزخه ذلك الذي يحظى بهذا الجمال اصفى واطهر من النظر إلى المرأة .

أيها الناظر نظرةَ حرامٍ أين أنت من الحور ؟ إنه ليس مزاحاً ؛ هل من الظرافة أن يكونَ نظرُك سهماً مسموماً من سهام إبليس يحرمك الحورَ العين ؟ إن الشخص المشتاقُ إلى الجنة يمكن له أن يؤجّل شهوتَه وحتى الحلال منها في سبيلِ الفوزِ بالجنةِ والرضوان .

لا يمكن وصفَ شابٍ يريدُ حلاوةَ الدنيا وزينتهَا ارفعُ وارقىٰ من فتى ترك ليلةَ عرسه رغبةً في القتلِ وشوقاً إلى الجنّة ، اسمع وشاهد ماذا يفعل الشوقُ إلى جنةِ الله والشوقُ إلى ثوابِه وأجرِه الجزيل .

فضّلَ جبهة الحرب على مكان عرسه :

(حنظلة بن أبي عامر) راهب ، وحديثُ عهدٍ بالاسلام ولكن له من الايمانِ اقواه ومن الشوقِ أشده ، عقد قرانَه على بنت عثمان أحد كبار المدينةِ تصادفاً مع ليلة غزوة أحد ، وعلى علمي قد سمعتم حكايته ؛ لقد كان الرسولُ

الأكرام (ص) مع عدةٍ من أصحابه يجوبون جبهة الحرب على بعدِ عدّة كيلومترات من المدينة وفي الصباحِ نهض حنظلةُ ولبسَ بلامةَ الحرب ، فمسكته امرأتُه قائلةً إلى أين تذهب ؟ فقال : الا تعلمين أن الرسولَ في جبهةِ الحرب يريد معيناً وأنا أريد أن أفدي نفسي لمحمد فقالت : إذن انتظر قليلاً واجلب لنا شاهدين على أنك تمّ لك من الزواج ما أردت وإنك قضيت الليل معي فإذا ما حملت علموا أنه منك ، فذهب حنظلة في الحال مصطحباً اثنين من الناس شهدوا على ذلك . وحينما توجه باتجاهِ الجبهة سأل امرأتَه ما السبب في طلبكِ هذا فقالت : لقد رأيتُ في الأمس مناماً بأنك تصعدُ في السماء ففهمتُ من ذلكَ أنك ستقتلُ ولهذا طلبتُ شاهدين إذا ما حملتُ ليعرف الناس أنَّهُ منك .

الأمر العجيبُ هنا هو أن هذا الفتى كان على عجلةِ الشوق فلم يلتفت إلى غُسلِ الجنابة ، حمل سيفه وذهب صوبَ المعركة وعند الوصولِ سلَّم على الرسول (ص) طالباً الإذنَ منه في المشاركةِ فأذِنَ له ؛ وتشاءُ الصدفةُ أن يكونَ أبو سفيان في الطرف الآخرِ من الجبهةِ فحمَل عليه حنظلة يريدُ قتلَه ولكنه لم يُصِب إلا قوائمَ فرس أبي سفيان فيوقعه على الأرضِ وحينذاك يجتمع القرشيون على حنظلة لسقوطِ أبي سفيان على الأرضِ فيشبعوهُ ضرباً بالسيوفِ والرماح فيموتُ شهيداً ؛ فيقول رسول الله (ص) إني لارى الملائكة وهي تطوف حوله وبعض منها يغسله . (لأنه لم يغسل غسل الجنابة) ولذا لُقّب بغسيل الملائكة .

إذا لم يكن في النفس شوق إلى الجنةِ فكيفَ يمكنُ لهذه النفس أن تصرف النظر عن رغباتِها ومتى تخلع عن قلبها حبَ المال، وكيف تصبرُ على الشهواتِ والللذائذ « واشتاق إلى قربك في المشتاقين »[1]فبالشوق يهون العناء، فنحن نرى أن بعض الشيوخ الذين يصلون إلى التسعين من العمر وقد غدوا

---

(١) من دعاءٍ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يسمى (دعاء كميل) بن زياد . انظر مفاتيح الجنان المعرب ـ لعباس القمي ص٦٧ .

جلوداً على عظام يصومون لانهم يمتلكون هذا الشوق الذي نقول، كذلك أهلُ الدنيا وطلاّبُها فهم يسعون وراءها بكلِ شوق مع التعبِ والعناء منسجمين مع اسفل الناس واشدِ المصيبات.

البكاء شوقاً لروضة البرزخ :

إن للشيخ محمود العراقي كتاب كتبه بالفارسية تحت عنوان « دار السلام » يذكر في آخره عند باب المكاشفات ، مكاشفة حصلت له فيقول : ذهبت إلى كربلاء فبقيت ليلاً فيها ، وكان همّي الزيارة ، فبتُّ على احد سطوح مدارسها العلمية فرأيت فجأة وكأن ابواب عالم الملكوت قد فتحت لي ، فشاهدتُ الروضة البرزخية والنعم الكثيرة وكأني في أحد البساتين اتلذذ من نعمه وثماره وإذا بنداء يقول لي إرجع من حيث أتيت فشرعت بالبكاء قائلاً : لا أريد الرجوع إلى الدنيا ، هنا الراحة الأبدية إلى أين أرجع إلى المشاكل والمصائب والبلايا فهنا راحتي فجاءني الجواب ، أنت مبكرٌ قليلاً فانتظر وارجع إلى مكانك في الدنيا وعند الرجوع أراني ابكي بحرقةِ لفراق الروضة .

وهذا هو شخصٌ آخر من الاجلاّء قريبٌ من هذه المكاشفة ما حصل له ، وحين رجوعه من المكاشفة وهو يبكي لفراق الروضة لمدة شهرين ولفراق ما رأى من آياتٍ في ذلك العالم حتى مات من شوق الروضة ، وصحيحٌ هذا لأن أمير المؤمنين علي (ع) كان قد ذكر في خطبة همام وصفاً للمتقين حيث جاء فيه :

« لولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ، صبروا أياماً قصيرة ، أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم[1] .

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة ، لابن ميثم البحراني ج٣ ص٤١٠ .

رؤية أصحاب الحسين (ع) ليلة عاشوراء لمقامهم :

لقد سئل الإمام الباقر (ع) ما الذي جرى ليرمي اصحاب الحسين (ع) انفسهم في بحرٍ من المقاتلين متحملين النبالَ والرماح والسيوف مضحّين بانفسهم بهذا الشكل الغريب ؟!

فأجاب الإمام (ع) : لقد امتحن جدي الحسين (ع) اصحابه فرآهم ثابتي الأقدام - لم يروا ان يتركوه لوحده فأشار فانزاح الستار فقال : شاهدوا مقامكم في عالم الملكوت ، وفي عالم الملكوت سعت الملائكة لأنْ يرى كل واحدٍ من الاصحاب القصورَ الفارهة والحورَ العين في الجنّة وحينها قال الإمام الحسين (ع) يا زهير هذا مقامُك ، وأنت يا برير ذاك مكانُك ؛ فالشوقُ إلى الجنةِ الذي ملأ قلوبَهم ما بعدَه شوق في ليلةِ العاشر من محرم فكان برير سيد القرّاء هذا الفقيه والعالم الكبير يمزح بشكلٍ مثير فيقال له : لا تمزح يا برير فالليلة ليست ليلةَ مزاح فكان يجيبُهم : يا قوم إنكم تعلمون بأني لم أمزح في حياتي ابداً ولكن الليلة ليلة سرور ومزاح لأن الفاصلة التي بيننا وبين ما وعدنا الله تبارك وتعالى من وصلٍ بالحور العين لن يطول فطلوعُ الشمس هو أذان للحرب وبعدها نجعل من ارواحنا فداءً للحسين (ع) .

ولا غرابةَ في الأمر ، فليسَ فقط هم الذين كانوا يُحبّون الحسين بل كان الحسينُ ايضاً متعلقاً بهم ؛ آه لتلك الساعة حين نظر الإمام إلى يمينه وشماله فلم يرَ أحداً من أصحابه وانصارِه فنادى بأعلى صوتِه يا مسلم بن عقيل يا هاني بن عروة يا حبيب يا برير .

لا اعلم ما الهدف من مخاطبةِ الإمام الحسين لتلكَ الأرواح الشريفةِ قد يكون الأمر هو طلبُ السكينة في نفسِه ، ولكنه وحينما واجَه جثثَهم وناداهم لكل شخص ثلاثة أو اربعة كلمات ولا اقول هنا غير كلمة واحدة قالها البطل لأصحابِه حين قال : قوموا عن نومتكم وادفعوا عن حُرَم الرسول .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ إلاّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ وتواصَوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

لقد وصلنا هنا إلى خلاصة ما قاله مولى الموحدين أمير المؤمنين (ع) في بيان حقيقةِ وكمالِ الإيمان ، فالدعامةُ الأُولىٰ لبيتِ الإيمان ، فالإيمان لا يجتمع مع حبِّ النفس ينبغي أن تمنع هذه النفس عن مواكبة الهوى والنزوات والرغبات ، ولا يُسمح للنفس في أن تتخاذل أمام الذنوب والخطايا وتضعف ، يجب تحكيم الواجباتِ والطاعات وعدم التسليم أمام المصائب والصعاب والاهواء الشديدة . على الإنسان أن يقف على قدميه في الحياة الدنيا كالجبل الذي لا يبرح مكانه وان لا يدع للزلازل طريقاً إلى قلبه ، ويقف حائلاً دون لسانه الشاكي .

بالأمس كنّا قد عرضنا إلى كيفية الحصول على حالة الصبر فهل يمكن أن تكون من نصيبنا بالدعاء ؟ يريد الإنسان أن يصبر أمام المصائب ولكنه لا يستطيع أن يصبر أمام الخطايا والمساوىء فهو لا يقدر على ذلك ماذا يفعل ؟ إن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) يُعلمنا كيفية الحصول على الصبر ، فيصف لنا دواءً من أربعة أشياء ، فيمكن أن نكون من الصابرين إذا ما وُجدت فينا أربعة أشياء .

الالتفات إلى بقاء الآخرة يأتي بالشوق :

إذا اصبحت من المشتاقين فسوف تصبر ، وما إن صبرت حتى تصبح مؤمناً فإذا ما عدم الشوق فكيف يتأتى الصبر ، فإذا لم يكن عندك احساس بالشوق إلى الحياة التي هي بعد الموت كيف يمكن لك أن تضع قدماً على النفس والهوى فإذا لم تكن تطمح بالاسمى والارقى فلن تترك الأسفل والادنى .

وإذا لا يتسامى الإنسان شوقاً فكيف يتأتى له أن يسحق النفس والهوى عليه ان يفهم اولاً ﴿ والآخرة خيرٌ وأبقى ﴾[1] على عكس الحياة الدنيا محدّدة من حيث الزمان والمكان وآخرها الموت .

إذا ما كنتَ مثلَ الكأس انسانا فان حجرَ الأجل يُكسر كالفخار

إنك بعد الموت وفي عالم البقاء لن يحصل لك ما حصل في الدنيا من ذهاب ، ففي البرزخ والقيامة والجنة يذبح الموت وتبقى الحياة أبدية فالحياة بعد الموت ليس فيها تحولات . إن التحويل والتحّول راجع فقط لعالم المادة ، فإن اراد الإنسان أم لم يرد ذلك فمهما عمل وعانى في الحياة الدنيا فإن قواه ستستهلك ، وتسقط معدته على الأكل وتكلُّ يداه عن العمل انه محدود بالشيخوخة والعجز التي هي صفاتٌ ملازمة للحياة في هذا العالم ﴿ ومن نعمّرهُ ننكّسهُ في الخلق ﴾[1] .

لقد ذكرت إحدى الصحف أن عدة من العلماء يرومون اكتشاف دواءٍ يعمل كمانعٍ للشيخوخة ؛ فهل يمكن الحؤول دون التحولات البدنية ؟؟ وهل يمكن لهم في نهاية الأمر التصدّي للموت ؟!

إن التغيير والتحول صفه ملازمة للمادة أما الدوام والاستمرار فهي صفة

---

(١) سورة الأعلى ، الآية ١٧ .

(١) سورة يس ، الآية٦٨ .

ملازمة للعالم الآخر ، قوة لا يلازمها الضعف ولا يعرف إليها من سبيل فبعد الموت لا يمكن للغم والهم أن يعرف طريقه للبهجة والسرور التي هي إلى جوار محمد وآل محمد (ص) .

إذا رُمتَ سلطاناً لا منازعة فيه ، وحكومة مطلقةٍ لا ينقصها شيء ولا أمنية بعدها ، فيما إذا وصلت إليها ، كل ذلك موجودٌ في عالمٍ بعد الموت وقد ذكره الله تبارك وتعالى تفصيلاً في كتابه العزيز ، وقد حبّب المولى ذلك إلى الإنسان إلى حدٍ يمكن له ان يتحمل الضغوط الشديدة والظلم في الدنيا ويصبر طلباً للأجر الذي شُوِّقَ اليه .

ان المثل المتداول الذي يقول ـ لماذا لم تعمل هذا العمل فيجاب ليس عندي أي دافع أو حافز والقصد انه لا شوق لي ؛ مثل ذلك الذي يتثاقل في القيام إلى الصلاة وفي الصيام والانفاق ويتسارع إلى ارتكاب المعاصي ويجري خلف الأهواء لانه لا يشتاق إلى العالم الآخر ، فلا أثر للشوق في دماغه ؛ ان استثمار الشوق إلى لقاء وجه الله تعالى والفوز برضوانه يدفع الكثير الكثير من المنغصات الدنيوية ومنها المشاكل النفسية ـ ان الشوق للقاء الله يحلّ كل المشكلات والمعضلات .

ابنة المجلسي والهدوء عند المصيبة :

ان إحدى متدينات العالم الإسلامي والتي تدعى آمنة بيكم ابنة العلامة المجلسي والتي كانت من صاحبات الكمال وفاضلة عالمة على وقتها ، سقطت في يوم من الأيام من اعلى سُلّمٍ لهم في الدار فكُسرت جمجمتها وجرى الدم منها ، علاوة على اصطدام ساقها بحافة حجرٍ حادٍ فتكسرّ عظم ساقها ، وبعد فترة قصيرة جاء مَن كان معها في الدار فرأوها على هذه الحال غير أنها كانت تبتسم ، فقالوا لها ألا تتألمين ؟ قالت : نعم ، فقيل لها : ولم لا تئنين من الألم ؟ فاجابت لقد طرق ذهني الثواب والأجر الذي سيتفضل به الله عليّ من

جرّاء ما أصابني فهدأت نفسي وارتاح خاطري .

صحيح ما قالته هذه السيدة الجليلة فالاشتياق إلى ثواب الله تعالى يلغي الإحساس بالتعب والعناء بل ويسهل ذلك في بعض الأحيان لما للمسلمين من عقيدة راسخة على أن ما يصيب المرء من مصائب يثيبه الله عليها فيما إذا صبر حتى إذا اصطدم ساقه بحجر فإن ذلك يترتب عليه الأجر والثواب في ملك الله فانت ضيف الله في شهر رمضان مثلاً فأيّ شيء يصيبك فان أجرك على المضيف أي على رب العالمين وحتى موت الأقارب والاحباب والقلب المكسور فإن ثوابه يتكفله المولى تبارك وتعالى فكثير هو الأجر والثواب للانسان الصابر ، وإذا ما فهم الإنسان أن الراحة والهدوء النفسي نصيب قطعي حين ذاك يفهم أن الذي جاءه من الغيب كان بنفعه ولخيره وصلاحه وهذا هو ثواب وجزاء الشوق .

زهو السعادة في أن ساقي الصالحين علي (ع) :

الهي هل يمكن أن لا أصل إلى خوض الكوثر ذلك الذي هو أحلى من العسل ، وأعطر من المسك ، انها تعابير من ضاقت عليه الكلمات لأنَّ الكوثر أنعم من الزبدة ، وأبيض من الثلج ، ورائحته اطيب من المسك ، ان الطعم الذي جعله الله في هذا الماء وجعل من حوله كؤوس الجنّة يختص بالمؤمنين الذين أحبّوا أهْل آل الرسول (ص) وكل واحدٍ خصص له كأسٌ من تلك الكؤوس التي تحيط بالحوض يسقى من يد علي ابن ابي طالب (ع) اسد الله الغالب ، زهو اللذة وزهو الشرف يتأتى من أن ساقي الحوض انت يا علي (ع) .

سقاهم ربهم ماذا كان ذلك الطهر وماذا كان الشراب النقي الذي جاءت به النفس علي (ع) أنت سلطان العالم ، يا من حساب الخلائق عنده بإذن الله ، انت قسيم الجنة والنار ، فتقسيم النار والجنة بيد عليّ (ع) ، كم هي اللذة عظيمة لو قُدّر لي كأس من حوض الكوثرِ ومن يدِ عليٍّ ، لي انا الحقير ؟!

الشوق معناه ان يصل الإنسان إلى أن يفكر ان ساقي الحوض علي (ع)

فإذا ما حصل هذا الشوق لعلي (ع) يتمكن الإنسان من مخالفة هوى النفس مهما كانت النفس تائقه لعمل المعاصي ومهما اقتضى الأمر ، فحبّ النفس والهوى لا ينسجم وحبّ علي (ع) فحبّ الشيطان لا يتلائم وحبّ الرحمن ، فعبادة وحبّ الدنيا سدّ مانع بين الشخص وعلي (ع) انه حجاب بينهما .

فإذا ما كانت المحبّة والشوق إلى عليّ (ع) قد أخذت مكاناً في قلبك فلن يكون هناك بعد هذا الحبّ وذاك الشوق مجال للهوس والاهواء .

واجمالاً ، ومن أجل بلوغ مقام الصبر ومقام الشوق يستلزم قراءة القرآن ﴿ فاقرؤا ما تيسر من القران ﴾[1] .

في مكانين أو ثلاثة ذكر القرآن التذكر ﴿ ولقد يَسّرْنا القرآنَ للذكرِ فهل من مذَّكِر ﴾[2] ؛ يمكن اعتبار مسألة اليسر والسهولة من المسائل الاعجازية في القرآن الكريم فالفاظه المباركة في غاية الفصاحة والبلاغة وفي نفس الوقت نهايةٍ في اليسر والسهولة مما يساعد على حفظه بسرعة ليتسنى للقاريء أن يستفيد ويستذكر ما فيه من التشجيع والفات النظر بشكلٍ إنسيابي .

حفظة القرآن كثر ولكن الانجيل . . . . :

لقد كتب صاحب « انيس الاعلام » المرحوم فخر الإسلام : لو نظرنا إلى تاريخ النصرانية والمتمثلة بسبعمائة مليون نفر على زمن غابر ، لم نَرَ شخصاً مسيحياً واحداً قد تمكّن من حفظ الإنجيل ، ولكن لو نظرنا إلى قرى مصر وهو أحد البلدان الاسلامية لرأينا أن اكثر من مائتي شخص قد حفظوا القرآن الكريم في تلك القرى .

وكثير منكم من هو حافظ لسورٍ متعددة من القرآن العظيم ؛ ان المولى

(١) سورة المزمل ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة القمر ، الآية ١٧ ، وهي مكررة في الآيات ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

جلّت قدرته سهّلَ الفاظ القرآن ليتمكن الإنسان المسلم وغير المسلم من حفظه بل ويتمكن من ايجاد شوق في نفسه ، شوق للقاء الله شوق إلى جوار الله . ﴿ وبشر المؤمنين بأنَّ لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾[1] .

﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً ﴾[2] فما اكثر الآيات القرآنية الشريفة التي جاءت بالبشرى ومنها هذه التي تقول : ﴿ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[3] فإذا ما كان الشوق حاضراً في النفس البشرية تهون كل الأمور الصعبة .

لم يؤثّر خبر موت إبنه عليه :

يقال ان أحد العلماء كان في الحمّام وكان في حال وضع الحنّاء على محاسنه فجاؤا إليه بخبر وفاة ابنه فأجاب أوكلتُ الأمر إلى الله فيه ؛ فقيل له : قم للذهاب إلى تشييع جنازته فقال : اصبروا عليَّ حتى اكملُ ما بداتُ به من طلاء محاسني بالحناء .

فما الذي حدا به يا ترى ان يفعل ما فعل هذا العالم ؟ لقد وجبت له الجنة لأنّ الوعود الكثيرة لله سبحانه وتعالى بصدد من رأي المصائب وصبر عليها تؤكد ذلك وتشجع وتشوق الإنسان على ان ينتهج المسلم هكذا سلوك ، فالشوق لكسب أجرِ الله وثوابِهِ تتنافىٰ والاضطراب الذي يمكن أن يحدث بسماع هكذا خبر وذلك ما وعد المولى تبارك وتعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾[4] فالذين لا يصبرون لم يكن لهم شوق للعالم الأعلى ولم يكن لهم شوق لثواب ولقاء الله

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٧ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩ .
(٣) سورة الفتح ، الآية ٨ .
(٤) سورة النساء ، الآية١٢٢ .

تبارك وتعالى فأشواقهم كلها دنيوية والآمال جميعها في الابناء والأهل والأقرباء و . . . و

إن الرجل ليكفر حين يرى رازقه هو الله وليس ابنك وليس زوجك فالمعين هو المولى تبارك وتعالى ، عليكم أن تقرؤا القرآن الكريم بكثرة لتصبحوا من المشتاقين لعالم الآخرة ولتفتح الأبواب الشوق في وجوهكم .

عجوز كسيحٌ مشتاقٌ للجنة في غزوة أحد :

عمرو بن جموح رجلٌ من أصحاب رسول الله (ص) له من الأولاد أربعة راشدين وكان عمرو كبير السنّ ، كسيح وليس له قدرة على الحركة والمشاركة في غزوة أحد ، وكلكم تعلمون أن غزوة أحد كانت الغلبة فيها أول الأمر للمسلمين وقد كان الرسول (ص) قد جعل على عقبةٍ في (جبل أحد) خمسين نفراً من الرماة يحافظون عليها ويحمون ظهور المسلمين من الغدر والالتفاف وأما الباقي من المسلمين فكانوا مشغولين في مبارزة الباطل من الطرف الآخر وحين وقع الفرار في جبهة المشركين طمع هؤلاء الخمسون في الغنائم بعد أن حصل الفرار ؛ آه من حبّ المال ، لم يصبروا ، فأصبحت العقبة حينذاك خالية من الرماة فالتفّ ما بقيَ من المشركين على المسلمين من الخلف فأضروا بجبهة الإسلام ضرراً بالغاً فهذا قتيل وذاك جريح وعدة هاربين ، فالتف جماعة من المؤمنين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (ع) يدافعون عن الحبيب محمد (ص) ، فكان امتحانٌ عصيب للمسلمين من قبل الله تبارك وتعالى مما جعل بعضهم يظنّ الظنون ، نرجع إلى حديثنا فعمرو بن جموح هيأ أولاده للحركة وهو الذي يفتقد إلى القدرة ، فيقول : اليوم ينبغي لي أن اشارك في هذه الحرب وبرجلايَ هاتين العاجزتين على الرغم من أنه : قيل له ﴿ ولا على الاعرج حرج ﴾[1] ، ويكفي أن يكون ابناؤك ، فغضب لذلك وجرّ نفسه حتى

---

(١) سورة النور ، الآية ٦١ .

وصل إلى الرسول (ص) قائلاً يا رسول الله لقد جئتك شاكياً من اولادي فأنا أتيت لكي اعينك على عدو الله وعدوك ولكن ابنائي هؤلاء يقفون حائلاً دونَ ذلك .

فقال رسول الله (ص) ان أولادك الأربعة فيهم الكفاية ؛ فبكى وقال : كليّ شوق وأمل في أن ادخل الجنة برجلي هذه .

ان الاشتياق إلى الجنّة ليس مزاحاً ، ان ديوان ربّ العالمين عظيم وجماله فائق لأن جمال الجنة نفحة الهية غاية في الجمال .

قال رسول الله (ص) اتركوه وشأنه ودعوه يصل إلى ما يريد ، مسك العجوز الكسيح بالسيف مستعيناً بأحد ابنائه فالأب والابن ابلوا بلاءً حسناً وقتلوا الكثير من اعداء الله حتى قتلوا .

انظر ماذا يفعلُ الشوقُ إلى لقاء الله ، لقد كانت زوجتُه مجللة وحين سماعها لخبر استشهاد زوجها وأخيها وابنها ، استأجرت جملاً وحملت عليه القتلى الثلاثة متحركةً صوب المدينة بقلبٍ ملؤهُ السرور لما نال زوجُها الشهادة ووصل إلى مراده ، فلم تصرخ ، ولم تشق جيباً لأن ابنها استشهد في سبيل نُصرة دين الله واخوها وصل إلى لقاءِ الله ، ولقد كانت هذه المرأة مشتاقة أيضاً إلى لقاءِ الله ولكن الله جلّت قدرتُه أوصلَ ارحامَها قبلَها إلى الجنّة .

أرواح الجميع فداء لمحمد (ص) :

حينما كانت الأم مشتاقة الى الجنة ، كانت تشكر المولى تبارك وتعالى لوصول ابنها إلى لقاء الله في جنته اسرع من وصولها ؛ فإذا ما حصل الشوق يتغيّر وضع الإنسان بشكل اجمالي فقد جاء في بعض كتب التاريخ ان فاطمة الزهراء (ع) (وفي بعض كتب اخرى عائشة) خرجت من المدينة عقِبَ خبرٍ يقول ان محمداً قدْ ماتَ تريد تفحص الأخبار ؛ وهذه المرأة الرشيدة وذلك المنظر العجيب بحملها ثلاثة قتلى على جمل ، فاطمة «س» أو عائشة سألت «' هو خبر رسول الله (ص) ، وهذه المرأة قالت حينما بُشرت بقتلاها أنا وأنتم

والكل فداءٌ لمحمد (ص) في حال حملها لقتلاها ؛ كانت مسرورة لأن محمداً كان سالماً ؛ انظر ماذا تفعل المحبّة ؟ والشوق ماذا يفعل ، وكيف سهل عليها مصيبتها ؛ وحين عبورها من احدى المدن القريبة من جبل أحد برك جملها ولم يتحرك وحينما تمكنت بصعوبة من إدارة الجمل صوب أحد وجدت ان الجمل قام وبدأ بالمشي متسارعاً ، بينما عندما كانت تريده أن يتحرك صوب البقيع بركَ ولم يبرح مكانه .

تحيرت المرأة وعقلت جملها وذهبت إلى الرسول وعرضت له ما حدث فقال لها الرسول الأعظم (ص) ما الذي قاله زوجك عندما خرج من الدار ؟ فاجابت : رفع يديه إلى السماء وقال : الهي لا تجعلني ارى بيتي مرة أخرى ولا تردّني من أحد ؛ فقال (ص) ان زوجك كان من الأنصار وانه كان من الذين تستجاب دعوتهم ؛ فلا تُرجعي الجمل بالقوة إلى البقيع بل اتركيه وحاله ؛ فرجعت وفكّت عقال الجمل وتركته وإذا به يأتي للمكان الذي حدثت به المعركة وجلس عند قبور الشهداء ، شهداء أحد ، وقد اصبح هؤلاء الثلاثة جزءاً ممن دفنوا في مقابر أحد .

ماذا يفعل الشوق ؟ وكيف يحلّ عقدة كل مشكلة ؛ لا يوجد شيء أصعب من موت الأبناء ولكن الشوق إلى لقاء الله يسهّل المسألة .

وفي هذه الغزوة كانت نسيبة ام عمارة ، هذه المجللة التي قالت لابنها الذاهب للحرب بعد ان شوّقته للقاء الباري تعالى : سآتي معك مع مقدار من الماء أحمله وقماش ألفُّ به جروح المقاتلين ، ولكن الذي حصل في المعركة جعلها تحمل سيفاً وتذبّ عن الإسلام والمسلمين حيث قام أحد المشركين بمحاولة لمهاجمة الرسول الأكرم (ص) فحملت عليه وضربته عدة ضربات بسيفها ولكنه كان يلبس لامة الحرب فلم يتأثر بضرباتها وعلى العكس فقد ضرب الملعون هذا ام عمارة فاصاب كتفها بجرحٍ بالغ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾

ان خلاصة ما قاله أمير المؤمنين (ع) في باب حقيقة الإيمان والكمال هي تلك الدعائم الاربعة والتي أولها الصبر ، وكيف يحصل الصبر فقال : الصبر على أربع شعب «الشوق والاشفاق والزهد والترقب» .

ولماذا للصبر أربع شعب ، ذلك لأن الصبر هو واحد من اربعة دعائم يشتمل عليها الإيمان . ففي بعض الأحيان يكون الصبر على العبادة والطاعة والواجبات مُتعب وصعب فيراد من الانسان ان يصبر ستة عشر ساعة بدون ان يأكل أو يدخّن السجائر أو يتناول الشاي ، فالصبر هنا على هذه الطاعة واجب بالدرجة الأولى ويمكن أن تتضاءل امامها المأكولات والمشروبات بالشوق للثواب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، فالشوق هنا هو الذي يسهّل على الانسان الصلاة والصوم والحج ، الشوق إلى الجزاء الإلهي والوصول إلى الثواب .

إذا ما حدا بك الشوق لأن تسير على الأقدام إلى الكعبة .

فسوف ينسيك الشوق غمّ وهم وصعوبة الاشواك في الطريق اليها .

فالشوق لأي مثوبة يُنسي الانسان ويسهل عليه كلّ العراقيل وإذا ما قُدّر له ان يموت فالشوق إلى لقاء الله يُسهّل عليه السير على طريق الموت وصولاً إلى لقائه تبارك وتعالى لما للشوق الذي في قلبه والذي يعتقد انه هو الذي يحلّ ايّ مشكل قد يقع فيه ، فالنوم أيام الصيف ليلاً وما لهُ من لذّة خاصة يتصاغر أمام الشوق الذي يحدو الإنسان للقيام بأداء صلاة الليل طلباً وشوقاً في كسب رضا الله والفوز بثوابه ، وكما يقول الله سبحانه : ﴿ قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾[1] فإذا ما ازداد الشوق واشتد إلى ثواب العزيز القدير فسوف يتلذذ القائم في جوف الليل بصلاته وعبادته ، إنه يتلذذ بكلمة العفو الذي يرددها ويصل إلى حس ٍ قوي ٍ بأن الله تعالى يتجاوز عنه وعن سيئاته بترديده العفو العفو ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾[2] ومن خلال اشتياقهم إلى ثواب الله يحصل لديهم الأمل في غفرانه تعالى فيرجونه بكل ما أعطوا من قوة التوسل والخشوع . فالمؤمن الذي لا شوق عنده لا قيمة لإيمانه ولا يعمل له ايمانه هذا شيء لأن الإيمان بدون رأس ورأس الايمان الصبر ، والرجاء والأمل هما اللذان يأتيان بالشوق الذي يجعل الإنسان صابراً محتسباً أجره عند اللطيف الخبير .

الخوف من العذاب يبعث على ترك المعاصي :

الشعبة الثانية للصبر هي : الاشفاق ، فينبغي للمؤمن أن يتخوف من عذاب الله لكي يحصل عنده الصبر ، فإذا لم يكن الإنسان ليخاف من المولى جّلت قدرته لا يمكن أن تتأتى له السيطرة على الأهواءِ والغرائز الحيوانية في نفسه والتي تكون في الغالب باعثاً على عمل المعاصي ، فبغير خوف الله لا

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧ .

يمكن أن ترتدع النفس الأمّارة بالسوء ، فالشاب الأعزب في خلوته وبدون وازع ولا مانع وبدون مسؤولية قانونية كيف تكون له السيطرة على نفسه ؟ يكون له ذلك لإدراكه بأن الله سبحانه وتعالى حاضر وناظر فلا يعمل شيئاً يعصى فيه الله خوفاً من عقابه وبغير هذا لا يمكن له أن يصبر ، فعلى سبيل المثال : لو أنّ شخصاً إئتُمنَ على مالٍ وصاحبُ المال ليس لديه أيُّ دليل على انّهُ أمّنَ امواله عند هذا الشخص ، وحين الحاجة إلى ماله طالب المؤتَمن بالأمانة « فما هو المانع لأنْ يقول لصاحبِ المال : لا مالَ لك عندي ؟ المانعُ هو خوف الله ، فكل معصيةٍ نتركها تدخل بها قضية الخوف من الله ، وكلما كان الخوفُ من الله شديداً كان التحفظُ اكثر » ومن اشفق على نفسه من النار اجتنب المحرمات » فمن يجرؤ إذن على عمل المعاصي غير اولئك الذين لا يخافون عذابَ الله وقد تكون غفلة أو حماقة أو عدم إدراك أو . . . أو جُرأة والافضل أن نبين حقيقة ذلك بلسان الحكاية :

قصاب من عبّاد الأصنام يلتفت إلى صنمه :

كتبوا أن شخصاً سافر إلى الهند فيروي عن نفسه حكاية يقول فيها : لقد كنت ماشياً في سوق القصابين وإذا بي اشاهد قصاباً هندياً في حالةٍ عجيبة ، فهو عندما يشرع بتقسيم اللحم وبيعه إلى الناس ينظر إلى ما فوق رأسه ويمدّ يده متلمساً شيئاً قد اخفاه تحت القماش الذي يلبسه الهنود على رؤوسهم وقد لاحظت ذلك عدّة مرّات من هذا القصاب فسألته ما الذي تحاول أن تمسكه تحت عمامتك هذه فامتنع عن الجواب ونهرني بشدة ولكنّني كنت مصرّاً على أنْ اعرف ما الذي يُخفي هذا الهندي تحت عمامته ؛ فعاودت سؤالَه مرةً أُخرى فقال : أنا من عبدةِ الأصنام وان صنمي على رأسي ، وعندما أُعمِلُ الميزان في وزن اللحم للناس الاحظ صنمي فإذا كان غير موجود فإنّي اتلاعب بالوزن أو باللحم خيانةً مني ولكني عندما أشعر بوجوده لا أجرؤ على أن اغش أو اتلاعب بالوزن !!

الويل والثبورُ لذلك المسلم الذي يعلم بوجودِ الله الحاضرِ والناظر ولكنه يجرؤ على عمل المعاصي ، إذن اصبح واضحاً انه ضعيفٌ في العقيدةِ التي يمتلكها .

فالإنسان في الأعمِ الأغلب إذا غفِلَ لحظةً عن حضورِ الحق تعالى فلا شك بأنّه سيكون عُرضةً للمعاصي إلاّ إذا تراءى له الخوف أو لم يغفل عن وجودِ المولى تبارك وتعالى ، ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[1] ، فالإنسان الجريء[2] ليس بمؤمنٍ فهو ملوّث بالذنوب والمعاصي لأنّه لا يخافُ عذابَ الله جلّت عظمتُه ، إنّه في الواقع لا يرى نفسَه مسؤولاً أمام ما يعملُ من اعمال .

فاميرُ المؤمنين (ع) يقول أن أحد شعب الصبر هو الخوف ، فإذا ما حصل الخوف تحقق الصبر ، فكل خطيئة أو معصية هي نتيجة حتمية لفقدان الصبر ، وعدم صبرنا هو لأنّنا لا نخافُ وإلاّ من المستحيل أن نخافَ ولا نصبر .

فمثلاً لو جاء خبرٌ أن اليوم سوف ينزل إلى الشارع جواسيس امانة العاصمة لإحصاء الباعةِ المتجولين والتعرفِ عليهم لاستحصال أموالٍ منهم بسبب مخالفتِهم لقانون الدولة التجاري سواء البيع بسعرٍ اعلى من المألوفِ أو الاحتكار لبعض الموادِ الضرورية ، فسوف ترى الباعةَ الذين ذكَرْنا يضطربون أو يتوقفون عن العمل خوفاً من عقوبة المخالفة .

أما وعيونـاً من جوارحكم كما قال الإمام علي (ع) فهي أقرب إلينا من جواسيس امانة العاصمة ، فالجوارحُ رُقباءُ الله على الإنسان ، العين ، الجلد ، اليد ، الرِجل وغيرها كل اولئك رقباءُ يحصون علينا انفاسَنا وما نُعطي وما نأخذ

---

(١) سورة الرحمٰن ، الآية ٤٦ .

(٢) أي الجريء أمام الله ـ لا مطلقاً ـ فإن الإنسان عبد لله ، والمناسب لمقام العبودية عدم الجرأة ، بل الخوف والوجل .

ويقدمّون شهادةً عند الله غداً يومَ القيامةِ .

من أجلِ ان نخافُ علينا أن نعرف أن الجوارحَ رقباء ومن اجلِ الحفاظِ على صِدق اعمالنا ؛ ﴿ وان عليكم لحافظين * كراماً كاتبين ﴾[1] ان يحصون علينا جزئياتِ الأعمال ويبّتونها ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار ؛ ﴿ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها ﴾[2] وفي الحقيقة انها احدى المشاكل التي طالما يقع فيها الإنسان فمن يقدر على ان يسيطر على لسانه من الرجال ؟! فكيف بالنساء ؟! شيءٌ واحد يمكّنهم من السيطرة على السنتهم هو الخوفُ من عذابِ الله ، فعدمُ ممارسة المعصية خوفاً من الله يسهل على الإنسان عمليةَ الخروجِ من الدنيا بدونِ معاصي تُذكر .

قيل للشيخ الشوشتري انك تخوّف الناس كثيراً من أهوال يوم القيامة فأجاب : ومن هذا الذي يخاف على الرُغم أن العينَ حين تتحركُ تضبط وتثبت ما شاهدت وفي الآخرة تكون عليكَ شاهداً عادلاً ؛ ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾[3] فإذا اردتم أن تكونوا مؤمنين حقيقيين اعملوا شيئاً لكي تخافوا وليتأصّلِ الخوفُ في قلوبكم والإيمان هذا ، اساسُه الصبر واساسُ الصبر الخوف ، لا تمارسوا المعاصي من أجلِ أن يستحكِمَ إيمانُكم ؛ فالإيمانُ والصبرُ والخوفُ سلسلةٌ مترابطةٌ بعضُها بالبعض الآخر فالشخص الذي يخاف ويخشى من محكمةِ العدل الإلهي عليهِ أن يعلمَ أنَّ أساس ميزانِ العدلِ الإلهي والمحكمةِ الربانية هو احضارهُ ومحاسبتهُ على كلِ عملٍ قامَ به سائلينه عن عقائِده وعن هذه الأعمال التي قامَ بها .

---

(١) سورة الانفطار ، الآية ١٠ ـ ١١ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٣) سورة غافر ، الآية ١٩ .

القول والفعل شاهد على الأمن والرجاء :

لقد جاء في حكاية في وسائل الشيعة ـ باب القذف ـ أن الإمام الصادق (ع) كان له رفيقٌ ملازمٌ له ، وفي يومٍ من الأيام عزما على المسير إلى مكانٍ ما ، فنادى رفيقُ الإمام له على غلامِه فلم يُجِبْه فناداه ثانيةً ولكنه لم يَسْمع أي جواب وفي المرةِ الثالثةِ صاح بأعلى صوته أين أنت يا ابن الفاعلة ؟ فرفع الإمام يده وضرب بها جبهته وقال له (ع) اين ورعُك وتقواك ؟ يا من تدّعي الإيمان والتبعية لأهلِ بيت محمد (ص) لقد فتحتَ عليك فماً فأجابَ الرفيق : سيدي إن هذا الغلام هنديٌ من السند وامُّه مشركةٌ تعبُدِ الأصنامَ وما نسبت كلامي هذا إلاّ إلى مشركة فليسَ في الأمرِ شيءٌ على ما اعتقد ؛ فاجابه الإمامُ (ع) : « لكل قومٍ نكاح » فلا يجوز سبها وإنساب الزنا إليها حتى ولو كانت كافرةً فكلُ قومٍ لهم نكاحٌ وسِفاح فهم يعرفون ابن الحلال من ابنِ الحرام والآن اقولُ لك : ان لهذِه المرأةِ السندية الحقَ في ان تشتكيكَ معترضةً عليك باتهامها وقذفِها بما لَيس فيها ؛ وبعد ذلك قال الإمام (ع) : هذا فراقُ بيني وبينَك ، ان جعفَر بن محمد (ع) لا يصحب هكذا شيعي وحتى آخرِ عمرِه الشريفِ لم يُكَلم الإمامُ (ع) هذا الشخص[1]، إن هذا الشيعي كان مؤمناً في بدايةِ الأمر ولكن الإيمانَ فارق قلبَه لأنّهُ لم يكن في قلبه خوفٌ من عذابِ الله ، نعم لقد كان مستوراً بستار ، ولكن لسانَه ازاح هذا الستار بواسطةِ لسانه الذي انتهك

(١) عدم كلام الإمام (ع) لهذا الرفيق بعد هذه الحادثة « لا يناسب أخلاقهم (ع) فالمسألة منه (عليه السلام) ـ أي مقاطعة هذا الرفيق ـ لعلها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي أوجب منه (ع) مقاطعته إنما لشدة حرصهم (ع) على أعراض الناس واحتياطهم في ذلك ، ولذا عبر (ع) بأن لكل قوم نكاح ، فليس مجرد الاختلاف في الدين موجباً لهتك الاعراض ورمي الناس بالزنا ، ومن دون مراعاة حدود الله : وروي عن علي (ع) ما مضمونه : « من السهل أن تجد لك صديقاً ، ولكن من الصعب أن تحافظ عليه » .

به حرمةَ غلامه .

إذا احتمل شخصٌ ان جاسوساً جلسَ في المجلس الذي يجلِسُ فيه ومعه آلةٍ للتسجيل ، فكم سيكونُ حذراً في إنتقاء الكلماتِ وكم سيكون منضبطاً في التحدثِ إلى الآخرين ، فيا ايها المسلمُ الذي ارتضيت القرآن نهجاً لمسيرتكِ الم تقرأ الآية الشريفة التي تقول : ﴿ إنا كنّا نستنسخُ ما كنتم تعملون ﴾[1] .

ليعلمِ الإنسانُ أن تمامَ أعمالِه محفوظةٌ في نسخةٍ اخرى في سجلّاتِ عالم الملكوت وليس في عالمِ المادةِ الضيّق ، فلذا ينبغي للانسانِ أن يكونَ منضبطاً في حديثِهِ ولا يغفلُ عن الاسترسالِ ابداً لأنَ هناك من يضبطُ ويُحصي عليه كلامَه كلّه من ملائكةٍ وحواس وجوارحَ ناهيك عن الواحدِ الأحد .

من لم يخف فلا إيمان له :

وبناءً على هذا فإنَّ الفضلاء يسعون دائماً لكي لا يقلَّ خوفُهم من الله تبارك وتعالى ، فنحن لا نعرفُ أحداً أسمىٰ من خاتمِ الأنبياء محمد (ص) فهو الذي قال لابنِ مسعود إقرأ لي ما تيسَّرَ من القرآن ؛ فقرأ : ﴿ فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين ﴾[2] فجرى الدمعُ من عينَيْ رسولِ الله ؛ ونقول للامة الاسلامية هل عمِلتُم بما قالوا ؟ فإذا قالوا : لا نعلمُ بذلك ، فيقال لهم لماذا لم تذهبوا وتتعلموا من الانبياء وكيف كان لكم أن لا تسألوا منهم ؟ !

علي (ع) يقرّب وجهه الشريف من تنّورِ تلك المرأةِ العزباء ويقول لنفسِه ذُق يا علي حرارةَ النار ، إنك لن تتحمل حرارةَ نارِ جهنم .

إن المكان المليء بالعقاب لن يدعَ للبعوضةِ الضعيفةِ من قيام

إذن علينا أن نُربي انفسَنا بشكلٍ يمكنُنا من ايجادِ الخوفِ فيها وكما جاء

(١) سورة الجاثية ، الآية ٣٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٦ .

في دعاءِ كُميل : « اجعلني أخافك مخافة الموقنين » ؛ وان أعلى مراتبِ الخوفِ كانت في امير المؤمنين (ع) ؛ هل سمعتَ أنَّ أميرَ المؤمنين كان يُغشى عليه أم لا ؟ إن الخوف والرهبة اللتان كان يصاب بهما أميرُ المؤمنين من البـاري جل وعلا تجعل منه خشبةً خاويةً ممدودةً على الأرض .

وانا وانتَ ـ وعلى الأقلِ ـ لنجعل من اسحارِ شهـر رمضان حـركةً لنـا ، فنُجري الدموعَ ، ونئِنّ خوفاً منه تعالى وما لنا لا نفعلُ ذلك ، هل اننا لا نخشى من العقباتِ التي يمكن أن تعترضنا بعد الموت ؟ سلام عليك يا زينَ العابدين حـين تئنُّ وتبـكي وتـقـول : « ابـكـي لـظلمـة قـبـري ، أبـكـي لـضـيـق لحدي . . . »[1] .

وقد جاء في الخبرِ أننا سنرى اشياءً رآها من سبقنا إلى هنـاكَ حيث يقولُ أمير المؤمنين (ع) في نهجِ البلاغة : « إنَّ أمامكم عقبةً كئوداً ومنازل مخوفة » ، وكذلك يقول (ع) : « آهٍ من قلّة الزاد وطول السفر وبعد الطريق » وإذا ما قُدّر لنا أن يكون نصيبُنا كبيراً من خوفِ الله وعقابِه فإنَّ ذلك سيضرم شُعلةً في قلوبنا لأن نتّقي ونخافَ المولى في جميع الامور وبذلك يُستجاب دعاؤنا .

إن الخوف من الحقِ تعالى ورجاءَ فضلِه توآمان لا يمكن الفصلُ بينهمـا فإذا كان الخوف بدونِ رجاء فاليأس حرام ﴿ ويدعوننـا رغباً ورهبـاً وكانـوا لنا خاشعين ﴾[2] وقد جاء في دعاءِ أبي حمزة الثمالي ما معناه : « إذا رأيتُ مولاي ذنوبي فزعتُ ، وإذا رأيتُ كرمك طمعت » .

الخوف من الله يجعل من اللص عابداً :

حكاية نقلها الإمام الرابع زينُ العابدين (ع) ذُكرت في أصول الكافي (ما

---

(١) انظر دعاء (أبو حمزة الثمالي) في مفاتيح الجنان المعرب : ص١٩٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٩٠ .

حصل في الرواية نُقِلَ بمضمون) ، كان في قديم الزمان رجلٌ جمع اسرتَه من زوجةٍ وابناء واحفاد واَخَذ معه وسائل تجارية وسافـر بحراً ؛ وفجـأة هاج البحـرُ وحطَّم السفينة وغرق الجميعُ باستثناء إمرأةٍ علِقت بخشبةٍ من أخشـابِ السفينة المحطمة فجاءَ بها الموجُ إلى السـاحـلِ ، فوجـدت نفسَها وحيـدة في جزيـرةٍ فبدأتْ تحومُ هنا وهناك لتقتطفَ من ثمارِ الجزيرة وتسـدَّ جوعهـا ولم يكن عليها من الملابسِ شيئاً .

وعلى هذه الحال وإذا بفتىً لصّ دفعَهُ حظّهُ إلى هـذهِ الجزيـرةِ فرأى من بعيد إمرأةً عاريةً جميلةً فراعه ما شاهد وحسبَ انها من الجنِّ ولـمّا اقتربَ منهـا وسألها هل انتِ من طائفة الجِنّ فأجابت كلا فأنا من طائفةِ البشر فقال وما الذي جاءَ بك إلى هُنا فتقول : كنتُ واقاربي على ظهرِ سفينة وغرقَتْ في البحر بعدَ أن أصابتْها الأمواجُ العنيفةُ وانا الوحيدةُ التي انجاني الله تعالى بعد ان هيّأ لي خشبةً تمسّكتُ بها حتى وصلتُ إلى هنا ، فاطمأنَّ الشابُ إلى انها إنسيّة فرمى بها إلى الأرض يريد المنكر فاهتز بدنُها بشكلٍ إهتزّ معه الشـاب وقال مـا الذي جـرى فقالت : الخوفُ من الله ، فأنا لم أفعل ذلك في عُمـري كلِّه ، ان الخوفَ من الله تبارك وتعالى هزّني وارجفَ بدني فتأثَّر الشـابُ ورقّ لحالِهـا وقال لهـا : لا ذنبَ لـك ، فأنـا المذنبُ والأجـدرُ بي أنا أن أخـاف من الله تعالى وينبغي لي كذلك أن أهتزَّ وأخجلَ مما كنتُ سأُقدِمُ عليه فبدا له ان يتركَها وحالَها وصممَّ مع نفسِه أن يتركَ كلَّ حرام ، ولكنَّ الماضي ماذا يفعل به ؟ وفي أثناء طريقـه إلى قريةٍ قريبةٍ التقى بعابدٍ يرومُ الذهاب ايضاً إلى تلكَ القرية فتعارفا فجمعَ بينهما الذهابُ إلى القريةِ ولكن الجوُّ كان حـاراً جداً والشمسُ في كبِـد السماء فقـال العابدُ وهو من مُستجابي الدعوة : إنك ترى أنَّ الشمسَ قد فعلتْ أثرَها بنا فتعال نـدعوا الله لأن يُـظللنا ؛ فـطأطأ الشـابُ رأسَه وقـال : أنا مـذنبٌ ولا يُستجابُ دعائي ؛ فقال العابدُ : ندعوا الله سويةً ؛ فأجابَه : أنا أقلّ من أن ادعوا فلا جرأةَ لديّ على فعلِ ذلك ؛ وفي نهايةِ الأمر قال العابدُ : أنا ادعوا وانتَ قل آمّين وهنا

أسقطَ في يدِ الفتى فاستجابَ لما قاله العابد ؛ وبعد الدعاءِ قال الشابُ بخجلٍ شديد : آمين ؛ فأرسلَ اللهُ سحابةً تُظللُهما حتى إذا وصلَ مَفرِقَ طُرقٍ يجعلُ منهما كلًا على جِدة وإلى طريق ؛ رأي العابد ما يثير الدهشةَ حين رأى السحابةَ رافقتْ الفتى فعلم أن الله بعث السحابَة من أجلِ هذا الفتى فتبعَه وقالَ له : الم تقل لي بأنَّك مذنب ؟ فقال الفتىٰ : نعم قلتُ ذلك فأنا لستُ بعابدٍ بل أنا إنسانٌ مذنب ، فقال العابدُ : مما لا شَك فيه أن السحابةَ كانت لأجلِك وظللتنا ببركتِك فأدركَ الفتى حينَها أن حياءَهُ وتوبته كانت ذا قيمةٍ فتلطَّفَ الله عليه بهذِه السحابة .

فإذا ما كان الخوفُ يقيناً فأعلم أن الله يستجيب دعاءَك بعد خوفِك هذا منه ، فإذا خِفتَ فقُل وانتَ في حالةِ الإنكسار والتوسل : يا الله ، لأن خوفَك الصادقَ واضطرابَك يَصبُّ عليك نعمَ الله ويجرُّك إلى نتائج تخفى على الفطِنِ من خلالِ استجابةِ الدعاء .

عدم تحملِ حرارة الدنيا

ينقلُ لنا الصدوقُ في معاني الأخبار ان الرسولَ الأكرمَ (ص) رأى شاباً خارجَ المدينةِ عارياً يتقلبُ على الأحجارِ التي الهبتْها حرارة الشمس فأرسلَ إليه الرسولُ (ص) وسأله عما كان يفعل ؟ فأجاب : أذيقُ نفسي حرارةَ الأرض واقولُ لها إذا لم تكوني تتحملين حرارةَ الدنيا فأنىّ لك تحملُ حرارةِ نارِ جهنم ولهذا عليكِ أن لا تجعلي منكِ وقوداً للنار : فالتفتَ الرسولُ (ص) مخاطباً اصحابَه : اطلبوا من هذا أن يدعو لكم فان الرجلَ مستجابُ الدعوة ، فاطلبوا ذلك منه فرفعَ يديه إلى السماءِ وقال : « اللهم اجمع أمرهم على الهدى واجعل زادهم التقوى » .

« الشوق »

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك خالقاً ومعبوداً على حسن بلائك في خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبةً ومشرباً ومطعماً وقصوراً وأزواجاً وأنهاراً وارسلت الداعي إليها فلا الداعي أجابوا ولا فيما شوّقت إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها . . .

نهج البلاغة

أتيت عرياناً وتذهب كذلك :

لقد جئت إلى الدنيا عُرياناً تتقلبُ على أيدي أسرتك يضعوك في المهـدِ ويجففوك وملابسَـك ، عزيـزاً كنتَ من قِبل والـديك وكـانوا دائمـاً يسعون لأنْ يحفـظوك من كلِ مكـروه ؛ بعد ذلـك تلطّفَ الله عليكَ وكبُـرتَ وحباك عيـالاً واولاداً وداراً ومعيشة : وعلى آخر عمرك تتناقلُك الأيـادي ليُعرّوك ثـانيةً مثلمـا كنتَ ابتداءً ، فإذا ما كنتَ من السـائرين على نهج محمد (ص) الداعي الإلهي ، وبعـدها طُلِبتَ إلى حيـاة ما بعـدَ الموت وعلِمتَ أن الحيـاةَ الدنيـا قـد انتهتْ واصبحتَ بعيداً من المالِ والأهل حينها يعروّنك وينزلونك مهدَك الجديد وهـو

القبر ، فإذا كان لك شيء في حياةٍ ما بعدَ الموت فإنَّ بناء ذلك كان بيدِك ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله ﴾[1] .

ولا تتصور أن لك في البرزخ مقام معين-هُيِّءَ لك ، بل ان المقام والمنزل الذي ترومه هو ما صنعته يداك وما عملته أنت تجده أمامك حاضر البناء ، فقد تكون قد بنيت داراً لعدّة أمتار ، أو قد تكون دارك على مدّ البصر لا نهاية لحدودِها ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾[2] وقد يسعفك الحظ فتكون دارك متاخمةً لحدودِ دارِ المصطفى محمد (ص) ولكن عليك أنْ تعلم إنّ العطاءَ لا يُباع بالمجّان فما صنعت هنا من خيرات ومبرّات وانفاق مالي وبدني واعنت ضعيفاً كلّ هذا هي لبناتٌ لبناءك ، فإذا ما أعطيتَ مكاناً في بيتك لمسكين أو اشتريت داراً لفقير فإن ذلك لَنْ يَذهبَ سُدى وإنما ساهمت في بناءِ دارِك أنت .

اعمل عملاً ينفعك بعد الموت :

علي (ع) ذكر عدة جمل في خطبته المباركة التي يقول فيها : سبحانك خالقاً ومعبوداً على حسن بلائك في خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبةً ومشرباً ومطعماً وقصوراً وأزواجاً وانهاراً وارسلت الداعي إليها ، ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جنات ﴾[3] ، فلا الداعي أجابوا ولا فيما شوّقت إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها . . .

فإذا ما كنت انساناً بطبع الكأس فان حجارة الأجل الفخارية ستحطم هذا الكأس .

عليك أن تتعلق بما وراء هذه الدنيا ان تتعلق بالخيرِ والودِّ والرحمة ان

---

(١) سورة المزمّل ، الآية ٢٠ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٩٦ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥ .

تتعلق بمكانٍ لا موتَ بعدَه ولا زوال » فيه بهجة ولا غم ولا هم ابداً ، عزةٌ بغير ذلّة ، سلطانٌ بغير عزل ، مكان فيه كلّ الخير ، واما من جهةِ النعمة فعليك أن تزيد في إنعامِك على الآخرين ليزيدَ الله عليك « ولدينا مزيد » .

بالهمة العالية كن طالباً للجنة :

نذكر اليوم آثار الإيمان إتماماً لما عرضنا في الأيام الماضية مما لا شك فيه أن هكذا دعوة عظيمة تستلزم همة عالية تبعث على خلع زخارفِ الدنيا وزبرجها من القلبِ ، وتوجيهِ هذا القلب إلى عالم الغيب ، عـالمِ ما وراء المـادة ؛ ان أغلبَ البشـرِ لم يتمكن من أن يؤمِن بالغيب لأنّـه صغير ومشتت كـل حـواسّـه منحصرة في ما يرى وفيما يحس ، فالغريزة الحيوانية متأصلة فيه .

من البديهي ان كلَّ فردٍ يرومُ السمو لما وراءَ المادة ، ولكن ليسَ كلُّ فردٍ يعقدُ صفقةً مع الله تبارك وتعالى ؛ فبشرى لـذلك الفـرد الذي آمن بـالله وعقد صفقـةً معه تعـالى ، فإن الله يُثيبُـه على ذلك بـاعطائِـه السمـو الإلهي والهيبـةَ والاجـلال » وبشكل إجمـالي يمكن القول أن كـل شخص قبلَ الإيمـان كـان متشوقاً للجنة ، ومتشوقاً لأن يحيا حياةً أُخرى يصلحُ معهـا حالُـه » (ان اغلبَ خَلقِ الله لا يؤمنُ بالجنةِ) .

فإذا ما كانَ الإنسانُ متيقناً بالحياةِ بعدَ الموت فاعلمْ ان هذا هو الإنســانُ المؤمنُ ، وكلُّ إنسانٍ تراهُ منذ الصباح وحتى المساءِ غارقاً في هم وغم الحياة الدنيا فاعلم أن لا إيمان لهذا الشخص .

إن كلَّ شخصٍ لم يتعرفْ على الإيمانِ ولم يرافق الإيمان مسيرتَه الحياتية فهو غريبٌ في الحياةِ الآخرة ، على عكس ذلـك الشخص المؤمن الذي ذهب إلى الآخرة برفقةِ نـور الإيمان فذلك هو الذي تنتظرهُ الملائكةُ وتبشـره بالجنـة التي وعدَه الله بها . ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافـوا ولا تحزنـوا وأبشروا

بالجنّة التي كنتم توعدون ﴾[1] . انهم أي الملائكة يبشرون الإنسان بالجنّة لذا ينبغي للعاقل أن يلتفت وينتبه إلى فناء الدنيا ويكون من طلاب الآخرة .

إذا لم يكن هنـاك قـدح مـن ذهب	فـبكـفيّـك يـمكـن شـرب الـمـاء
وإذا عدمت مشط العاج لترتيب لحيتك	فـاجعـل من اصـابعـك مشـطاً لهـا
فكـل ما تـرى لا بد وأن لـه ممـاثـل	ومن الممـاثـل تصـل إلى غـرضـك
وذاك الـذي لا تجـد ممـاثـلاً لـه	فهـو عمرك العـزيز فـاغتنمه يـا فطن

وخلاصة القول : أن المَعِدَةَ تُملأ بشيء من الغذاء وعندما تمتلىء المعدة فلا فرق يذكر سواءً كانت قد مُلئت بخبزٍ لوحده أو ملئت بمـا لذّ وطـاب ولكن المصيبةَ هي ما بعد الموت ، هناك ماذا يحدث ؟ فهل هناك مماثل ؟ اصلح الله حـالنا في تلك الحيـاة ، وليس مهماً هـذه الحيـاة الـدنيـا ، بـل المهم الحيـاة الآخـرة ، ولا يقول لـك أحد إجلس في بيتـك ولا تسع من اجـل المعيشة في الحياة الدنيا ولكن يقال انتبه لحالِك فلا تأخذ الدنيا منـك كلَّ تفكيـرك وإذا ما اتفق أن واجهت مشلكةً في عمل أو ضرراً في تجارةٍ فلا يجدُر بـك أن تُصابَ بالاحباط ، فالحزنُ على مالِ الحياةِ الدنيا قضيةٌ غيرُ منطقية .

لقد قُلتُ مراراً أن الزهدَ في الحياةِ الدنيا يجرُّ إلى تلاشيِ الحزنِ عليها . فـإذا ما تيقنتَ أنّـك في الغدِ القـريب ستلتقي رسـولَ الله (ص) حينهـا لا يهمّ حضُورك عرياناً أو عليكَ من الملابس أفخرها ؛ فالإيمان يلزمُه قليلاً من الفكرِ في ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾[1] ليَعرفَ الإنسانُ أن الحياةَ الحقيقيةَ هي بعدَ الموتِ ومـا تراه هُنـا هي الحياةُ الحيـوانية أو حيـاةُ الغرائـز ويمكن أن نقول انهـا حيـاةٌ محدودةٌ غيرُ ممدودة ، فعليه ينبغي لنا أن نُعِدَّ أنفسَنا لما بعدَ الموت ؛ وأقولُ هنـا إذا لم يكن في زاويةٍ من زوايا دارِكَ بسـاطٌ فحتماً سوف تفكر ملياً في ان تعمـل

---

(١) سورة فصّلت ، الآية ٣٠ .

(١) سورة الحاقة ، الآيات ١ و٢ .

على فـراشِه ، فهـل فكرّتَ يـوماً في فـراشِ عالم البـرزخ فإذا مـا أردتَ ذلـك فبالعملِ الصالح ؛ وبـدونه لا تحصُـل على شيءٍ من ذلك ، فتـأمل قليـلاً في القضية بشكلٍ اجمالي فعندما تَضُرُّ بك الدنيا تنزعج كثيراً لهذا الضرر ، أما إذا أصاب دينك ضـررٌ فلا يبـدو عليك أيُّ انـزعاج ، وإذا مـا تحدَّث شخصٌ في غيابك ذاماً ، فإنك تُقيم الدنيا وتقعدها أما إذا مارستَ أنتَ الغيبة بحقِ الآخرين جالباً في ذلك الضررَ على دينك فلا يُرى منك الخوفُ والترددُ في هكذا عمل .

حديث مذهل لبهرام الزرادشتي :

لقـد جاء في تفسيـر روح البيان مـا مضمونـه : كان في خـراسـان جـارٌ زرادشتي للشيخ أحمد حـربي يُدعىٰ بهـرام ، وكان الإثنـان لا يتزاوران مـطلقاً للاختلاف بين مذهبيهما وفي أحدِ الأيام قيل للشيخ أن جارَك الزرادشتي خسِر مالهُ بطريق التعاملِ مع لُصٍ ذهبَ بمالِه ولم يُبقِ على شيءٍ منه ، فاقترُحَ على الشيخ مواساةُ جارِه لما للجارِ من حقٍ ؛ وان اختـلافَ المذاهبِ لن يُسقِطَ حقّ الجيرة .

ذهبَ الشيـخُ وعـدّة اشخـاص إلى منـزِل بهـرام ، وعنـدَ دخُـولِ هـذهِ المجموعةِ من المسلمين بدَتْ عليه الحيرةُ والذهولُ وأسقطَ في يدِه وتصوّرَ أنَّ الشيخ يطلُب الطعام فذهب يُهيّء لوازمَ الوليمةِ فقالَ له الشيخ : جئناك فقط من أجلِ تطييب خاطِرك لمّا سمِعنا أن أموالَك قد ضاعَت من يدك وأنها لمصيبة .

وفي الحقيقة بدَر من الزرادشتي جواب لم يكن ليتوقع منه حين قال : أيُّ مصيبة فإن الله العظيم حباني ثلاثةَ نِعمْ كان من المفروض عليكم أن تباركُوا لي عليها وهي : أن ربَ العالمين اعطانيَ العفةَ فلم اسرق ابداً ، ولم آكُل مالَ أحدٍ بل ان اللُّصَ هو الذي أخذَ مالي ، وكم على المظلومِ أن يشكرَ المولى حين لا يكونُ شاكياً من خلالِ أنينٍ أو إظهار ما يشابِهُ ذلك ، بل ان الظالمَ هو الذي يئنّ ممـا جنتْ عليـه يـداه ، وليعلم هـذا اللّص أن الـذي ذهبَ بـه سيعـوّضُـه الله

للمظلومِ بشيءٍ أحسنَ وأفضل فلذا كان عليَّ أن اشكر الله الذي ساعدني في عدمِ أكلِ مالٍ حرام وجعلني من المظلومين وليس من الظالمين .

النعمةُ الثانية هي : أن كلَّ الذي اعطاني الله لم يذهبْ مني فأنا لا أزال امتلك داراً تُظلّني ، فيها كل مستلزمات الراحة . وهل أن الإنسانَ ينبغي له أن يَرى كُلَّ ما يفقدُ من خلالِ عالمِ الذرّ انني اعلم جيداً أن اشياءً كثيرة لي ولكنّي لا أراها ؛ مَثَلي مثل ذلك الشخص الفقيرِ الذي لا يملكُ من حُطام الدنيا شيئاً ودائماً هو في اضطراب ملازم فيأتيه ملكٌ في منامه ويقول له : كم تدفع من الأموال اذا فقدتَ بصرك فيقول : أنا على استعدادٍ لأن أدفعَ الفَ دينارٍ ذهبية لمعالجةِ عيناي ، فيسأل الملكَ مرةً أخرى وإذا ما اتفق ان فقدّت سمعَك فماذا تدفعُ من الأموالِ في سبيل ان تستردّ سمعَك فيجيب : أدفع كذلك عشرة آلاف دينار وهكذا يَسألُ الملك حتى يصلَ مع الفقيرِ إلى عشرةِ اعضاءٍ وبعدَها يقول للفقيرِ يا عبدَ الله إنك على استعدادٍ لأن تدفع مئة الفٍ من الدنانير الذهبية في مقابلِ سلامتِك وفي وقتنا هذا فإنك الآن سالمٌ ولا ينقصك شيء ولم تحتمل الآماً من أجلِ علاجٍ ولا اخراجٍ لأموالٍ فاتقي الله في ما وراء هذه الدنيا ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾[1] ؛ فإذا ما مات ولدٌ لك فانظر إلى حفظ الله لك وامكانية شدِّك لمتاعك لو كنت تروم السفر .

والنعمةُ الثالثةُ والتي هي شاهدُ كلامي فهي الحمدُ لله الذي جاءتني المصيبة بمالي وليس بديني .

وهنا قالَ الشيخُ : يا زرادشتي هذا الذي تقولُه هو عينُ الإسلام وهذا الفهم يحتاجُ إلى عقلٍ ناضج ، ومن الخسارةِ وأنت في هذا الفهم والادراك وتعبدُ النار ، فاعتذرَ المسكين باتباعِه الآباء والأجداد في هذه العبادة وقال : في

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٦٩ .

الحقيقة أننا نعبدُ ونخلصُ لهذِه النار حتى لا تُحرقُنا غداً ، إضافةً إلى ذلك فإنَّ النارَ تُعتبرُ عنصراً مهماً في عالمِ العناصر من حيث تربيتها للاشياءِ ناهيك عن حاجة الجميع لها .

فقال الشيخ : ان النار لا شعور لها وهي ضعيفة إذ يكفي لاخمادِها كفُّ واحدة من الماءِ أو التراب ومن هنا نعرف أن لا قدرةَ لها ، ودليلي على أنها لا شعورَ لها ، فأنا الذي لم اعبدها يوماً واحداً في عمري ، وانت الذي عبدتها سنين طوال ، تحرقُ ايدينا نحن الإثنان فأين شعورُها إذن على الرغم من أنك تقدّسُها ؛ وبهذه الطرق تمكّن الشيخُ من ان يوضِّح لبهرام الحق على طريق نقضِ تقليده الأعمى لأبائه واجدادِه ويضربُ كُلَّ عقائدِه في النارِ عرضَ الحائط ، بعدها بدأ الزرادشتي بعدّه اسئلةٍ والشيخ يجيب عليها طبقَ المنطق ويفنّدُ ما لدى بهرام من أفكارٍ متخلّفة ويصل الأمرُ في ختامِه إلى ان يشهدَ بهرامُ الشهادتين ليُصبحَ من المسلمين ؛ بعد هذا كُلِّه بكى الشيخ مما أثارَ دهشةَ الحاضرين فسألوه عن علّةِ ذلك فقال : ان الزرادشتي وبعد سنين نجا مما كان عليه وآمَن بالله وبالرسولِ (ص) ، أما أنا المسكين لا أعرف عاقبةَ إيماني فهل أبقى على ما أنا عليه من إيمانٍ لأذهبَ به هكذا إلى الحياةِ الأخرى ، أو يقلّ وتلك الطامةُ الكبرى .

ممارسة العِداء والحسد نتيجة لإنعدام الإيمان :

إنَّ الإيمان بالله وبيومِ الجزاء ليست مسألة تجري على اللسان فقط بل هي علاقة قلبية وتقبّل ليوم القيامة وجوار آل محمد (ص) وهذا هو المهم في الأمر ؛ ومن علاماتِ الإيمان هو عدمُ إعطاء أهميةٍ لزيادة أو نقصانِ المعيشة ، فالأوضاع التي عليها المسلمون اليوم هي نتيجة لضعفِ الإيمان ، فقد أصبحت الحياةُ لدى البعض مهمة من خلال ما يمارسونه من سوءِ الظن ، العداوة والحسد ، ومن هنا اصبحت الحياةُ الآخرةُ بالنسبة لهم موهومةً ؛ وكذا المسائل

الإجتماعية التي يمكن أن تؤدي إلى الألفةِ والتراحمِ هي الأخرى اصبحت وهماً بالنسبة للبعض كصلة الرحم ، وحقِ الجار ، والكلمةِ الطيبة وغيرها ؛ إذ كان من المفروض أن يترحّم البعضُ على الآخرين ذاكرين الله تبارك وتعالى ومتذكرين انهم أمةً واحدةً أمة محمد (ص) وشيعة عليّ (ع) . فالمحبُ لعلي (ع) يأمل أن يجتمعَ الجميعُ عندَ حوض الكوثر وفي جوارِ علي (ع) ، فإذا ما كان الإيمان راسخاً عند شخصٍ لا يتسنى له إلاّ أنْ يَرى أصلَ الحياة الدنيا صغيراً عنده بشلكٍ إجمالي ، وحين ذلك لا يلتفت أبداً للأوهام والخيالات التي يمكن أن تُستحدثَ من حبِّ الدنيا الفانية .

ولقد جاء في الخبرِ أن الإمام الباقر (ع) أنه قال ما مضمونه :

« إذا ظهرَ القائم منّا وضع الله يده على رؤوس العباد فتكمل بها عقولهم » . وعندما تكمل العقول يتلاشى الحقدُ والبخلُ والحسدُ وحينها يفهم الناسُ أنهم ضيوف لربٍ واحد في هذا العالم فلا كَذِبَ ولا افتراء ولا سرقة ولا ربا وفي ذلك يعلم الناسُ أن كلَّ الأموالِ عاريةٌ وكذا الأرواحِ وقابلةٌ للاسترداد .

إن المال هو مالُ الله وحده ﴿ لله ملك السماوات والأرض ﴾[1] ، ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾[2] ، ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾[3] ، ﴿ وما بكم من نعمةٍ فمن الله . . . ﴾[4] .

فالطفل الذي لا عقل له لن يُصدِّقَ هذه المعاني أما العاقلُ وهو الكبيرُ فهو يدركُ جيداً معانيَ هذه الآياتِ ويتأملُ أن يأتي ذلك اليومُ الذي يخرج فيه ذلك

(١) سورة المائدة ، الآية ١٣٠ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٠ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٦ .
(٤) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

السيدُ الذي يدفعَ بالعقول إلى مراحلَ اسمى وارقى من الفهم والادراك . « أين جامع الكلم على التقوى . . . أين المنصور على من اعتدىٰ عليه وافترى ، أين المضطر الذي يجاب إذا دعا »[1] .

فكلّ الامور ترنو إلى الصفاء والمحبةِ في داخلِ الدار وفي خارجِه فالناسُ جميعاً كأنهم أقاربٌ واحباب ، واضعين حبّ الذات وتزكية النفس الأمّارة بالسوءِ على جانب وذاك حين يطلعُ عليهم من اكتمال عقله ليصلَ بالعقولِ إلى كمالها ويصلَ بالناس إلى حالةٍ لو أن شخصاً كان عنده من الذهبِ لدعا بالمسلمين قائلاً : أيها المسلمون أنا فلان وعَلَيَّ زكاة فكل شخص يرى في نفسه أنه محتاجٌ فليأتي إليَّ فلا يأتيه شخصٌ واحد ، لأنَّ الجميعَ ذوو عقولٍ راشدةٍ ومكتملة « من أجل ماذا يأتون من أجل حجر اسمه الذهب » فالحكم للعقل .

أما على حالنا الحاضر فالناس لا تُدرك هذه المعاني ولكنّهم حاَل الظهور تبرزُ العقول إلى وضعِها الطبيعي فالذي يمتلك خبز ليلتِه لا يحقُّ له إظهار فقرِه وسؤال الناس عما في ايديهم .

فعلى زماننا هذا نرى الملايين ممن يتأوهون ويئنون ويستدرون العطف والشفقة في سبيل درهمٍ أو دينار ، فالمستجدون والمتسولون هم نتيجة للحرص والولع في حبِ المال طالبين زيادةَ أموالهم بمعاملاتِ القروض سارحين في أفكارٍ وخيالات تجعلُ منهم مضطربين كئيبين .

عليكم بالدعاءِ دائماً لظهور إمامِ العصر والزمان (عج) من أجل كسبِ الآخرة وليس كسبِ الدنيا الفانية « فمن أيّ جهةٍ ننظر الآن نرى الجهل والشهوة هي الحاكمة ولكن ادعوا الله لأن يأتيَ بمن يرفعُ من مستوى العقولِ فتتلاشى الشهواتُ ويبتعدّ عنّا الجهلُ .

---

(١) دعاء الندبة في مفاتيح الجنان المعرف ـ لعباس القمي ـ دار احياء التراث بيروت ص٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

إلهي ، متى يأتي هذا السيدُ الذي لو نظرَ الإنسانُ إلى زمانِه لما رأى غير السلمِ والمحبةِ والصفاء « اللهم عجّل فرجه ، اللهم سهل مخرجه » .

على أية حال ان موضوعنا هذا لا يختص بزمانِ الظهورِ ، فالآنَ يمكن للإنسانِ أن يمدَّ يدَه إلى السماءِ ويطلبُ الإيمانَ ، العقلَ ، الدنيا والآخرة .

يا ابن العسكري تلطفَ علينا وضَعْ يدَكَ على رؤوسِنا مثلما سوف تتلطفُ بوضعِ يدِكَ على رؤوسِ العباد فتكملُ بها عقولُهم .

عليك اخي المسلم أن تؤمنَ بشدةٍ وتتفكرَ بإمعانٍ من اجلِ إزاحةِ حبِّ الدنيا من نفسِك راضياً لها حبَّ الآخرة دافعاً الجهلَ ومستجلباً العلمَ والكمال « اسألك ايماناً تُباشر به قلبي »[1] ، فالإمام سببٌ في حصول الفيض الإلهي « فأجعل من الحجة إبن الحسن سبباً في أن يفيض الله عليك من لطفه ورحمته .

لقد جاء في اصولِ الكافي ما مضمونه : « يأتي عليكم زمانٌ يخرج الرجل في الصباح من منزله إلى عمله بإيمان ليرجع في المساء إليه وقد خلى قلبه من الإيمان » ؛ يابن العسكري :

يا من إذا نظر إلى التراب صار ذهباً   فهل لك أن تتلطف علينا بنظرة

يا ابن الحسن : نوّر قلوبَنا المظلمَة بنظرةٍ لطفٍ منك ليصيرَ هذا القلبُ مطمئناً بعدما كان يعيشُ الشكوكَ والوساوس ؛ يا ابن الحسن : اخرج علينا بنورِك الذي يُبدّل حيرتَنا بأمنٍ واستقرار .

الإشفاق (الخوف) :

إن الله جعل الإيمان على دعائم أربع : على الصبر واليقين والعدل

---

(١) من دعاء (أبو حمزة الثمالي) في مفاتيح الجنان المعرب ـ لعباس القمي ـ دار احياء التراث بيروت ـ ص١٩٨ .

والجهاد ، والصبر على أربع شعب : على الشوق والشفقة والزهد والترقب .

فالاشفاق هنا يعني : الخوف والرجاء ، فأهل الدنيا يسعون دائماً وراء المال والمقام ولكن المؤمن يسعى دائماً وراء عمل الخير ؛ إذن فالكل يسعون «ولكل باب من الخير له يدٌ قارعه » كما ورد في نهج البلاغة .

الأمل بدون عمل كالأرض بلا زراعة :

اليوم كذلك عليَّ ان اكرر هذه الجملة وهي : أن الغرور غير الرجاء ، فالرجاء يعني الأمل ، وإذا ما قيل ان الشخصَ الفلاني لا يخافُ ابداً من العذاب الإلهي فيقولُ البعضُ أن فلاناً يمتلكُ من الرجاءِ أسماه وهذا هو عينُ الخطأ لأنَّ صاحبَ الرجاءِ هو ذلك الشخصُ الذي يشتاقُ إلى وجه الله مَثَلُهُ مثل الزارعِ الذي يبذرُ البذور باشتياقٍ إلى الحاصل .

فإذا لم يبذر الفلاحُ شيئاً ويقول أنا في انتظارِ نتيجة طيبةٍ لبيدري ونقول له : أنت لم تزرَعْ ولم تبذر شيئاً فعلام انتظارك وماذا تأمل من بيدرِك ؟

يُقال : كلّ ما يكونُ للآخرين على يوم القيامة يكون لنا ، ويُقال كلُ شخصٍ زرعَ يرىٰ ثمار زرعِه ، نعم ، انت كذلكَ إذا ما كنت من أهلِ العلم والتقوى وكان عملُك اشتياقاً لأن ترَى رحمةَ الباري فلن تُحمَّلَ ما عملَه المغرور ؛ إخاطُبك يا من توانيت في عبادتك وطاعتِك ، ويا من كنتَ بخيلاً في الانفاقِ على طريقِ الله على الرغمِ من أنكَ كنتَ تبذلُ الكثيرَ من اموالِك إرضاءً لشهواتِك ورغباتِك ويا مَن لا يوصُلك عملُك هذا إلّا لجهنّم حيث لا أملَ بعد ذلكَ في الجنّةِ وهذا هو الغرور وليسَ الأمل ، فالذي يبذرُ حبّاتِ الحنظلِ لا ينبغي له أن يتوقعَ محصولاً آخر كالبطيخ مثلاً فهذا خلافُ العقل .

يا مَنْ تفرُّ من المسجدِ جاهلاً مكانَك مجالسَ اللهو واللعبِ هل لك أن تتوقع مكانَك في الجنة ؟

أُضَمِّنُ حديثي هذا ببشارةٍ ، فقد جاء في احدى الروايات أنه : يُبنى للمُؤمِن في يومِ القيامةِ وعلى حافةِ قبره بناءٌ ملكوتي يُشبه إلى حدٍ ما أبنيةَ المساجدِ ممتداً إلى الجنةِ فيجوزُ المؤمن مباشرةً إلى الجنةِ بدونِ أن يقفَ ويرى صعابَ يوم القيامةِ ويقالُ له : إن هذا البناءَ كان ملازماً لكَ طيلةَ حياتك .

أما الشخصُ الذي ظلَّ ملازِماً لمراكزِ الفحشاء في الحياةِ الدنيا فيُعمل له طريقٌ إلى جهنم مليءٌ بالمصاعِب والمنغصات ؛ فيا ايها الإنسانُ إنَّ مثَلَك كمثلِ المزارع ما تزرعُه من خيرٍ تحصدُه خيراً وما تبذرُ من شرٍّ فليسَ لك إلا ما وعَدك به الشيطان ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[1] .

فيا من لم تتركْ نهجَ (يزيد) عليه اللعنة ، فلا تتوقعْ شفاعةَ الحسينِ (ع) ولا مائدةَ ابي الفضل العبّاس ، لقد سلكت سلوكَ يزيد شاربِ الخمرِ لاعبِ القمار فلا ترجو شفاعةَ الحسين (ع) وانتَ على حالكِ هذا من الغرور ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾[2] .

فلقد جاء في خبرٍ عن الإمام الصادق (ع) في سفينة البحار أنّه قال : « لا يكونُ المؤمنُ مؤمِناً حتى يكونَ خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكونَ عاملاً لما يخاف ويرجو » ، فمن تراه يعمل الخير فإنه من أهل الرجاء ، وكل من تراه متهاوناً متقاعساً في عبادته فإنه يائسٌ ولا امل له ولا رجاء .

ولقد جاء في الأحاديث ما مضمونه أن المؤمنَ بين خوفين ، خوفٌ من الماضي فهو لا يدري ماذا كانت نتيجة عمله عند الله تبارك وتعالى ، وخوف من الآتي من أن يتجرّأ على عملِ الحرامِ فالاضطرابُ ملازمٌ للإيمان فكلُّ من عَدِمَه فإيمانُهُ ضعيفٌ أو يقاربُ على العدم فإذا ما تحقق الخوف في النفس

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .
(٢) سورة لقمان ، الآية ٣٣ .
(٣) سفينة البحار ، ج١ ص٤٣٢ .

الأدمية تحقق إجتنابُ الكثير من المحرمات .

عابد يُشعل النار في أصابعه العشره :

في حكاية جاءت في احدىٰ الروايات نقلّهـا المجلسي وغيرُه في كتـابِ « حياة القلوب » أنه : كان في زمانِ السلف عابدٌ مشغول بعبادة البـاري وحيداً في صومعته ، فطرقت بابَهُ امرأة ساقطةٌ ـ ونقلَ البعضُ افراداً لا دين لهم يرومون تلويثَ هذا العابد ـ فقالت المرأة للعابدِ : أيها العابدُ إنّي امرأةٌ ضعيفةٌ وقد تبعني عدّةٌ من الفِتيان يُريدون الفاحشةَ فأذَنْ لي بأَنْ الجـأ إلى صومعتِـك هذه وان لم تفعل ذلك أخذني الفتيانُ بالقوة إلى ما يريدون ، فقال العابدُ المسكين إدخلي صومعتي فأنت هنـا آمنة ، ولم يمضِ وقت طـويل حتى بـدأت المرأة بـإظهار محاسنها (يحرم شرعاً اختلاء الرجل بالمرأة الأجنبية إذا أحتمل حصول الفساد) واجمـالاً ابتلى هذا العـابد المسكين وضـربت في رأسـه شعلة الشهـوة فمـاذا يعمل ؟

وبـالهامٍ من الله جلّت قـدرتـه فهم أن اطفـاء نـارِ الشهـوة لا يكـون إلّا بالخوف ؛ فأشعل سراجاً له ووضَع أصبَعه عليه حتى احترق فقال لنفسه أين انت يا نفس من نار غضب الله ، إنك لا تطيقين حرارة هذه النار فكيف لَكِ تحمل نار جهنم التي اشعلها العزيز الجبار ؟ وما أن مرّ وقت على احتـراق اصبعه وأحس بهدوئه ثانيةً حتى اشتعلت مرةً اخرى نار شهوته فوضـع اصبعه الثـاني على نار السراج ليحرقه ويتذكر نارَ الجبَّار تعالى ، وخلاصة الحكاية فقـد أحرق العـابد اصابعه العشرة حتى الصباح ؛ وعندها فتحت المرأة الباب وخرجت .

إن لحظة واحدة يغفل فيها الإنسـانُ عن الخوف ، تعمل الشهوة عملها في نفسه ، فإذا ما حصلَ الخوفُ والاضطرابُ من عذابِ الله فإن الباري جلّت قدرتُه سـوفَ يُعينُ الإنسـانَ على الثبـات والصمودِ في وجـهِ المخـاطـر والشهـوات ، ويجعلُ منه انساناً غالباً على الشيطان .

وهذه أيضاً حكاية اخرى انقلها لكم :

سارق الأكفان وأنين جنازة الجار :

جاء في بحار الأنوار وفي حياة القلوب وفي بعض الكتب أنّه :

كان في الماضي رجلٌ يعمل سارقاً للأكفان ، ينبش القبور متعمداً لسرقة الأكفان ، وكان لهذا السارق جارٌ يعلم باسرار هذا السارق ؛ مرِضَ الجار وأحسَّ بأنّه ميتٌ لا محالة فأرسل إلى سارق الأكفان وقال له : هل رأيتَ إساءةً منّي بحقك ؟ فقال : لا ، فقال الجار : لي حاجة عندك فهل لي إليها من سبيل ؛ فقال سارق الأكفان : نعم إليك ذلك ؛ فقال الجار : إنني على علم أنك تأخذ الأكفان ، واسألك أن لا تأخذ كفني حين موتي ، وقد اشتريتُ كفنين أحدُهما قيمّ ، والآخر عادي ؛ وهذا هو القيّم أهبه لك على أن تدع لي هذا الكفن العادي ولا تسلبه منّي فأبقى عرياناً فخذ إليك هذا الكفن الثمين ، فقال سارق الأكفان : إطمئن فلن اسرق كفنك ولن آخذ هذا الكفن أيضاً !! فقال الجار : أُناشدك الله إلاّ أخذته واقبل هذه الهدية ، وأصر عليه ، فاضطر السارق إلى أن يأخذ الكفن الثمين وذهب .

مات الجار وذهب من الدنيا فوُدِّعَ أمانةً في الأرض واقاموا عليه قبراً ؛ وفي الليلة الاولى لدفن الجار قال السارق : لأذهب واسرق كفن جاري الميت ، فانه سوف لن يفهم ما افعل لأنه ميت ، فذهب إلى قبرِ جاره وطبق عادتَه التي اعتاد عليها ذهب ليعرّي الميت من كفنه وحين ملامسة يده للكفن صدَر أنين من الميت وكأنه يقول لا تفعل هذا ، فأشعلت هذه الجملة ناراً في صدرِ سارق الأكفان فترك ما بيده واقشعر بدنه من خوف الله جلّت قدرته ، فخرج من القبر مضطرباً لا يلوي على شيء .

مرِض سارق الأكفان من كثرة بكائه وانينه من شدة الخوف الذي اضطرمت نارهُ في صدره بعدها فهم أن هذا الخوف قاتله لا محالة ، فأوصى

ولده قائلاً تعبتُ كثيراً عليك حتى اوصلتك إلى هذه السنّ وفي مقابل هذا لي طلبٌ عندك وهو أن إذا متُّ فلا تدفنّي ولا تجعل عليَّ قبراً بل إذهبْ بي إلى الصحراء وأشعل النار في جسدي فإذا ما صُرتُ تراباً ، إرْمِ بترابي هذا في مكانين بعد أن تجعل منه نصفين ، نصفٌ في البحر ونصفٌ في الصحراء لأنني لا اليقُ ان أدفن في مقابر المسلمين من كثرة ذنوبي وخطاياي .

بديهي أنه كان خائفاً جداً من عاقبة اموره وخجلاً جداً من كثرة المعاصي التي مارسها بحقّ الموتى ؛ وكلّما كان الشخص يشعر بكبرِ الذنب كلّما اقترب من رحمة الرحمٰن الرحيم وفي آخر الحكاية يقال : إن سارق الأكفان مات وعُمِلَ بوصيته واصبح تراباً تذروه الرياح ولكن الباريء الخالق أمر باحيائه ثانيةً وجاءه النداء الإلهي : أيها العبد ، ما الذي اوصيت به ؟ فقد عمل به فقال : إلهي وسيدي ومولاي انت شاهدٌ على انّي من خوفي وخجلي منك اوصيت أن يعمل بي هكذا فاجعلني في امانك يوم لا أمن إلاّ امانك ، فجاءه النداء جعلناك في امانِنا ؛ وكلّ شخص يخشى الله ويخافه ويستحي منه يُدخله الله في امانه فهو الأمن والسلام .

فيا ايها الشخص الذي تخشى من يوم القيامة ومن أول ليلة بعد الموت كن مطمئناً فإنّ الرحمٰن الرحيم سوف يجعلك في أمان ، وغرضي هنا من هذا الحديث هو أن مسألة الخوف والرجاء ، من مستلزمات الإيمان .

حقيقة الزهد في آية قرآنية :

شعبتان أخريتان للصبر غير ما ذكرناهما : الزهد والترقب يا من تريد أن تصبح من أهلِ الصبر ، فإذا لم تكن من أهلِ الخوف والرجاء فلن يتسنى لك أن تكون صابراً على المعصيةِ والطاعة ، وإذا لم تكن زاهداً لن يتأتى لك أن تصبرَ على البلاء فكلُ فرد زهد في هذه الدنيا كانت مصائبُها عندَه هيّنة .

ما هو الزهد في الدنيا ؟ أفضلُ تعبير يمكن أن نأخذَه من عليّ

أمير المؤمنين (ع) في تفضيله للزهد حين يقول:

لقد جمعَ الله الزُهد في جملتين ﴿ لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾[1] فعندما تصير زاهداً ستُصبح صابراً وتصلُ إلى مقامٍ عالٍ ففي يوم القيامةِ لا يحاسَب الزاهدون ولا يُنصبُ لهم ميزان بل يذهبون إلى الجنة بدون حساب ؛ فالذي تخسرُه في الدنيا من اعضاءِ بدنك أو حيثيّة أو ماءِ وجه فلا تأسىٰ عليه ، فكلُّ اعضاءِ بدنك تصير إلى التُرابِ لتأكلَ منها الحيوانات ، ففي البدايةِ لم تكن شيئاً وفي المستقبلِ ستصير إلى تراب . .

لا تقل لماذا ؟ يا ليتني ويا ليت اجعلها جانباً ، فكيف ولماذا تنحىّ جانباً فالذي حدّث ويحدث لك وما سوف تؤول إليه كلُّهُ تقدير الهي وعينُ الحكمة والصلاح إذا كنت تفهم ذلك أو لم تفهمه ، إذن من الافضلِ ان لا تعترض لكي تفوز بالأجرِ والثواب .

نصائح الإمام الصادق (ع) لسماعة :

سماعة بن مهران أحدُ اصحاب الإمام الصادق (ع) أو غيره زار المدينة المنورة وحين وصوله ذهب مباشرة إلى الإمام ، فسألَه الإمام (ع) عن احوالِه وسأله عن عدم مجيئه إلى المدينة منذ زمن ليس بالقصير ، فأجاب وكأنه فتح مائدةً لقلبه أمامَ الإمام (ع) قائلاً : لقد أدارت لي الدنيا ظهرها وقلبت لي ظهر المجنّ فذهبت بمالي واضحيت مديناً ، فقد الَمَّ بي ضنكُ العيش من جانب ومطالبة الدائنين لي أتعبتني من جانب آخر ، وحتى سفري هذا إليك فقد تكفلَ به أحدُ الأصحاب فقال له الإمام (ع) ما يُستفاد منه أنه : إذا صبرت على ما أنت فيه يُثيبك الله على صبرك ويعطيك من الأجر حتى تكون موضع غِبطة الآخرين في يوم القيامة فلا تجعل من نفسك موضع رحمة الآخرين ، فإن صبرت فسوف

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٣ .

يتمنّون لو كانوا هم على حالك هذا ، وإن لم تصبر ، فإن المقدرات الإلهية جارية ولا أجر لك ولا ثواب » ؛ فمن الأفضل أن يصبرَ الإنسانُ ويتحملَ فلا يضيعُ بذلك وهدُه .

إن من القابِ الإمامِ الحسين (ع) الزاهد ؛ اللهم صلِّ على السيد الزاهد العابد الراكع الساجد وليِّ الملك الماجد وقتيل الكافر الجاحد زين المنابر والمساجد صاحب المحنة والكرب والبلاء المدفون بأرض كربلاء مولانا ومولى الكونين أبي عبد الله الحسين الشهيد (ع) .

إلهي ، بحق الحسين (ع) تفضل علينا بشيءٍ من الزُهد الحسيني حتى نصل إلى قليلٍ من صبرِه ومن صبرِه نصلُ إلى إيمانه حتى نكونَ زاهدين صابرين ومؤمنين مترابطين فيما بيننا .

استعرض عليكم هنا بعضَ كلمات الإمام الحسين (ع) إلى اختهِ زينب (س) بناءً على ما وجدته في الجزء العاشر من بحار الأنوار حيث يقول :

« يا اختاه تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، ولي ولكل مسلم برسول الله اسوة حسنة »[1] . والقصد من ذلك أنْ وطِّدي نفسك على قتلي فالموتُ مخطوطٌ على جبينِ ابن آدم فلا ينبغي لك إلا أن تتحلّيْ بالصبر ، والزُهد هو عدمُ الرغبةِ بالحياة الدنيا .

الزهد :

طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً .

---

(1) عبد الرزاق المقرم ـ قتيل الحسين (ع) دار الكتاب الإسلامي ص٢١٧ .

العاقل من زهد بالدنيا :

الزهد هو عدم الميل والرغبة قبالةَ رغبات الدنيا الفانية وبتعبير آخر « عدم اعطاء الأهمية » ، فيوسف (ع) يمكن اعتباره زاهداً في مقابل إخوته أي لم يكن راغباً في زخارفِ الدنيا وهو الذي بيعَ بثمن بخسٍ وبقالُ سبعة عشر درهماً ﴿ وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة ﴾[1] .

على الإنسان ان يفهمَ ان دنيا عالَمِ المادة بكلِّ سرورها وفرحِها وزخارفِها لا أهميّةَ لها ولن تكونَ شيئاً مهماً في مقابل ما يوجد في الحياةِ الآخرة إذا ما كان الإنسان عاقِلاً زاهداً . فمعنى الزاهد هو ليس ذلك الذي يمكن له أن يعيشَ ويحيا بدون زوجةٍ أو بدونِ كنزٍ بل الزاهد هو الذي يُحكِّم عقلَه بشكلٍ لا يجعلُ من الحياة الدنيا همَّهُ الأساسي . ان جميعَ الشكليات والجمالاتِ والللذائذ تفنى وكذا العقل وفي نهاية المطاف يقفُ الإنسانُ عبداً لا أكثرَ من ذلك فكل شيء يتغيرّ وكلُ شيء يفنى فلا ينبغي للعاقلِ أن يتعلق بالفاني ؛ وفي حكاية نُقلت لنا في تفسيرِ روح البيان إنَّ : أحد الحكّام ارسل آنيةً من البلورِ الثمين لسلطانه فتعجب السلطانُ من تلك الآنية وأعجِبَ بها جداً فقال لوزيره : كيف ترى هذه الهدية ؟ فقال الوزير : لا تنفعكُ ؛ فاغتاظ السلطان من كلام الوزير وقال له : أني لأتصوّر إنك لا تمتلك حِسّاً ذوقياً ، فهذا الإناء الجميلُ البلّوري النادر لا يعجبك ؟!

خصص السلطان مكاناً معيّناً يوضعُ فيه الإناء ، وعَيّنَ شخصاً للحفاظِ عليه ، وحينما طلبَ السلطانُ الإناء ارتعشت يد من يحافظُ عليه وسقط على الأرضِ منكسراً ؛ وصلَ الخبر إلى السلطان فكان يومُه ذاك عزاءً لما حدث للإناء النادر الثمين وحينها قال الوزير كلمتَه للسلطان : لقد قلتُ لك انه لا

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٠ .

ينفعك حتى لا تتعلق به » لأن المعروفَ ان هذا الإناء قابلٌ للكسر وحين ينكسر ، ينكسرُ لذلك قلبُك ، فرأيتُ أنّهُ ينبغي لي أن أُخرِجَه من قلبِك فلا يتعلق به » وهنا فهِم السلطان منزلةَ وزيره العلمية والعقلية .

فالعاقلُ هو من فهِم ان الدنيا فانية منذُ البداية فلم يتعلق قلبُه بها ولم يهتم بها منذُ اللحظةِ الأولى لإدراكه الصحيح هذا بل كان تعلقُه وحبّه بعالَم البقاء ﴿ والذين آمنوا أشد حبّاً لله ﴾[1] فعليه ينبغي للانسان أن تكون علاقتُه بالله جل وعلا ، وينبغي له كذلك ان حبُّه لله وفي الله « يا من عليه معوّلي »[2] ، فلماذا إذن ومنذُ البداية يرمي الإنسان بنفسِه في علائقٍ لا تَمتُّ بصلةٍ بالباري الحكيم .

لا نقولُ لكَ لا تُحبُّ ولدَك ولا تعطفُ عليه ، بل نقولُ : عليك ان تُحبَّه لله وشكراً على نعمتِه ولا تجعل من ابنك ربّاً لكَ تُحبُّه ، بل يجدُر ان يكونَ حبُّك له من اجلِ الله وازهد في الدنيا ولا ترغب بها وانظر إلى عيوبِها بعين قلبِك .

من الحُسن أن تُخرج الدنيا من قلبك
وليس من الحسن أن تكون حديث الآخرين

وسأضرب لكم مثلاً هنا لتوضيح بعض الحقائق .

كل شراب تُرافقهُ ألف لسعة :

فمثلاً رؤيةُ جمالِ المرأة الأجنبية يلتذُّ بها الإنسانُ للحظةٍ بعدها تجلب عليهِ هذه النظرة حسرةً وإثارةً ناهيك عن كونِ هذه النظرة سهماً ساماً من سِهام ابليس ، وكذا المالُ والجاهُ ، فكلُها أمورٌ تقود الفردَ إلى الاختناقِ والذُل والانجرارِ وراءَ المادة والماديات ليسَّ إلاّ ، كذلك المليون من النقود الذي أخذَ

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

(٢) من دعاء كميل بن زياد لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، انظر مفاتيح الجنان المعرب ـ ص٦٦ .

عقلكَ وقلبَك واصبحتَ اسيرَه وحارسَه على الرغم من انه كان المفروض بكَ أن تكون خادماً لربِّ العالمين أضحَيتَ خادماً لحفنةٍ من النقودِ وعِدّةِ أحجار من الطين ، ينبغي لك أن تنظرَ إلى حقائقِ الأمور ، فالحقيقةُ هي أنك تُفني عمرك العزيز وتُتلفُ ذراتِه لتذروها الرياح ، بينما كان حريٌّ بك أن تنظرَ إلى ابعدِ من ذلك فترى آخرَ أمور الدنيا إلى ما تصير ، وعليك من الآن ان تنظر إلى نفسك وكيف جعلت نفسك متورطاً في حقوقِ الناس من جرّاءِ منصبٍ أو مقام ، فمن الحماقةِ ان يتحمل الإنسانُ البلايا والمصاعب من أجل أن يقالَ له رئيس الدولة أو الحاكم الفلاني وما قيمةُ ذلك على الرغم أنك تعرف انها لذةٌ غيرُ ثابتةٍ بل زائلة .

وقد جاءَ في الروايات ان امير المؤمنين علي (ع) وعندما كان في البصرةِ بعد ان تمت له الغلبةُ في حرب الجمل أتاه خبرٌ بأن علاءَ بن زياد مريض (بناءً على ما ذكر في نهج البلاغة وورد بعض الكتب الاخرى) وكان من اشراف وأعيان البصرة ناهيك عن انه كانَ من المخلِصين والمحبيّن لأميرِ المؤمنين علي (ع) ؛ فعادَهُ الإمام مع بعضٍ اصحابه في بيته فرأى قصراً شاهقاً مجهزاً بكل ما يلزم المرء من خدَمٍ وحشَم ولوازم .

والجديرُ بالذكر أن أمير المؤمنين (ع) مع الحقِ ولا يمكن أن يغرَّه صديقٌ ولا يحيد عن الحقِ قيدَ أُنملة ولكنه كان أباً عطوفاً شفيقاً يُحبُّ الخيرَ للناسِ وبالخصوص لأصحابه .

وفي مضمونِ حديثه (ع) مخاطباً العلاء بن زياد : « هنا يكفيك من المكان عدة أمتار وحصير واحد وفراش ولكنك بعد الموت لن يكون لك ما تريد ؛ إنك تتمكن من إضاءة دارك بسراج واحد ولكنك لن تتمكن من إضاءة قبرك بكل ما عندك من سُرج »[1] ، نعم تستطيع ذلك بنور صلاتك ،

(١) جمع سراج .

وصومك ؛ فالمؤمن يرى حوله نوراً ما بعده نور في القبر ويحيط بوجهه نورٌ كأنّه كوكب دريٌّ يجعل من القبر المظلم نهاراً ، وهذا النور هو نور ولاية محمد وآلِ بيت محمد (ص) .

ويتابع أمير المؤمنين عليّ (ع) حديثه للعلاء بن زياد فيقول له : « ما كنت تصنعُ بسعة هذه الدار في الدنيا ، وانت اليها في الآخرة كُنتَ أحوَج ؟ وبلى إنْ شئتَ بلَغتَ بها الآخرة : تَقْرِي فيها الضيف ، وتصِلُ فيها الرحِم وَتُطلِعُ منها الحقوق مطالعها ، فإذاً انت قد بلغت بها الآخرة » .

ويقصدَ الإمام بحديثه هذا أنه لقد وسعت دارك من اجل عمر لا يتجاوز الستين أو السبعين سنة على الرغم أنك لا تحتاجُ إلى هذه السعة ، إذ كان عليك أن توسع دارَك التي هي من أجل عمرٍ أبدي ، تلك الدار التي هي في البرزخ لا دار الدنيا الفانية .

وقد جاء في الروايات أن بعض المؤمنين الذين بذلوا الجهد في هذه الدنيا وانفقوا من أموالهم في سبيل الله يكونُ قبرهم على مدّ البصر فمهما أرجعت العين هنا وهناك فسترى منازلَهم الفارهة فلقد سعوا دائماً إلى توسيعِ مكان ومحلِ ارواحِهم في عالم البرزخ .

تَلزمك دار وسيعة في الآخرة :

من الواضح ومما لا شك فيه أنك تحتاجُ إلى إضاءةٍ ونورٍ هناك ـ أي في الآخرة ـ؛ فالسراج الذي يضعونه على قبرِك لا يضرّ ولا ينفع فالذي ينفعُ هناك هو نور ولايةِ آل محمد (ص) .

فإذا أردتَ أن لا تكون غريباً بعد الممات فآعمل عملاً صالحاً ، فالأعمال الصالحات والخيرات التي يمكن أن تعملَها في الحياة الدنيا تتجسدُ بشكل نور يضيءُ لك الدربَ فابعث بخيراتِك إلى الآخرةِ لتحصُلَ على النورِ فهذه الخيرات هي خيرُ أنيسٍ لك في عالمَ البرزخ ؛ إذا كنت تريد أن لا تكون غريباً فلترتبط

مع الحسينِ وآلِ بيت الرسـول (ص) وذلك من خـلال انتهاج نهجهم فنهجهُم وسلوكُهم هو الذي يذكرك بالأعمال الخيِّرة .

وفي روايةٍ عن الـرسـول (ص) : ان بيـوتَ البعض منهم كـالـوتَـد في الجِدار ؛ فالمسـمارُ في الجِدار لا يأخذُ مكاناً كبيراً ، وهذا هو حالُ بعضهم بعد الموت فمنزلُه لا يتعدى مكان المسمار في الجدار ؛ فوسّع منزلَك بخيراتك .

حديث (أبو ذر) عند قبر إبنه :

« من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » .

إن من كبـرى مصيباتِ عـالم الدنيـا هي موتُ الـولد ، ولا اعلم مصيبـة أصعبَ منها ؛ لقد ماتَ ابنُ ابي ذر فكان يَبكي عندَ قبره ويقول : أي بني أنا لا أبكي لأنـك مُتَّ وذهبتَ عنّي بـل ابكي لأن الليلةَ هيَ أولُ ليلة قبـرك فـأين مكانك ؟ وهل أجبتَ منكراً ونكيراً بما يُليق ؟

ينبغي لكَ أيها المسـلمُ ان تكونَ مسألةُ الآخرةِ مهمةً عندك ، وعليـك أن تعطيها أهمية خاصة تستدعي أن تكون مثلَ ابي ذر ، فلو ماتَ ابنٌ لك ـ لا سمح الله ـ فاسأل وتعرف على مدىٰ إيمانه الـذي ذهبَ به ، ومـع مَنْ سيُحشر ، ولا يجدرُ بك أنْ تقول : لقد ذهبَ ولدي من جواري ، وإنَّ مكانَه خالي ، ولو كان هنا لكانَ له قيمة خاصة ، بل عليكَ ان تعلَم ان ابنَك قد ارتـاح فينبغي لك أن تشتاقَ أنت أيضاً للقاءِ وجهِ الله العظيم .

لقد قالَ أبـو ذر « لقد ذهبَ ولـدي عني ولكنّي كلّي أملٌ لأن اتـدارَك ما عندي وأُحكمَ شدَّ رحالي ، وكنتُ قد طلبتُ من الله ان يسترجع امـانَته لأكـونَ معكَ ولكنه جلَّتْ قدرتُه أمهلني للتوبَةِ والمغفرةِ وإحكامِ شدِ الرحال .

لا أعلم هل أفاقَت القلوبُ من غفلتِها وتبينت أين هو الـوطنُ الحقيقي ؟ وهل فكرت اخي المسلمِ بوطنِك الأبدي أم لا ؟

احاديث علي (ع) دروس لطلاب الزهد :

كتب احدُ المؤرخين أنّه : كان المهدي العباسي في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وكان أفضلَ نسبياً من سائرِ خلفاءِ بني العباس فقد أمر أن تكتب بعض كلمات من كلامٍ لأمير المؤمنين (ع) وتحمل مع الفرد لكي يستذكرَ الآخرة ، فكان شيعةُ علي (ع) يتّنون حين يقرأون هذه الجملة ويقولون : كان ينبغي أن توضعَ هذه الكلمات نصبَ أعين الملأ :

« طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً » .

فما هو أصل الدنيا حتى يتمسك البعضُ بجزئياتها ، وهنيئاً لذلك الذي عرفَ الدنيا على انها حقيرة ولم يتعلق قلبُه بها وعلى العكسِ من ذلك عرفَ عظمةَ وجلالَ الآخرة فمال لها وتوجّهَ إليها .

كن مع زينِ العابدين (ع) حين يقول : « ابكي لخروج نفسي أبكي لظلمةِ قبري أبكي لضيقِ لحدي أبكي لسؤال مُنكرٍ ونكير إياي أبكي لخروجي من قبري »[1] .

لي في كلّ ساعةٍ الآن غمّ وهم
لأنّ في انتظاري يوم صعب
اعنّي الهي في تلك الساعة
وصحّني من غفلتي لأنّي عبدُك
في تلك الساعة التي يحضرني فيها الشيطان
احفظ لي إيماني بنورِ لطفك

---

(١) من دعاء أبي حمزة الثمالي في مفاتيح الجنان المعرب ص١٩٣ .

وعـنـدمـا تـصـلُ الـروحُ في الـنـزعِ الأخـيـر
خـذ بـيـدي ولا تـتـركـهـا يـا الـهـي
لأنـه لا تـبـقى في روحي من لـقـاءك فـطـنـة
فـلا تـنـسـىٰ روحـي مـن اسـمـك

إلهي : لقد قلت أنت في كتابك العزيز ﴿ فإذكروني اذكركم ﴾[1] وهذا شهر رمضان المبارك فتلطّف علينا بحفظ إيماننا[2].

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .

(٢) لما كانت هذه المحاضرات تلقى في ليالي شهر رمضان المبارك من كل سنة ، في المسجد الجامع بشيراز كان ـ رحمه الله ـ يختم كل محاضرة ببعض الأدعية القصار .

« الزهـــد »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾[1]

كنا بصدد شرح كلام لأمير المؤمنين (ع) يقول فيه : جُعل الإيمـان على اربعِ دعائم ، على الصبرِ واليقينِ والعدلِ والجهـاد « فالصبرُ من ذلكَ على اربعِ شُعب على الشوقِ والشفقـة والزُهـد والترقب » لقـد سبق وان فصلّنا في الشوق والاشفاق .

الزهد معناه عدم الرغبة بالدنيا :

إن ثـالثَ شُعبةٍ من شُعبِ الصبـر هي الزهـد ، يعني على المسلمين أن يكونوا زاهدين بالدنيا ، وإذا ما مارسَ الإنسانُ الزهـدَ صارَ صـابراً في مـواجهةِ المصائبِ والبلايا والاضطرابات ، وحفِظ بذلك رُكناً من أركانِ إيمانه فلا يعترض على القدرِ والقضاءِ الإلهي لأنَّ الإعتراض هذا خلاف الايمان فخلاصة الأمر أن الزهد هو عدم الرغبة بالدنيا ، « من زهد في الدنيا هـانت عليه المصيبات » ،

---

(١) سورة طه ، الآية ١٣١ . ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ .

كما ورد في الأثر .

وكذلك قلنا أن الزهد الاسلامي هو ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾[1] إذ ينبغي للمسلمين أن تكون هممهُم عاليةً ولا يرون الدنيا إلاّ داراً للغرور طالبين بذلك القُربَ من العرشِ الإلهي .

يأتيك من طرفِ العرش صفير ـ لا أعلم ولا أعرف من أنت أيها الذي وقعت في الفخ ؛ فمعنى الزهد في هذه الآية الشريفة ﴿ ولا تمدَّنَ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾[2] فلا ينبغي لك أن تتطلعَ إلى زخارف الحياة الدنيا ، ولا يجدر بكِ أن تأخذَ هذه الزخارفُ بقلبك ـ فالقرآنُ العظيمُ حدد لك النهج الواضح بأن لا تنظرَ إلى القشور وظاهرِ الأمور ولا تنظر إلى الملبس الجديد والقماش الذي يُذهب بلُبِّ العقول ولا تلتفت إلى ما يقال حيث يقولون : من أي بلد هو هذا القماش ؟ ، وهل تعرف موضةً نزلت إلى الأسواق للتوّ ؛ ان قلوبهم دائماً وراء القشور .

وفي مساكنهم يتظرون وينظرون إلى الموضات الحديثة وأيّهم هي أو هو الذي يستعرض موضته بشكل أفضل على الآخرين أو يظهرون ويستعرضون أجهزتَهم وأدواتِهم التي صُنعت أخيراً وعلى انها أحدثُ ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة وعلى أنها صُنعت في البلد الأجنبي الفلاني .

هذا كلّه خلافُ الزهد ، فإذا لم تكن زاهداً لا يتسنى لك أن تكون صابراً ، فمصيباتُ الدنيا تزلُّ قدم من لا صبرَ له وتوصلهُ إلى الإعتراض على قضاءِ الله وقدره ومن ثم الكفر من أعلى الرأس إلى اخمصِ القدم فيخرج الإنسانُ من الإسلام .

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة طه ، الآية ١٣١ .

زهرات النعم الدنيوية تذبل بسرعة :

وعلى هذا فمنذ البداية يجدر بك أن ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً ﴾[1] فانظر إلى الزهرة التي قُطفت فهيهات ان تبقى طريةً أبداً بل سرعان ما تذبل وكذا النعم الدنيوية الأخرى من مثل القماش الجديد الجميل والبناء الحديث وزخارف الحياة الأُخرى حتى يفنى شبابُك وتصلَ إلى المكان المعلوم فتكون حينها قد جعلتَ من حياتِك الأُخرى قرباناً لزخارف الحياة الدنيا ؛ واكرر هنا وكما في ما سبق واقول حريٌّ بالانسان ان يتعلقَ ويأنَسَ بالإيمان والقرآن والإسلام والعقل والعلم وإنفاق المال طمعاً في حياة ما بعد الموت ؛ وكما يقول السجاد في صحيفته « حتى يكون الموت مؤنسنا الذي نأنس به » .

على الإنسان أن يعمل عملاً يصلُ به إلى التذكير بالموت والعقبات التي ما بعد الموت ، فكل ما يأتي مريراً فهو تذكيرٌ بالموت فينبغي الإستئناس به ، ويُحتسب سهلاً إذا ما قيس بالموت ؛ فالمؤمن الحقيقي هو من يرغب بالحياة الآخرة وينتظر الموت بلهفة ليصل إلى العالم الأعلى حيث السعادةُ الأبدية بدون فناءٍ ولا زوال فإذا ما كان ذكرُ الموت مؤنساً فذلك دليل على أن العقلَ والإيمان قد اكتمل .

حديث القائد العربي إلى رستم فرخزاد :

من الجدير بالذكر أن نسرد عليكم حكاية تصبُّ في التربية الإسلامية ؛ ففي الحرب التي دارت بين العرب والفرس والتي مُنيَ فيها الفرس بخسارة فادحة تحت قيادة القائد الإيراني رستم فرخزاد هذا القائد الذي جمع في بداية الأمر مواداً غذائيةً والآت حربية لا تحصى ولا تعد وقدم بها إلى منطقة القادسية من أجل الحيلولة دون تقدم جحافل المسلمين صوب ايران وفي ليلة المعركة

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٨٨ .

تفقد القائد وحداته العسكرية ثم عرّجَ على جيوش المسلمين ليرى وضعها عن كثب وما عليه من قوة فرأى أن عددَ الجيوش الإسلامية قليل بالقياس إلى جيوشه الجّرارة ولكنه على الرغم من هذه المقايسة لاحظ أن الرعبَ يدبُّ في قلبه ، فأرسل إلى القائد العربي (زهرة بن عبد الله) وحين مجيئه قال القائد الإيراني لزهرة بن عبد الله : إنّا حلفاؤكم دائماً وكل وقت كنتم تدخلون فيه حرب مع عدو كنّا نكون إلى جانبكم فما الذي يدفعكم إلى قتالنا ، ثم اردف قائلاً : أنا على استعداد لأن ادفَع لك مبلغاً كبيراً تعيشُ منه العمر كلّه من خزانة ايران في مقابل ان ترجع بجيشك هذا من حيثُ أتيت .

فأجابَ القائد العربي : ما قلتَه كان صحيحاً من انكم كنتم تردوّن عنّا كيد الأعداء ولكن على زمان الجاهلية ، وعلى الظاهر أنك لا تعلم بأن الله بعث لنا نوراً قبل سنوات متجسداً في شخصٍ اسمه محمد (ص) يعمل بوحيٍ من الله . فأمرنا بطاعة الواحد الأحد وأبدلنا طمعَ المال بالإسلام ؛ فعلى الجاهلية حاربنا من اجل المال الدنيوي ، أما الآن وقد أصبحنا مسلمين وقد وُعِدنا بالآخرة فلا حاجة لنا بمال الدنيا .

هذا الزهد الذي يدخل ضمن دائرة التربية الإسلامية السامية جعلت من رستم انساناً مندهشاً ومتعجباً وقال : من العجب أنك لا تريد مالاً ، فَلِمَ الحرب إذاً ؟ فأجابه (زهرة بن عبد الله) : جئنا لنرفع راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله عالياً » ؛ جئنا من اجل أن يوحّدِ الناسَ الله تبارَكت صفاته وينتهون عن الشرك وعن عبادة الأوثان وعبادة النار وعبادة المخلوق فلا نسمح لأحدٍ أن يعبدَ غيرَ الله ولا يخضع إلاّ لله الفرد الصمد « لنخرج العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الله » ، وكذلك جئناكم لنرفع عن الشعوب الامتيازات الطبقية ونزيل ما قد صنعتموهُ من طبقات أعيان وأشراف فالكل بشر يرجعون إلى أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدة وان التمايز الطبقي هو خطأ فاحش باستثناء حالات التقوى ﴿ ان أكرمكم

عند الله أتقاكم ﴾[1] .

فأطرق رستم رأسه قليلاً وفكرّ بالأمر وقال : ان حديثَك هذا جميل جداً وصحيح ولكنه لن يحصُل عملياً في بلادِنا فانظر حتى أشاورَ قومي .

وفي الليل شارو رستم كبارَ القوم فأجابه الجميع على أن لا ينبغي لك أن تتأثر بمقولةِ هذا العربي بل علينا أن نحاربَهم ونؤدبهم .

بعث رستم إلى (سعد بن ابي وقاص) طلباً في إرسال ممثلٍ رسمي للتفاوضِ بشأنِ الصلح ؛ فبعثَ سعدٌ إليه شخصاً يدعى (ربعي بن أكرمة) بعنوانِ ممثلٍ رسمي عن المسلمين ليتحادَث مع الإيرانيين .

وقبل ان يحضر (ربعي بن اكرمة) قال رُستم لحاشيتهِ علينا أن نظهر جلالنا لممثل المسلمين لكي يهاب حكومتَنا ، فنُصب له كرسيٌ من ذهب وفُرِشَ فسطاطه بأحسنِ انواع السجّاد الإيراني ، عليه مقاعد من ذهب زينت بالمجوهرات والحليّ النادر من اجل ان يُدخلَ الرعبَ إلى قلبِ (ربعي بن أكرمة) فيتحقق له ما يريد من انسحابِ جيوشِ المسلمين عنه ؛ وهو لا يعلمَ أن الإسلام ربّى المسلمين على تسليمِ الأمر لله فقط ، ولا مقامَ دنيوي يمكن أن يجعلَ منهم تابعين ، فغيرُ الله صغير ووضيع والعظمة لا يتصف بها غيرُ الله ، فالله هو العظيم وكل ما دونه من عالم الدنيا حقير .

وحينما أُذن لربعي بالذهابِ فجاء إلى فسطاط رستم راكباً على جِصانٍ له ودخل بحصانه داخلَ الفسطاط سائراً به على السجاد الثمين لكي يفهم من حوله بأنّه لا يعير أدنى أهمية لما تحتَه وحولَه وجاءَ بحصانه إلى حيثُ عرش رستم وعندَها ترَجَّل منه فالتفت يميناً وشِمالاً باحثاً عن شيءٍ يربط به دابته فوقعت عينه على مسندٍ نسيجُهُ مِن الذهب فأدخل حرْبَتَهُ فيه وشدّ فيه وثاقَ دابته فقيل لَه : ما

(1) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

الذي تفعلُه ؟ فقال : ما الفرق بين مسندكم هذا والحجر فلا فرق عندي فالإثنان يُربط بهما الحصان .

وخلاصةُ القول ، حين فرغَ من شدِ وِثاق دابته لم يرَ مقعداً خالياً يجلس عليه فلم يجد إلا السجادَ الذهبي فطوى طرفاً من سجادةٍ ذهبيـة وجلسَ إلى الأرضِ حينها قال له رستم : يا أعرابي ؛ تجلسُ على الأرضِ وتترك الجلوسَ على نسيجٍ من الذهب فقال : إن الترابَ عند المسلمين افضلُ من سجّادِ الذهب هذا فقد نقل عن رسول الله محمد (ص) أنه قال : «ولن أترك الجلوس على الأرض ما حييت» . (فالجلوس على الأرض يساهم في علوّ الروح الآدمية) .

لقد كان ربعي يريد أن يُفهم الجمعَ الفارسي بأنهم لا يمكن أن يُشيعوا روحَ الجلالِ والهيبةِ في روح المسلمين وأنْ لا أثر للدنيا عليهم ، فالحياةُ هي العالم العلوي الذي يطلبون والآخرة هي التي يرومون وأن الحياة الدنيا ومهما كان لها من مظاهر جميلة فلا قيمة لها عندهم ، ويريد ربعي كذلك افهامهم بأن عرشَ رستم هذا المذهّب متصلٌ في آخر الأمر بتابوتٍ خُصص للموتى فلا ينبغي لهم أن يتعلقُوا بعرش متصلٍ بتابوت يبلى .

لقد تعجبَّ رستم وحاشيته من قوانينِ الإسلام ومن الشرائع التي جاء بها النبي الأكرم (ص) ، وعندها قال رستم : ما جئتَ بجديدٍ إلينا فالحديث الذي جرى مع زهرة بن عبد الله تكرر فيما بيننا ، فهل هناك شيءٌ قررتَ الوقوف عنده فقال : نحن (المسلمين) ندعوكم لواحدٍ من ثلاثة إما أن تكونوا مسلمين وتضعون الامتيازات الطبقية جانباً علاوةً على ترك عبادةِ النار وحينها سنرجع عمّا نريد من حرب ، فإذا ما اصبحتم مسلمين وتركتم ما تعبدون فنحن وأنتم سواء .

وإذا رفضتم أن تكونوا مسلمين فعليكم أن تدفعوا إلينا الجزية وهو نوعٌ من الخضوع للحقِ والإسلام ، وإذا لم تنصاعوا لدفع الجزية فأذنوا بحرب

ضـروس ؛ فقال رستم : هـل بالامكـان ان استمهلكم ثـلاثـة أيـام من أجـل مشاورات جديدة فقال ربعي : لك ذلك ولا تنسى ان تختار واحداً من الثـلاثة التي أخبرتك بها ؛ فقال رستم : عجيبٌ امرك ، الا تراجـع من هو فـوقك في الأمر ، يبدو لي أنك مختارٌ فيما تقول .

فقال ربعي : إن حكمَ المسلمين اجمالاً على هـذه الشاكلة ، فـإذا كان احد المقاتلين قد اعطى أماناً لمجموعة ما ، ينبغي لبقية المقاتلين أن تأتمر بما أعطى فلا رئيس ولا مرؤوس فالكل تعمل وفق شِرعة الإسلام وانا اعطيك مهلةً لثلاثة أيام فقط .

لقد كان رستم راغباً بالصلح ولكن حاشيتَه أبتْ عليه إلاّ أنْ يدخلَ الحربَ فخاضوها ، وكانت الغلبةُ فيها للمسلمين ، والهزيمةُ الساحقة لـرستم وجحافِله وكانت حرب القادسية .

الغرضُ من هذه الحكاية هو التعريفُ بالمسلم وما كانَ عليه ، أما الآن فلا ندري لمن يقولون مسلماً ؟ فعلى ذلـك الزمن يقـولون للشخص الـذي تحظى الآخـرةَ بأهيمـة خاصـة لديـه مسلماً ، لا للشخص الـذي يهتم بـأمـور الـدنيـا وزخرفِها ؛ ولعنـةُ الله على كل من سعى في تحـريف الإسلام ، فمعـاوية هـو ضمن دائرة من سعوا في تحريضِ الناس على طلبِ الرئاسـة والجاهِ والجـلال والمالِ والمنال هذا الأساس الذي هَدَّه الرسول الأكرم وبنى أساساً قويّاً ومحكماً سلم زمامَه إلى قمرِ الهداية علي بن ابي طالب (ع) ، فكان معاوية ممن أحدَث اضراراً في هذا الأساس أربك به المسلمين وجعل من وضعِهم المستقـر وضعـاً مضطرباً .

لقد قال الرسول لهم : يا أيها المؤمنون ، هذا عليّ اميركم فتركوا الأمير وتبعوا معاوية الحقير ، وهذا ما ابقى على الآثار السلبية لحكومة معاوية إلى وقتنا الحاضر وحتى يوم القيامة .

فلو زهد الناسُ لما حدثت هذه المشاكل ؛ فما هي الدنيا حتى يخاف المسلمُ من الفقر والجوع ؟!

فمن مُنِحَ اسناناً منحه الله خبزاً كما جاء في المثل حتى يصل إلى الموت فيموت « فالمسلم الحقيقي لا يخشى الموتَ ولا يرهبه » ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » ، كما في الأثر .

الزهد مرجعه القلب :

إن الزهد لا يتنافى والعمل المقصود منه الكسب المادي ، ولكننا ننصحك بأن لا تجعل من الدنيا كلَّ همّك ، لا نقول لك بعدم ارتداء الملابس الجديدة ، ولا يمكن أن يقال لك ابتعد عن المجتمع « وفي هذا المضمار توجد رواية تتعرضُ لإشكالٍ اورده بعضهم على الإمام الصادق (ع) حين قال له : إنك ترتدي جبّةً على خلاف ما كان يلبسُ جدُك عليٌ (ع) فيقلب ذيل جبّته ليريهم القطع القماشية المتعددة التي هي تحت الجبّة قائلاً : « استحييتُ من راقعها » في الوقت الذي انت تلبس ما تلبس ، كانت جدّتك فاطمة (س) تلبس عباءةً حوت اثنا عشر قطعة من عراجين النخل .

اسمع بماذا يجيب الإمام : ان نهج اجدادي على ذلك الزمن الذي كان يسوده القحط والغلاء يتناسب ووضعية الفقراء والمساكين فعليه كان الأجداد يواسون الفقراء والمساكين فيلبسون مثل أقلّهم ولكن زماننا هذا (زمان الإمام الصادق (ع)) زمان سِعة ، فإذا ما ارتديتُ مثلما كان يرتدي جدي من ملبسٍ تكثر فيه الرّقع استهزأ بي الناس ؛ ولذا كنت مضطراً إلى لبس الجديد ، بعدها قال لمن أشكل على لباسه : إدْنُ مني فدنا منه فأراهُ انه يلبس الصوف الذي لا يتناسبُ وبدنه تحت ملبسه الجديد وقال له هذا الذي البسه تحت ثيابي الجديدة هو تواضع مني للجبّار المتكبر الواحد الأحد ، اما اللباس الذي تراه فوق ما ارتديت من خشنِ القماش فهو لك ولأمثالك .

وبناءً على هذا فإن لكل زمان لباس يتناسب معه ، فالزهد أمر قلبي ، فعلى الرغم من توفر الوسائل الحياتية ينبغي للانسان أن يكون زاهداً غير متعلقٍ قلبُه بها بل عليه ان يتعلقَ قلبُه بالملأ الأعلى ، يتعلق بحوضِ الكوثر واعني أن اكونَ بينكم بجسدي وقلبي في مكان آخر ، مكان إلى جوار علي (ع) لا تتصور أنك بحافلتك هذه التي هي أحدث ما انتجته التكنولوجيا وصَلْتَ إلى ما ترنو إليه بل ينبغي لك أن يكونَ مرادكُ اسمى من زينةِ الحياة الدنيا ، إلى حيث رياضِ الجنان الإلهية .

قيل أن رجلاً زار الإمام علي (ع) في داره ، فرأى أثاث داره أقل من أن يملكها ايُّ فقير ، فهو لا يملك من حطام الدنيا إلا حصيراً يجلس عليه وضيفه ، وكذا كان الرسول (ص) حين أهدىَ له هدية وكانت رطباً وكان الذي جاء بالرطب يريد الصحن الذي نقل فيه الهدية فسأل من في الدار : أيوجدُ في الدار صحن أو طبق نضع فيه هذا فبحثوا هنا وهناك فلم يعثروا على شيء فازاحَ الرسول بِنْ أمامه ما كان من التراب ووضع الرطَبَ على الأرض ، لقد كان من الواجب أن يحيا الرسولُ والإمام طبق اصعبِ موازين الحياة ، أو أقل ما يُعاش ، مواساةً للفقراء والمساكين .

نرجع قليلاً إلى ما بدأنا فيه فيسأل الضيف علياً (ع)عن عدم وجود وسائل حياتيه في داره فلماذا لا تتدارك هذه المسألة فيجيب سلام الله عليه بما مضمونه : أننا أهل بيت الرسول (ص) ندّخر ما عندنا ونرسله إلى منازلنا التي سيدوم البقاء فيها ، فتلك التي نريد أن نعمّر ، فإذا ما رأيت أن المنزل هنا خالي من زينة الحياة الدنيا فلأننا ارسلنا ما كان عندنا إلى الحياة الآخرة .

من خرَّبَ منزل آخرته تعلّق بالدنيا :

نقل لنا الشيخ البهائي في كشكوله أن شخصاً ذهب عند الإمام الحسن المجتبى (ع) وقال له : يابن رسول الله ما السبب في أننا نحن المسلمون

نضطرب حين يذكر الموت وانتم أهل بيت الرسول (ص) تفرحون بالموت وذكره فاجاب (ع) : « لأنكم عمّرتم الدنيا » على الرغم أن المنزل يمكن أن يُعمَّر في الآخرة ، ومما لا شك فيه أنه لا يوجدُ عاقلٌ يذهبُ عما عمّر إلى بيت خرِب ، واعلم أنكَ ممن يُخرِبُ بيته ، فلقد قضيتَ عمركَ في عمارِ دنياك .

وإذا ما قال لك شخصٌ : هيأ نفسك لموقفٍ لا يتجاوز المترين عرضاً ولا يزداد على قامةٍ عمقاً فهل لك أن ترضى بأن تذهب إلى هكذا خربة ؟ ولكن آل بيت الرسول (ص) وشيعتهم الخلّص من الذين عمرّوا ما سيؤولون إليه يشتاقون للموت ، فذلك الحسين (ع) يقول : « وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب ليوسف » .

إلهي ، وفّقنا لأن نكون متعلقين بما وراء المَوت واجعلنا ممن يعمّرون دينَهم وآخرتهم ، إننا نلوذ بك من ان نكون مثلَ الكافرين الذين تركوا دينهم وراءَ ظهرانيهم من مثل (عُمر بن سعد) ؛ فلقد كان عمر هذا مسلماً مصليّاً صائماً قارئاً للقرآن ولكن اسلاَمه كان كإسلام الكثيرِ من المسلمين فانظر إليه وهو يقول :

أأتــرك ملكَ الــري والــريُّ منيتي أم أرجــع مــأثــومــاً بقتــل حسينِ

كان يقول أقتلُ الحسين (ع) ثم اتوب إلى الله توبةً نصوحا .

لقد كان همّه الوحيد الدنيا الفانية ، فمن أجل شهواته ونزواته يقتل وبعدها يريد طلبَ المغفرة والرضوان .

إلهي ، نلوذ بكَ من ان نكون مثلما كان عمر بن سعد ، سؤالنا ايماناً علوياً وحسينياً منك ، واجعلنا ممن يتعلقُ بآل بيت الرسول (ص) إلى آخر الأمر .

فمن اصبح حسينياً يسير على نهجِ الإمام الحسين (ع) فقلبُه تعلّقَ بمكان

آخر ، مكانٍ نزل به الحسين (ع) واصحابه .

لقد تحدّث الإمام الحسين (ع) إلى اصحابه في ليلة عاشوراء ، ما كان مضمونه : إن القومَ يطلبوني فاتخذوا الليل جملاً وليذهب كل واحدٍ منكم بواحدٍ من أهل بيتي ، فتعالت أصوات أصحابه فهذا يقول لن اتركَكَ وذلك يقول : فَدْتكَ نفسي فما الحياةُ بعدَكَ إلاّ غم وهم ، التفت الإمام (ع) إلى (بشر بن خضر) وقال له : عليك أن تذهب إلى الكوفة وتسعى في نجاةِ ابنك من السجن ، فبكى بشر وقال لا ابقاني الله بعدَك فلقد جئتُ لنصرتك فمن يكون الولدُ والأهل ؟ فأنت العزيز ، عَدِمَتْ نفسٌ بقَت بَعدك تنشدُ الناس اين الحسين (ع) ؛ السلام عليكم يا اولياء الله واحبائه .

« الترقب »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وجاءت سكرةُ الموت بالحقِّ ذلك ما كنتَ منهُ تحيد
ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كلُّ نفسٍ
معها سائقٌ وشهيد لقد كنت في غفلةٍ من هـذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾[1]

انتظار الموت ينهي الآلام :

لقد كان حديثنا يتمحور حول مواعظ أمير المؤمنين (ع) المتعلقة بالصبر والذي هو أساسُ الإيمان ، والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

إن الدعامةَ الرابعةَ من الصبرِ هي الترقب ، والترقبُ بمعنى الانتظار فإذا ما عدَّ الإنسانُ الساعاتِ والأيام انتظاراً وسألَ ماذا انتظر ؟ فيجيب (ع) ترقبُ الموت او انتظاره .

لقد بيَّن لنا الإمام آثارَ الشوق والاشفاق ، فمن كان مشتاقاً إلى الجنة ترفَّعَ عن الشهوات لأنّه يعلم انها مقدمةُ جهنم ، فالمشتاقُ يريد سلوك طريق الجنة ،

---

(١) سورة ق ، الآية ١٩ إلى ٢ .

فكيف يتأتىٰ له سلوك طريق جهنم ؟ وهذا مصداق للحديثِ الذي نقلَه مسلم في صحيحه عن الرسول (ص) حيث يقول : « حُفّت الجنةُ بالمكارِه وحُفت النارُ بالشهواتِ » .

وفي روايةٍ أخرى : بعد أن خلقَ اللهُ الجنة قال جبرئيل إلهي من هذا الذي لا يُريد ان يحظى بهذه الجنّة ؟ فجاءه النداء ان انظر إلى طريقِ الجنّة ، فنظرَ فرآه محفوفاً بالمخاطرِ والبلايا وترك هوى النفس ومخالفة الرغبات فقال : إن كان هذا طريقها فإنَّ طالبَها قليل ؛ فلما رأى جبريل خلقَ الله لجهنم قال : من هذا الذي يروم دخولَها ؟ فجاءه النداء ان انظر إلى طريقها فهي مليئةٌ بالرغباتِ النفسانية واللذائذِ والشهواتِ الحيوانية فقال : علمت ان لها مشترين كِثار .

علي (ع) وضحَّ باختصار ما خفي عن الإنسان حين قال : من اشتاق إلى الجنّةِ سلا عن الشهوات ومن أشفق عن النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات [انظر كامل الخطبة في بداية الكتاب] .

والدعامة الرابعة للصبر هي الترقب حيث قال : «ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات ، فانتظار الموت يصرف الذهن عن الخطور في القضايا الشهوانية وعملِ المنكرات ؛ فالموتُ من الموضوعات التي جعلَها الله لكل الخلائق فلا يستثنى منه أحداً فاحتمالُ الموت شاملٌ للصحيح والعليل . فالنفس تذهب ولا تعود سواءٌ في جبهات الحرب أو على فراشِ النومَ نائمةٌ كانت أو صاحية فعليكَ أن لا تَنسى ذلك ؛ بل يجدر بك أن تضعَ هذه القضيةَ نصبَ عينيك وينبغي لكَ أن تفكر أن اليومَ هو آخرُ يومٍ من عمرِك وان كفنَك قد جاؤا به إلى السوقِ فإذا ما حصلَ هكذا تفكير وهكذا انتظارٍ وترقبٍ للموت عزفَ الإنسان عن الخطايا والمساويء ومصداق حديثنا هذا هو ما أشار له امير المؤمنين (ع) في حديث مضمونه : « أوصيكم بكثرة ذكرِ الموتِ وإقلال الغفلةِ عنه » ، فلا ينبغي أن يغفلَ الإنسانُ عن ذكرِ الموت قائلاً انا انسان صحيح البدن فتدبُّ في نفسِهِ الغفلةُ فيسهو عمّا وعَد الله به المؤمنين .

تدريب النفس على الخشوع للحق :

إذا لم تكن ناسياً ساعةَ الموت ابداً وكنت دائمَ الذكر لله تبارك وتعالى فسوف تحصُل لكَ حالٌ تنمّ عن الخشوعِ للواحد الأحد وهذا هو ما دعا به المؤمنون دائماً في اسحارِ شهرِ رمضان المبارك حيث يقولون : « اللهم إني سألتك خشوع الإيمان قبل خضوع الذلّ في النار »[1] وإذا غفل قلبك عن ذكرِ الموت فلن يتكون عندك الخشوع ، هذا الخشوع الذي يظهر جلياً ساعة نزوع الروح ، وقيمةُ هذا الخشوع في تحققهِ الآن ، وإلاّ فلا قيمةَ له وقت نزع الروح .

إنكم ترون المحتضِر والذي هو في النزعِ الأخير خاضعاً خاشعاً ، ويا ليته كان دائماً على هذا الخضوعِ والخشوع مثلما ساعةَ خروج روحه ، ففي الوقتِ الذي تصير وجهها لوجه مع الباريء المصوّر حينها تقول : يا الله ؛ هل هذا هو الإيمان ؟ ان الإيمان خشوع القلب وليس اللسان .

إذا ما راقبَ الإنسانُ الموت وانتظر ، لن يقول أنا ، أنا ، ولا يرى انه مستقلاً بنفسه ولا يقول قدرتي ، وساعدي القويّ ، وقلمي ومالي انه لن يفعل شيئاً ، تذكر دائماً الموت وتذكر أنك على صحتك لا تستطيع أن تطرد بعوضةً من المكان الذي تعيش به فلسوف تأتي ساعة لن تستطيع فيها التكلم أبداً ، فاصابعك لا تعمل واسم ابنك أيضاً تنساه ؛ فلو كنت قد تفكرت في أمر الآخرة ولو ساعة لكنت من الخاشعين لعملت الخير ولعرفت انك تابعٌ لله وغير مستقل بنفسك ، فعندما يرى الإنسانُ حتمية موته يُصبحُ الإنفاق عنده سهلاً وهذا الذي تراه من الإنفاق قبل علمه بموتِه فهو صعبٌ عنده ، لأنه لم يأخذ الموت بنظر الاعتبار ، فإذا ما تيقّن الإنسانُ بموته سوف يبذُل كل ما عندَه قائلاً من الافضلِ

[1] دعاء (أبو حمزة الثمالي) في مفاتيح الجنان المعرب ـ العباسي القمي ـ دار احياء التراث ـ بيروت ص١٩٨ .

لي أن أعطي كلَّ ما عندي ، ويسارع حينها إلى الخيرات .

إن الغفلةَ تجرُّ الإنسان إلى الحرمانِ من الخيرات ؛ إن الموت مرٌّ ولكن لا حيلة إلى الفرارِ منه ولكن نتيجته حسنةٌ وحُلوة ، فالمرأةُ التي تخرج من بيتها عليها أن تقول : خرجتُ من البيت وقد لا أرجع ، فعليه ينبغي لكِ أن تحافظي على حجابك ولا تخرجي بدونِ ما يسترُ ساقيك فهذه الأرجلُ العاريةُ ربما ستُلَفُ بعد حينٍ بكفن .

فإذا ما سمِع الإنسانُ نصيحةَ عليّ (ع) وعَمل بهـا لن يتسنى له أن ينسى الموت ؛ وهذه حكاية نسردها لكم :

قبور الماضين على أعتابِ دور الباقين :

إن في كتاب « حياة القلوب » مجلسٌ يتضمن حكايةٌ طويلة للاسكندر (ذو القرنين) جاء فيه : أن الاسكندر وضمن فتوحاته وصل إلى مدينة فرأى عجباً ، ومن جُملةِ العجائب التي رآها هي : أن كـلَ عتبةٍ دارٍ دفن عنـدهـا عـدةُ اشخاص ، فسأل حينَها عن دارِ الحكومة فقيلَ له : لا يوجد عندنا داراً للحكومة ولا حتى قاضي فقال الاسكندر : وهل يمكنُ ان يقومَ مجتمع بشري بدون مـا ذكرتُ لك ؟ فأجابَ : يـا أيها الاسكنـدر : لا يُرى في مـدينتنا هـذه شخصان يتنازعان ولا يُشاهد من يدّعي النزاع فقال : وكيف هذا يكون ؟ فقال : لقد ورثنا عن آبائِنا واجدادنا انه من يموت يجبُ دفنه في عتبةِ داره ، ولا توجد لدينا مقابر منفصلة فكل من مات دفن في عتبـةِ داره لكي يعرفَ البـاقون أن هـذا المصير المحتوم الذي تؤول إليه البشرية من خلال عبـورِهم صباحـاً ومساءً على قبـورِ ذويهم فعند خروجهم من الدارِ يمرّون على قبور ذويهم فلا يُسيئوا لأحد وعنـد ورودهم الدار يمتنعون عن أذى اهليهم وابنائهم .

واجمالاً ، إن هذه القبور ، قبور الآباء والامهات والاخوة والاخوات يجب أن تكون على مقربةٍ من الدار حتى لا ينسى الإنسـان الموت ، بل كلّ يوم يتذكره

فلا يسرق مال أحد لأنه لا أمل له في أن يكون حيّاً في الغد الآتي فمن أجلِ ماذا يدّعي باطلاً ؟ ولماذا يتخاصمُ اثنان ويتجادل هذا مع ذاك من اجلِ ماذا ؟

يمكن إرجاعُ كل أنواع الفسادِ إلى الغفلة ، فالقرآنُ المجيد ذكرَ بمثل هذا المعنى فقال : ﴿ اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون ﴾[1] .

فكل غافلٍ حيوان ، فهو بعيدٌ عن الآدمية ، فمعنى الإنسان هو الأنس وما نراه من فساد فهو وحشية ؛ ان طبقاتِ المجتمع الانساني المختلفة تشبثت بالحياةِ الحيوانية والسببُ في ذلك هو الغفلةُ التي جعلَتْ من الإنسان يتجاوزُ القوانينِ الإلهية المرسومة له .

إنهم يتصورون ديمومةَ حياتِهم متناسين التفكيرَ بعيداً ، لا يريدون أن يصدقوا أن جباهَهم هذه ستكون من نصيبِ الموت ، وقد يكون انهم نسَوا الموت .

يعيشُ المجتمع اليومَ حرماناً من الإنفاق ففي السابق كان الناسُ ينفقون كثيراً في سبيل الله اما الآن . . . وإذا اتفق أن رأيت صورةَ خير فإنها على زماننا رياءً أو ان للمنفق أغراضاً أُخرى .

قتل الهادي وخلافة هارون :

صدّقوا ، إذا ما حصلت الغفلة عن الموت والآخرة ، يبرز ادعاء الربوبية في بعض الأحيان ، فيرى الإنسانُ نفسَه ربّاً ؛ وهنا أسردُ عليكم حكايةً تختلطُ فيها الموعظةُ الصعبةُ مع حلاوةِ الحكاية .

كُتبَ في التاريخ أن موسى الهادي الخليفةَ العباسي كان على عهدِه من قُساة القلوب وغلاظها ، هذا الشخصُ لم يلتفت منذ البداية وحتى آخرَ لحظةِ

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٩ .

من عمره للموت ، فكان شغلُه الشاغل إراقة الدماء والغور في أسبار الجريمة ، فحدث يوماً أن بعثَ لرئيسِ وزرائه وكان الوقت ظهراً شديدَ الحرّ ، فحضر رئيسُ وزرائه وكان اسمُه هرثمة وكان يبدو المهدي كالوحش الذي يريد الهجوم على فريسته فقال له : لقد وصلني خبر بأن أخي هارون يتآمر عليَّ مستعيناً بـ «يحيى بن خالد البرمكي» للأطاحةِ بي ، وانه يعملُ على ذلك سراً لتهيئة الأرضية لعزلي وتنصيب هارون خليفة فلذا عليك أن تذهبَ الليلة إلى دارِ هارون وتقطع رأسه وتأتيني به (يحتمل أن يكون أخوه قد زاحمه في امور السلطان والخلافة) .

تعجب هرثمة من كلام المهدي هذا وقال له : عجيبٌ هذا الأمر فهارون هو أخوك لأمّك وابيك وولي عهدك ، فإذا ما فعلت ذلك فماذا يمكن أن تجيبَ الله وعباده ؟

فقال : دع عنك هذا الكلام ؛ فكل شخصٍ ينافسني في امور الخلافةِ يجب أن يُقتل ؛ وعليك أن تُخرج جميعَ العلويين والسادةَ من السجن بعد قتله ، وتقتل نصفَهم وترمي بالنصف الباقي في النهر ، إذ يجب في هذه المرحلة ان تخلي سجونك ، وينبغي لك أن تذهبَ إلى الكوفة هذه الليلة وتعلن أنَّ على كل عباسي أن يخرج من داره وبعدها تشعل النار في المدينة ، بالاضافة إلى أنك يجب أن تعيّن أشخاصاً يقفون على أطرافِ المدينة يقتلون كلَّ من تحدثُه نفسه بالفرار ، لأنني لا أريدُ بعد الآن شيعةً لعلي (ع) ، ثم تبقى في المدينةِ بعد ان تحترق ، وتُساوي الكوفة وكأن شيئاً لم يكن .

فقال هرثمة : وما ذنب هؤلاء إنهم مسلمون ، وكيف تأمرُ بهكذا أمر تسيل الدماءُ بتنفيذه .

وهنا أجاب الخليفة العباسي جواباً عجيباً حين قال : ان المسلمين كلهم تابعين لي ، فكل من هو تابعٌ لي مسلم .

ان كلَّ شخص يتصوّرُ هذا التصور الذي هو من شأنِ الله فقط يقصد من كلامه إدعاءَ الربوبية ؛ نلتجيء إلى الله من الثروة الكثيرة والعافية والسلامة ، والشباب ، ونسيان الموت ، فكلها ترمي بالانسان في هاوية الطغيان .

وهنا طلبَ هرثمة أن يعفيَه الهادي من منصبِه قائلاً : لا أريد هكذا رئاسة تجرّني إلى كل هذه الجرائم فأنا غيرُ قادرٍ على أن اعملَ ذلك فقال الخليفة : جزاؤك القتل إن لم تفعل ما امرتُك به ، فرأى هرثمة أن قتله محتّم فقال : لك ما تريد ، بعدها ذهب الخليفة إلى داخل المنزل عند محارمه .

حارَ هرثمة ماذا يفعل شعَر بالألم يدبُّ في رأسه ؛ وعندها جاءت امُّ الخليفة عندما سمعت تصميمَ الخليفة على قتلِ أخيه جلسَت بين يديه وارادت تقبيلَ قدميه قائلة اترك اخاك وشأنه ولا تكن قاتلَ أخيك ، ولكنّ هذا الشقي ركلَ أمَّه برجلِه فأغميَ عليها وانقطَع نفسُها .

إن لطف الحق يستوجب المداراة والشكر

فإذا ما تجاوز الإنسان الحدّ قُصِمَ ظهره

بعد هذا وذاك سُمِعَ في الدارِ إنهض أيها الخليفة ؛ مات الخليفة ، وكان ذلك حين خرجت الأم من القصر جاء الخليفة ليأكل غذاءهُ فاختنق بلقمة ومات .

إن دعاء امِّه عليه بعثَه إلى اسفلِ السافلين فأرسلَ إلى هرثمة أن تعالَ ان الخليفة قضى ، فأتى هرثمة فرأى أن القومَ قد أسبلوا عليه قماشاً من القطيفة فكشفَ عنه وإذا به قد صار أسوداً كالقار .

وفي تلك الليلة وعلى عكس ما أراد ذهبوا به إلى القبر وجلس اخوه مكانَه على مسند الخلافة .

غرضي ، أن تفاقم الطغيان وعصيانَ النفس لا يجرُّ بالمرء إلى الخير ، فالذي يجرُّ إلى الخير هو التذكرُ الدائمُ للموت وفناءِ الدنيا وزوالِها فلقد كان

الكثير من الأجلّاء يحفرُ قبره في بيته ليكون مهياً النفس دائماً .

انموذج للكسبة قبل سبعمائة عام في شيراز :

لقد كتب ابن بطوطة المصري الرحالة في كتابٍ يتضمن تاريخ سياحتِهِ بالبلدان ، كتب قبل سبعمائة عام حين وصل إلى المسجد الجامعِ العتيق في شيراز يقول : ذهبتُ فرأيتُ أن المسجدَ الجامعَ صُفَّ بالحجر المرمر ، وكان الخدمُ يغسلونه ثلاث مرّات في كل يوم وليلة ولا يسمحون لأحد بالدخول إلاّ وهو حافي القدمين وكان المصلون في ذلك الوقت كالسيل حينما تحين الصلاة وفي خارجِ المسجد وبالقرب منه سوق (لا أدري أين يكون الآن) وكان هذا السوق جميلاً جداً فلم ارى مثل بنائِهِ إلاّ في الشام فدخلتُه فوقعَت عيني على كاسبٍ لا يقف مُشترٍ على بابِ دكانه فجذبني بقراءته للقرآن ، اقتربت منه وسلمت عليه وسألته ماذا تفعل يا حاج ؟ (شاهدي هنا) فأجاب ان أحد اعمالي هو أنّ قبري هنا في هذه الحجرة فكشف عن البساط الذي يغطي أرض الحجرة وإذا بقبرٍ قد حُفِرَ فيها وحجرٌ نُقِشَ عليه اسمه وهذه تجارتي في بابِ قبري حفرته هنا لكي لا انخدع بالدنيا ولا امارس التدليس في معاملاتي ولا أغش أحداً من الناس ؛ وعندما لا يكون هناك مشترٍ أقفُ على قبري وأقرأ القرآن وعلى القبر أذكر الله كثيراً ؛ فهل تعرف لماذا ؟ حتى لا تطغى النفسُ الأمّارة بالسوء .

هذا التاجر هو انموذج للتجار قبل سبعمائة سنة في شيراز ، أما في وقتنا الحاضر فأنتم ترون الوضع الحالي بأنفسكم كلُّه غفلةً ونكبات في نكبات .

تمرّ الشهورُ ولا يخطرُ الموتُ بباله ، فهو لا يُنفق من مالِه شيئاً من أجلِ آخرته أو عالَمِ برزخه ؛ إنه لا يفكر مطلقاً بآخرتِه ، فكل جوارِحه وافكارِه بالأرض والفوائد المادية وزخارفِ الدنيا .

لا فرار من الموت أما جنة أو نار :

عليكم أن لا تنسوا آخرَ شعبةٍ من الصبر ولا تُضيّعوا من ايدِيكم ذكرَ

الموت ، واقصدُ مَوتكم لا موتَ الآخرين ، فعلى الأقل ينبغي لكم أن تنظروا إلى اكفانِكم مرةً واحدةً في اليومِ والليلة إجعلوا من أنفسِكم نفساً مهيأةً لسفرٍ محتوم ، وهذا لا يعني انكم وحينما تنظرون إلى الأكفان سيأتي الموت عليكم بسرعة ؟! أو إذا كنتم غافلين لا يأتيكم الموت ؟! فإذا ذكرت الموت أم لم تذكرْه فهناك ساعةً معينة لموتِك فيا حبذا لو رأى الإنسان أن موتَه قريب .

« الموت الموت ولا بد من الموت ، جاء الموت بما فيه من الروح والراحة والكرّةِ المباركة لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وجاء الموت بما فيه من الكرّةِ الخاسرة لأهل دار الغرور الذي كان لها سعيهم وفيها رغبتهم» . [مضمون مقطع مما روي من خطبة للرسول (ص)] .

ولكننا في واد وذكر الموت في واد ؟ ان النفسَ لا تترك الإنسانَ يفكر هكذا تفكير فقد يفكر بانه سيعملُ العملَ الفلاني في نهاية هذه السنة أو ما شابه من هذا .

من هذه الليلة تبدأ الأيام البيضُ لشهر رمضان المبارك (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) ومعنى ذلك أنه : ببركةِ أعمال الخير في هذه الأيام وبرحمةِ الباري جل وعلا تبيّضُ وجوهنا التي سوّدتها الذنوب ؛ فيا أهل الوجوهِ المسودّة كونوا من بيض الوجوه إذا كنتم تعلمون قدرَ هذه الأيام وقولوا إلهي قلوبُنا تريد ذلك ولكن النفس والهوى والغالبَ علينا يجعلنا من الأشقياء الذين سترت عيونَهم الذنوبُ فلا يرون الموتَ بوضوح إلهي قعدت بي اغلالي ومنعتني الذنوب من ان افكر باليوم الآخِر .

« اللهم ارزقنا التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت » .

عندما ارادَ الحسينُ (ع) في ليلةِ العاشر من المحرّم أنْ يُعطيَ اخته درساً في الصبر ، صبراً مثالياً يصمد أمامَ المجزرةِ الكبرى التي سوف تحدث تقدّم لها

ليوصلها إلى اعلى مراتب الصبر ، فـذكرهـا بالمـوتِ قائـلاً : «واعلمي ان أهل الأرض يموتون وأهلُ السماء لا يبقون » فالنبي جدّي (ص) وابي عليّ (ع) وأمي فاطمة (ع) واخي الحسن كل هؤلاء كانوا أفضل منّي ولكنهم ذهبوا من الدنيا إلى عالم الآخرة وخلاصة القول أن الحسين يذهب أيضاً من هنا ولا يبقى في الدنيا فحريٌ به أن يقتل في سبيل الله « فلا يذهبنّ بحلمكِ الشيطان » .

---

(١) عبد الرزاق المقرم ـ مقتل الحسن (ع) . دار الكتاب الإسلامي ص٢١٧ .

« الصبر »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن ﴾[1]

هل يبيح الشرع الإسلامي الخنوع للظلم :

يخطر في بعض الأذهان أن القرآن الكريم والإسلام وروايات الإلتزام بالصبرِ كلها تحث الإنسانَ على الصبرِ بل جاء البيان صحيحاً فبدون الصبر لا يصل الإنسان إلى السعادة ، وكذا لا يصل إلى الإيمان بل لا يمكن أن يرى الإنسان راحة في هذه الحياةِ بدون الصبر ؛ وهناك (وهذا ما اريد ان اقوله) شبهة ملقاةٌ على الإسلام هي : أن الإسلام يريد أن يصبّر المسلمون على الظلمِ وقبولِ الضربات التي تذهب بما لهم واعراضهم ؟!

خلاصة الجواب : الصبرُ يتم قبل وقوعِ الثلم اما بعد وقوعه يتوجب على كلِ مسلم بما يمتلك من قدرةٍ ان يدافعَ عن مالِه ونفسِه وعرضه واجبٌ هو الدفاعُ عن النفس من أجلِ الحفاظ عليها وإذا لم يتمكن من ذلك حينها يتوجبُ

---

(١) ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

عليه الفرار حفظاً على سلامتِه وكذا بصددِ المال ، فإذا كان المالُ ذا قيمة متدنّية فلا يجبُ الدفاع اما إذا كان المال معتد وثمين فحفظُه والدفاعُ عنه واجبٌ مثل رأس المال الذي يتطلب الدفاعُ عنه ولا يجوزُ التهاونُ في ذلك ويسقطُ معه العفو ، ووجوبُ الدفاع عنه هنا إلى حدٍّ لا يحتمل معه الإضرار بالنفسِ فإذا ما تبينّ له أن الضرر واقعٌ بنفسه لا محالة يحرُمُ عليه بذلَ نفسه من أجلِ المال لأن أوضاعَ الدنيا أصغر من أنْ يفدي الإنسانُ نفسَه من أجلها ؛ فإذا ما اتفق ان سرق لِصٌ اموالك وحينما أردت استردادَ ما سُرِقَ منك وجدتَ ان اللصّ مسلح وأنكَ في خطرٍ شديد منه لما يحمل من سلاح فهنا يتوجب حفاظ النفس تقدماً على المال .

وعلى سبيلِ المثال ان البعَض يُتاجرُ في موادّ ممنوعة او محظورة كأن تكونَ لوازمَ منزلية أو صناعية أو ما شابه ، معّرِضاً نفسَه للخطرِ من اجلِ ان يزدادَ مالهُ فهو يضحّي ويعرضُ بنفسِه أمامَ الأخطار من أجل المال ، وهنا أقول : ان حياةَ الإنسانِ عزيزة بينما الدفاعُ عن المالِ واجبٌ محدود ، ووجوبيةُ الدفاعِ مقيدّةٌ بعدمِ الضرر بل من اجل حفظ النفسِ البشريةِ وإذا ما كان خلافَ ذلك حينها يسقطُ الوجوبُ هذا .

وجوبية الدفاع عن المظلوم

ان الظُلمَ الذي يصيبُ الآخرين هل يوجبُ الدفاعَ عنهم أم لا ؟ يمكن ارجاعُ ذلك إلى حكمِ النهيِ عن المنكرِ فيما إذا اكتملت شروطُ هذا الحكم أي القدرةُ والامكانية أولاً والأثرُ الايجابي ثانياً حينَها يكون الدفاعُ لازم إذ ينبغي للمسلمِ أن يمنعَ مثلاً شخصاً يريدُ الذهابَ بأموالِ شخصٍ آخر شريطةَ حفظِ النفسِ من المخاطرِ التي قد تتأتى من هذا المنع ، وحيناً ان الخطرَ يتجلى ويُحتملُ في حالةِ الدفاع فلا يلزم هنا أن يقولَ بعض المتقولين أن المسلمين يخضعون للظلمِ والبغي بل ينبغي للآخرين أن يدافعوا عن هذا المظلومِ حيث أن الدفاعَ عنه واجبٌ وكما ذكرنا حسب الإمكانية والقدرة حيث ﴿ لا يكلّف الله

نفساً إلّا وسعها ﴾[1] .

ومهما حاول الإنسانُ ان يسعىٰ من أجلِ ان يحظى بالسعادةِ مُدخلاً نفسَه في زحماتِ الدنيا الفانية فذلك له كلامٌ آخر .

يسأل أحدُ الشباب المتدينين ، هل يجبُ على الإنسان ان يذهَب هنا وهناك ساعياً جُهدَ الإمكان من أجل معيشةٍ أفضل ؟ فسررتُ لسؤاله هذا ظنّاً مني أنّه يقصُد الحياةَ الآخرة !! فقلتُ له : نعم يجبُ على كل فردٍ ان يسعىٰ من أجل حياةٍ أفضل وعندما يصل إلى العالَم الآخر يحظى بكل مرادِه هناك ويبلغُ اوجَ العالمَ الأعلى بجناحي العلمِ والعمل فلذا كان الواجبُ يتأتى من هنا .

استحالة الراحة المطلقة هنا :

قال لقد كان سؤالي عن السعي في الحياة الدنيا والتضحية بالراحة من اجلِ الوصولِ إلى حياةٍ أفضل ، هذا ما كان قصدي ؛ فنحن اين كان حديثُنا وهو ماذا يقول ؟ وخلاصةُ القول أجبتُه إلى ما يريد فقلتُ إذا أردت الحياةَ الدنيا هدفاً لك طالباً تأمينَ الراحةِ وحياةً بدونِ الالام ومن أولها إلى آخرها سعادة وسرور ، فأولاً ان ما تريده محالاً إذا كنت تروم حياةً على الكرة الأرضية بدون ازعاج ، ولا أعرف شخصاً في التاريخ لم تحدث له ازعاجات في الحياةِ الدنيا أقلُها الشيخوخة والضعف وانعدام القوةِ والقدرة ، وإذا أردتَ أن لا يحسدَك الحاسدون أو لا تكونَ متعرضاً للنزاع والجدالِ حسب رغبتك فهذا أيضاً محال .

رأيت شخصاً في العالم مرتاح البال	ولكن ارتياحه هذا كان ظاهري
فلا ترى قلباً خالياً من الغم في العالم	فإذا كان فلا يكون هناك إنسان

فهذه الازعاجات والمنغصات ملازمةٌ لعالمَ الدنيا ، عالمِ التضاد ، عالم

---

(1) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٦ .

المادّة ، لماذا ؟ لأنَّ الحياةَ الهادئةَ لم تكن في الدنيا لأحد ولا حتى لمحمد (ص) الشخص الأول في العالم وكذا لم تكن للسلاطين ولا للحكام ولا لأي شخص .

الدنيا وطن الحيوان والآخرة وطن المؤمن :

سرّ هذا الحديث هو : ان وطنَ الإنسان لا يتمثلُ بوجوده على الكرةِ الأرضية إنّما يتمثلُ بالعالم العلوي فالكرةُ الأرضية مكانُ الغربة ؟ قل ذلك ؛ فإن السعادةَ لا يمكنُ ان تكونَ في الغربة ؛ ان الوطَن الأصلي جوار آل الرسول (ص) انشاء الله تعالى ، فلا يمكن المقايسة بين هذه الحياة ، حياةِ الحيوانات وبين حياةِ البشر ، فكلُ حيوانٍ على الكرةِ الأرضية يعيشُ بهدوء ؛ فلا منغصات ولا ازعاج نسبةً بأفضل وبأثرى الأفراد ، فإذا ما قِسنا بين الاثنين نرىٰ أن الحيواناتِ تحيا بهدوءٍ تامٍ لأن هنا هو وطنُ الحيوانات ووطنُ البشر هناك ، كلُّه سعادةٌ وبِشرٌ وخير .

من مقام العرش يأتيك النداء
ولا أعرف لماذا إنت وقعت في شرك الحيوانات

فراحةُ البشر المطلقةُ لا يمكن أن تتحقق إلّا بجوار محمد وآل الرسول (ص) .

فيا أيها الإنسانُ الذي تتوقع حياةً أفضل ، حقق في معنى الحياة فسترى أنك لن تجدَ دنيا بغيرِ منغصات لأنَّ ذلك محال ؛ وان الله تبارك وتعالى هيّأ لك مكاناً آخر تُظهِرُ فيه فعالياتك ونشاطَك وبسطَ لك فيه العدل ، صحيح ان الإنسان يسعى إلى بسط العدلِ لكن بشرط أن يكون هذا السعيُ من أجل الله تبارك وتعالى جهدَ الامكان ، فيسعى الإنسان أن يبسطَ العدل مثلاً بين رجلٍ وامرأته وبين عقله ونفسه حينها يتخذ العدل إلى نفسك سبيله .

السيد ابن طاووس ومنصب قاضي القضاة :

جـاء إقتراحٌ من بـلاط الخلافـة إلى الـسيد ابن طـاووس يتضمّن الـطلب بالقبول للتصدي لمنصب القضـاء في كلِّ الدولـة الاسلاميـة وقد نقـل الاقتراحَ السيد نقيب السادات ورئيس الشيعة والذي يسكن الحاله « فجاء من بغداد إلى الحلّة عارضاً منصبَ قاضي القضاة على السيد بن طاووس ، ومنصبُ القضـاء يأتي بالأهمية بعد منصب الخلافة ، فأجاب السيدُ ابن طاووس : أني لا أصلحُ لهذا المنصب فقيلَ له : وكيف يكون ذلك وانت على هذه الدرجة من التقـوى والعلم ؛ والجميع يعتقد بذلك ؟ فأجاب : انني ومنذ سنين في حربٍ ضروس مـع نفسي من أجل ايجـادِ العدل في سلوكهـا ، ومن أجل تحكيمِ عقلي على نفسي فلم استطع ذلك لحدِّ الآن .

بالعدل إحفظ لسانك وبالعدل إحكِم السيطرة على عينِك ، يدِك ، رجلِك قلبِـك وكلّك يجبُ ان يتحكمَ العدلُ بكـل ذراتك فـالعـدلُ يعني عـدمُ تجـاوز الأعمال فأيّ معاملةٍ وحديث تمكنّ منـه العدل ؟ واي عـاقلٍ ذاك الـذي سلَك باعضائه وجوارِحه طريقَ العدل فحيناً يظلمُ الإنـسان معدتَه بأكلِ لقمةٍ زائدةٍ على الحاجةِ مما يسبب له عسرَ الهضم : وحيناً آخر يظلم بكلمـةٍ في غيرِ محلّهـا ؛ فلماذا تفوهتَ بهذا الكلام ؟

أيها الشابُ العزيز ، ينبغي لك أن تمكِّنَ العدلَ في نفـسك ، إسع لأن لا تكون ظالماً ، إذن فالسعي في اصلاحِ النفس هو منعٌ لها من الظلم ، فإذا كان عملُك هذا لله فما أفضلُه ؛ ففي بعض الأحيان يعمل الإنسان من أجلِ اشيـاء أخرى ، وهذا ما يحدث في النفس الإنـسانية ولكن ذلـك يحسب حيفاً ، ومن الحيف لك أيها الإنسان ان تتعامل لغيرِ وجه الله ومن أجلِ نزوةٍ طائشة فإذا ما عملت عملاً محتسباً ذلك لوجه الله فكل صعوبةٍ أو نصبٍ ترى فإنَّ أجرَه وثوابَه لا يمكن أن يضيـعَ ﴿ لا يصيبهم ظمـأ ولا نصب ولا مخمصـة في سبيـل الله ولا

يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كتب لهم به عملٌ صالح إنَّ الله لا يُضيع أجر المحسنين ﴾[1] .

فإذا لم يكن العمل تظاهراً ولا رياءً بل من أجل الله حينها ترى الأَبَ يتسامح مع ابنِهِ وكذا الجار مع جاره فكلُّهم مؤمنون لا يظلُم أحدَهم الآخر ، وإذا ما منعت النفس من أجل المولى العزيز فإنَّ أيَ بلاءٍ يلحقُ بك أو ضرر فإنَّ اجركَ عند الله العزيز القدير محفوظ ، إذا قتلت وانت في واجب من اجلِ الله فإن اجرك على الله الرحمن الرحيم ، وبديهي بشرطِ ان لا يخالطَ نيتَك الهوى وإذا ما كانت النيةُ لغير وجهه تعالى فستكون اعمالك ﴿ كسراب بقيعةٍ يحسبها الظمآن ماءً ﴾[2].

القتل في غير الله لا فائدة منه :

نقل لنا الشيخ الغزالي مثلاً تجلّى في احدى الغزوات ان شهيداً إشتهر بشهيد الحمار ، فكان السبب في تسميته انه رأى احد الكفار يمتطي حماراً وقت الحرب فعجبه الحمار لما كان له من قوة ومنظر يجلب على الحسد فقال لصاحبه سأذهبُ واقتل هذا الكافر واسلبُه حماره ولكن ما حدث هو العكس تماماً فقد قتلَه الكافر فراح ضحية من أجل حمار ، فما هو هدف هذا الشهيد ؟! وما هو مراده ، ونقول ما كان هدفه فهو نصيبه .

فإذا ما كان هدفُ شخص تملك ارضاً وقتل في الطريق لهذا الهدف فيمكن اعتباره شهيد الأرض ، ان النفس الإنسانية العزيزة تصبح طرفاً لمعاملة على ارض على الرغم أن تمام المُلك من ارضٍ ومالٍ هو مال الله وكلّ ملك الله أمانة عند الانسان ، فما قيمةُ الماء أو الأرض حتى يبذلَ الإنسان نفسَه من أجلها إلاّ إذا كان هناك مبرّر حق ويكون طرف المعاملة هو الله جل وعلا فعلى سبيل

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٠ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٩ .

المثال : يريد الكافر أخذَ بلدٍ اسلامي وحينها يشيعون الكفرَ والظلم ، فمن أجل منع الكفرِ والظلم يجبُ الدفاعُ فإذا مـا قُتل الإنسـان ، قُتِلَ شهيـداً ، وإذا كان الهـدفُ شخصيّ وموهـوم ولا ينمّ عن حقٍ وحقيقة فحينهـا تحتسب القضيـة : مبادلة النفسِ بالأوهام .

أو مثـلاً ، من اجل ان يـظهرَ اسمـه في الصحيفةِ اليـوميـة بشكـل منمّق وجميل ، ويُطرونَ عليه في المذياع يسعى لأن يُقتل ، والحق يُقـال : ما اكثـر الأوهام التي تذهب بالبعضِ من الناس ، لذا فعلى الإنسان أن يكون راشداً في عقله ولا يتعامل إلاّ مع الله ولا يصرف نيتَه لغيرِ وجه الله ؛ فلا ينبغي له أن يبيعَ نفسه للأوهام بينما يقول القرآن الحكيم ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ﴾[1] فالذي يقايض نفسـه بالشهـرة والمال لا بـدّ وانه خسران وخسارته هذه التي يتصورها ربحـاً وفوزاً هي من اجـل المقام وكـرسيّ السلطة .

إن كل ما ينزّل يدرك ، فالذي تخرج نفسه عن قالبه يدرك تماماً أن روحه على حسب إدراكه وضيعة إلى الحد الذي يتعامل فيه مع غير الله ، ﴿ لا تفتح له أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾[2] .

وكيف يجد من مثل هذا عروجاً إلى عالم الإرتقاء ؟ ومهما يكن طـرف المعاملة فإن قيمته تبقى قيمة بشرية لا تـرقى إلى العوالم العليا ، وإذا ما أراد الإنسان معرفة قيمة وجوده فلينظر إلى من يتعامل معه ، ومن أجل مـاذا يتهافت الإنسان على الأرض والماء ؟ ان قيمةَ الانسـان هي هذه ؛ انك تركض وراء زينة الحياةِ الدنيا وزخرفها وهذه هي قيمتُك ومقدارُك لا غير .

فإذا تركتَ التعامل مع اللطيفِ الخبير ، فإن تعاملَك سيكـونُ حتمياً مـع

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٤٠ .

النفسِ والهوى والماء والتراب وبشكلٍ عام مع الشهواتِ وآعلم جيداً ان تتهاوى لحظةً بعد لحظة فكلما اقتربت من هدفِك ابتعدتَ عن الهـدفِ الأصلي ؛ الم تسمع القول الآتي « حلاوة الدنيا مرارة الآخرة » .

وكلما كنت مطمئناً في الدنيا فستكون في الآخرة محروماً وهذا مصـداق للآية التي تقول : ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾[1] .

فعنـدما يَحصـلُ الإنسان على مبلغٍ من المـال تراه ينسى كـل أخـطائـه ومساوئه ويبدو عليه البِشْر والسعادة لما له من اطمئنان بالدنيا .

اما انتم يا من تمتلكون عقيدةً راسخة تعلمون جيـداً بحتميّة اليـوم الآخر وان الدنيا لعبٌ ولهو ومَمَرٌ إلى الآخرة ؛ ﴿ وإنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ﴾[2] .

لا ينبغي لكم أن تكونوا مسرورين بدنياكم هذه بـل ينبغي لكم أن يكون املكم في الله وفي الوصول إلى حوض الكوثر ؛ لقد قال رسول (ص) في خبرٍ متواتر في الأيام الاخيرة من عمره الشريف ما مضمونه : سأذهبُ عنكم عـاجلاً إلى حوضِ الكوثرِ وسأكون منتظراً لكم هناك .

على الفرد المؤمن بمحمد (ص) ان يكون دائم التفكر في يوم الآخرة فهو بين الجميع وقلبه في مكان آخر ، ضمنـاً لا أقول لكم لا تسعـوا في الدنيـا بل اقول دعوا الحرص جانباً ولا تبخسوا الناس اشياءهم فأنا لا أحبذُ لكم الجلوسَ في الـدار بلا تحمـل بـل إنَّ القـرآن يقـول لكم ﴿ وسـارعـوا إلى مغفـرةٍ من ربكم ﴾[3] دعو الراحة والهدوء إلى وقت الجلوس على حافة حوض الكوثـر ، أنفقوا اموالكم في سبيله سبحانه واعملوا الخيرات ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾[4] .

---

(١) سورة يونس ، الآية ٧ .
(٢) سورة الحج ، الآية ٧ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٨ .

وفي الواقع نرى البعض يوصي كثيراً ويقترح على الآخرين مسألة الانفاق ولكنه لا يعمل بما يقول ، وشغله الشاغل هو تحويل الإنفاق إلى من سواه ، ولكنه وحين يسمع بقطعةِ أرضٍ في المنطقةِ الفلانية يمكن أن يستفيد منها بعد مدةٍ ارباحاً طائلة فإنه يسارعُ إلى شرائها .

علي (ع) ينشط من أجل الآخرة في رمضاء الكوفة :

يقول الراوي في الجزء التاسع من بحار الأنوار ما مضمونه : رأيت امير المؤمنين (ع) في الكوفة وكان ذلك قبل الظهر بقليل في جلسةِ إتكاءٍ على حائطٍ فقلت لماذا انت هنا ؟ ولماذا لا تجلس في الظلِ وتترك هذه الشمس المحرقة ؟

فقال : جئت إلى هنا علّني انفع في نصرةِ مظلوم ، واثناء الحديث جاءت إليه إمرأةٌ باكية وهي تقول : يا أمير المؤمنين انصرني ؛ ان زوجي عذّبني وطردني من الدار فجئتُكَ شاكية فقال (ع) اين هو منزلكُم فقالت في المكان الفلاني ، بعيدٌ عن هنا ، فسرنا ، أمير المؤمنين وأنا والمرأة حتى وصلنا إلى بابِ الدار ، وبعد طرقِها فتح رجلٌ لنا الباب ، ولم يتعرف إلى أمير المؤمنين ، فقال (ع) للرجل : لماذا لم تراعِ حقّ الزوجة ، ولا تعاملها بالعدل ، وبعد أن أفاض الإمام (ع) على الرجل نصائح جمة أمرَهُ بأن يعطيها الحق من نفسه ويسلك معها سلوكاً حسناً ، وبعد أمْرِ امير المؤمنين هذا بدأ الشابُ المغرور بتلفظ كلماتٍ خلافَ الأدب وقال : بسبب شكايتها لك عني فإنّي سأُريها الويلَ والثبور ، فسلَّ أمير المؤمنين سيفه ذو الفقار وقال : سآمرُ بالمعروفِ لما قلت من كلماتٍ نابية ، فرأى الشاب ان القضيةَ حامية وفي هذا الوقت يمرُّ شخصٌ ويُسلم على أميرِ المؤمنين ويقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين فيجمد الشابُ في مكانِهِ وكأنَّ على رأسِهِ الطير ويعتذر إلى الإمام ويطلبُ منه الدخول إلى الدار قائلاً : أقبلُ أمرُكَ بكلِّ إحترام بل اضعُ وجهي على الأرض لتمرَّ عليه زوجتي بحضورك ، فشكره الإمام على طاعته .

دخلت المرأة بيتَ زوجِها بعد ان اوصلَها الإمام (ع) إليه ، فشكر الإمام (ع) ربه لما مكّنه الله من اصلاحِ ذات البيت ووفقّه لعمل الخير .

ان الإنسان الجديرَ بالحياة هو ذلك الذي يبحث عن صلاحِ نفسه من خلال نصرة المظلوم والضعيف والملهوف . ناهيك عن الأذكار والأوراد وهذه كذلك أحدُ فروعِ الإصلاح ، وخلاصة القول : استفد من عمرك العزيز في عملِ الخير واستثمره في الصلاحِ والإصلاح .

كلُّ نَفسٍ من انفاسِ عمرك كالجوهر فَقُد [من الإنقياد] نفْسَكَ صوبَ الباريء .

إن كلّ فروعِ الخير عملاً أو قولاً ، وتمامَ الشؤون التي تتعلقُ بأعمالِ وأقوال الخير ترجع بالأساس إلى المعارفِ والإدراكات التي يجب أن لا نضيعهّا جهدَ الإمكان ، فاذهب ايها الشاب وتعرّف على ربك ، بل ان ما لديك من الفهم والإدراك يزداد بزيادة معرفتِك وحريٌّ بك ان لا تتوانى في هذا المجال .

اترك العملَ بالهوى والنزوات النفسانية وتعالى إلى التعامل مع الباريء المصور ؛ واجعل « القبر روضةٌ من رياضِ الجنة ولا تجعله حفرةً من حفر النيران ما نريد ان نقوله هو : ان مكانَك في البرزخ هو هكذا : بدنك تحت التراب وروحك في عالم البرزخ في راحةٍ وسرور في بستانٍ من بساتين الجنة أو لا سمح الله في إحدى الحفر مسجونة تضغطها النارُ من كلِّ جانب .

نحن نقرأ في الدعاء « ظلمت نفسي وتجرأت بجهلي »[1] الغرض من ذلك أن يبدلنا الله شؤمَ الدنيا بخير الآخرة .

---

(١) من دعاء كميل بن زياد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) انظر في مفاتيح الجنان المعرب ، ص٦٣ .

« الصبر »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنّات عدنٍ ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾[1]

الصبر قياساً بدرجات الإيمان :

ان الحديث عن الصبر واهميته كان ضمن ما تحدثنا فيما سبق ، فبدون الصبر لا يستقيم الإيمان بل أنْ الصبر والإيمان متلازمين وبتعبير آخر أحدهما علة والاخر معلول ولا يبتعد أحدهما عن الآخر ، يعني إذا عدم الإيمان لا يتأتى للشخص أنْ يصبر ، وإذا عدم الصبر لا يمكن للشخص أنْ يكون مؤمناً . بل يمكن اعتبار الدرجة الابتدائية من الإيمان وجود الصبر وهو ما يقتضي حصول

---

(١) سورة الصف، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

درجة أعلى من الإيمان ، ودرجة أخرى من الإيمان تقتضي نوع من الصبر ، فإذا ما صبرَ الشخص فذلك دليل على ازياد الإيمان وإذا ما زاد الإيمان فسيكون ذلك سبباً في إزدياد الصبر .

وباعتبار أن الصبر والإيمان ودرجات كل واحد منهما علّة ومعلول احدهما للآخر يستحيل الصبرُ إذا ما عدم أصلُ الإيمان ، فإذا ما بانَ الإيمان وُجِدَ الصبر ، فالإيمان القوي هو أرضيته صلبةٌ لصبرٍ سديدٍ وفي النتيجة يرقى الإيمان إلى درجاتٍ سامية .

ايمان الطفل وثدي الأم :

أجدُ نفسي مضطراً لذكرِ مثالٍ مفصحاً عن حقيقة ؛ فالطفل في سنِ الرضاعة أي السنة الأُولى والثانية لا يؤمن بشيءٍ غير ثدي أمه ، إدراكه يدور حول الثدي فقط ، فإذا ما مُنع عنه لا يَصبر فتراه يبكي وينزعج ولا يمكن أنْ يهدئه شيء لأنَّ إدراكَه لا يتعدى ثديَ أمّه ، وسببُ عدمِ صبره لعدمِ معرفته غير هذا الثدي ، ومتى ما اتمّ السنةَ الثانية فانه سيفهم اشياء أخرى علاوةً على الثدي من مثل الغذاء البسيط فإذا ما تعددت الأغذية قليلاً قليلاً فسنجده يفقد علاقتَه بالثدي وحين يكتمل وضعُ برنامجِه الغذائي ويستأنس بالمأكولات المتنوعة عندها لا يعتني ابداً بثدي امه .

الايمان بالآخرة والصبر في الدنيا :

عندما لا تكون لديك اخبارٌ عن عالم الغيب فلن يكون لديك إيمان بالله واليومِ الآخِر في الوقت الذي لم تفهم شيئاً ما خلا أوضاع الدنيا كيف يتأتى لك الصبرُ على الدنيا ومصيباتها ، إذن يلزمك هنا حالة غير مطبوعة لتتمكن من الصبرِ على مصائب الدنيا لأنك قبل هذا لا إدراك عندك وكما هي الحالة الأولى التي عرضنا لها المتمثلة بالطفلِ والثدي .

نعم ، إذا ما حصل الإيمان ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾[1] وفهمتُ أن هناك عالماً آخر ، وما هو هنا زائل ومؤقت وان هناك حياة عظيمة فيها المسرات والسعادة الكبرى وانت لم تكن لتدري بأنْ وراء الحُجب نَعمٌ كثيرة ربّبها الباريء لك ﴿ **فلا تعلمُ نفسٌ ما أخفي لها من قرّةِ أعين** ﴾[2] فإذا ما صدّقت هذا المعنى وقبلتَهُ من الرسول (ص) حينها لن يتعلق قلبُك بالدنيا ، وما كان من تعلقك بهذه الحياة التي رأيتَ منها المسرّة والمصيبة هو أمرٌ طبيعي لأنك لم تكن لتعلم أنّها دارُ غرور ولعبٌ ولهو قياساً بتلك الحياة الأصلية ﴿ **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر** ﴾[3] .

فحزنك لماذا ؟ وعدم صبرك لماذا ؟ وكل شيءٍ لديك سلمّته إلى الدنيا لأنك غافلٌ تماماً عن العالم الأعلى . ﴿ **بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون** ﴾[4] ؛ مثل هذا البشر لا يمكن أن يتعدى إدراكه وحدّ علمه الماديات ، وهذه الحياة التي يعيشها تعتمد التراب والأرض فلم يتوصل إدراكه إلى مسائل الحياة الاخرى ؛ لك من العمر سبعين سنة ولا تعطي من وقتك ساعة تتفكر فيها في العالم الذي ستؤول إليه ، وليس هناك تعبير أرفع من التعبير القرآني الذي يقول : ﴿ **في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾[5] .

﴿ **فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله** ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣ .
(٢) سورة السجدة ، الآية ١٧ .
(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٠ .
(٤) سورة النمل ، الآية ٦٦ .
(٥) سورة المعارج ، الآية ٤ .
(٦) سورة ابراهيم ، الآية ٤٧ .

﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾[1] .

لقد وعد الله وعداً عظيماً للذي كان مؤمناً حقاً ، وكذا نوّه وصرّحَ الأنبياء والرسلُ سلام الله عليهم أجمعين ، فالصبر يدفعُ بالإنسان إلى الإيمان ، على عكس ذلك الشخص الذي يُعطي أهمية خاصة للدنيا بسبب عدم معرفته وعلمه لما وراء الموت ، فإذا ما تكامل نموُّه العقلي وعلِم أنّ هناك عالماً آخر حينها سوف يقطع أملَه من الدنيا الفانية ويتوجه بكلِّهِ صوب الآخرة الباقية .

تهاجرا فخرجا من الاسلام :

جاء في روايات أهل آل الرسول (ص) في أصول الكافي ومَنْ لا يحضره الفقيه عن الصدوق بسندٍ متصلٍ ومتواتر على خاتم الأنبياء محمد (ص) انه قال ما مضمونه : « أيّما مسلمَين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاّ باتا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية »[2] .

لقد باتت الدنيا عندك مهمة وان العالم الاخر ليس مهماً !! تفكّر جيداً في حكايات الجنة والنار فعجباً لك يتعلقّ إيمانك بهذه الدنيا الزائلة ؛ فالشخص الذي يعتقد ويصدق بالحياة التي هي بعد الموت يرى مسائل الخصام والتهاجر مسائل طفولية ومن هنا جاءت عبارة « خارجين عن الإسلام » لانهما في ظاهر الأمر يفتقدون الاعتقاد في الحياة الأخرى .

أي خوف هو الذي يذهب نومك ؟

إنك عندما تسمع حديثاً قيل في غيابك تتأثر جداً إلى درجة لا يغمض لك جفن ولكن كيف يتأتى لك النوم وانت قد سمعت بشدائد أول ليلة في القبر ، انها من المسلمات ان يكون الأول مؤمناً اسماً ورسماً ، أما الثاني فإيمانه لا

---

(١) سورة التوبة ، الآية ، ١١١ .

(٢) اصول الكافي ـ الكليني ج٢ ص٣٤٥ .

يتعدى حدود المال والمنال والجاه والمقام .

هل حدثَ يوماً أن بلغ تأثيرُ هذا الخبر المهم على شخصٍ وحرمه نومه ؟ ينبغي ان يكونَ ايمانُه بالعـالَم العلوي ، فإذا مـا لم يكن إيمان بـالله وبالاخـرة وبسؤالات القبـر ، ويذهبُ القلبُ إلى العـالم الأعلى بشكـل بقي على تعلقـه بـالحياة الـدنيا وآمـالها ، فهنـا يتجسم السقوط في عـالَم البرزخ وحينَهـا يقول الانـسانُ ﴿ رب ارجعوني * لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلا . . . ﴾[1] .

الم تحرّك كل هذه الدعوات الالهية قلبك ، فيا ايها الشاب تحرك بعلاقةٍ نحـو العالم الاعلى واسـأل الرحمن الـرحيم وقل « اللهم إني اسئلك الايمـان والأمن بك والتصديق بنبيك » .

يرقى الايمان ببركة الصبر :

عندما تكون مؤمناً بالله وبالغيبِ وبالعلم العلويّ فسيكونُ إيمانُك هذا سبباً يمكنُـك من الحؤول دونَ ارتكاب المعـاصي لأنك أصبحت على علمٍ بـاخبارِ العلم الأخر وهذا الحؤول دون ارتكابِ المعاصي يرقى بك إلى درجاتٍ سامية من الإيمـان ويعبّر النبيّ الأكـرم (ص) فيقول فيمـا يروى عنـه بالمضمـون : لو صبرتَ على المصائب كموت الولد وفقدان المال يرفعُك الله ثلاثمائة درجة في الإيمان ابتداءً من الأرض وحتى العرش وإذا ما صبرت على الواجباتِ رفعَك الله ستمـائة درجة كل درجـة بمقدارٍ يبـدأ من تخوم الأرض وحتى العـرش وإذا ما صبرت على المعاصي رفعك الله تسعمائة درجة .

فكلما كان الصبر شديداً كان إيمان الإنسان قـوياً وكلمـا زاد بالصبـر زاد إيمان الفرد حتى يكـون ذا حظٍ عظيم ، وقـد ذكرنـا في ما سبق مثـالاً عن الأم والطفل فحينها قلنا : عندما تريد الأم أن تمنع وليدَها من ثديها في الأشهر الأولى

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ ـ ١٠٠ .

يمتنع الطفل عن الامتثال إلى ذلك لما له من علاقة فلذا لا تعمد الأم إلى فعل ذلك دفعةً واحدة لطبيعتها العاطفية ولعلمها أنَّ الطفلَ في هـذه الحالـة سيكونُ عرضةً للتعقيد ، لذا تتدرج الأم في هذا الأمر من خلال اطعام الطفـل الطعـامَ البسيط من حلويات وأغذية سائلة إلى أن تصلَ به إلى وضع يتحمل فيه الطفلُ ويصبرُ على تركِ الثدي معوضةً ذلك بـالأغذيـة الأخرى « فـالطفـل يصبر على حلاوةِ الأغذية الأُخرى ويتركُ الثديَ المطليَّ بالمرارةِ لأنّه عَلِمَ أنَّ غذاءه توفّر من مكانٍ آخر هو غير الثدي ، على الرغم أنّه قد يعاني وينزعج في أول الأمر ولكنه يسلّم حين يطمئن إلى مصدر آخر للغذاء .

يبدل الله مرارة المصيبة بحلاوة الإيمان :

إن الله تبارك وتعالى أرحم من الوالدة على ولدها ، فالشخصُ الذي يروم العالَمَ العلويّ ويريد ان يُصبح ربانياً الهياً ومحمدياً يجعل الله لـه حلاوة الـدنيا مُرّة ، يُرسِلُ إليه البلاء من أجل ان يطلِبَ الآخرة ، فالبلاء للمؤمن يُعدُّ من أكبر النعم فهو يسمو به من التراب إلى المقامات العلى ، ويُرسِلُ الله بلايا أُخَرْ حتى يقـولَ المؤمن : إلهي متى أصيـرُ إلى جِـوار عليّ (ع) ؛ ويتجلّى هـذا البـلاءُ خصوصاً قبلَ الموت بشكلٍ مرضٍ يتلطف به الباري جلّت قدرته ليرقىَ المؤمن إلى طَلب الآخرةِ بشكلٍ أعمق واكثر جدّية .

إنَّ بعضَ الأجلّاء يُفسِرُ الروايةَ التي تقول « ما تـرددتُ في شيء كترددي في قبض روح مؤمن » كالتالي : هو ان أحد معاني التردد في الحديث الشريف هي البلايا ، فعندما يكون العبد مورد لطفِ الله يبتليه بمصيبات مريرة ويقسم له قبل موتـه اي في حالـة نزع الـروح لكي تتعلق عيناه بعليّ (ع) فيسـلّم أمـرَه لله الخالقِ المصوّر ؛ هل سمعت :

كـلّ من كـان اقـرب لله في ايمـانـه   سـوف يُعـطى كـأس بـلاءٍ ملئى

لقد جاءَ في الـرواياتِ المتـواترةِ والكثيـرة أن اشدّ البـلاء أول ما يصيب

الأنبياء يعقبهم الأولياء والأوصياء وبعد ذلك المؤمنين على قدر درجاتهم « إنَّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم الأمثل فالأمثل »[1] .

ويقول الإمام جعفر الصادق (ع) : « ان المؤمن بمنزلة كفة الميزان كلّما زيد في ايمانه زيد في بلائه »[2] .

وعلى هذه الموازين يريد الله تبارك وتعالى ان يصل البشر إلى مقامات سامية ، وطريق الواحد الأحد هو هذا ، فإذا ما ظننتم ان تصلوا إلى الدرجات العُلى من الإيمان عن طريق الترف والبذخ فذلك خطأٌ فاضح « وواضحٌ هذا في دعاء النُدبة حيث تقرأون » بعد أن شرطتَ عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة »[3] ، فلقد كان شرطاً مع الأنبياء والأئمة ان يمارسوا الزهد ويصبروا عليه ، وإذا لم يكن هناك صبر فليسَ هناك سموّ ولا رقيّ ، فالصبرُ على البلايا يصلُ بالإنسان إلى العبودية لله ، ومن خلالِ الصبرِ يحظى الإنسانُ بلطفِ المولى تعالى في الدنيا والآخرة .

انموذج من التلافي الإلهي على يوم القيامة :

يعوّض الله جلّت قدرتُه المؤمنَ في يومِ القيامة .

الـهي انـني عـبـدٌ فـي بـلاطـك   فدعني أجوزُ العرش الأعظم مبتسما

فيأتيه النداءُ : يا أيُّها المؤمنُ الذي تحملُ البلايا والمصائبَ وصبَر علَيها في سبيلي فاليومَ اعوّضُك عن تلكَ الأيام .

ان الذي آمن بالغيب يصدّق هذه المسائل ، وعليكم انتم كذلك أن تيقنوا أن أهلَ الصبر يحظون بالفعلِ بهذه الدرجات وتلك المقامات ويصلون

---

(1) سفينة البحار ، ج1 ص105 .
(2) سفينة البحار ، ج1 ص106 .
(3) دعاء الندبة في مفاتيح الجنان المعرب ـ لعباس القمي ص532 .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لتبلونَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور ﴾[1]

صعوبة الصبر على المعاصي والأجر العظيم :

جاء في اصول الكافي في رواية عن خاتم الأنبياء محمد (ص) يقول فيها ما مضمونه : «إن المرتبة الأولى في الصبر هي : الصبر على المكاره والمصائب والبلايا وللصابر فيها ثلاثمائة درجة والمرتبة الثانية هي الصبر على الطاعات وفيها يحصل الصابر على ستمائة درجة أما المرتبة الثالثة فهي الصبر على عدم المعاصي وهي أصعب مرتبة ففيها يحصل الصابر على تسعمائة درجة » .

فإذا ما تهيأت أسباب المعصية يقتضي أن يمتنعَ الإنسان عن الوقوع في المعصية وهذا ما يحتاج إلى قدرةٍ عالية ، فالشاب الذي يمتنع عن المعصية في خلوته مع إمرأة اجنبية مع توفّر كل مستلزمات المعصية يكون كفّ النفس فيها صعباً جداً أو فقير مبتلى ويتفق أن يكون مال الآخرين تحت يديه من مثل مال

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

وقف أو امانة وهو محتاج ولا يملك من حطام الدنيا شيء فهنا يكون الامتناع عن عمل المحرم صعب ، لذا قال رسول الله (ص) بأجره العظيم وعدً له المولى جلّت قدرته تسعمائة درجة كل درجة تبدأ من تخوف الأرض إلى منتهى العرش ؛ وتقسّم هذه الدرجات إلى واجب ومستحب .

أولاً على كل مسلم أن يعرف الواجبات والمحرمات فيسعى ألاّ يفوتّه الواجب ويكابد من اجل عدم الخوض في المحرم .

فكل إنسان يصدر منه عمل محرم يتضاءل ايمانه ، وإذا ما زاد في الأعمال المحرمة فان أصل الإيمان يضحى في خطر ، فإذا ما تهاونت في الصبر على الخطايا فكن على يقين ان ايمانك في خطر ، فالذين يستصغرون المعاصي ويستهزؤن بها يتحولون إلى كفار بدليل الآية التي تقول : ﴿ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآىٰ أي كذّبوا بأيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾[1] .

فإذا لم تكن من الصابرين على تنفيذ الطاعات أو عدم الدخول في المعاصي فاعلم أن إيمانك في خطر ، وبناءً على هذا تكون مراتب هذا الصبر واجبة ، وان هذه المراتب الثلاثة من الصبر ينبغي أن تكون واضحة ليتمكن الإنسان من معرفة الصبر الواجب .

البلايا التكوينية غير الإختيارية :

المرتبة الأولى التي تعرضنا لها من الصبر هي : الصبر على المصائب والبلايا ، فالأشياء التي هي خلاف رغبة الإنسان على نوعين : نوعٌ منها تكويني : أي الأمور التي لا ترتبط ابداً بفعل البشر ولكنها تزعج الإنسان وتُثير حفيظته من مثل الأمراض والفقر والحاجة وكلها ليست من ضمن اختيارات البشر بل هي قضاء الله وتقديره الإلهي بناءً على مصلحة أو حكمة يعلمها الله وحده

(١) سورة الروم ، الآية ١٠ .

ومن جملتها موت الأقارب والإبناء وما شابه ؛ وقد تكررت في القرآن المجيد الآيات التي تشير إلى هذه المسألة فيقول البارىء جلّت قدرته : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في مقامها ﴾[1] وقال عز من قائل في آية اخرىٰ :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكِلّ بكم ﴾[2] ، ومن المكاره التكوينية البرد القارص والحر الشديد الذي لا دخل فيه للإنسان ؛ كل هذه المكاره يكون الصبر عليها واجب فلا يجوز فيها الجزع والاعتراض ، لذلك يجب الصبر على كل مسلم فيها .

فالاعتراض هنا على القضاء الإلهي هو أحد حدود الكفر ، واضطرام الغيظ في الصدر من البلايا التكوينية حرام ولا يجوز ابداً ذكرها باللسان .

فعلى سبيل المثال ، كان مرض الشخص الفلاني سبباً في خروجه على حالة الصبر حينذاك يتقوّل الأقاويل ويرجع السبب إلى أن الله جلّ وعلا أراد به هذا المرض ليضّر به حرام ؛ فالصبر على المرض أو في ما يشابه هذا المقام يعني عدم الإعتراض على الواحد الأحد .

وقد ذكر لنا كتاب وسائل الشيعة في باب آداب المريض روايات كثيرة من جملتها سؤال عدّة من الناس لأحد المعصومين ، كيف يكون الصبر بشكاية وكيف يكون بدون شكاية ؟ فأجاب سلام الله عليه : إذا سُئِلَ من مريضٍ كيف حالك اليوم ؟ فيجيب : لقد ابتليت ببلاءٍ لم يبتلِ به أحد قبلي !! هذه شكاية » .

فالشكاية أن يقول الشخص : قضيت الليلة البارحة بشكل لم يكن

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٤ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١١ .

ليقضيها أحد ، لا ادري ما الذي فعلته حتى يقول الله معي هذا الشيء ؟! بينما كان الأجدر به ان يقول : قضيت ليلة البارحة محموماً ويصرف النظر عن اخبار الواقع ، أويقول : لم انم ليلة البارحة فادعوا الله لي بالشفاء من مرضي .

الاعتراض على قضاء الله علامة عدم الإيمان :

﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما ﴾[1] .

إذا كنت تعلم أنّكَ عبدٌ لله فما هو اعتراضُك ؟ ما الذي تعنيه من كيف ، ولماذا ؟ فإذا ما كنت تعلم ان لك خالقاً مدبّراً هو الذي أتى بك وهو الذي يأخذك وهو الذي يحفظك ، رزقُك منه وكلُ شيء لك منه ، إذن فلا حق لك بالإعتراض على المولى العزيز القدير بل هو الذي له الحق عليك انت المخلوق وهو الخالق أنت الذي تقول عقبَ الصلاة « رضيتُ بالله ربّاً » .

إذا كان المربّي هو الله فلا ينبغي للعبد أن يُبدي وجهة نظره ، فالصلاح لا تعرفه انت وانما الذي يعرفه هو الله وحده لا شريك له ولا يكن عملك نظير أعمال المسلمين في صدرِ الإسلام حين نصّب النبي (ص) علياً (ع) رئيساً عليهم فاعترضوا وقالوا : من المفروض أن يكونَ الشيوخ هم الرؤساء وبعد ذلك يأتي دورُ علي (ع) وما كان اعتراضُهم هذا إلاّ على الله والنبيّ حين كان قصدهم بأفضلية علمهم وترجيحه على علمِ الله والرسول (ص) .

إذن ، فالصبرُ على المكارِه والبلايا التكوينية واجب ، ولا ينبغي الاعتراض والجزع والفزع المتضمن للإعتراض ، فالبكاء في المصيبة لا عيب فيه ولكن إذا تعدى الأمرُ إلى اكثر من ذلك يحسبُ حسابَ الجزع من مثل شقّ الجيوب واللطمِ على الخدود ، وقد ذُكرت هذه القضايا بصورة مفصلة في

---

(١) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

الرسائل العلمية مع توضيح دقيق ومفصل .

الصبر على البلايا التي تأتي بفعل الآخرين :

إن المكاره الثانية في عالم اليوم هي تلك المكاره المصائب التي تنزل على الإنسان بفعل الآخرين أي بفعلِ البشر ولا ترتبط بالقضاءِ ولا بالقدر كأن يكون أكلُ اموال الغير ، أو الإسقاط في نظر الناس ، أو الإهانة ؛ فكيف يكون الصبرُ على هكذا مكاره ؟

هذه المكاره على شعبتين ، الأولى امور حرّمها الشرعُ الإسلامي واعطى الشرع الحق الإنسان المبتلى فيها » وعدم الصبر عليها قبل تعيين الشارع المقدس لذلك الإنسان حرام ، فعلى سبيل المثال : لو كان شخصٌ شتمك ووصفك بوصفٍ خلافَ الشرع والأدب ، فلا يجوز لك الردّ بالمثلِ بل عليك الذهابُ إلى حاكم الشرعِ وحينها يجلد المتجاوز ثمانين جلدة إذا ثبت لكَ الحق عليه ، وإذا سبّك شخصٌ ونسبَ أشياءً لا تليقُ بالمسلم إلى امِّك أو اختِك ، في هذه الحالة يحق لأختِك أو لأمك المطالبة بجلده بعنوان انه قذفهم لما ليسَ فيهم .

ان التجاوزَ على الحدِ المعين الذي قضىْ به الشارعُ الإسلامي حرام أيْ أن شخصاً سلبَ مالَك يحقّ لك مطالبتَه بالمال ولكن لا يحقّ لك سبّه وشتمه ولا يحق لك أن تذهبَ بماءِ وجهه أو تضربَه أو ما شابه ذلك .

الانزعاج من خلال المعاشرة :

ثانياً : قد تتأتى بعض الإزعاجات من خلالِ معاشرة أو محادثة الزوجة الزوج ، الاخ ، الاخت ، الشريك ، رفيق السفر ، وغيرهم فقد يتحدث أحدُهم بشيءٍ خلافَ رغبةِ السامع فينقلب الحديثُ إلى جدلٍ على مسائِل تافهة ولا تنسجمُ مع الروحِ البشرية السامية ففي هذه الحالات يكون الصبرُ واجباً ، ولا ينبغي أن يكونَ حديثُ الأوهام سبباً للحقدِ والعداوةِ وتكدير الصفو .

إن فلاناً لم يأت لفاتحة والدي وانا قبال ذلك سوف لن اضعَ قدمي بعـد اليوم في بيته ، ان فلاناً لم يسلّم عليَّ وانا بعد الآن لن اهتمُّ به ولن أحدثُه .

ان الشخص الذي يسعى وراء هكذا أحاديث خيالية وأوهام بعيدٌ كلَّ البعد عن الإيمان ومعرفتِه ؛ أين هو عقلُه ، ان هذا الشخص عليه أن يتسامىٰ ويرقىٰ إلى درجةٍ يصلُ معها إلى عدمِ الإهتمام بهكذا أحاديث طفولية .

الجمل والهاون ، وصوت الحذاء :

لقد كان للسلطان محمود الغزنوي جمل حملَ على ظهرِه هاوناً يستخدمه لطحنِ الحنطة والشعير وما إلى ذلك ، وعند مرورِ الجمل في أحـد الأزقة وإذا بطفلٍ يخلعُ نعليه ويضرب أحدَهما بالآخر ليُخيفَ الجمـل ، وكأنّي بـالجواب يأتي من الجمل : أيها الطفل : ان صوتَ الهـاون ما يـزال في أذني فما قيمـة صوتِ نعلك .

أنت أيضاً أيها المسلمُ عليك ان تكبر وتسمو من خلال سماعِك لدعاةِ الله الأنبياء لتتحرك صوبَ هدفهم ولا ينبغي لك أن تهتمَّ بالأحاديث التافهةِ الجزئية .

في خبرٍ عن أنَّ الإمامَ علياً (ع) كان ولمدةِ ستة أشهر يقولُ للمصلين بعد صلاةِ العشاء ما مضمونة : « تجهزوا رحمكم الله فإن أمامكم عقبةً كئوداً ومنازل مخوفة » ، هذا هو صوتُ علي (ع) يجب أن يبقى أثره دوماً في أذنك لا القيل والقال الصبيانية .

وقد روي عن النبي (ص) أن البعضَ يبقى أربعين عاماً باهتاً ، يخاف ؛ وهذه حقائق وليست بقصص .

يقول اميرُ المؤمنين سلام الله عليه في مـا روى عنه بمـا مضمونـه : « لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »

من أجـل ماذا أتخـاصم على الرغم انني لا أعلم عـاقبةَ امـري الى أين

تؤول ، واكثرُ اعمالي هنا صبيانية ؛ وبعد الموت لكل مؤمنٍ درجات ومقامات ولكنّي لا أعلم ما الذي سيحدث لي ؟ .

تهديدات لمن يتخاصم من المؤمنين :

عليكم أن تصبروا قبال أفعال البشر مهما كانت غير ملائمة فالصبر هنا واجب ، وحرامٌ هو التخاصم بين المؤمنين بدافع الأهواء الشخصية فالخصام يُبعد الانسان عن رحمة الله الرحيم ويقرّبه من الشيطان الرجيم ، فقد جاء في بابِ الهجرة من كتابِ أُصول الكافي روايات كثيرة ومسندة عن ان الامام الصادق (ع) يلعن فيها المتخاصم ؛ فعلى إحدى الروايات يقول (ع) : «لا يفترق رجلان على الهجران إلاّ استوجب أحدهما البراءة واللّعنة ، وربّما استحق ذلك كلاهما .

فقال له معتّب : جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم ؟ قال : لأنه لا يدعوا أخه إلى صلّة ولا يتغامس له عن كلامه ، سمعت أبي يقول إذا شارَع اثنان فعازَ أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه : أي أخي أنا الظالم ، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فإنَّ الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم»[1] .

وبالخصام يتعرض المؤمن للخطر ، فيقبض الشيطان على قلبه فلا تجعل له إلى قلبك من سبيل ؛ فصاحبك هو الذي بدأ بالخصام ولكنك تستطيع أن تصلحه بقولك أنا ظلمتك أو انا ظالم وما قلته صحيح لأنه من منّا لم يظلم نفسه « ظلمت نفسي وتجراتُ بجهلي . . . وخدعتني الدنيا بغرورها »[2] .

وقد روي أيضاً أن الشيطان يغشى عليه حين يرى اثنين يصطلحان من كثرة

---

(١) الاصول من الكافي ـ للكليني باب الهجرة ج٢٣ ص٣٤٤ .
(٢) دعاء كميل في مفاتيح الجنان المعرب ، العباسي القمي ص٦٣ .

إنزعاجه إننا نقرأ في مناجاة زين العابين (ع) في الصحيفة السجادية ، « الهي وارفعني عن مصارع الذنوب » فكل ما يوافق هوى النفس ونزواتها هو من مصارع الذنوب في مقابل الصلاة والصيام وهذا ما قال فيه رسول الله (ص) بإعطاءِ ثلاثمائة درجة لمن يصبر على بلايا الدنيا ، وإذا لم تكن لتفعل ذلك فكيف يتأتى لك التعامل مع الصلاة والصوم أو بعض الأعمال المستحبة التي تنسجم ورغباتك والبعض قد يكون منها بأمرٍ من الشيطان ، وتشخيص هكذا مسائل مشكلٌ جداً ومن اجل توضيحٍ اكثر استعرض عليكم انموذجاً .

نصب الحجّ ، واعطاء الماء للأم :

يقول أحد أهل المعرفة ، كنتُ اسافر إلى مكة ماشياً فيما مضى ؛ على الرغم من أنَّ السفر في السابق صعبٌ جداً لما فيه من مشيءٍ على الأشواك والرمال وعبور الأنهار ، وفي أحد الليالي الباردة وحينما كنت أريد الحج وكانت برفقتي والدتي ، وبعد منتصفِ الليل نادتني والدتي تريد قدحاً من الماء ، فتقاعست في الأمر هذا لأنَّ الجوَّ كان بارداً جداً خارجَ الحجرة فقلت له : اصبري يا والدتي فلم يبقَ شيءٌ على طلوع الفجر ، وأخيراً صبّرت والدتي نفسها على الإنسجام مع العطش حتى طلع علينا الصباح .

وفي الغد بدأت افكّر بنفسي وبحالي وبعملي الذي عملته ، فأنا أسير على الأشواك في البرد القارس للوصول إلى مكّة المكرمة في الوقت الذي لا أطيع والدتي مع العلم ان طاعتَها واجبة ، وحينها فهمت أن ما أُعانيه من تعب ونصب في سبيل الحج يختلطُ معه هوى النفس .

إذن ، لا معنى من ان يحجَ الإنسانُ حجاً مستحباً ويتحمل في سبيله كلّ هذه المشاق وفي نفس الوقت لا ينفّذ الأمرَ الواجب ولا يراعي حقوق الأُمومة !!

الجفاف المقدس كمين الشيطان :

يقولون لك ان خصامَك حرام ، فلا تلتفت إلى ما يقال لك ؛ ومع ذلك

تبحثُ عن الأعمال المستحبة لتقوم بها ، وهذا هو الهوى النفساني وكمين الشيطان ، وليس فيه نفحة رحمانية ، وإذا ما كان الانسان يعمل خالصاً لوجه الله فانه سيعطي الواجبات اهميةً خاصة ويعطي المحرمات كذلك اهمية خاصة ويعتبرها أهم من المكروهات ، والمهم في الأمر هو عدم تفويت الواجبات ، وعدم الو لوغ في المعاصي .

فعلى طريق النفس والشيطان يعطي الإنسان المستحبات اهمية خاصة بينما لا يعتني بانجاز الواجبات وترك المحرمات وإذا ما نُبِّهَ إلى ذلك ، كفر بما تقول .

عبادة الله غير عبادة الهوى :

يا أهل القُرآن لا تغضبوا واعلموا ما الذي جرى لليهود والنصارى والمشركين وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم حين قال ﴿ **لتُبلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ولتَسمَعُنَّ مِنَ الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزمِ الامور** ﴾[1] .

اتقوا الله ولا تتخاصموا ، ولا يهجر بعضكم بعضا إن ذلك من عزم الامور ، فإذا ما تحلى الإنسان بإيمان قويّ وصحيح فانه سيقفُ كالطودِ الشامخِ قبالة المنغصات والتي تصيب كل شخصٍ إجمالاً وبالخصوص من خلال المعاشرة .

وإذا ما أضرّت بك الدنيا ووقعتَ في المصائب ولم تصبر على ذلك فإنك تظلم نفسَك ولا تعلم ، ولا تُعرف عاقبة هذا الأمر فقد تذهبُ بإيمانٍ راسخٍ وقد تذهب بدونه وبذلك تكون قد وقعتَ في حبائل الشيطان وكمائنه وعندها لا تصلُ إلى ما تريد بل تبقى في الوضع الذي أنت فيه من حِطّة . إن الإنسان بشكل عام

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

لا يصلُ إلى حدّ الإنسانية والكمال إلاّ أن يكون صاحب إرادة قويّة ؛ نحن نسمع منك : إن الساعة حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، والقيامة حق والآخرة حق ؛ إذن ما هو هذا الانحطاط الذي يصدر عنك بين فينةٍ واخرى .

الجنةُ حق ، إذن كل ما دونها باطل فلماذا تنشغل بأعمال الباطل التي توصلك إلى جهنم ، فإذا ما كان لديك إيمان لكنت من الصابرين ؛ لِمن تعطي أهمية ، أتعطي أهمية للقلّةِ والزيادة من الأوهام على الرغم من أنك قبلت الحقّ، حق الآخرة والعالم العلويّ وصدّقت به ؛ فلماذا إذن تسقط في الباطل وسلوكك هو شاهد ودليل على ذلك .

صبرت أم لم تصبر مرجعه إليك ، وعندما يقال لك : اصبر فنفعه إليك ، فمن خلال الصبر تتمكن من السمو والرقيّ في البين الانساني الواقعي والذي يكون محمد (ص) هو رأس الإنسانية الواقعة ويليه في ذلك آله الطيبون الأطهار .

« الصبر »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حميم * وما يلقّاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾[1] .

عدم تجاوز حدّ القصاص :

نذكرّ هنا ثانية بأنه : بدون الصبر لا يتزكّى الإنسان ولا يضحي مهيئاً للجنّة ، بل بدون الصبر يبقى الإنسان محدود الادراك ولا يمكن أن يلتحق بمسيرة علماء الدين .

وبدون الصبر لا يصل البشرُ إلى مقامِ اليقين لأن تمام الكمالات الإنسانية والدرجات الروحانية مقدمتُها الصبر ؛ إن أحدَ شُعب الصبر هو الصبر على المكاره والذي لا يعبأ أهل الإيمان به في الأغلب الأعمّ متصورين أنهم سيصلون إلى ما يريدون بدونِ الصبر على المكاره في حين انه إحدى الواجبات ؛ فالصبر في مقابل الظلم أو المنغّصات أو الأذى البدني أو المالي أو الذي يتعرض للناموس أو العرض ، حريّ بالمؤمنِ أن ينهجَ أحد نهجين اما العفوُ والصبر على

(۱) سورة فصّلت ، الآية ٣٤ ـ ٣٥ .

ما نزل به ، أو تلافي الأمر حسب الشرع الاسلامي والعقل ولكن ينبغي هنا أن نذكّر بأنَّ تلافي الأمر أي بالقصاص لا يجدر أن يتجاوز الحدَّ الذي قال به الشارع المقدس ، لأن تجاوزَ الشرع ظلم .

إن الله جلّت قدرته لا يُحبّ الظالمين ، فالذي يبغضه المولى تعالى كيف يتأتى له أن يذهبَ إلى الجنّة ، فإذا ما تجاوزتَ بشيء قليل حدَّ الشرع في تنفيذ قصاص فإنك ستكونُ ظالماً والظالم مطرود وملفوظ . . ﴿ والله لا يحبُّ الظالمين ﴾[1] .

وقد ذكرنا وكرّرنا كثيراً من الأمثلة قد يكون قسمٌ منها عالقاً في اذهانكم ففي العادة يجلس البعض تحت المنبر لكسب ثواب اكثر أو ليثن على الإمام الحسين (ع) اما إذا ما كشفنا على سبيل الفرض عن خفايا قلبه لما رأينا أنه يريد الإزدياد علمياً أو يريد زيادة إيمانه ، فعالى زمان صدر الإسلام والائمة الأطهار سلام الله عليهم كان كل من يكون مرافقاً لهم يجد سبيلاً يوصله إلى السعادة الدائمة من خلال انتهاج نفس النهج الذي يلتزمه الائمة ويسلك عين سلوكهم .

إذا أضرّ شخصٌ ببدنك كأن يكون جرحٌ بسيط ، وأردت الاقتصاص منه فلا ينبغي لك أن تضرَّ به اكثرَ من ذلك الجُرح وإذا ما فعلت ذلك فسوف تعتبر انساناً ظالماً ، ففي البداية كنتَ مظلوماً والآن اصبحت ظالماً بعدما تجاوزت الحدّ الذي كان مسموحاً به لك .

فلو صفعك شخصٌ على خدِّك فاحمرّ خدُّك لذلك فرددت عليه الصفعة ولكنك سوّدت خدّهُ بصفعتك وهنا تكون قد ارتكبت معصية ، والافضل من ذلك ان تعفو وتصفح عنه ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم﴾[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

فلو أن شخصاً سرق اموالَك أو كـان لك طلبٌ عنـده ولم يعطك ايـاه أو بالأحرى لا يريد اعطاءهُ اياك ، فليس لك من الحق إلاّ ما تطلب ولا يجوز لك أكثر من ذلك فإذا كنت تطلبُه مائة دينارٍ فلا ينبغي أن تأخذ المائة دينار وفوقها ماء وجهه أو أيَّ شيءٍ آخر وبذلك تكون ظالماً له ولنفسك .

أو أن شخصاً سبّك وشتمك ، فاصبـر فإنَّ الصبـر هنا واجب ، فـالنفس تقول لك اشتمـه اكثر ممـا شتمك ولكن الله يقـول لك ﴿ فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم ﴾[1] ، فإذا ما تجاوزتَ الحدّ المعين لك من الحق فتصبح ظالماً ، ويتأصل الحقد والضغينة في قلب خصيمك وهذا هو عين المعصية والهلاك .

الحاقد لا يدخل الجنة :

لا ينبغي لكم أن تقولوا لمـاذا اتطرق إلى هـذا الحديث الـذي قد يبـدو صغيراً وتافهاً ولكنه في الواقع مهمٌ جداً ، وانا مضطرٌ هنا لأن أضرب لكم أمثلة متعددة وواضحة ؛ فالقلب الذي يحمل ذرة من الحقد والضغينة والبغض ليس قلباً مؤمناً ولا يتأتى له أن يشمَّ ريحَ الجنّة ؛ ففي الجنة لا يرى من يحمل الحقد والغل ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخـواناً على سُـررٍ متقابلين ﴾[2] فلو كان شخصان على حالٍ من البغض والحقد فيما بينهما يستحيل عليهما أن يذهبا إلى الجنّة لأن أهل الجنة لا يعرفون إلاّ الحسن والسلام ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلاّ قيلاً سلامـاً سلامـاً ﴾[3] فهناك أي في ريـاض الجنة لا يُسمـع السبّ ولا الشتائم ولا الاحاديث التي هي خـلاف الأدب فالجنّـة من اولها إلى آخرها لا تعـرف غير السـرور والحبور والسعـادة ، فالشخص الـذي يحمل في

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٤٧ .
(٣) سورة الواقعة ، الآيات ٢٥ ـ ٢٦ .

صدره الكراهية والبغض للمؤمنين محالٌ دخوله الجنّة .

وإذا ما لزم الأمرُ أن يذهَبَ إلى الجنّةِ ، يكون عليه ان يقضي مدّةً من العذاب في البرزخ أو لاسمح الله في الدرك الأسفل ليتطهر من الأدران العالقة في قلبه بعدها يحكم العزيزُ القدير بذهابه إلى رياضِ الجنّة ، لأنَّ الجنةَ لا يدخلها إلا المحبّين المسالمين ﴿ لهم دار السلام ﴾[1] ، وطالما عَلَتْ صيحاتي بأن اصبروا اصبروا ، لا تتجاوزوا على الغير ، التزموا وانضبطوا ، ولا أحد يقول لي نعم ، سيكون ذلك؛ طالما قلت لكم اعفوا إذا ما أردتم تلافي ما بدَر منكم وإذا ما آردتم وطلتم حقكم في القصاص ممن اعتدى عليكم فالعفو أفضل ويقال : إن النفس تتحجّج فتريد ان تقتض من فلان الذي تجاوز أو اعتدى ، ولكن ما اجملَ وأفضلَ أن يكونَ الإنسان يُسَبُ أو يُشتم فيصبر ولا يرُدُّ على السابّ فيحظى بذلك أجراً عظيماً .

ففي بعض الأوقات يرى الإنسان شخصاً من أهل صلاة الجماعة يتجلّى بينهم البغض والعداوة بشكلٍ يثير على الدهشة ، ولو اتفق أن قبضَ الله اعمارهم على تلك الحال فهل يمكن أن يدخُلا الجنةَ بقلبٍ ملؤهُ الحقد والضغينة ، ملجؤنا رب السموات والأرض ، فما أتعس الإنسان وهو يفارق الحياة الدنيا على حال معصية فيكون ضغطُ القبر وعذابُه من نصيبه .

أحْسِنْ لمن أساء :

وهكذا نجدُ الإنسانَ الصابرَ على الإساءة سامياً ومتعالياً وإذا ما استمرّ في صبرِه كان ممن جُعل لهم مقام عظيم ودرجات كبرى على طريق الكمال الإنساني ، فيقتدر الإنسان آنذاك ويضحي من أصحاب الحظوظ العظيمة ﴿ وما يلقّاها إلاّ ذو حظٍ عظيم ﴾[1] ، ومن الآثار الإيجابية للعفو والإغماض عما

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٧ .
(١) سورة فصلت ، الآية ٣٥ .

يصدر من الآخرين هو تسامي الإنسان فيتشجع على أن يحسن كذلك لمن اساء إليه ، فالفضلُ كلُّ الفضل في الإحسان لمن اساء إليك .

ويقول عزّ من قائل ﴿ لا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾[٢] والكل يعرف ذلك﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ .

يوجد هنا «الحسن» و«الأحسن» ، فالحسن ان تتغاض عن اساءةِ المسيء والأحسنّ هو أن تُحسِنْ لمن اساة إليك ؛ فقبل مجيئه لطلب العفو ، إذهب أنت إليه ، وإذا اتفق ان طلبتَ منه قَرضاً ولم يُعطِك ، فاعفو عنه وإذا ما طلب هو قرضاً فسارع إلى إعطائه ولا تتباطأ .

حلم النبيّ مع أعرابيّ :

جاء في الجزء العاشر من بحار الأنوارْ (كما يروي) أنَّ اعرابياً جاء الرسولَ (ص) شاهراً سكيناً له يريد قتله ولكنه عندما رأى النبي (ص) على تلك الهيبة والجلال وقف مكانه وبدا له ان يسبَّ النبيَّ ويشتمه فوصف النبي (ص) والعياذ بالله بأكذب من تحت السماء وأشار إلى أنه لو قتل النبي (ص) لباركت كلّ العرب عمله وبالخصوص عشيرته ، فقام له عمر يريد به شرّاً ، فنهاه النبي (ص) وهو ما قيل فيه « كاد الحليم أن يكون نبيّاً » ، فعلاوةً على ان الرسول الأكرم (ص) لم يَصدر منه ايّ اذىً للأعرابي ، رفقَ بحاله وقال له : يا اخا العرب وقد قالها بدون حقدٍ ولا غضب يا اخا العرب : يشهد الله على أني لم أعرف إلاّ بأحمدَ الأمين ، وانا لستُ بكاذب ، فاسلم تسلم فنحن (أي المسلمون) أهلاً للرفق والرحمة والسلوك الحسن ، فترقق له الصادقُ الأمين بشكلٍ بعثَ على حياءِ الأعرابي من عمله هذا فأسلم لحلم النبي وخلقه وبذلك اسلمَ معه ستةُ الآف شخص من عشيرته بسبب هذه المعاملة الطيبة .

---

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

فإذا ما أحسنت لمن أساء إليك تكون في الواقع قد شطبت على العداوة والبغضاء ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّهُ وليٌّ حميم ﴾[1] .

فالصبرُ جاءَ صبُره من تدريب النفس على الصبر حتى يصل في نهاية الأمر إلى المكان الذي يمكّنهُ من الإحسان مقابل الإساءة ، وهذا المقام لا يصله إلاّ من تمكّنت الإنسانيةُ والإيمان من نفسه ﴿ وما يلقّها إلاّ الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظٍ عظيم ﴾[2] .

فكرّ قليلاً ، إذا ما وقع عليك الموت بـالذي يمكنْ أن تـأخذَه معـك من إيمانٍ وإنسانية وملكات فاضلة ؟!

لقد ذكر المحقق الأردبيلي في آيات الأحكام بشكل خاص هذه المسألة فقال : يحقّ للمتجاوَز عليه أن يأخذَ حقَّه ولكن بشرط ان لا يتجاوزَ حدودَ حقّه ويتطرق أيضاً إلى أن هذا المعنى مشكلٌ فيحتاط المتجاوَز عليه بأن لا يُردَّ بالمثِل لأن الإنسـان لا يسيطرُ على نفسِـه أثناء المعـاصمة فقـد يتعدى اكثـر من الحدِّ المتفقِّ عليه وبذلك يقعُ في المعصيةِ ؛ وإجمالاً ان ردّ المتجاوِز أو المعتدي لا إشكال فيه دون تجاوز حدِّ الشرق وان الإحتياطَ في تركه أفضل .

ففي بعض الأحيان نرى في المحاكم أن البعضَ يكيل التهم إلى البعض الآخر أو بواسطة محامي الـدفاع للطرفين من أجـل جلب رأي القضاة اليهم ، وهذا لا يمكن عدّه محموداً ولا صبراً ، فإن كان لك إيمان فاترك القضية للواحد الأحد فالأجرُ جزيل .

الاعتداء مع عدم وجود حقّ في الأصل :

ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تراعوا الزوجة والولد والأقارب ورفيق السفر

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .
(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٥ .

في هكذا أمور ، والويل لمن يتخاصم في امورٍ لم يكن له فيها حقٌ جاء في الشرع المقدس ، وحريّ بنا أن نتعامل مع هؤلاء الذين ذكرنا أو غيرهم من عامة الناس طبق الموازين والحقوق التي قال بها الشرع فقط .

فالأوهام والتخيّلات التي لا أساس لها والتوقعات الموهومة التي هي في الأصل مخالفة للموازين الشرعية لا يمكن الإعتراض بها بل ولا ينبغي لأحد إراقة ماء وجه مسلمٍ من أجلها .

ولقد رُويَ عن خاتم الأنبياء محمد (ص)أنه قال لإبن مسعود ، ما مضمونه : « يا ابن مسعود خفّ من المعصية ، فقد تكون معصية واحدةٌ توقفكَ مائة عام يوم الحساب » .

من هنا يمكن للإنسان أن يرى مقامه ، وكذلك هناك ولكن للاسف فهناك لا يمكن له أن يعمل شيئاً ، فمائة عام ولا نعرف ايه من اعوام الدنيا أن من أعوام الآخرة يقفُ الإنسان من أجل معصية واحدة ، نعم ، إنك من أهل الجنة ولكن هذه المعصية سوف تؤخرك مائة عامٍ وكذا البغض ، والحقد ، والحسد والتي توصِلُ الإنسانَ إلى التوقعات التي هي في غير محلها وإلى الأوهام والخيالات .

« الصبر »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أنَّ الله مع المتقين ﴾[1]

قوانين القرآن قوانين عمل :

ان من أهم الموضوعات التي ركّزَ عليها القرآن الكريم في اكثر من سبعين مكان هي الصبر ، وقد جاء التذكير بالصبر بهذه الكثرة من أجل الالتزام به وليس برفاً أو اعتباطاً ، ويقول الشيخ الشوشتري : إنك تقول القرآن كتابي والكعبة قبلتي في ليلةِ القبر الأولى حينما تُسألُ عن عقائدك ولكن هذا ليس معناه أن تعطي عدداً من الدراهم لتشتري قرآناً وتضعه في حجرةٍ من حجر دارك يعلوه التراب » بل ان القرآن كتابي معناه ان تلتزم بما فيه من القوانين وتسلك ما يقول من الطرق السويّة ؛ ويمكن أن نضرب لك مثلاً هنا ، فعندما تكون مريضاً وتذهب إلى الطبيب فيكتب الطبيب لك نسخةً بالأدوية التي ينبغي لك أن تحصل عليها للعلاج ولكنك لن تشتري الدواء وتبقى هكذا وعندما تُسأل تقول : ان طبيبي هو فلان وهذه هي النسخة !! وماذا بعد ذلك ؟ فهل هذا كافي

---

(١) سورة البقرة » الآية ١٩٤ .

لشفائك ؛ كان المفروض ان تعمل بما في النسخة حتى تشفى مما أنت فيه .

ان القرآن المجيد هو شفاء للبشر من الأمراض النفسية ﴿ وننّزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة ﴾[1] يجب أن يكون القرآن عاملاً من عوامل الفوز بالرضوان والجنّة عاملاً من عوامل السير على الجادة المؤدية إلى دار السلام الجادة الإلهية ؛ الغرض من تأكيد هذا المعنى هو أن الأوامر التي جاءت في القرآن الكريم هي واجباتٌ وقوانين عمل يجب الالتزام في اجرائها .

لماذا تجتاز الحد المقرر في أخذ حقوقك ؟

ان من الواجبات الإلهية التي تعرّض لها القرآن الكريم في عدة اماكن مسألة الصبر على الأذى الذي يصدر من البضر في حقّك ، والخوض في هكذا حديث يحظى بأهيمة خاصة لأنَّ الإعتداء وردَّ الإعتداء غالباً ما يحدث في حياة البشر ، فالقرآن الكريم يختصر المسألة ويعلجق عليها بشكل مكثف في الآية التي تقول : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم ﴾[1] فحددّ القرآن بالردّ على الاعتداء بالمثل فلا يمكن أن يكون الردُّ إلى ابعد من حدود الإعتداء والاّ تحتسب معصية وإعتداء ، فإذا ما كان شخص قد اقترض منك مائة درهم لأجلٍ معين لا ينبغي لك أن تريق ماءَ وجهه وكأنما أخذ منك مائة الف درهم ، كل مكان جلست فيه وقمت منه تذكر ان فلاناً من الناس أكل حقي الذي هو مائة درهم ، انك بهذا تتجاوز عليه وتضحى ظالماً له ، ومن الأفضل أن اروي لك رواية ذكرها المجلسي وهي :

المظلوم ينقلب ظالماً :

جاء في اصول الكافي ان الإمام الصادق (ع) قال : « ان العبد ليكون

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً »[٢] .

يقول المرحوم المجلسي في شرح الكافي ان لهذا الحديث وجوهاً متعددة نتعرض إلى أحد الوجوه فيقول : يدعو المظلوم دعاءً يبالغ فيه اكثر من الحد المعقول فيتجلى في دعائه كل الافرازات السلبية من مثل الحقد والبغض والسخط فيتجاوز بذلك على الظالم الذي لم يرّدَ إليه المائة درهم على الرغم من ان الظالم يمتكلها ، وقد يصل الأمرُ بالمظلومِ إلى الإستعداد لرؤية مقتلِ الظالم .

فهل ان الحقدَ والضغينةَ والسخط والدعاء الزائدة عن الحاجة يتناسب وقيمة المائة درهم هذه ؟!

لقد اعتدىٰ عليكم بعدم اعطائِك المائة درهم على الرغم من انه يمتلكها ، وانت تردُّ عليه بأكثر من ذلك اضعافاً مضاعفة ؛ إذن كنت في البداية مظلوماً والآن اصبحت ظالماً اضعافاً مضاعفة ، بينما يجدر بالإنسان ان يدقق في هذكا أمر وان يطرح عنواناً أقلَّ مما طرح ، وان يفكر أقلّ من ذلك في المائة درهم .

ان ما نراه في المحاكمِ اليوم ، من انتهاكٍ لحقوق الآخرين بشكل سافر يندى له جبين الإنسانية فترى ان سخصاً يدّعي انه يطلبُ فلاناً من الناس الفَ درهم فيسبُ ويطعن ويشتم ويتّهم المدين بشتى التهم ويتعرض إلى شرفِه وعرضه من أجل الألف درهم ؛ لعنة الله على اللعان والطعّان والفاحش والبذيء ؛ إنك الآن اصبحت ظالماً وعلاوةً على ذلك تطالب بأرباحِ على الألف درهم لتجاوزها المدّة المتفق عليها بل إنك الآن اصبحت أشدّ ظلماً ، أذهبت ماء وجه المدين فاعتبرت بذلك ان لا قيمة لماء وجهه والقيمة كلها في

(٢) الاصول من الكافي باب الظلم ، ج٢ ، ص٣٣٣ .

الألف درهم وأنت تعرف جيداً أن الله جلّ وعلا يقول ﴿ فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم ﴾ فلا يحقّ لك أن تتعدى الحدود التي رسمها الله لك .

فإذا ما تهيأ لك ان تمسك بياقة مدينك في الملأ العام وتصرخ بأعلى صوتك من أجل مالِ الدنيا ، فأنت ظالم ؛ أنا لا أقول لا تطالب بمالك ولكن ان للمطالبة شكلاً آخر لا يوقعك في الظلم ؛ فلم السبّ والشتم ؟ ولماذا الغيبة ؟ ومن أجل ماذا تتهمُ زوراً وبطلاناً ؟ ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾[1] .

أنا لا أعلم بما يمكن أن يصير إليه هكذا مسلمين ، فهل يمكن أن تكون عواقبهم على خير وهم لا يلتزمون بقوانين القرآن الكريم ؟ فالذين ملأت قلوبهم البغضاء والشحناء والحقد أنّى يتأتى لهم شمّ ريح الجنّة ؟ لذا ينبغي للانسان أن يخشى من عاقبة عمله .

وقد جاء في مكان آخر من القرآن المجيد ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾[2] ففي أول الأمر عليك أن تعفو وتصفح فإذا ما سُبِبت فتغافل عن ذلك ﴿ فمن عفا واصلح فأجره على الله ﴾[1] وإذا لم تكن لديك القدرة على العفو والصفح ﴿ فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ﴾ فإذا ما قال لك شخص إنك جاهل يمكن لك الردُّ عليه بجاهل فقط ولا تتعدى إلى غير هذا ولا يحقّ لك أن تنسبَ الجهل إلى أمُّه وأبيه وأخيهوكلّ من لهم علاقة معه ؛ وما أجمل الشعر المنسوب لأمير المؤمنين علي (ع) حين يقول :

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني　　　فمضيتُ ثمّة قلتُ لا يعنيني

﴿ ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين ﴾[2] . فالصبر في هذه الآية ليس في

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٧ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .
(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

مقابل الآلام والأذى والمنغصات بل المقصود من ذلك ما سبق الحديث عنه في هذه الآية أي مقابل الظلم الذي تراه من الآخرين في حقك ، فالذي اكتمل عقلُه وآمن بالله الواحد الأحد وبيوم الجزاء هو ممن ينضون تحت لواء اصحاب الإرادة المحكمة ﴿ فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ﴾[٣] .

فالطفل لا إرادة له قياساً بمن كان عاقلاً مؤمناً يعرف حقوق الله وحقوق الآخرين فيصبر على أذى وظلم الآخرين .

ادعاؤه دائناً للإمام الصادق (ع) :

بعد أن أتمّ الإمام الصادق (ع) طوافَه حول المسجد الحرام ، اتخذ من إحدى زوايا المسجدِ مكاناً له للتعبد ؛ وبينما هو مشغول بمستحب وإذا بشخصٍ يُمسك بالإمام من ياقته قائلاً : هل ستعطيني المائة دينار أم لا ؟ فيجب (ع) ايّة مائة دينارٍ هذه ؟ فيقول الشخص : المائة دينار التي اودعتها عندك بعنوان أمانة ، اسرع واعطني إيّاها حالاً ؛ فيقول (ع) : قد تكون مخطئاً يا أخا العرب ؟ فأنا لم اؤتمن على مائة دينار فيصرخ الأعرابي بأعلى صوته ويثير ضجةً في المسجد فيقول الإمام (ع) قمْ بنا يا أخا العرب بسرعة لأعطيك ما سألت .

فيسير الإمام بكل هدوء وبمنتهى الأدب ويتحدث إلى الأعرابي في طريقه إلى الدار بكل رأفةٍ ورحمةٍ ويلتفت الإمام إلى أنَّ الأعرابي قد تخاصم مع أحد أو تخوصم معه ؛ وعلى أيّة حال فقد هَتَكَ الأعرابي حرمة الإمام (ع) ؛ وفي نهايةِ المطاف يصلان إلى منزلِ الإمام فيعطيه (ع) مائة دينار ويصرف عنه السوء (لا تقل لماذا يسلّم الإنسان تحت ضغوط الظلم ونقول : لا قيمة للمال قبال ان ينجرّ الإنسان إلى نزاع قد يُذهب بماءِ وجهه ، فأفضل الأموال تُصرف من أجل

---

(٣) سورة الأحقاف ، الآية ٣٥ .

أن لا يـراق ماء وجـه المؤمن « وما وقى بـه المرءُ عـرضهُ كتبَ لـه به صـدقة »
فالمؤمن عزيز والعمر عزيز والقضية كلها لا تستوجب من أجل مائة دينار يذهب
الإمام (ع) وهو أعزّ الناس عند الحاكم وكم سيأخذ معه من الشهود ليشهدوا على
بـرائته) . وفي اليـوم التالي وجّـد الأعرابي من يـطلب فانتبـه إلى أنه لـم يكن
مصيباً ، فطالب المدين بماله فأجابه إلى ما يريد منه .

بعد ذلك ذهب الأعرابي إلى المسجد ووجد الإمام الصادق (ع) فاعتـذر
منه كثيراً على فعلته واساءته وقال : لقد وجدُ من أطلبُ وهذه هي المائـة دينار
التي اخذتها منك بالأمس .

فقال الإمام (ع) : في الأمس عفـوت عنك واليـوم لا بغض في صدري
منك واما المائة دينار لا استرجعها لأنني اعطيتُك إياها في سبيل الله «وما كان لله
فلا رجعة فيه» .

إذن ، في البـداية ينبغي لـلإنسان أن يصبـر ويعفـو ولا يستـاء من فعـل
الآخرين وإن لم يستطع ذلك ي مقام الردّ ، فلا بأس أن يرد بالقدر الذي أُعتديَ
بهعليه ، فإذا ما سُبَّ لا يحق له ان يقذف السابّ في مقابل السبّ ويتجاوز إلى
الإعراض وهذا ما يحددُه الشارع بثمانين جلدة ، وهـذا الذي يـوجب الحدّ لا
ينبغي للمؤمن أن يتّسم به ، فلا حقَّ للمعتدى عليه إلاّ أن يردَّ بالمثل .



القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأن لِلذين آمنوا أنْ تخشعَ قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾[1]

الكل يحتاج دائماً لهدى الله :

لقد عرضنا فيما سبق أن الهداية التشريعية التي ترتبط بسعادة البشر الأبدية والتي توجبُ وصولهم إلى الجنة وإلى المعنويات والدرجات والمقامات التي خلقها الله من أجل البشر تنقسم إلى قسمين : عامة وخاصة ، فالهداية العامّة هي هذه الموجودة ضمن الفطرة الإنسانية والعقلية ، والتي تنمّىٰ وتقوّىٰ بارسال الأنبياء والرسل وبالكتب السماوية ، وقد ذكرها القرآن الكريم بوضوح بشكل اجمالي من أول الهداية إلى آخرها ، وتطرق القرآن كذلك إلى سبيل الهداية وعيّن درجاتِ هذه الهداية ، وبشكل اجمالي تسمى هذه بالهداية العامّة .

أما الهداية الخاصة فهي التي معها يعطي الله الفرد ما يريد ويطلب وتتأتى

---

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

هذه الهداية الخاصة بعد أن يكون الفرد قد قبل الهداية العامة والكليّة .

ان انجاز الواجبات بالنسبة للمؤمن تواكبه الهداية الإلهية في الهداية الخاصة وإذا لم يكن ما يقوّي هذه الهداية فسوف يَنحرف الإنسان ويقع في الشكوك والأوهام والوساوس تتحاوش الشياطين التي لا تريد النجاة للبشرية ؟! ولذا نقرأ وندعو عقب كلّ صلاة « اللهم اهدني من عندك وأفض عليَّ من فضلك » .

اللهم اهدني ، خذ بيدي ، وارشدني إلى سواء السبيل ، وقوّني على طاعتك هذه هي الهداية الخاصة ، ففي كل وقت يكون الشخص محتاجاً إلى هداية الله وإذا وكُلّ إلى نفسه انحرف عن جادة السواء ؛ فسورة الحمد نقرأها مرتين في كلّ صلاة وهي واجبة ونذكر حينما نقرأها « اهدنا الصراط المستقيم » أي ارشدنا إلى الطريق التي نحيدُ بها عن النار ، وبشكل عام فإن القرآن هو صراط مستقيم ، وسلوك نهج محمد وآل بيته الأطهار هو صراط مستقيم ، وقد المح أهل بيت التوحيد والمعارف الحقة والأعمال الصالحة ، بعد الهداية يطلب العبد من الخالق البارىء ان يعينه على العمل بقوانينه وسننهِ ، فلقد جاء في الكتاب المجيد القرآن العظيم ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا هو ﴾[1] القصد منها اجعل قلبي خاشعاً لك وحدك لا شريك لك .

الشبهة النصرانية في سورة الحمد :

هنا وبمناسبة شبهة القاها بعضهم وفي معرض الجواب نبين الردّ على هذه الشبهة ، فالشبهة نوعاً ، شيءٌ ليس بالجديد ، والشبهة التي استعرضها واستحدثها نصراني بعد رحيل الرسول الأكرم (ص) هي كالتالي : يقول النصراني :

---

(١) سورة محمد ، الآية ١٩ .

انتم المسلمون تقولون في الصلاة عدة مرّات كـل يوم « اهـدنا الصـراط المستقيم » وانا اعجب لكم في انكم لحد الآن لم تعثروا على الجادة السوية ، الصراط المستقيم والدليل على ذلك هو تكرار قولكم كل يـوم لأنْ يهديكم الله إلى الصراط المستقيم وعلى ما يبدو انكم لم تجدوا الطريق المستقيم السويّ ، فتعالوا معنا لأننا نحن النصارى عثرنا على طريق النجاة ـ فلحق بالنصرانية نفرٌ حديثي العهد بالإسلام وبدون أن يسألوا ويستفسروا ما معنى قول هذا ؟ وما هو جواب الإسلام على هذكا شبهة وكان ذلكعلى زمن خلافةِ أبي بكر « فقيل له : جدْ لنا حلاً للخلاص من هذه الشبهة ، فأرسل أبو بكر إلى الإمام عليّ (ع) أن أنقذ امّة الإسلام برفقةِ سؤال هو : إذا ما ارتد نفرٌ عن عقائد الخلق الإسلامية عن طريق شُبهة وكانوا سبباً في تزلـزل عقائـد الناس فما العمل معهم ؟ (ان الاسلام أهدر دمَ المرتد ، أي ان الإنسان المسلم بالولادة يرتد ويرجع عن دينه يجب قتله ، بل وبحسب الظاهرِ لا توبةَ له ، فقتْلُهُ حتميّ على الرغم من انه ـ لا اكراه في الدين ـ لما له من مخالفةِ للدين ومبارزة وهو ما يسبب الضرر العـظيمَ للعـالم الاسلامي الاّ إذا كـان كفـره خفيّ وليس بـظاهـر ؛ مثله كمثل المـرض المسري الذي يجب قطعُ استمراره كي لا يسري على الآخرين .

نعم ، إذا لم يُـظهر ذلـك ، ولم يسر كفـره للآخـرين فلا يجيـز الشارع المقدس إهدارُ دمه ، اما إذا اظهر ذلك علناً فقتله واجب ، وإذا ما ارتد عدة من المسلمين فينبغي إهدارُ دمهم حتى لا يجرأ بعد ذلك شخص على نشر الأفكار المخرّبة التي هي ضدّ الدين قصداً منه في أذهاب عملِ النبي (ص) واوصيائه في مهبّ الريح وهدر ما جاهدوا من أجله) .

وخلاصة القول فقد كتب امير المؤمنين (ع) رسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم غافِرُ الذنب وقابِلُ التوب شديدِ العقاب ذي الطول . . .

يا من رجعت إلى النصرانية بشبهةٍ واهية ، إذا ما رجعت إلى الإسلام فإن

الله يقبلك لأنه غافر الذنب ، ارجع وتُب مما انت عليه الأن يغفر لك ذي الطول صاحب النعمة والاحسان ، واعلم إذا لم ترجع للإسلام فإن الله شديد العقاب ، بعد ذلك كتب (ع) :

وما شبهتك « اهدنا الصراط المستقيم » فليس معناها الهداية الكلِّيّة لأنَّ كلَّ مسلم عثر على جادة النجاة ويعلم أن القُرآن والإسلام وولاية اهلِ البيت (ع) حقّ » بل ان معنى اهدنا الصراط المستقيم هو : ارشدنا للزوم طريق معرفتك ولا تجعلنا ننحرف عن جادتِك السويّة ، ولا تجعل الشيطان ينحرف بنا عن صراطِك المستقيم ويلقي في قلوبنا الشبهات فنقبلها[1] .

فثبات القدم وملازمة الصراط المستقيم على طريق العبودية لله يحتاج دائماً إلى هداية اخرى وتوفيق لذا نكرر في صلواتنا « اهدنا الصراط المستقيم » فالمقصود ليس الهداية الإجمالية والتي هي أصلُ الدين بل التديّن بالدين وحفظ الانسان من الإنحراف عن الصراط المستقيم أو الجادة السويّة .

ذهبوا برسالةِ الإمام عليّ (ع) للمرتد اثناء ما كان في الكنيسة وحال قراءته لها بكى وجرى دمعه بعد ان فهم أنه اخطأ ، وان الشبهة الشيطانية لم تكن مرتبطة ببعضها البعض بل كانت هواءً في شبك ؛ سبحان الله ، لقد خرج الرجل على الفور متأثراً برسالة امير المؤمنين (ع) من الكنيسة وحضر في المدينة وتاب على يد علي (ع) .

الغرض من سردِ هذه الحادثة هو : ان لا تتسرع وتستبدل دينك بدين آخر ، وعلى سبيل الفرض لو أُلقيت لك شبهة أو سمعت بها على غير حساب حينها ينبغي لك أن تذهبَ عند عالم وتسأل منه .

---

(١) الحديث بالمضمون وليس بالنص .

وضوءٌ مصحح بشبهة واهية :

يقال ان شخصاً كان قد ذهب إلى الحج ثلاث مرات فوقع تحت تأثير العامة ، فقيل له يوماً : إن كل هؤلاء الناس هكذا يتوضأون وانت تتوضأ خلاف ما يتوضأ الناس ، ألم يقل القرآن الكريم ﴿ **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾[1] فاغسل يا اخي ايديك من الأصابع وحتى المرفق ، فصدّق هذا الأحمق ما قيل له ؛ وقال في نفسه سوف يقول الناس عنّي انه صحّح وضوءه .

فيا أيها السيد الأحمق ، اسألك لماذا لم تصحح أصل دينك من اليوم الأول ، فأنت تابعٌ لمن في احكامك ووظائفك الدينية ، فالسنّة ومنذ اليوم الأول يقولون انهم يتبعون أبا حنيفة ، وآخرين من السنة أيضاً يتبعون الشافعي أو أحمد بن حنبل ، أو مالك ، وانت ومنذ اليوم الأول تركت هذه المذاهب الأربعة واتبعت جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فمنذ البداية كان الأحرى بك أن تلتزم بمن انت تابع به او تتبع ما تبع العامة ؛ الم تعرف إمامك فتتبع الآخر أو غرّتك الكثرة ، وكثرة العدد ليست دليلاً على الصحة ﴿ **وان تُطِعْ اكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله** ﴾[1] .

فكثير هم الذين يعبدون الأصنام على يومنا هذا في العالم وكثيرون هم يتمذهبون بمذهب الشيوعية ، وكما تعلم فلا دينَ لهم ، وإذا ما أردت حقيقة الأمر ترى الكثرة الغالبة على سطح الكرة الأرضية هم عبدة الأصنام ، وعبدة الدنيا وهؤلاء اكثر من اولئك الذين يعبدون الله فأيهما أفضل من يعبد الأصنام أو مَن يعبد الواحد الأحد وهم القلّة ؟ .

سيسألونك غداً ويقولون لك : كيف انجزت اعمالك ، فماذا يكون

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(١) سورة الأنعام ، الآية ١١٦ .

جوابُك حينها ؟ حتماً ستجيبهم بأنك رأيت الغالبية تتوضأ من الأسفل إلى الأعلى أي من الأصابع وحتى المرفق أو تعتذر بعذرٍ آخر واهي ؛ وأسألك هنا هل اتباعُ قولِ الرسول أحق أو اتباع قول أبي حنيفة ؟ من أين أنت ؟ وأين انت عمّا قال الرسول (ص) وآله الأطهار (ع) ولقد وضّح الرسول (ص) وعيّن من هم أحقّ بالإتباع بعده حين قال : « إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ؛ وبصدد العترة فكل المسلمين يعلمون أن عترة الرسول هم آل بيته ، عليّ وآل عليّ (ع) .

العترة هم ذريّة الحسين (ع) إلى يوم القيامة ، وإذا ما سُئِلت من أحد الناس من أين هي الأحكام التي تعمل بها ، فستجيب فوراً ودون تردد من الأئمة المعصومين من ذرية الرسول الأكرم (ص) والذين حددهم القرآن الكريم في الآية التي تقول : ﴿ أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[1] ، فالقرآن قال بوجوب إطاعة أولي الأمر وأولي الأمر على ما جاء في أحاديث الرسول (ص) هم إثنىٰ عشر إمام ، فإذا ما ذهبت إلى مذهبِ أبي حنيفة فلن ترى غير التقليد الأعمى الخالي من الدليل ؟ كمثلِ الخلافة الأولى التي حصلت في سقيفة بني ساعدة ، فوضوء الشيعة خطأ ، وهذا معناه توجيه الخطأ للإمام (ع) والعياذ بالله ، ووضوءُ السنة هو الصحيح ، وكذلك الصحيح هو اتباع من لا أهلية له في حكمٍ ولا فتوى ؟! .

معنى القرآن يبيّنه أهل القرآن :

ماذا تفهم أنت من آيات القرآن ؟ ماذا في جعبتك من علوم الأدب فهل تعلمّت الإبتداء والإنتهاء ، ومِنْ والى ، فبيان هذه المسائل ليس بما تعلمته من إبتداء وإنتهاء بل هو مقدارٌ من الماي يصبُّ من المرفق وحتى الأصابع ولا يحتاج إلى ابتداء وانتهاء ، متى تفهم الناس هذا المعنى ؟ وهو : أن القرآن نزل في دار

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

آل محمد (ص) وهم أهل القرآن واعرف بـه من غيرهم ؛ قبـل أيام ارسـل لي احدهم رسالة يتطرق فيها لبعض الشُبهات فأجبتُه عن كل ما تـطرق إليه ، ومن جملة ذلك يسأل لمذا يكره المسلمون الشيعة عمَر بن الخطاب على الرغم من خدماتِه الجليلة للإسلام .

خدمات الخليفة الثاني للاسلام !! :

لقد خدم عُمر بن الخطاب العالم الإسلامي ومن جملة خـدماتـه هي أن أسلَم الإيرانيون على يدِه لقد كان هو الذي جعل من الإيرانيين مسلمين ، إذن لماذا تعرفونه بأنه سيء » واساءته تأتي من أنه أخذ الخلافة وجلس على كرسي الحكم خلافاً لحكمِ الله ورسوله ، فمنذ البداية عيّن الرسول بأمرٍ من الله ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾[1] أمير المؤمنين عليّ (ع) خليفة بعده فكلّ ما يعمل عمر من أعمال حسنة هي خطأً في خطأ لأنّه غيرّ أساس الحكومة الاسلامية ، فهل يعلم الله ورسوله من هو الأفضل أم أنت ؟! عمر خدم الاسلام ؟ ان عمر أصغر من أن يفتح قرية واين هي شجاعته أو شهامته راعي الإبل هذا ، فلم يبذل ولا أبو بكر ولا عثمان قطرة واحدة من دمائهم على طريق الإسلام ، لقد كانوا دائمي الفرار على اوقات الحروب على حـد قبول السـيـد ابن طاووس ، ويقـول أيضاً : ان مجمـوع الغزوات التي حـدثت على زمن الرسـول إلى أن رحـل هي ثمـانـون غزوة ، وإذا ما راجعنا التواريخ الإسلامية ، فيا تـرى هل نشـاهد أثـراً في هذه الغزوات لهؤلاء الثلاثة .

لقـد وعد الله ووعـده الحق على أن يعلو صوتُ لا إلـه إلّا الله في أجواء البلدان المجاورة ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تـأخذونهـا فعجل لكم هـذه وكفّ أيـدي الناس عنكم** ﴾ ولـو كان غيـر عمر لعلت أصـداءُ لا إله إلا الله أيضـاً ، فجيوش الاسـلام التي تمتلك الإيمـان من بركـات النور المحمـدي منذ القـرن

---

(١) سورة النجم ، الآية ٣ .

الأول وبقيَ هذا الإيمان يمدّ الجيوشَ الإسلامية بالقوة والصلابة .

لقد كان عمر بن الخطاب يرتجف عندما تقدم في غزوة الخندق إلى عمرو بن ودّ العامري وحينما رأى وجه عمرو فرّ إلى من حيث أتى ، وليته اكتفى بذلك بل حاول تخويف المسلمين بقوله : كلّ من يتقدم منكم إلى عمرو بن ودّ سيقتل لا محالة « وليس ينكر فراره في غزوة حنين » وكذا كان فراره وأبو بكر في غزوة خيبر وحينها قال الرسول الاكرم (ص) : سأعطي الراية غداً رجلاً منكم كرارٌ غير فرّار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ؛ ومن عجائب الأمور ان يرفع عمر الراية فيقول له الرسول (ص) إلى أين يا عمر ؟ الم تسمع ما قلت تفصيلاً فلن يحمل الراية غير علي (ع) ، وكان حينها عليّ (ع) يشكو من الم في عينه ، فبصق فيها الرسول فذهب بألمها حتى آخر عُمْرِ امير المؤمنين (ع) وختاماً ذهب الإمام وفتح خيبر .

هرب الرجال وصمود المرأة :

لقد كانت غزوة أحد دليلاً حيّاً على جبن عمر بشهادة السنّة والشيعة حينما هرب ولحق به اثنان ليختبئوا جميعاً وراء صخرة كبيرة وهذا ما كُتب في كتب التواريخ التي تعرضت لغزوة أحد .

ولما رأت أم عبد الله الانصاري ـ احدى النساء المجللات في الإسلام ـ بقاء النبي (ص) لوحده وفرار الرجال الثلاثة ، بدأت تطوف حول النبي (ص) حتى لا يكون النبي هدفاً لسهام الكفرة ، وعندها نادت على أحد المسلمين الهاربين أيها الجبان إنك تهرب من المعركة فاترك لي درعك واهرب فرمى لها بدرعه وظلّ هارباً فأخذته قصداً منها في صدّ النبال والرماح والسيوف عن رسول الله (ص) .

محبّة عدوّ علي (ع) تُذهبُ بالايمان :

لقد كنت مضطراً لأن اضربَ لكم مثلاً وذلك حتى لا أبتعد عن ردّ

الشبهة ، عليك أن تعلم أيها المسلم وتراجع وتتأمل ومن ثم تردّ على شبهة ، فلا ينبغي لك أن تبقى في مدار شبهة ، فإذا ما بقيت ذرةٌ من محبة عمر في قلبك فاعلم أنك سوف تسلك نفس الطريق الذي سلكه .

فكل فردٍ يكنُّ محبّةً في قلبه لعدو علي (ع) فإنه والعدو واحد ، واعلم يقيناً أن ذرةَ محبة لمعاوية تُبطلُ كثيراً من اعمالك ، وإلى أين يوصلك حبّ شخصٍ مبغوضٌ عند الله ، والمحبوب عند الله تعاديه ، فهذا هو عمل الشيطان لكي يصل بالإنسان إلى سوء العاقبة ، فكل فرد في المجتمع الإسلامي يعمل بالحق والحقيقة لا بدّ له أن يترك أهل الباطل؛ (ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً) ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[1] . واهدنا بنور محمد وآل محمد (ص) هداية خاصة تتقوى بها قلوبنا ، وخذ بأيدينا ولا تجعل للشبهة إلى قلوبنا من سبيل .

فلو اجتمع العالم كلّه مقابلنا على أن نترك عقيدتنا وشرعتنا السمحاء لما رضينا بغير الصمود وخصوصاً في الساعات الأخيرة من العمر التي تستغلها الشياطين اكثر من أيّ وقتٍ آخر لإبعادنا عما نحن فيه من عقيدة راسخة ، وهذا ما يتأتى لمن لا إيمان له ولمن بغض الحق ؛ إلهي لا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنا واجعل عواقب امورنا خيرا » اللهم اهدني من عندك وافض عليٍّ من فضلك .

ليسرً العبد بشيخوخته :

لقد جاء في كتاب «عدة الداعي» بشارة تذكرها صاحب الكتاب مستعيناً به على ذلك بحكاية على زمن الرسول الأكرم (ص) يقول فيها : لقد كان احدُ الشيوخ هزيلَ البدن ضعيفاً لا يقوى على شيء ، قضى عمرَه في بيت الله الحرام

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨ .

حتى ابيّضَ شعرُ رأسه ، وقد جاء هذا الرجل يوماً إلى رسول الله (ص) وكان نهاية في العجزِ وقال مخاطباً الرسول (ص) : يا رسول الله ان عمري وصلَ آخرَه لما بي من ضعف وشيخوخة فلا اتمكن من الصومِ وليست لي القدرة على قيام الليلِ والتهجد فيه والناس نيام ، يا رسول الله (ص) : ليس لدي ما انفقه في سبيل الله ولا استطيعُ الحج ، فهل لي من حيلةٍ لذهاب هذا العجز والضعف وهذا هو آخرُ عمري وانّي أحتاجُ إلى عملِ الخير والصلاح لأفوزَ برضا الله تبارك وتعالى .

لقد كان النبي (ص) ينصت إلى ما يقول وبعدها قال (ص) قل ما ذكرت ثانية فاستعرض الشيخ ثانية ما ذكرَ وبنفس الطريقة التي تدلل على ضعفِه ، وحينما انتهى الشيخ من ذكر ما عندَه قال له الرسول الأكرم (ص) كرر ذلك ثالثة لكيلا يبقى من ذلك شيءٌ في نفسك فأعاد الرجل ما ذكر ثالثةً وحينها قال الرسول (ص) : ان ملكوت الأشياء تترحم لك على ما أنت عليه ؛ فقال : قل لي شيئاً استطيع فعله فقال النبي الكريم (ص) : قل بعد كل فرض واجب ثلاث مرّات « اللَّهُمَّ إهدني من عندك وأفض عليَّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك » وعندما سئل احد الصحابة عن ثواب هذا الدعاء فاجاب الرسول (ص) : من قرأه ولم يتركه فتح الله له بعد الموتِ ثمانية ابواب من ابواب الجنّة .

« اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا أبداً لكيلا نضعف ويغلبُ علينا هوى النفس » .

تشكر الشيخ كثيراً من الرسول (ص) وقال : علّمني شيئاً يرجع نفعه عليَّ في دنياي فقال (ص) : قل بعد كل صلاة صبح «سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله ربّي وأتوب إليه » فلن تضحى اعمى ولا مجنون ولا فقير ما حييت .

يا هادي المضلّين لا تحرمنا من نور الهداية يا هادي من استهدى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأْنِ للَّذين آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهم لذكرِ الله وما نزلَ من الحقِ ولا يكونُوا كالذين أوتُوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ فَقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسِقون ﴾[1]

رسالة أبي بكر إلى أبيه والجواب الطَريف :

لقد تعرضنا في ما سبق ذاكرين ان اعتقادنا بالخلفاء هو انهم غصبوا الخلفاء والحكومةَ الإسلامية بدون إذن من الله ولا من رسوله (ص) .

لقد كتبَ أبو بكر رسالةً يقول فيها لأبيه أبي قحافة : من خليفةِ رسولِ الله إلى أبي قحافة ، ان الناسَ قد اجتمعوا وبايعوني وجعلوا منّي خليفةً للنبي (ص) فأتني وبايعني .

فكتب إليه أبو قحافة : أيها الأبنُ الأحمق ، ان رسالتَك تدلُّ على قلّةِ عقلِك ، لما ذكرتَ في بداية الرسالةِ من أنكَ خليفةُ النبي (ص) وبعدَها تذكر أن

(١) سورة الحديد، الآية ١٦ .

الناس قد اجتمعوا وجعلوا منك خليفة ، فلا تقل أنكَ خليفةُ رسولِ الله بل قل إنكَ خليفةُ الناس .

طاعة عليّ (ع) وآله يرتضيها العقل والشرع :

ان الشيعةَ لا يَرون فرقاً يُذكر بينَ الخلفاءِ الثلاثةِ وايّ مسلم عاديّ منهم ، فلا يجب على المسلمين اجمالاً اطاعتَهم شرعاً ولا يلتزم بأمرهم ونهيهم عقلاً ، وذلك لعدمِ امتيازهم على باقي المسلمين ولا حقَ لهم في الحكم ، نعم ، ان اميرَ المؤمنين (ع) تجب طاعتُه على الكلِّ (أي كل الناس) لأنَّهُ نُصِّبَ بأمرِ من الله ورسوله (ص) « وأولي الأمرِ منكم ، وقد قال الرسول في أمرِه ونهيه ، أمري ونهيي ، فيا تُرى هل قال الرسول في حقِّ الآخرين ما قاله في حق عليّ (ع) ؟ .

نحن وفي مقامِ الأعمال والوظائف الشرعية نقولُ بوجوبِ السؤال من آل الرسول في كيفيةِ العبادة ، وهم بدورِهم يجب عليهم بيان ذلك فهم علي (ع) واحدَ عشر من ابنائه ، والرجوع إلى غيرِهِم مرفوض عقلاً ، فأنا لأيِّ سببٍ أطيعُ أبا حنيفة ؟! انه إنسان عادي ولا يقارَن بـآل الرسـول (ص) فجعفرُ بن محمدٍ الصادق (ع) مفروضُ الطاعة من قبلِ الله تباركَ وتعالى .

إرشاد الإمام علي (ع) للخلفاء :

واما بصدد الفتوحاتِ على زمانِهم فقد أشَرنا إلى هذِه المسألة بأن لا علاقَةَ لهم بها ، وإنَّ عمر أصغرُ من ان يفتحَ قريةً تعدادُ نفوسِها مائة شخص ولم يكن ليتحلى بشيءٍ من الشجاعةِ في الغزواتِ التي شاركَ بها فلم يُرَ منه غيرُ الفرار ، وقد قالَ فيه ابنُ أبي الحديد : لم نعرِفْ لعمرَ غيرَ الهروب من سوحِ المعارك ؛ وقد تطرّق في معرضِ حديثه عن عُمر إلى حادثةِ اختفائِه وراءَ الصخور في غزوةِ أحد . . . وليس يُنكَر في حنينٍ فرارهُ .

اما ما يمكن قولُه في سياسةِ علي (ع) فلو قُدِّر عدمُ مساعدةِ الإمام (ع) في القضايا السياسية لعُمر لهلَك ، وتصوَّر السيـاسي عمر وهـو يعدوّ خلفَ الإمـام

علي (ع) في كل نائبةٍ سياسية ، فعلى زمان الحرب التي قامت بين الجيوشِ الإسلامية وايران وبروزِ المشاكل التي قد تتسببُ في اضعافِ الحكومة الإسلامية أرسل عمر إلى الأميرِ علي (ع) أن ماذا يفعل ؟ وطلب منه المجيء إليه علّه يحظى بتقدمٍ في حلِّ مشاكله ، وحينَها قال الإمام (ع) لمن أُرسلَ إليه من عمر : قال لعمر ان يجلِسَ مكانَه ، فليس من خيرٍ في ذهابه ، وليجمع أطرافَ جيوشِه . . . إلى غيرِ ذلك . . ولا يحسبُ نفسَه قائداً سياسياً ، فلا حيلة لحلِّ مشاكلِه بالمراوغة .

ان الفتوحات الإسلامية هي وعدُ الله الحتميّ ، فهل سمعتم بغزوة الخندق ، انها الغزوةُ التي بدأ فيها النبيُ (ص) بحفرِ خندقٍ يُعيق الكفّارَ والمشركين من الوصولِ اليهم ، وكلما ضربَ النبيُ بفأسِه الأرضَ لاحت شرارةٌ تدلُّ على وعدٍ الهي ، فقد لاحظَ المؤمنون ثلاثَ شرارات عبّرَ عنها الرسول الأكرم (ص) بأن الشرارةَ الأولى فيها خرابُ قصورِ اليمن والثانية فتحُ الشام والثالثةَ فتحُ ايران ، فالفتوحات وعدٌ من الله لعبادِه فإذا كان عُمر على رأسِ السلطةِ أو غيرُه من الناسِ فانَ الوعدَ منجزٌ لا محالة .

ان الجيوشَ التي فازت بفتحِ هذه البلدان تعتقدُ اعتقاداً راسخاً وطبق أحاديثِ النبي (ص) بذهابِ من يُقتَل في حربٍ مع المشركين إلى الجنَّة ، ولكن الشكَ يساورُ الجميعَ في أن من قتل في غيرِ هذه الغزوات فلا يُطمئَنُّ إلى ذهابه إلى جناتِ الخلد ، لذا كانَ المسلمون ومنذُ البداية يشتاقون إلى القتلِ في سبيلِ الله عن طريقِ هذه الغزوات ، فالمسلمون حينَها وبما يعتقِدون من قولِ الرسول الأكرم (ص) يسعون بهممٍ عالية من أجلِ إعلاءِ الشعار الإسلامي الذي يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

الإمداد الغيبي في فتح نهاوند :

لقد تحمل المسلمون مصائب جمة وصعوبة كبرى لأن رئيسَ الجيوش

الإيراني في نهاوَند كان قد أحكَم بناء قلعةٍ فيها وكان الجيشُ المتمركزُ فيها مهيئاً لصدِّ أيِّ هُجوم .

وعِنـدما قـاربَ حصارُ المسلمين للقلعـة على الشهرِ بـدا عليهم الحيـرة والتعب ولا من فرجٍ غير السهام والنبال التي تتناوشهم آتيةً من كمائنِ القلعة وفي هذه الحال تـظهرُ ابنـةُ رئيس الجيوش من سطح القلعة لتقع عينُها على قـائدِ الجيش العربي فيجذبها جمالُه وتُرسل شخصاً بشكلٍ خفيّ ليقولَ لقائدِ الجيش الإسلامي ان ابنةَ رئيس الجيوش الايرانية تدعوك إلى الزواجِ منها وإذا ما قبلت شرطَها هذا فتحت لك القلعة بدون إسالةٍ لدماء .

لقد كان قائدُ الجيوش الإسلامية ينتظر هكذا خطاب فقال للشخص : أنا مستعدٌ لذلك ، شريطةَ أن تُعقدَ معاهدةٌ بعد منتصفِ الليل ، بعدها تُعيِّن ساعةٌ لفتح الأبواب في غفلةٍ من حرسِ القلعة النائمين .

فتح قائدُ الجيشِ الإيرانيَ أبواب القلعة في الساعةِ المعينة بعد ان تمّت المعـاهـدةُ فيمـا بين الطرفين بسـلام ، وارسـل ابنتـه إلى قـائِـد الجيـوش الإسلامية . . .

وعندما رأى الشابُ القائد هذه البنت أُعجبَ بها وقال لهـا : رضيتُ بكِ ولكن لأرىٰ هل يُسمح لي بأن تكوني من نصيبي في الغنائم .

هذا هو الإيمان على وقت الفتح ـ فلا يحقّ لأحد التصـرف في الأموال والغنائم بدون اكتساب أمرٍ من القيادةِ العليا للمسلمين .

لقد كانت آمال البنت تتمحور حول الزواج ، فقالت للقائد المسلم انك لا تريدني زوجةً لك فيما أظنّ فلماذا أغويتني وقبلت اقتراحي إذ كان من المفروض أن ترفضَ طلبي من الأول فأجاب : إنا مستعدٌ لتنفيذ ما وعدتِ ولكنّي أخاف الله ربّ العالمين فتعالي تذهب سويةً إلى المدينة وندخل على الخليفة ونحكي لـه الأمرَ الذي جرىٰ بدون أن تلامسَ يديّ يداك ، فانقضت ليلةٌ ويـوم حتى وصلا

إلى المدينة قادمين من نهاوند ، وما إن وصلا حتى قصَّ القصةَ على عمر ، فقال عمر : قبلتُ ما تريد شريطةَ ان تُسلمَ هذه البنت ، فرضيَتْ بذلك وقالت : كانت امنيةٌ لي أنْ أرى الرسولَ الأكرم (ص) ولكنه الآن في رياضِ الجنان فلا بأس ان تذهبوا بي إلى قبرِه ، وذهبَ بها القائد إلى قبرِ المصطفى (ص) فجلست حينها عند القبر بعد ان تمرّغت بترابه وبقيت من ليلتها إلى يومها وعندها دعاها القائد إلى الذهاب فأجابت بانها لا تستطيع خلع حبِّ الرسول من قلبها (لقد كان في الأول حبّاً مجازياً وقد أصبح الآن حبّاً حقيقياً) فتركها لحالها وجاءها صباح اليوم التالي وقال لها : لنكمل ما اتفقنا عليه من عقدٍ وزواج فأجابت : لقد اضحيتُ الآن محمديّةً ، لقد كنت طالبةً لكَ وقت غفلتي عن محمد (ص) اما الآن وقد صحوت من غفلتي فتناسَ ما بيننا .

لقد بقيت هذه البنت اسبوعاً واحداً أو اكثر بقليل عند قبر الرسول الأكرم (ص) وبعد ذاك قضت نحبها .

إذن عندما يقولُ أحدُ المؤرخين من اخوانِنا السنّة أو أحد الذين لا يمتلكون أيّ اطلاع عن ايران ان الإسلام في إيران مرهونٌ بعمر فهو كاذب لقد كان الإسلام في إيران وعدَ الله الحقِ ولطفَه بل هو من إيمان الجيش المسلم حسب الظاهر .

النقطة الجديرة بالذكر هنا هو ان يقولَ الحاضرون للغائبين أنَّ الأئمةَ (ع) أوصوا بعدمِ إعطاءِ الحقِ لمَنْ يسبُّ عمر بشكلٍ علنيٍّ مراعاةً للتقيّة فنبيهم ونبيُّنا واحد وقبلتُهم هي قبلتُنا وكتابُهم كتابُنا ونحن معهم في الصلاة سواء بل ونشاركُ في صلاتهم .

رفيق الإيمان لطفٌ تجلبه الهداية الخاصة :

قلنا ان الهداية الإلهية الخاصة والألطاف والتوفيقات الإلهية الخاصة هي للشخص الذي قَبِلَ الهداية الإلهية العامة ، ورضي لنفسه ان يكونَ عبداً له

وحدّه تعالى على اساس العبادة الخالصةِ الصادقةِ من أجلِ ضمانِ سعادةِ الآخرين ، وهذا الشخص سيحظى بالتأكيد برعاية الله باشكالٍ مختلفة ، وقد تتجسد هذه الرعايةُ الالهية برفيقٍ صاحبٍ يقين يحفظ لـه قلبه قـوياً على جادة السواء .

ومن الألطافِ الالهيةِ الأُخرى الخاصة بأهل الإيمان هي :

ان قلبَ الإنسانِ وعاءٌ للإيمان وليسَ اللسانَ ولا البدن ، بل ان البدَن هو محل ظهوره .

ان الإيمانَ في القلبِ والنفس ، وقد يقسو القلبُ الإنساني على أثر الشهوات والغفلة والآمال والأماني ، وإذا ما أردتَ أن تفهمَ معنى الغفلة ينبغي لك أنْ تنتبه لهذا المثل .

لا تكون الزراعة في الأرض الصخرية :

ان الأرضَ التي تـرومُ زراعتَها ينبغي لهـا ان تكونَ رخـوةً وخصبـة حتى تتمكن من بثّ البذور وارواثِها لتحصُلَ على نتيجةٍ حسنة لما بذرت ، اما الأرضُ الصخريةُ والتي (ضـربت احجارُهـا وصخورهـا الى مسافـةٍ بعيدة في العمقِ لا يمكن ان تُحتسبَ ارضاً زراعيةً لاستحالةِ ذهابِ جذورِ البذور إلى داخلِها ، فإذا كانت رغبتُك راسخةً في الزراعةِ حينها ينبغي لكَ ان تُزيلَ هذه الصخور بطريقةٍ او بأخرى ليتسنى لكَ زراعتُها ، وإذا ما استحالَ هذا الأمرُ او صَعُب فيجدرُ بك حينها ان تبحثَ عن مكانٍ آخر لبذْرِك .

وكذا قلبُك إذا ما رافقَتْهُ القساوة فلا يمكن للإيمان ان يتخذَ موقعـاً فيه ، فإذا ما كان قلبُك ليّناً متقبّلاً للإيمان برزَ ذلك واضحاً على لسانِك وعينِك وتجلّى نورُ الإيمان فيهما بشكلٍ ينعكس على سلوكِك الكلّي .

البلايا تزيل قساوة القلب :

يقول الله تبارك وتعالى في محكمِ كتابه ﴿ فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾[1] اولئك الذين لم يبقَ من ذِكر الله شيء في قلوبهم ، فالآمالُ واللّهو الدنيوي جعل من قلوبِهم حجارةً قاسيةً فنسوا أو تناسَوا ذكرَ العزيز القدير .

ان الله الكريم الحكيم يريدُ لعبدهِ دائماً ايماناً يملكُ عليه قلبَه فيرققه ومتى ما صار ذلك وتمكن الإيمان من قلبِ الإنسان ابتلاهُ المولىٰ سبحانه بالبلايا والمصائب لينفطرَ قلبُه فيبذُر فيه بذورَه الرحمانية كمثلِ الأرض التي تُعمل فيها الفأس فتتفتح الفجواتُ لتقبُّل البذور .

ويسترجعُ الله الأمانةَ بأخذِه لاولادِك الأعزاء فينكسرُ قلبُك لذلك وحينها تأخذُ الذكرى ، ذكرى الله وذكرى نعمهِ طريقَها إلى قلبِك .

وحيناً يقلُّ ما لدَيك منَ الأموال ، أو يذهبُ لصٌ بها فتتأثر لذلك وتنفعل وحينَها تقول : الهي ما العمل ؟ تتجهُ إلى الله بقلبٍ منكسر تتوسل إليه وترجوه فتصلحُ بذلك النفس ويرقُّ القلب بذكرِ العزيز المقتدر .

لقد تواترَت الروايات علينا في هكذا مجال ففي رواية٦ ذكرها لنا الحاج نوري في كتاب « دار السلام » جاء فيها ان اميرَ المؤمنين (ع) قال : « من أحبّنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً » وفي أُخرى جاء : « فليستعد للفقر ، فليستعد للبلاء » فالقلب القاسي محرومٌ من حبّ عليّ (ع) وحرمانه هذا يتأتى من محروميّة قلبِه من الإيمان وذلك بسبب ما غشيَ قلبَه من الشهوات وحبِّ الدنيا التي جعلته يغفل عن الخوفِ والإضطراب من يومِ القيامة وما فيه من المصائب والبلايا .

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٢ .

إن الإيمان وحبَّ علي (ع) غالباً ما نراه عند الفقراءِ والمساكين ونادراً ما تمكن الإيمانُ وحبُّ علي (ع) من قلوب المتمكنين الأثرياء ، ولكن قد يصابُ المتمكنُ ببلاءٍ أو مصيبةٍ تجعله يحظى بالإيمان وبالمحبةِ من خلال التجائِه إلى الباري بالدعاءِ ليرفعَ عنه البلايا .

ان البلاء هو هدية الله إلى الإنسان من أجْلِ نجاتِه من القساوةِ والغفلة لذا كان المؤمنُ مبتلى ، فحيناً يُبتلى بأذىٰ الزوجة فينقلبُ عليه منزلُه جحيماً فيتجهَ إلى الله بكل جوارحِه طالباً لها الإصلاح والسواء .

بلاء أمير المؤمنين علي (ع) :

لقد جعل البلاءُ من قلبِ عليٍّ رحمةً ورقّة فحوّلَه الى شوق عظيم للقاءِ الله تبارك وتعالى فقد رُوي عنه سلامُ الله عليه وحينما كان على المنبر ، جاءه شخص يستنجده أنْ يا علي (ع) انجدني : فقال (ع) : ما الخبر فقال الرجل : لقد ظلمني فلان بأخذه أموالي فأجاب (ع) : عندك مصيبة واحدة وقد لحقَ بك الظُلم مرة واحدة وقد ظُلِمْتُ بعدد حبّاتْ الرمال وقطرات المطر وما زلتُ مظلوماً ، فإذا ما ظلموك مرةً فأنا ظُلمتُ منذ البداية ومراتَ ففي عهدِ الطفولة وحينما كان أخي عقيل يشكو ألماً في عينه أرادت فاطمة بنت أسد وضعَ دواءٍ في إحدى عينيه رأفةً به وتسكيناً لألم عينه بدا لها أنّه قد يفقدُ عقيلٌ بصَره بما لديها من دواء ، ففضلت أن تجرّب دواءها على عيني على الرغم من أنها كانت سالمة ، فانامتني على الأرض ووضعت دواءها في عيني ؛ (فمن هو اكثر مظلوميةً من عليّ (ع) ـ السلام على أول مظلوم) .

الحق الواضح المضيّع :

ولم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مثله حقاً أُضيعا

في البداية اعتذر لبعضِ الشعراء الذين أظهروا مظلوميةَ امير المؤمنين (ع) بعد استعراضهم لحادثةِ غديرِ خم ولكنّي اعجبُ لذاك الشخص الذي لم يستطع

قولَ بيت كاملٍ بحقِ امير المؤمنين (ع) فقال صدراً واستغنى عن العجز قائلاً « ولم ارَ مثل ذاكَ اليوم يوماً » وكان هذا الصدر من الشعرِ بحقِ اليوم الذي تَوّجَ فيه النبي (ص) علياً بتاج الإمارة فجاء الشعرُ ابتر ولكنه اي الشاعر رأى اميرَ المؤمنين (ع) في عالم الرؤيا فقال له (ع) : « ولم ارَ مثله حقاً أُضيعا » .

فلا يوجد ولم يُرَ حقاً مضيعاً كحق امير المؤمنين الذي شيعّه حفنةٌ من عبّاد الدنيا .

الابتلاء بالناكثين والقاسطين والمارقين :

إنه مؤمنٌ بالله ، ومنذ سنيّ عمره الأولى كان يصلّي خلف الرسولِ الأكرم مؤتماً به ، ويقال : انه أسلَم وعمره اثنا عشر عاماً ولم يتهاون يوماً في عملٍ من اعمالِه العبادية حريٌ أن يكونَ كلُّ وجودِه لله وعلى سبيل الله ـ لقد عاش خمسة وعشرون عاماً جنباً إلى جنبِ الرسول الأعظم (ص) وفي ، فترة خلافتِه التي لم يتم فيها الخمس سنوات ابتلى الإمام علي (ع) بالنكائين الذين نكثوا العهدَ من مثلِ طلحةَ والزبير وبعدَها ابتُلي بالقاسطين الظلمة من مثلِ معاوية واتباعِه الذين يقولون بكفر الإمام (ع) وفي نفس الوقت ملأ المارقون قلبَه قيحاً وهم الخوارج الذين خرجوا عليه وكان تعدادهم آنذاك اثنا عشر ألف خارجيّ تاركين الإنتهاج بنهجِه والذي هو نهج الرسول (ص) وواضعين القرآنَ على رفٍ يعلوُه التُراب ، وقد كانوا يشيعون بين الناس ان الصلاةَ بإمامةِ عليّ باطلة ، حيث كانوا يتقدون بقائدٍ عسكري في مسجدِ الكوفة ويستغنون عن الإتمام بأميرِ المؤمنين علي (ع) .

لقد عَملت عمَلها حِيَلُ عمرو بن العاص في الناسِ فكان يسعى جاهداً في تصغيرِ مقامِ الإمام (ع) في أعينِ الحمقى وعامةِ الناس غرضه تضييع حقّه في حكومةِ الله الاسلامية ؛ ومن ثم شرع بإلقاء التهمِ التي ما انزل الله بها من سلطان ؛ وإليكَ مضمون حكاية :

لقد أمر معاوية بإشاعةِ ان النبي (ص) قال : احـذروا من علي (ع) فإنـه ينقل عني حديثاً كذباً ؛ وصلت هذه الشائعات من الشام ِ إلى الكوفة وبُثت بين عامةِ الناس ووصلت إلى أُذنِ علي (ع) فأَنَّ منها الإمام طويلاً على منبرِ مسجد الكوفة قائلاً : يا معاوية الويل لك ، تدعي كذباً بأني أتقَّول وأُحرف واقول كذباً على رسولِ الله (ص) على الرغم من أني اولّ من آمن بمحمدٍ وكنتُ ولا أزال وحتى يقضيَ الله يداً وصوتاً لمحـمـد (ص) ، فقد كان رأسُه في حجري عندما رحلَ من دنياكم الفانية فمن أجل ماذا ؟ ولأجل ماذا اكذبُ عليه ؟ . فأصبح آخرَ الأمر ان الناسَ في الشام ِ يقولون بعدم ِ صـلاةِ أميرِ المؤمنين (ع) من جـرّاءِ ما اشاعَ معاوية بين الهمَج الرعاع حتى يكونَ حاكماً بلا منازِع ويُرجِع الخلافة من بني هاشم إلى بني أميّة ، والشكر لله وحده ان معاويةَ هذا لم ينل مرادَه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأنِ للّذين آمنوا أنْ تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَلَ من الحقِ ولا يكونُوا كالّذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فَطالَ عليهمُ الأمد فقست قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقونِ ﴾

وصل بحثنا إلى موضوعِ قساوةِ القلب ؛ ان قبولَ الإسلام سهل ، أمّا دخولُ الإيمـان في القلب وحبِّ الله وآل بيت محمـد (ص) لا يتـأتى إلاّ بعـد تـرويضِ القلبِ وحينَها يصيـر القلبُ الى الخشوعِ راغبـاً ، ولكن اذا تمكنت القسـاوةُ من قلبِ الإنسان يأبى القلبُ ان يكونَ خاشعاً لله بل يكون خاشعاً للمالِ خاضعاً لكلِ ما هو ماديّ في دنيا الماديّات ، فإذا لم يتمكن المزارعُ من حرثِ أرضِه كيف يتأتى له بذرُها لذا ينبغي له أنْ يُليّن الأرضَ ويحرثَها وبعد ذلك يرمي بالبذور فيها ليفوزَ بالثمار على وقت الحصادِ وكذا القلبُ البشري فإذا مـال كان قاسياً كالأرضِ الصلبةِ لا يمكن أن تنفذَ بذورُ الإيمان إلى داخله لذا يجبُ في وليّ الأمر ان يروِّضَ الإنسانُ قلبَه ويجعلَ منه طوعاً لقوانين الله وشرعتِه السمحاءِ وذلك يكون تدريبه على الخير

قساوة القلب وطغيانه يأتي من الترف :

ما هو علاجُ قساوة القلب ؟ ان أحد طرقِ العلاج اشر اليها القرآن المجيدُ وهي البلاء ، والمصيبة والمكابدة في الدنيا حتى يصلَ الأمرُ إلى تليينِ وترويضِ

القلب القاسي ، ومن عجائبِ الأمور ان الانسانَ كلما زاد ترفُه واسبابُ راحتِه الدنيوية كلمّا زادت قسوةُ قلبه وهذا ما تطرق إليه كتابُ الله العزيز حيث جاء فيه ﴿ كلاّ إنَّ الإنسانَ ليَطغى أن رآه استغنى ﴾[1] فكلما زادت الرغبات والشهوات كلما ازداد القلبُ غلظةً وقاسوة وهذا إذا كانت هذه الشهواتُ مطابقةً تماماً للميول والنزوات الذاتية التي تنتهي إلى وقتٍ معيّن ومحدود مما يزيح الستارَ عن مصائب واضرار وامراض يصاب بها البشر ، فيقف قطارُ الآمال إلى هذا الحد ولا يتجاوز إلاّ قِسماً غير كثير من الأماني التي رسمها صاحبُ القلب القاسي .

أنجبت عشرين ، ماتوا :

ينقل لنا الحاج نوري في كتابه دار السلام إنَّ احدى العلويات المجللات انجبت عشرين مرة ، في كل مرةٍ تلدُ فيها ولداً غلاماً يموت قبل ان يصل إلى سنتين ، وحين انجابِها الطفل العشرين ويتعدى السنتين ترفع يديها إلى السماء وتقول : إلهي ، الحكم لك ، ولكن ادعوك أن تتلطف عليَّ في ابقاءِ هذا الغلام لي - في نفسِ الوقت ترى مقامها في عالم الرؤيا وكأن شخصاً يقول لها : انك لم تصلي إلى هذا المقام إلاّ من خلالِ ما عانيتِ وما جرىٰ عليك من المصائب ؛ خصوصاً وان النساء بشكل عام يرتبطن بالشهواتِ اكثر مما يرتبط الرجال .

ان في قلوبِ النساء إلى الملبس الجميل والذهب والزينة طريقاً لا يعرفه غيرُهن وبهذا الوضع كيف يتأتى لهنَ ان يصلنَ إلى هكذا مقامات ، ولكن هذه العلوية وصلت إلى مقامٍ عليٍّ من خلال معاناتها وتوسلها بالعزيز القدير .

التقرب إلى الله بالإبتعاد عن الترف :

نحن لا نقول لك اطلب البلاء لنفسك بل ادع الله ان يديمَ عليك نعمة

---

(١) سورة العلق . الآية ٦ و٧ .

العافية ؛ نعم ، فإذا ما اعترضَك البلاء فاعلم أنّ فيه صلاحَك ، وإنّ الله حباكَ لطفاً يريُد به كسرَ حاجزِ القسوة الذي يحيطُ بقلبك ليُدخلَ حبَّه وحبَّ لقائه فيه . حتى يتسنى لهذا القلبِ ان ينخلعَ من حُبِّ الدنيا الماديّة ويتجّهَ صوبَ الرحمن الرحيم .

انظروا إلى هذا الإنسان عندما يكونُ محتاجاً لرحمةِ الله ورأفته كيف يتوسلُ ويتذلل من أجلِ قضاءِ حاجته ، وكلما طالتْ المدّةُ كلما كان أفضل للإنسان لأنّه يقتربُ من الله في طلبِ حاجتِه في التوسلِ والتذلل .

وإذا ـ لا سمحَ الله ـ قسا القلبُ واستفحل القساوةُ حينها لن تفيدُ مثات المواعظ في ان تحرك ساكناً هو كالحجارة ؛ **﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾**[1] .

ماذا يفيد الوعظ مع قلبٍ قسى ... فهو كالحجر الذي لا يمضي فيه المسمار

فالويل للقلبِ القاسي ، عليكم أن تنتبهوا دائماً لقلوبِكم التي ينبغي لها أن تكونَ رقيقةً وشفّافة ؛ وعليكم أن تعلموا إذا ما قسى القلبُ فلن ينفعَ معه شيء حتى ولو كانَ مُعجزاً ؛ واحبّذ هنا أن اتحدثَ لكم عن شخصٍ قاسي القلب لم ينفع معه أيُّ شيء وذلك بمناسبةِ التاسعِ عشر من شهر رمضان

أبو عبد الله المحدث ، أعمى البصر والبصيرة :

يقول الشيخ المفيد ـ أعلىٰ الله مقامَه ـ لقد كنت يوماً بسوقٍ ببغداد ماشياً اتفقد الكتبَ الموجودَة فيها ، فذهبتُ عندَ بائعٍ للكتب ، فانتخبت عدّة منها لأشتريها ، وحينها قال لي البائع : أيّها الشيخُ لا بأس لو جلستَ لدقائق أحدثُك بما ينفعُك فجلستُ انصتُ لما يقولُ فقال : لقد كنتُ وصاحبٌ لي نتلقى دروساً في الحديث والتفسير على يدِ محدثٍ اسمُه أبو عبد الله ، وفي يومٍ من أيام

---

(١) سورة البقرة الآية ، ٧٤ .

الدراسةِ جلب سمَعنا حديثٌ ينمّ عن بغضٍ لعليّ (ع) وفاطمة (س) فلم نُطِقْ ذلك فأظهرنا ما في كوامِننا وقلنا لـه : لن نستطيعَ بعدَ الآن أن نُكمـلَ دروسَنا عنـدك لما سمعنـا منك مـا يشيرُ إلى عـداوتِك وبغضِـك لأمير المؤمنين (ع) ، فكشفَ عن أمرِه وصرّح بانه يكره الإمام (ع) .

وفي المساء ذهبتُ إلى الدار وقبل أنْ اهجَع إلى النومِ كنت افكرُ بشكل دقيق ان ماذا ستكون عاقبةُ هذا المسكين الشقي ؟ وفي عالمِ الرؤيا رأيت جمالَ محمـد (ص) جالسـاً إلى جنبِ اميـر المؤمنين (ع) ، وكـان الإمـام (ع) يسـأل النبيّ (ص) : يا رسولَ الله ما الذي بدَرَ منّي حيالَ هـذا الشيخ حتى يكيـلَ لي السباب والشتائم ، فأشار الرسولُ الأكرم (ص) بسبّابته وقال : فليخبو نورُ عينك اليُمنى يا مَن سبّبْتَ علياً (ع) .

استيقظتُ من نومِي وذهبتُ إلى صاحبي لأقُصَّ عليه ما رأيت في المنامِ وفي طريقِي إليه شاهدتُه يسيرُ إليّ ويسألني إلى أين تذهب ؟ فقصصت عليه ما رأيت في منامي ، فأشارَ عليَّ بأن نذهبَ سوية إلى أبي عبد الله المحدث نروي له ما رأيتُ في منامي علّه يرجعُ عما هو فيه من ظلم لعليٍّ (ع) ولنفسِه .

اتجهنا صوبَ دارِه فإذا بنا نسمعُ صوت أنينٍ يأتي من جهةِ منزله ، فطرقنا البابَ وإذا بإمرأةٍ تردّ علينا من خَلفِ الباب أنْ : من الطارق ؟ فقلنا : لنا عملٌ ضروري مع الشيخِ فأجابت : لقد كان الشيخُ بـالأمسِ سالمـاً صحيحاً وعنـد استيقاظه هذا الصباح كانت عينُه اليمنى قد خاب نورُهافعميت وهـو الآن يضعُ يدهُ على عينه ويقول : لقد أذهب عليّ (ع) بنورِ بصري .

فقلنا : من اجلِ هذا نحن هنا ـ ففتحت لنا بابَ الدار فرأيناه واضعاً يدهَ على عينهِ اليمنى ، فقلنا له : يا شيخ جئناك نُريدُ خيرَك وصلاحَـك وفي الليلةِ الفائتة رأى فلانٌ في عالمِ الرؤيا ان رسـولَ الله (ص) اشار بيـده المباركـةِ إلى عينك اليمنى وفقأها بسببِ شتمِك اميرَ المؤمنين (ع) ، فيا ايها الشيخ ينبغي لك

أن تكون مع الحقِ ، مع علي (ع) (انظر هنا إلى القسوة) وفجأةً صرخَ بنا : لو فقأ عليٌّ عينيَ الأخرى لما رضيتِ به إماماً ولا قُدوة ! !

خرجنا من عندِه بعدما سمعنا ما يثيرُ على الدهشةِ والتعجب ، وفي المساءِ رأيتُ في المنامِ ان الرسولَ (ص) يشير إلى عينِه اليسرى فيطفيءُ نورها ، فذهبتُ وصاحبي في اليوم التالي إلى منزل الشيخ لنرى ان عينَه الأخرى قد عميت واصبحت كقلبِه القاسي الأعمى فاضحى اعمى البصرِ والبصيرة .

عجيبٌ أمرِ هؤلاء ، يرون الحقّ ويفهمون أنّهُ حق ولا يعملون به ، وكم قيل لهم أنَّ الإمام علياً (ع) يأتي إليكم ساعةَ الموت ويحضرُ حسابَ القبر يجيبون بما يبعثُ على الشكِ والريبةِ مستهزئين مثلَهُم كمثلِ أبي جهل وأبي سفيان الذين اثاروا الشكوكَ دائماً في حقّ الرسولِ (ص) ؛ ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفُسهم ظلماً وعُلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾[1] .

لن يتأتى للإنسان ان يؤمن إيماناً صادقاً وهو لا يزالُ غافلَ القلب ، فإذا كان القلبُ قاسياً كيف يمكنُ له أن يعرف حبَّ عليّ (ع) فمن أحبَّ علياً (ع) سارَ على نهجِه وهو نهجُ الرسولِ الهادي (ص) وبالتالي هو ما قالَ به الله تبارك وتعالى .

الم ترَ وتسمع بالإمام زينِ العابدين (ع) كيف كان يبدو عاجزاً منكسراً أمام ربّه تبارك وتعالى ، وكذا شيعتُه الذين ساروا على نهجِهِ فاكتسبوا الطريقة من عندِهِ ، وقد جاء في الحديثِ القدسي « أنا عند المنكسرة قلوبهم » .

معدة خاوية وقلب رقيق :

كم كان علي (ع) خاشعاً صبيحةَ التاسعِ عشر من شهر رمضان الكريم

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٤ .

فقد رويَ أنَّ اميرَ المؤمنين (ع) كان ذا قلبٍ رقيقٍ ولطيف وخصوصاً في الأيـام الأخيرة من حياتِه المباركةِ لقد كانَ ذا معدة خالية وكما عهده من عاشَ معه .

ففي أواخرِ أيامِه ينزلُ ليلةً بعنـوان ضيفٍ على الحسـن (ع) واخرى على الحسين (ع) وثالثة على زينب (س) فقد كان طعامُه لا يتجاوزُ الثلاثَ لقمات .

ففي ليلةٍ وعندما كان الإمام (ع) ينزل ضيفاً على زينب قالت له : والدي العزيز ، إنكم تصوم وتفطر على ثلاث لقمات ، ناشدتك بالله اين يكون محل هذه اللقَم الثلاث منك ؟! فإجاب : لقد وصل عمري آخرَه فأحببتُ خلو قلبي ومعدتي لأنَّ الرسولَ اخبرَني بأنّي سأنزل عليه ضيفاً في هذِه الأيام العشرة .

كلما كانَ القلبُ رقيقاً ، كلما كان التأثيرُ للعوالمِ الربوبية عليه شديداً ؛ تقولُ أمُّ كلثوم (س) : لقد كان أبي في ليلةِ التاسعِ عشـر من رمضان المبـارك دائمَ الإستغفار من الليل وحتى بزوغِ الفجر .

لقد جاءَ في الجزءِ التاسع من بحار الأنوار ان الإمام (ع) قال لأمِ كلثوم : بُنيّة ، كان أبوك في مهالك ميادين الحرب كثير الحضور ، ولم يرَ هؤلاً أبداً مثل ما يرى الآن .

انظر ايها المسلم إلى قلبِك بدقة ، لقد قَسَت قلوبُنـا ، اما قلب عليّ لم يكنَ ليقسو أبدا ، فهو في أحلَكِ الظروف يتذكر لقاء الله تبارك وتعالى ويستيقن بضرورةِ اللقاء في جوارِ الحق تعالى .

ان الوزيرَ يرتجفُ في محضرِ السلطان الذي يعرفُه ـ كتبوا فيما مضى ان وزيراً دخلَ في ملابِسه عقـرباً في حضـوره أمام السلطان ، حيث بـدأ العقربُ بلسعِـه ، فكان لشـدةِ احترامـه للسلطان لا يتحرك ولا يُبـدي ذلك للحـاضرين مخافةَ ان ينزعج السلطانُ وفي نهايةِ الأمر وصل سمُّ العقرب إلى جميع انحـاءِ بدنه فسقطَ على الأرض ميتاً ،

فمن أدركَ العظمَة يتأدب ، وما فعلَه الوزير وما يفعله امثالُه كونهم صغارَ العقول والنفوس حيث انهم يرون السلطانَ كبيراً وعظيماً ، أمّا علي (ع) كان كبيراً بنفسه ، بروحه ، بعقلِه فلا يرى غيرَ عظمةِ الله ، كان يذوب شوقاً إلى اللقاءِ الإلهي العظيم .

اننا نتصورُ أنَّ العالمَ هو عبارة عن هذهِ الكرة الأرضية والوضع الماديّ في دنيا الزوال ، ولكن علياً (ع) لا يراها غيرَ قبضةِ تراب لا اكثرَ والكل مقهورين بالحق ؛ ﴿ وهو القاهرُ فوقَ عبادِه ﴾[1] وكذا في علياته فان الملائكة ترتعد فرائصُها هيبةً من العرشِ العظيم .

لقد كانتْ ضرباتُ قلبِ علي (ع) تتسارعُ فسألتَه أُمُّ كُلثوم : ما الخبر فاجاب : لقد رأيتُ ابنَّ عمّي في المنامِ فشكوت له وضعَ الزمان فأمرني بالدعاء فدعوت الله ان يعجل في الفرج وان يأخذني إلى حيثُ مقامِ رسولِه الأمين فقال لي : استُجيبتْ دعوتُك وأنّك لاحقٌ بي في العشرِ الأواخر من شهرِ رمضان المبارك .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يأن للّذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَلَ منَ الحقِ ولا يكونُوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ فَقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1]

مرض الفساد علاجه الإيمان :

ما هو منشأ الفساد ؟ وهل هو قابلٌ للإصلاح أم لا ؟ منشأ الفساد يمكن أن يُعزى إلى عدميّةِ الإيمان وعدم الإتكال والاستناد إلى الله . وأن ما يمكن اعتبارهُ الطريقَ الوحيدَ والصحيح فهو الإيمان به وحده تعالى اسمه لأنّه علاج هكذا أمراض .

ان سعادةَ الدنيا والحياة الطيبة ونهاية الأمن يتأتى من الإمن يتأتى من الإيمان بالله تبارك وتعالى فإذا ما أردتَ ان تكونَ سعيداً ابداً وفي أَمْنٍ وأمان على وقت ساعة الموت عليك ان تكون مؤمناً بالله وباليومِ الآخر إذ من الممكن ان يقولَ شخصٌ ان المسلمين يتفاوتون في قولِ الشهادتين . ﴿ ولا خوفٌ عليهم

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

ولا هم يحزنون ﴾[٢] .

وجواب هذا الذي يقول بالتفاوت في الشهادتين هو : طالما كررنا وقلنا إنَّ الإسلام غيرُ الايمان ، فالإسلام يعني قولَ الشهادتين « لا إله إلاّ الله محمد رسول الله » وقبول الصلاة والزكاة والحج وضروريات الإسلام والأخرى فهذا الشخص الذي يقبل كل ما ذكرنا يُسمى مسلماً ، ومن قَبلَ كل ذلك ينبغي له أنْ يؤمنَ قلباً لا لساناً فيُسمى وقتَها مؤمناً .

ان الشيء القابل للتصديق هو من تعلّق قلبُه بالجنة حظيَ بها ، فهل يمكن أن تعرف ما هو مطلب قلبك الآخرة ام الدنيا ، يطلب المقام والمنصب أم يطلب جوارَ علي (ع) ـ فالإيمانُ معناهُ التعلق ، تعلقُ القلب بمحبَّةِ الله فيها ايها المسلمون هل وصل قلبُكم ان حالةِ التعلّق هذه « ألم تأن للذين آمنوا . . . » .

ان الإدعاء والتظاهر لساناً بكون الشخص مسلماً لا فائدة منه ؛ يقول انا مسلم ولكن تعلّق قلبه بغير الاسلام تفضحه اعماله ؛ « إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله ـ والكافر يرى إنكاره في عمله »[١] .

فالإيمان القلبي يصدقهُ عملك الظاهريّ ، فإذا ما كانت علاقتُك بالله تبارك وتعالى حسنة صدّقها عملُك وسلوكُك الحسن .

ميزان الأعمال مرهون بالتعلق بالله واليوم الآخر :

لقد حدد القرآن الكريم قاعدة الصلاح والاستقامة المطلقة للمؤمنين حين قال عزّ من قائل : ﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمِل صالحاً فلهم أجرُهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم

(٢) سورة البقرة ، الآية ٦٢

(١) الاصول من الكافي ـ للكليني ج٢ ص٤٦ .

يحزنون ﴾[1] . وقد جاء في آية أخرى تدلل على حرص اليهود حيث تقول : ﴿ ولتَجِدَنَّهُم أحْرَص الناسِ على حياة ومن الذينَ أشركوا ﴾[2] .

فحبّ المال وطلب الجاه يبتعد بالانسان عن التعلّق بحب الله واليوم الآخر فيا ايها النصارى يا من تقـولون ﴿ نحن أبنـاءُ الله واحبائـه ﴾[3] انكم مغرورون حينما هكذا تدعّون وتعتقدون ان الجنة ملكٌ مطلق لكم ؛ وكذا الصائبون وهم صنف لا يدّعي العبودية لله ؛ فالكل خاطبَهم المولى جلّت قدرته في الآية التي ذكرنا وحدد لهم ميزان الأعمال بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وبهذا يستحيل على من تحملَ المسؤولية ، مسؤولية الإيمان بالله واليومِ الآخر ان يرتكب جنـايةً أو يمارس معصية .

هل سمعت بالحكاية التي تقول : بان السجاد (ع) ركبَ جملاً ، وبعـد مُدةٍ من المسير وقف الجملُ فرفع الإمام السوط ليضربه ولكنّه تذكر شيئاً فعطّل يده عن الضرب وانزلها ثانية وقال « لولا خوف القصاص » ؛ قصد الإمام أخاف ان اضربَ هذا الجمـل فأحـاسَب غداً على مـا فعلتُ فيقال لي : يـا علي ابن الحسين (ع) لماذا ضربُكَ لهذا الحيـوان ، وما حقّـك في ذلك ﴿ فمن يَعْمَـلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره ، ومن يَعْمَلْ مثقال ذرةٍ شراً يره ﴾[4] .

فإذا ما تمكن الإيمان من القلب لا يمكن أن يتطاوَل الإنسـان على عمل الذنوب« الاّ اللمم » وإذا اتفقَ ان تجرأ وعمَل المنكر تبعَه بـالاستغفارِ والبكـاء والأنين والتضرع الى الله تعالى بأن يغفرَ له ما تقدم من ذنبٍ وما تأخر .

فالاستقامة تنمُّ عن إيمانِ الفرد ، والخوفُ والهلَع مرفوع في الآخـرة عن

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٦ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ١٨ .
(٤) سورة الزلزلة ، الآية ٧ و٨

المؤمنِ لخوفِه من ممارسةِ المعاصي على زمانِ الدنيا ، وهذا هو ما يتعلق بالايمان والذي هو الحالة الأعمق من الإسلام ؛ وهنا نذكر لكم حكاية :

الأنين والاستغفار من أجل تلافي المعصية :

لقد ذكر المحقق السبزواري في كتاب روضة الأنوار حكايةً طويلة نذكر هنا خلاصتها بتصرف : لقد آخى الرسول الأكرم (ص) بين كُل شخصين يتناسبان روحياً وفكرياً وذلك في صدرِ الإسلام ، لأنَّ المسلمين بشكلٍ إجمالي لا يتسنىٰ لهم الحضور في جبهات القتال ، وإذا ما حضرَ الجميعُ فسيختل الوضعُ المعيشي والإجتماعي فكل اثنين متآخيين يذهبُ احدُهما إلى الغَزوِ ويبقى الآخر يهتم بأمورِ العيال ، عياله وعيال أخيه في الإسلام ، وفي غزوة تبوك آخى الرسول (ص) بين سعيد بن عبد الرحمن وثعلبة الأنصاري .

ذهبَ سعيد مع الرسولِ إلى الغزوِ وبقي ثعلبة لكي يديرَ أمورَ معيشته واُمورَ معيشةِ الأخ المسلم ، وفي يومٍ من الأيام ذهبَ ثعلبة إلى دار سعيد ليرى ما يحتاجُ عيالُ سعيد ، فوقَعتْ عينُه على امرأةِ سعيد فلم يتمكن من السيطرة على نفسِه فازاح الستار الذي بينهما ومدّ يده يُريد سوءاً وما إن رأتْ امرأةُ سعيد يَد ثعلبة حتى صرَخت به قائلةً إنَّ أخاك يذهبُ إلى القتال من اجلِ رفعِ رايةِ الإسلام معرضاً نفسَه للقتلِ وانتَ هنا المؤتَمن تحاولُ خيانتَه بالاعتداءِ على امرأتِه ؟ وما إنْ قالت زوجةُ سعيد ما قالت حتى أحسَّ ثعلبة بأنَّ سهماً من نارٍ شجَ حشاه وكان هذا اولُ خطأٍ لثعلبة ، فهام على وجهِه في الصحارىٰ يطلبُ المغفرةَ من الواحِد الأحد .

وبعد رجوعِ بالنبي (ص) واصحابه من الغزوة ، ذهب كل فرد فيهم إلى داره وكذا سعيد ، وأولُ شيءٍ سأل عنه هو : أحوال ثعلبة فقالت زوجُه لقد كان يأتينا كلَّ يوم ويسدّ حاجاتِنا ، ولكنه وفي يومٍ من الأيام حاول خيانتَك فصرختُ به وقلتُ له ما قلت : فصحا لنفسِه وذهب يئن ويبكي ، وقد سمعتُ مؤخراً انه اتخذ من الصحارى والجبال مكاناً لاستغفاره وتوبته وإنابتِه .

ان قصدَ الخيانةِ جرَّ عليه ما هو فيه ـ ذهبَ سعيد يطلبُه فرآهُ تحتَ اشعةِ الشمس المحرقةِ وعلى الصخورِ الحارّة المشتعلة يبكي ويئنّ ويستغفر فرقَّ له سعيد وقال له : يا أخي ما الذي حدا بك إلى هذا فقال : سوّدتُ وجهي بيدي ومعصيتي كبيرة (لقد كان قاصداً عملاً قبيحاً ولكنه لم يعمله) فقال له سعيد : قُم بنا يا أخي لنذهب سويةً إلى رسولِ الله (ص) ونطلب منه ان يستغفرَ لك عسى ان يغفرَ الله لك فقال ثعلبة : لا آتي معَك حتى تصنعَ الأغلالَ في عنقي ويدي وتجرّني خلفَك كمن هرَب من العبيد .

فأخذه سعيد على هذه الحالةِ ودخل به المدينة ، وكلما كان يراهُ أحد يديرُ بوجهِه عنه إلى ناحيةٍ أخرى فصادف ان رأته ابنتُه فقالت له : ما الذي فعلت بنفسك يا أبتي ؟ سارَ الموكبُ وسارت ابنتُه معه فوصلوا إلى أميرِ المؤمنين (ع) وازداد بكاؤه حين رأى علياً (ع) ولكن الإمام (ع) قال له : الم تعلم يا ثعلبة بأن من يذهبُ الى الغزو مع رسولِ الله (ص) مجاهدٌ في سبيلِ الله ومقامُه في السماواتِ العُلى ، فماذا كان قصدُك من عملِك هذا ؟

سار الجميعُ مرةً اخرى ووصلوا إلى دارِ النبي (ص) ويقال أن سعيداً قال للرسولِ الأكرم (ص) : يا رسولَ الله استغفر لثعلبة فانه أخطأ ؛ فسألَ النبي (ص) أنْ ما الخبر ؟ فقصُّوا عليه ما كان يحدُث فأدار النبي (ص) بوجهِه وقال : إذهب من هنا !! ولم يقل له غفَر الله ذنبَك .

غفران الذنوب في الكنيسة متاجرة بالخرافات :

من سخرياتِ القدر ان القس يغفر للمُسيء والمجرمِ المسيحي ، فكلما مارسَ الفردُ المسيحي من أعمال تسيء إلى البشريةِ او تخلُّ بالنظامِ الإجتماعي العام ذهب إلى الكنيسة واعطى مبلغاً من المالِ وأقرّ بما عمِل من معصيةٍ غفرَ له القسّ ذلك ـ مثلهم كمثل الشيطان الذي ادعّى النجابة ، ولكنه والجميعُ يعلمون ان ادعاءهُ كاذب . نرجع هنا إلى حكايتنا مع ثعلبة ، لقد قال له الرسول ارجع

إلى ما أنت عليه من استغفارٍ فإني انتظرُ ما يوحىٰ إليّ بشأنك ، رجعَ ثعلبة إلى العراءِ تحت لهيبِ الشمس المحرقة يتضرعُ ويبكي إلى الله ويقـول : إلهي ان تغفر لي فأنت اهلٌ لذلك سألتُك ان تخبرَ النبيَّ وتبشرّه بالمغفرة والرضـوان لي وإذا لم تغفر فارسـل عليَّ ناراً تحتـويني ؛ لم يطل ذلـك حتى انزل الله تبـارك وتعالى على نبيّه آية تقول ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظَلَمُوا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفـرُ الذُّنـوبَ إلاّ الله ولم يُصِرُّوا على مـا فعَلُوا وهم يعلمون اولئك جزاؤُهم مغفرةٌ من ربّهم ﴾[1] .

قال الرسول (ص) : يا عليّ اين ثعلبة ؟ فأجـاب (ع) : إنه في اطـراف جبالِ المدينة فقال (ص) إذهب يا عليّ وبشرّه بأن الله تعالى غفر له ، فـذهب الأمير (ع) وبشرّ ثعلبة وفي تلك الليلة شارك ثعلبـة في صلاةِ الجمـاعة بـامامـة الرسولِ الأكرم (ص) ؛ وفي الركعة الأولى قرأ النبي (ص) سـورة التكاثـر بعد الحمد ، والمعروف ان سورةَ التكاثر تهزُّ كيـان من ثبت ايمانُـه وتذكـرّه بالقبـرِ والموتِ والشدائد التي ما بعدَ الموت وحين اكمل الرسولُ سورةَ التكاثر صـاح ثعلبة صيحةً ووقع أرضاً .

بعد إتمامِ الصلاة اجتمعَ النـاسُ حولَـه وحاولـوا تحريكـهُ يميناً وشمـالاً ولكن . . هيهات ، فقد قضى نحبه ؛ فهنيئاً له لقد ماتَ بعد ان طهُرَ وبعد ان تابَ الله عليه راحلاً إلى رحمةِ الرحمٰن الرحيم ، لقـد كان قلبُـه رقيقاً جـداً لم يتحمل معه سماعَ آياتِ العذاب فرحم الله ثعلبة .

من بركات المهدي (عج) يكتمل الإيمان ويصلح العمل :

ان الإيمانَ بالله واليومِ الآخر والتعلقَ بالله وبيومِ القيامة يستلزمُ التصديقَ والاعتقادَ بوجودِ الجنّة والنار ؛ فالعملُ الصالح الخالصُ لوجهِه تعالى علامةٌ من

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ ـ ١٣٦ .

علاماتِ الإيمان فإذا ما طابَق العمـلُ الصالـحُ الإيمانَ الـراسخَ صلُحت الـدنيا والآخرة لهذا الفـردِ المؤمنِ الملتزمِ بـالأعمال الحسنـةِ والخيِّرة وكـانَ في آمنٍ وأمان ، لذا ينبغي لكل فردٍ ان يُصلِحَ ما بينَه وبينَ الله لينصلِحَ ما بينَه وبينَ خلق الله .

إلهي : صِل ذلك السيدَ الجليل الذي يجعلُ من كلّ خلقِك عباداً مؤمنين بكَ ، ذاكَ الذي يُسأل عنه في دعـاءِ الندبـة حين نقرأ « أين جـامع الكلم على التقوى » ليتبّعه المؤمنون فيحظون بـأمنِك يـومَ لا أمن إلا أمنك ﴿ **اولئـك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1] .

قيل في ما ورد من الروايات المتواترة ان العقولَ تنضج وإنَّ الإيمان يزداد فيفهم العباد يقيناً بوجودِ الجنة والنار وصراطِ الحق وذلك حين ظهـورَ المهدي المنتـظر (ع) ، ويقـال أيضـاً في الأخبـار : ان البنتَ الـجميلةَ عـلى زمن المهدي (ع) تذهبُ من بغـداد إلى الشامِ لـوحدِهـا وبكامـلِ مجوهـراتِها غيـر متعرضةٍ لسوءٍ أو إلى من ينظرُ إلى مجوهراتِها .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يأنِ للّذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَلَ منَ الحقِ ولا يكونُوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ فَقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1]

روح الإيمان عطاء الله :

وصل الكلامُ بنا إلى أنَّ روحَ الإيمانِ افاضةٌ من فيضِ الله وعطاءٌ من عطاءِ ربِّ العالمين ولا يدخلُ صنعُ البشر فيه ، بل ان صُنعَ البشر يكمن في تهيئةِ النفسِ وترتيبها على طريقِ اشعةِ نورِ الإيمان ـ ينبغي للمؤمن أنْ يصنعَ او يُرتِّبَ الجسمَ الإيماني اما روحُ الإيمان فلا يتأتى للإنسانِ التدخلَ فيه فهو مختصٌّ بالله تبارك وتعالى ويتجلى روحُ الإيمان في فروعَ الدين الواجبة وتعلُّم الواجباتِ والعملُ بها يدخلُ ضمنَ حدودِ المساهمةِ البشرية ، اما الخشوعُ وخضوُع القلبِ فهو متعلقٌ بالرحمنِ الرحيم لأنَّ المولى تعالى دائم الحضورِ والنظرِ إلى عبدِه الذليلِ المرتجي ، وفي محضرِ الله فقط يثبتُ الإيمان لأنّه عطاؤهُ وحده لا

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

شريك له لقد جاء في أصولِ الكافي ان روحَ الإيمان هو : الإيمان الذي يرميه الباري في القلبِ البشري فينيره فيخرج الإنسان بذلك من غفلتِه ويدرك عظمةَ الحق ، فـاليقظةُ والادراكُ من آثـارِ الإيمان ؛ الإيمـانُ يعني الاعتقادُ الـراسـخ بعظمةِ الله وقدرتِه والشعورَ بالحقارةِ مقابلَ العظمةِ والرفعـة ، ﴿ الله نزَّلَ أحسَنَ الحـديثِ كتابـاً متشابهـاً مثانيَ تقشعِـرُ منه جُلودُ الـذين يخشـون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكـر الله . . ﴾[1] ان الإنسان وبعـدَ ادراكه لعـظمـةِ الله ومعرفتِه بأنْ السـلطانُ الحقيقي وحدَه لا شريك لـه سوفَ يتعـرف على مسائـلِ أُخرى تجرُّه إلى الخوفِ والرهبةِ من هذا السلطانِ العظيم الذي خلقَ الأرضَ وما عليها ، فتترسخ في نفسِه بأنَّ العزيز القديرَ هو الخـالقُ البارىءُ وكـلُّ من على الأرض من مخلوقاتٍ تدينُ له بالولاءِ والعبادةِ وأنَّ كلَّ ما تملكُ العبادُ هو من عندِ الله المقتدِر متى شاءَ أخَذَ ومتى شاءَ أعطى وحينَها يتضاءَلُ الإنسـانُ ويخبو أمامَ هذِه العظمةِ فيضحى متواضِعاً ذليلاً يتأرجَحُ بينَ الخوفِ والرَّجاء .

فيا أيُّها البشرُ إنَّ الإفتخارَ لا يكونُ بما عندَكُم من أموالٍ وصناعات بل ان الافتخَار يكونُ لكمُ متى ما عرفتُم ضالتكم أمامَ ربِ الشمس والقمرِ ربِ الدُّنيا والآخرة ؛ فلا ينبغي لخبيرٍ في شيء ان يرىٰ نفسَه كبيراً ، نقولُ له : عليك أن تتعرفَ الى خالقِ القمر ، وان تتفكرَ بمقامِك الوضيع أمام مقامِ الله ، وحاشا أن يكونَ هناكَ وجهُ قياسٍ بين الخالِق والمخلوق . ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَتْ قلوبُهم وإذا تُليَتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلى ربِّهم يتوكلون »[1]

حكاية عن الإيمان :

لقد وصلَ عددُ المسلمين في اوائلِ البعثةِ النبويـةِ الشريفـةِ وبعد ثـلاثِ سنوات إلى اربعينَ شخصاً حيث كان المشركون يصبّونَ عليهم أنواعَ العذاب ،

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .

فأمرَ الله تعالى رسولَه بعدمِ البقاء هنا والفرار إلى مكانٍ آخر أي عليهم أن يتركوا مكـةَ ويذهبـوا إلى مكانٍ يتسنى لهم إقـامةُ عبـادتهم بأمن وطمـأنينة ، فهـاجـرَ المسلمون إلى الحبشةِ وكان النجاشي امبراطوراً للحبشة آنذاك وهو رجلٌ يَدينُ بالنصرانية ، وعلى الرغمِ من ان الحبشةَ تدينُ بدين سلطانها ، كـانَ السلطان رجلاً عالماً ومنصفاً .

كان جعفرُ بنُ أبي طالب كبيرَ المسلمين المهاجرين في هذِه الهجرة وعندَ سماعِ المشركين بوصولِ المسلمين إلى الحبشة شكلَوا هيئةً برئاسـة عمرو بنِ العاص ، وكان هدفُ الهيئةِ المشـركة هـو تقديمَ طلبٍ إلى النجـاشي بإرجـاعِ المسلمين من حيث جاؤا ، وعندَ إخبـار النجاشي بـوصـولِ الهيئة المسلمـة استقبلَهم بـاحترامٍ تـام وقبلَهم في بلادِه ومن الـطرفِ الآخر استقبـلَ النجاشي المشركين المحمّلين بالهدايا برئاسـةِ عمرو بن العـاص فعرضَ عليـه عمرو أن يسلِّمَه المسلمينَ بعنوانِهم فوضويين ومتمردين على دينِ الآباء والأجداد .

لم يرتّب النجاشي أثراً على قولِ عمـرو بن العاص لنضجـهِ وعدلِـه بل قال : يجب أن اتكلمَ اليهم شخصياً ؛ فـأحضرَ المسلمين إلى قصـرِه يتقدمُهم جعفر بنُ أبي طالب وعندَ الدخول لَم ينحن جعفر أمامَ السلطان ، وحينَها احتج عمرو بن العاص قائلاً : انـظر إليهم أيُها السلطان انهم لا يسجـدون لكَ على خـلافِ الرسـولِ والآداب المتبعة ، وكـان القصدُ من حـديثِه هـذا هـو تحقيـرَ المسلمين في عينِ النجاشي ناهيك عن قولِه مخاطباً السلطان : إنهم يحقّرونَك مثلما حقّرونا .

تقدّم حاجبُ الامبراطور صوبَ جعفر سائلاً إياه : ما الذي دَعاك لعـدمِ السجود ـ وفي العادةِ ان الشخصَ المبتلى بمصيبةٍ وهو لاجىء إلى تلك الدولة يتعلق دفعاً للخطرِ الـذي يُمكِنُ ان يلحقَ به ـ امـا الإيمـان عنـدمـا يتمكن من الإنسانِ يجعلُه يفهمُ ويُدرِكُ ان كُلَّ الأعمال بيدِ الله القاهرِ فوق عباده .

علا صوتُ جعفر وأسمعَ السلطان قائلاً : ان دينَنا لا يجيزُ السجودَ لغيرِ الله .

ان الشخصَ الذي عرفَ الله حقَ معرفتِه لا يأبَه بالمخلوقِ بل يحسب حسابَ الخالق فقط « عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم »[1] .

لقد عرف شيعةُ علي (ع) وأهلُ الإيمان ان العظمةَ لا تليقُ لغير الله وكل ما هو دونَه لا قيمةَ له والعزةُ لله وحدَه ومن ثم لرسولِه وللمؤمنين « يا من له العزّة والجلال » ﴿ ولله العّزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[2] ؛ فإذا ما جاءَ الإيمان جاءَ الفهم ، يمكن لكَ ان تعرفَ ذلك من خلالِ مرورك على القبور « فكم من قويّ وكبيرِ وجليلٍ احتوتَه الأرضُ واكلَتهُ الهوام .

مُـرَّ على القبـور وتمعـن بهـا تـرى المتحدثين قـد القموا حجرا

إذا كان الانسـان يحظى بمنزلةٍ ومقامٍ عند ربِّ العزّةِ فسوفَ يكون لائقاً بالتكريمِ لمعرفتِه بالعظيمِ ولتفكُرِه الدائم بالعظيمِ فبذلك يعظم الإنسان ويسمو ويضحي غزيزاً﴿ ولله العزّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنين ﴾ .

يُنقل عن الإمام علي (ع) أنـه قال : لـو لم يكن غيـر مؤمنٍ واحـدٍ على سطحِ الكرةِ الأرضية لتواضعت له الملائكةُ ولحباهُ الله العزّةَ والعظمة ـ فالوردةُ بين آلافِ الاشواكِ لها قيمتُها ، فثمرةُ شجـرةِ عالَم البشـريةِ هـو المؤمن ، ذاك الـذي رأى بعين قلبِه نـورَ الله ، وتيقنَ بحضـورِ الله في كـلِ مكـان ومـع كـل موجود ؛ لقد رأى المؤمنون اللهَ في كل ظاهـرة ، وفي كلٍّ حادثةٍ وعلِموا أنْ لا فِرارَ من حكومتِه .

---

(١) من خطبة لأمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين . انظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ج٣ ص٤١٠ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

لقــد احببتُ العــالَم لـعلمـي ان العــالَـم من عـنــده
واصبحت عـاشقـاً لكـلِ العـالم لعلمي أن العـالَم منـه

﴿ وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾[1] .

إذا لم يدخل الإيمانُ القلبَ فلا قيمةَ لإسلامه ، وعليه ينبغي للمسلمِ ان يكونَ صادقاً في تعامِله مع الله تبارَك وتعالى راضياً بقضائِه وقدرِه مسلّماً لله أمرَه فإذا ما أخذَ اللهُ الولدَ وهو الذي أعطاه يجدرُ بنا أن نُسَلِّم لـه فهو الـذي يُحيـي ويميت فأخذَه حَسَنٌ وعطاؤه حَسَن ، وكذا العزَّةُ والذلّةُ والفقرُ والغنىٰ والمرضُ والشفاءُ فلا شيءَ من غيره ، كلُّه منه ولأنَّهُ منه فهو جميل .

يستلزم الإيمانُ خشوعَ القلبِ لله ، فدقاتُ القلبِ يجبُ ان تكونَ لله وحدَه لا من اجـلِ الدُنيـا ولا من أجلِ شخص ، فيـا ايها المسلمُ لا ينبغي لـك أن تسارعَ ضرباتُ قلبِكَ خوفاً من أحدٍ ، بل يجدر بك أن تضطربَ وتتصاغـرَ أمام ذكريات مواقفِ يومِ القيامة المهولة ﴿ ويَخافون يوماً كانَ شرُّهُ مستطيرا ﴾[2] .

ما قيمة الروحِ في مقابل الحبيب :

﴿ يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليَّ إسلامكم ﴾[3] .

(هذا الإسلام الظاهريِ الذي طالما تتبجحُ به بلسانِك ليسَ شيئاً مهماً أو ذا أهميّة ؛ انَّ الله بفضلِه يقبلُ منكَ الصيامَ والصلاةَ فلا تتصور أنكَ قُمتَ بعملٍ مهم في الوقت الذي لا ينتفعُ منه سواك) فالمال الذي أعطاهُ الله لك أعطىٰ مثلَه كذلك للفقراءِ والمساكين ، فالمالُ مالُ الله وحتى انتَ ايضاً مُلكٌ لله والتوفيقُ من عندِه تبارك وتعالى فما المبررُ لمنّك ؟ وأيُّ منّةٍ هذه ؟

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤٤ .
(٢) سورة الدهر ، الآية ٧.
(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

كيف أري طرفي للحبيب على الرغم من انني خَجِلٌ منه
ناهيك عن عدمِ استطاعتي من تقديم خدمةٍ له

ان اولئك الذينَ يعلمون ان الروحَ ترجعُ إلى الله يئنّون ويتأسفون ويقولون أننا لم نقدِّم شيئاً يُذكر يليقُ بالمقاماتِ الالهية .

ما قيمة الروحِ حتى لا أفديها من اجلِ الحبيب
فهي متاعٌ يمتلكه حتى الحافي

﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان ﴾[1] .

عجباً كيف يجرؤُ البشرُ على انْ يمنَّ على رسولِ الله (ص) بشيءٍ لا قيمةَ لهُ تذكر كالإسلام الظاهري الخالي من روحِ الإيمان ؟! ان الشيء القيِّمُ اساساً هو ذلك الإيمان وتلكَ الهداية الإلهية الخاصة ؛ وإنَّ الله هو المنجِّي بهدايته لكم وتفضله باعطائه الإيمان إياكم .

لقد كان اللهُ لطيفاً حينما حبّا بدنَ الإسلام ايماناً فجعل من البشرِ مؤمنين ، خاشعين بقلوبهم .

هل تظنونَ أنكُم وصلتُم إلى درجةِ الإيمان ؟ لا يُمكن الوصولُ إلى درجةِ الإيمان الأعمال الظاهرية وبالإسلام الظاهري ، فالذي وصلَ إلى روحِ الإيمان يكون قد تعدّى مرحلةَ كونه بشراً عادياً لما حظي به من تبدُّل اساسيٍ في تفكيرهِ وروحِه من خلال عطاءِ الله له هداية خاصة .

لم يؤمنْ بالجنّةِ ، رجاؤه كان كاذباً ، وعملُه يشوبُه الغرور ، آمن برياضِ الدنيا التي لا يمكنُ ان تُقاسَ برياضِ الآخرة ، ومن أجلِ ان يبتاعَ حقلاً في الدنيا يسعىٰ بكلِ جُهده ويتملق لهذا وذاك على الرغمِ من أنّه لا يسعى بنسبة ١٪ من سعيهِ من أجلِ حقلٍ دنيوي ؛ أيُّها المسلمُ : لو كنتَ عرفتَ رياضَ

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

الجنةِ لأعطيتَ نفسَك ومالَك في سبيلِ الحصولِ عليها ، والآن عليك ان تُنفقَ من أموالِك ، ولا تكون كالذي إذا كان في يدِه دراهمَ أعطى منها شيئاً وإذا كان في يدِه ديناراً لم يُنفق مبرراً ذلك بعدم وجود فرطٍ من الدراهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يأن للّذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَلَ منَ الحقِ ولا يكونُوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ فَقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1]

آثار الإسلام والإيمان :

بعد مراجعة الآيات القرآنية والروايات والأحاديث عثرنَا على فروقاتٍ وتبينات بينَ الإسلام والإيمان ، والإسلامُ بالمعنىٰ العام : فائدتُه طهارةُ البدنِ وصحةُ النكاحِ والإرث وحفظُ الدمِ والمال .

أمّا الإيمانُ ففائدتُه : الساعةُ الأبدية وبلوغُ المقاماتِ العلى عند عظيمٍ مقتدرٍ ، فالإيمان يوصلُ الإنسانَ إلى رياضِ الجنةِ وما فوقَ ذلك ، ﴿ ورضوانٌ من الله اكبر ﴾[2] .

فالإسلامُ معناهُ قبولُ العقائِد الحقّةِ من مثلِ لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) « وقبولُ الولايةِ ، ولايةِ آل محمد (ص) والإقرار بيومِ الجزاءِ

---

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٧٢ .

وضروريات الدين .

فبدونِ الإيمان القلبي لا يحظىٰ البشرُ بفائدةٍ أو بفوزٍ أُخروي لأنَّ اسلامَه لم يتعدَّ اللسان الذي يقولُ الشهادتين ، والبدنِ الذي يقومُ بانجاز العبادات ، يقول القرآن المجيد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل . . . ﴾[1] يا من أسلمتُم عليكُم ان تُؤمنوا وتتركُوا النفاقَ فالنفاقُ إقرارٌ بالإيمان مع عدمِ الخشوعِ والخضوعِ للواحدِ الأحد ، فيا عجباً لقد قضتْ السنونُ و أنتم إلى الآنِ على اسلامِكم لم تَصِلوا إلى مرحلةِ الإيمان ونكرر قولَنا ونقولُ ان الإيمانَ هو الخشوعُ والخضوعُ القلبي لله العزيزِ المقتدر ـ لسانُك يقول : الجنةُ حق وكذا يجب ان يكونَ قلبُك يشتاق إلى رياضِ الجنةِ ، فاينما ذهبَ قلبك ينبغي ان يكون الإيمان مرافقاً له .

الإيمان بأهلِ البيت ثم التوسل :

سمعتُ أنَّ نسوةً فرشْن مائدةً للعباس (ع) متصوراً أنّهن يقُمن بعبادة ؟ عليك أنْ تؤمِن بالحسين (ع) فالعقولُ والتبجُح غير كافٍ ومرفوض .

علكيم ان تذهبُوا بقلوبِكم إلى جَنبِ عليّ (ع) هناكَ جوارُ الله حيث الأملُ بالوصولِ إلى الجنةِ ، تعالوا بقلوبِكم إلى عبادةِ الله ، وإلى حبِّ آل الرسول (ص) إلى الإيمان بفاطمةِ الزهراء (ع) ، ولا تجعلوُا الأهواءَ تطيرُ بقلوبكم إلى حيث اماكنِ اللّهو والفسادِ ، فيا لهفي عليكم ؛ هل انتُم إلى الآن تراوحون في مكانِكم ولم تتعدوا مرحلةَ الإسلام إلى الإيمان ، إذن ما معنى الإيمان بالله الذي تدّعونه ؟ ان معناه هو كلُّ ما قالَه الرسولُ (ص) صحيح ؛ صدّقوا إنَّ ما تدّعون مَثَلُه كمثلِ شخصٍ يعبُدُ نفسَه ويسلكُ بها سلوكَ الأشقياءِ مقابل الإيمان ؛ إذن انتُم على طرفي نقيض في ادعاءاتكم هذه . فنرى البعض يقرأُ زيارةَ عاشوراء من أجلِ قضاءِ حوائجه الدنيوية يريدُ منهُ البدية وحين

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

القول : السلامُ عليك يا أبا عبد الله الحسين أنْ يصلَ الى كلِّ آمالِه وأمانيه ويُضَمِّنَ سلامةُ على الإمام بانكارِ التوسلِ بهم (ع) من أجلِ قضاءِ حوائجِه الدنيوية ؛ ولكن حديثَنا غيرُ ذلك حيث يمكنُ القولُ لك : أنّكَ من عشاقِ الدنيا ، وايمانُك لا يتعدى حدودَها ، ولكنكَ لو علمتَ يقيناً ما الذي ينتظرُ الإنسانَ المؤمنَ بعد الموتِ من عوالمٍ وجنانٍ وانهارٍ من عسلٍ مصفى لما وقعتَ في هكذا مطلبٍ ؛ إنَّ الرسولَ الأكرَمَ يعبّرُ عن أهلِ الجنةِ تعبيراً جميلاً حيث يقول : « إنّ أهل الجنة ملوك » .

عتّالٌ ولكنه من أهل الجنّة :

يقولُ أحدُ العارفين رأيتُ فيما يرى النائم في احدِ الليالي سلطنةً عجيبة فسألتُ لمن هذه السلطان العظيم فقيلَ لي لذاك الجالِس على العرشِ فطلبت الاذنَ بالدخولِ فأُذِنَ لي بذلك .

فذُهبَ بي إليه مُحترماً فقلتُ له : ان من دواعي سروري ان اتعرّفَ عليك فقال لي : انا عَتّالٌ في الدنيا ، فتعجبت وقلتُ وما الذي اوصلَك إلى هذا المقام ؟ فأجاب : كنتُ ملتزماً بصلاة الجماعة ، ولم أخن أحداً ولم اكذِب على أحدٍ ولم اتعاملَ مع الناسِ بغيرِ الصدقِ والأمانة .

عليكَ أيها المسلمُ ان تقبلَ القرآن وما فيه ، ان المعانيَ الساميةَ التي حُسِبَ حسابُها في القرآنِ ليست مسألةً اعتباطيةً فعندما يقولُ الرحمنُ الرحيمُ ويتعرض إلى المُلكِ الكبير يقصُد بذلك ويشير إلى الحصولِ عليه بعد الموتِ ؛ فتمعّن جيداً بما هي طبيعةُ الحياةِ التي هيأها الباريء لعبادِه المؤمنين ، وما الدنيا كُلها إلا لعبٌ ولهو وما هي إلاّ متاعُ الغرور وما هي إلاّ وهمٌ وخيالٌ .

إنَّ المُلكَ الحقيقي هو بعد الموت للمؤمنِ وكما عبَّر المولىٰ تبارَك وتعالى في كتابِه العزيز عن ذلك فقال ﴿ وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً ﴾[1]

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٢٠ .

راعي الجمال يصل إلى امنيته فيفوز بالشهادة :

لقد ذكَرَتْ بعضُ الكتب رواياتٍ متواترةً وصلتنَا منها روايةٌ تذكر أنَّ احـدَ رعاةِ الجمالِ على عهدِ الرسول الأكرم (ص) كان فقيراً ـ وحينَ وصلتْ الدعوةُ المحمدية إلى أغلب البُلدان شمله سماعها ، فعجلَ بالمسيرِ إلى المدينة ووصلَ إلى الرسول الأكـرم (ص) فقال : يـا رسـولَ الله مـاذا أفعـل لأكـون مسلمـاً ؟ فقـال (ص) : قل الشهـادتين تضحى مسلماً واعلَم أن بعـدَ الموتِ عـالمٌ آخرَ يُسمى بعـالم الثواب والعقـابِ وهو عـالمُ جزاءِ الأعمـال ؛ فسـأل الـراعي عن العقائدِ فأجابَه الرسول (ص) هذا يكفيك الآن .

لقد أشارَ الرسولُ (ص) على بعضِ المسلمين الذين سمِعوا ما جرىٰ بين الرسول (ص) وبين هذا الأعرابي أن يُعلّموه بعضاً من الآياتِ القرآنية التي تمكنُه من الصلاةِ ، وفي هذِه الأثناء حدَثت احدى الغزوات فاجتمعَ المسلمون لينظروا في امرِ ذهابِهم إلى ميـادين الحرب فـأرادَ الراعي كـذلك أن يشتـركَ معهم في حربِهم ضد الكفر فذهبَ إلى رسولِ الله (ص) قائلاً : يا رسولَ الله إاذن لي في المشاركةِ لأنَّ السعادةَ الأُخروية هي مناي ولكن ما باليد حيلة فانا لا أعرفُ فنونَ الحـرب ؛ فأذن لـهُ الرسـول (ص) وقال لـه : عليك أن تحفظَ جِمـالَ وخيـول المسلمين ، لقد كانتْ هذه الغزوةُ من نصيبِ المسلمين فكانت الغلبةُ فيهم لهم وغنِموا مغانمَ كثيرة ، وعندَها أمرَ الرسول (ص) بتقسيم الغنائم بين المشاركين ، فشمِلت الراعي فكان سهمُه كسهمِ الباقين لا يزيدُ ولا ينقُص وعنـدما قُـدِّم له نصيبُه من الغنائم قال : ما الذي فعلته حتى أعطى هكذا نصيب ؟

فيا للعجبِ لم يأخُـذْ الراعي نصيبَـه وقال للرسـول (ص) : لقد كـانَت امنيتي في هذه الغزوة أن أُقتلَ في سبيل الله وافوزَ بالجنّـةِ والرضـوانِ فلم تكن غايتي المال بل كانت اسمىٰ وأرقىٰ من ذلك .

ان هذا الراعي هو من يقال لـه مؤمناً ، انـه ليسَ كبقيةِ المسلمين الـذين

يبيعون دينَهم من أجلِ الماديّات الدنيوية ، وهؤلاء لا يمكنُ احتسابُ إيمـانهم إلا المال وليسَ الله والآخرة .

وخلاصةُ القولِ ان الراعي قال لرسـولِ الله (ص) : يا رسـولَ الله اريدُ الشهادة لأصلَ إلى العالَم العُلويِّ فاحظى بمكانٍ في الجنّة فادعُ لي بالشهادة ؛ فدعا له الرسولُ الكريم (ص) بذلك وقال : إلهي ان كانَ هذا عبدُك حقّـاً فجُدْ عليـه بالشهـادةِ ، ولم تمضِ فترة حتى شـارَكَ الراعي بـاحدىٰ الغـزوات ونال مرادَه .

مؤمن فقير وصندوق جواهر :

انموذجٌ آخر من الإيمـان ذكرهَ لنـا أبو العـلاء المودوري في كتـابِ فتحِ المدائن جاءَ فيه : لقد كانَت ايرانُ عاصمةَ السلاطين مركزاً للجواهرِ التي جمعَها الايرانيون من الغنائمِ التي غنموها في غزواتِهم الكثيـرة ؛ ولقد اتفقَ أنْ وَجَـدَ احدُ الشبابِ المؤمنين صندوقاً من الجواهرِ فجـاءَ به إلى أحـدِ العُرفـاء ووضعَه امامَه فسأله العارفُ ما هذا ؟ فقال : ما تراهُ امامَك ؛ فسأله العريف ما الذي في داخلِه ؟ فأجابَ لم اجرؤ ان افتَحه ، ولو لم يكن عندي إيمـان بالله لمـا اتيتُك به ، وانا أعلمُ أنَّه مُليءُ بالجواهِر وأعلمُ كذلك حضورَ المولى تعـالى فآليتُ أن آتيكَ به ليكونَ من حصةِ المسلمين .

لقد تمكّن الإيمان من قلبِ الشابِ الفقير المحتاج فلم يجعلْه يمد يدَه إلى أنْ يفتحَ صندوقَ الجواهِر على الرغم أنَّه تيقنَ منه أنَّ الصندوقَ الذي بين يديه يحوي جواهراً .

وخلاصةُ القولِ سألَ العارفُ عن اسمِ الشابِ منه ؛ فقال : مـاذا تفعل باسمي فأنا مسلمٌ ، فقال العارفُ : أريدُ ان ادرجَه في سجلاتي لتحصُـل على مكافأةٍ ويجب إشاعةُ اسمِك وما فعلت ؛ فقال الشاب : انا لم أعطِك الصندوقَ من أجلِ الشهرة قالها كلمةً صادقةً وذهب .

قصد الشاب من كلامه : ان عملَه كان لله وحدَه خالصاً وليس من أجل شخص أو من أجلِ شيءٍ آخر ، وان المكافأةَ سيحصُل عليها منه تعالى اسمُه .

ألم يصلِ اليوم الذي يدورُ المسلمون حولَ السمو ليجدوا الخالقَ فيجزيهم خيراً نتيجة عملٍ صالح كما دارَ وبحث إبراهيم عن ربه حتى عرَفه وقبلها كان قد ظن ان الشمسَ هي الٰهه ولما غربَت قال : ﴿ قال لا أحب الآفلين ﴾[1] فالتعامل لا ينبغي ان يكونَ إلاّ مع الله ، فالكلُّ فاني ووحدَه تعالى هو الحيُّ ﴿ كلُّ من عليها فان ﴾[1] فالأشخاص مهما عظمت مناصبُهم فهم فانون لا محالة والتعامل مع الفاني خسارة كبرى ، وكم هو جميلٌ عملُ امرىءٍ تعامل مع الباقي ؛ فالتعامل مع الحي الباقي يُغيِّر أوضاعَ الفردِ المسلم فيقلب موازينَ تعاملِه رأساً على عقب .

يدعيّ فلانٌ من الناسِ أنّه مؤمن ، ويتعامل مع الفناءِ والفاني ، أن التعاملَ هذا محالٌ انسجامُه مع الإيمان ؛ إذن يجدر بالمؤمنِ أنْ يحسبَ حسابَ الواحد الأحد وحسابَ يومِ الآخرة فيحفظ لسانَه كما يحفظ ذهبَهُ وفضته ، وينضبطُ بشكلٍ تنضبط معَه كلُّ اعضائِه وجوارِحه فالحساب آتٍ لا محالة .

زليخا تحسب حساب الصنم :

قيل إنَّ يوسف (ع) عندما كانَ مع زُليخا في حُجرةٍ واحدةٍ وفي سترٍ عن نظرِ الناس أرادتْ تلويثَ يوسُف بعملٍ لا يَرضاهُ المولىٰ سبحانَه وتعالى ولكنّها ومع كل هذا خلعَتْ ما تضعُ على رأسِها والقتْهُ على الصنمِ الذي كان في الحجرةِ وقالت : هذا هو صنمي وربّي ولا يليقُ بي أن اعملَ عملاً قبيحاً أمامَهُ ؛ فلاحظ أيُها المسلمُ ان عبَدةَ الأصنام يراعُونَ أصنامَهم واوثانَهم ، وانتَ تعلمُ جيداً أن الباري تعالى حاضرٌ وناظرٌ دائماً ومع ذلك ترتكبُ المعاصي ؛ فإذا قلت

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٧٦ .

(١) سورة الرحمٰن ، الآية ٢ .

إنّ الله ـ وحاشا له ـ لا يَراني فقد خرجتَ عن دائرةِ الإيمان ، واقـولُ لكَ كيف يتأتى لعينِك أنْ ترىٰ وصانعُها لا يرى ؟ وكيف يكونُ لأذنِك ان تسمعَ وخالقُها لا يسمع .

لقد كانَ يوسُف شاباً قوياً غيرَ متزوجٍ وكانَت بين يدَيه امرأة صاحبةُ جمال ومال ، وعلاوة على ذلك فهي تعشقُه وتلتمسُ كلَ الوسائل من أجلِ ان تحظى بلطفٍ منـه ، فيا تـرى ما الـذي منعَه عن الـدخولِ في المعصيـة ؟ لقد منعَـه الخشوعُ والتذللُ لله تعالى فحفـظه من كيدِهـا وعلَّمَه حيلةً نجـا بها من عمـلِ المعاصي ناهيكَ عن كشفِ الأمر للملأ وتبرئةِ يوسف (ع) ﴿ إن كان قميصه قُدَّ من قبل . . . ﴾[1] .

يقال : ان براءةَ يوسُف ساهمَ بها طفلٌ في المهدِ كانَ في الحجرةِ أنطقَه الله تبارك وتعالى وبيّنَ لعزيزِ مصر ما حصَل ، وهذا ما بعث على دهشةِ وتعجبِ عزيز مصر وقال في نفسِه من المستحيلِ ان تحدث هكذا معجزة إلاّ بأمرٍ من ربِ السمٰوات العلٰى ، وان الطفلَ لا يتأتى ان يُرتشىٰ ليشهدَ بهكذا شهادة غيـر طبيعيـة وحينَهـا التفت إلى زُليخـا وقـال لهـا : أنت من أرادَ السـوء وليـسَ يوسُف (ع) .

آه على يوم القيامة ، فإن الذي يُعرض امـامَ الناسِ من معـاصي وذنوب تجعلُ الإنسان يموتُ خجلاً وبما أنّه لا موتَ هناك فمن شـدةِ الخجل يتسـاقط لحمُ وجه المسيء .

ثواب الله غير المحدود للمؤمنين :

جاءَ في بعضِ التفاسير أنَّ يوسف (ع) وبعد استلامِه الحكم جاءَهُ جبرئيل بهيئةِ بشر وجلسَ عنده وقالَ له : هل تعرِفُ هذا الشاب الذي يعملُ عندَك في

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٦ .

طبخ الطعامِ ؟ فقال يوسف (ع) كلاً ، فقال جبرئيل : إنه الطفلُ الذي شهد لكَ بالبراءةِ من عملِ السوءِ على زمان عزيزِ مصر ؛ فأحضرَه يوسف (ع) وتشكّر منه وخلَع عليه بُردتَه واعطاهُ عملاً مهماً غير ذاك الذي كان يعملُ به ، فضحكَ جبرئيل قائلاً : يا يوسفُ لقد شهد هذا الشابُ لكَ عندما كان طفلاً بدونِ ان يستشعر مَا هو قائل وتبرأ ذمتُك أمامَ العزيزِ والناس وانت تكافؤه بهذا الشكلِ الجميل ، وانت بشرٌ وهو بشرٌ أيضاً . ولا أعلمُ ما الذي يكافىء به الله العزيزُ المقتدر عبادهُ المؤمنين ، وخصوصاً اولئك الذين يشهدون بلا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وهو الكريم ذو الجود ، فهنيئاً لأولئِك الذين يذكرونَ الله كثيراً ويقولونَ سبحان الله الهاً واحداً أحداً صمداً ، فرداً وتراً ، حيّاً ، قيوماً .

وهنيئاً لذلك الشخص الذي يقول على مدى عمره

الحمد له ، ربنا الرحمن الرحيم   وكلنا أملٌ في ان يتجاوزَ عما فعلنا

ولا أعلم غداً ما الذي يصنعُ الواحدُ الأحدُ مع هكذا عبدٍ كان دائمَ الإستغفار والذكر ؟!!

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الإيمان

الإيمان

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة: لجنة الهدى

الجزء الثاني

دار البلاغة

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأن للذينَ آمنوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1] .

اليقين بالله تعالى يتأتى بعد الإيمان:

لقد وصلنا في حديثنا إلى أن أصل الإيمان هو خشوع وتسليم القلب لله وحده ، وان فيض نور الإيمان يأتي من اليقين بالله تبارك وتعالى ، وإذا تحقق اليقين به سبحانه وتعالى فإن النور الإيماني سوف يشع من المؤمن ليشمل آخرين فعندما يتقبل الفرد الإسلام وعقائده الحقّة وينفذّ ما عليه من واجبات تاركاً المعاصي وراء ظهره يصل إلى حالة الإستعداد الكامل لأن يفيضَ الله عليه من نوره ليلامس شغاف قلبه فتتوضح له الأمور الدنيوية والاخروية بشكل أدقّ واعمق وقد كان قبل ذلك يتصنع ليبدو أمام الآخرين بأنّ النور قد احتوى قلبَه ويمكن أن يقال انه كان خالي المحتوى ، ولكن بعد تمكن الإيمان من قلبه يتفتح القلبُ باتجاهِ الله وحين ذاك يفهم معنى الإلتصاق بالله واليقين به ، يقينه معناه: أنه إينما

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٦ .

ذهَبَ يعلم أنَّ المولى تعالى يراه ، وفي هذهِ الحالة يتغير وضعُ الإنسان كلياً فَيَضْحي مفكراً في اليوم الآخر وبحسابِ الله الشديد ؛

لقد كان هذا الإنسانُ يتعاملُ بضعفٍ مع الله كأن يتثاقَل حينما يُعطي الخمس ولكن بعد تملُّكِ الإيمان لقلبِه تراه يسارعُ في تنفيذِ الواجبات فضلاً عن أعمال الخير ، كان يتصورُ انه يتضررُ حينما يدفعُ ما عَلَيه من خُمسٍ وهو لا يعلمُ ان عطاءَه لدِرْهَمٍ واحدٍ خالصاً في سبيلِهِ تعالى سوف يجرُّ على حالةِ الإخلافِ لَه من عندِ الله تباركَ وتعالى « يَرَى الغُنْمَ مَغْرَماً ، والغُرمَ مغنما »[٢] : ويتلاشى هذا الوضع بعد ان يُصبحَ مؤمناً بالله وباليومِ الآخر متيقناً بيوم الحساب .

من أنفق فينفعه:

يحسب البعض أنَّ الإنفاقَ في سبيلِ الله قد يضرُّ به فلا يتمكن من شراءِ حذاء يحتذيه ، لذا تراهُ يتهربُ بشتى الطرق من الخُمس أو من الإنفاق متحججاً بأنه يكابدُ ويكافح من أجلِ الحصول على المال فلماذا يتصدق به على الآخرين؟

يتبادرُ إلى ذهنِ الإنسان في بعض الأحيان ان الخمسَ يلحق به الضرر فلا يستطيعُ حين دفعِه للخُمسِ ان يبتاعَ ما ترنو إليه نفسُه على الرغمِ من أنَّ الخمسَ هو واحدٌ من خمسٍ من العائدات السنويةِ الزائدة عن الحاجة . فالشخصُ الذي يدخلُ نورُ الإيمان في قلبِه مهما أعطى من خُمسٍ أو أنفق في سبيلِ الله يراهُ قليلاً بل قد لا يرى أنّه أعطى أو أنفَق شيئاً .

فالإمامُ السجاد (ع) عندما كان يُعطي لمسكين أو فقير شيئاً ، يقبّلُ يدَه ،

---

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ـ مؤسسة النشر الإسلامي . قصار الحكم ١٥٠ ـ ٨ ص١١٢ .

وعلى بعضِ الروايات يُقبّلُ يدَ السائِلِ أحياناً ، وحينما يُسأل عن ذلك يجيب: ألم يقل الله تبارَك وتعالى في القرآن المجيد ﴿يأخذ الصدقات﴾[٣] ، فالظاهرُ هو يدُ السائلِ واما الحقيقةُ فهي يدُ الله لذا «والحديث للإمام» أن يدي قد تبركت بهذهِ اليد فكلّ ما يأتي من خيرٍ فهو من بركةِ هذه اليدِ السائلة .

وفي روايةٍ أنَّ سائلاً سأل الإمامَ الحسين (ع) حاجةً فأخذَه إلى دارِه واوقفَه على البابِ وقال لغلامٍ له: جئني بكلِّ ما عندي : فأحضرَ الغلامُ اربعةَ الآف درهم فأعطاها كلَّها للسائِلِ من خلفِ الباب بدون أن يُريَ السائلَ وجهَه . فسألَه المحتاجُ ما الذي دفعَ بك لأن تفعلَ بي هكذا يا ابنَ رسولِ الله (ص) فأجاب (ع) « احببت أن لا ترى وجهي وأنا أُعطيك فتخجل مني » ، فبكى الأعرابيُّ السائلُ وقال: آه على هكذا يدٍ تُدفنُ تحتَ التراب .

فالمال ، مال الله وعطاؤه وهو الذي يبدله بأحسن منه .

أعتقُ الخدم لكيلا تلوّحني جهنم:

جاء في بعض الكتب أن امرأةً جليلةً من أجِلّاء المدينة المنورة ذهبت إلى مسجدِ النبي (ص) لحضور صلاةِ العشاء جماعةً خلف النبي (ص) ، وأثناء الصلاة قرأ الرسول (ص) ﴿ وإنَّ جَهنّم لموعِدُهم أجمعينَ لَها سبعةُ أبْوَابٍ لكُلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم ﴾[٤] وبعد انتهاء الصلاة جاءت هذه المرأة المؤمنة باكية إلى رسولِ الله (ص) وهي تقولُ: لقَد أخافتْني هذه الآيةُ يا رسولَ الله فما الذي أفعلهُ حتى لا أرِدَ أبواب جهنم؟ ويُرْوى عنك « الصدقةُ جُنّةٌ من النار » وأنا قد اشتريت بكلِّ ما لديّ من أموال سبعة إماء ، ومن أجلِ سدِّ كل بابٍ من أبوابِ جهنم السبعة عتقتُ السبعةَ إماء : فيا رسولَ الله هل تعطيني عهداً بأنَّ النارَ لا

---

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٤ ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التوّاب الرحيم﴾.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٣ ـ ٤٤.

تمسُّ بدني ؟ .

إن في القلبِ خوفاً من كلِ شيء إلّا الخوفَ من العذابِ الإلهي ، ولكن إذا تمكنَ الإيمان منه حينَها يضطربُ القلبُ للإقدام على ارتكابِ المعاصي وتزداد ضرباتُه بشدةٍ لو تفوّهَ صاحبُ هذا القلب بكذبةٍ واحدةٍ بل يجفوه النوم فيضحىٰ صاحياً لا راحةَ له .

اضطرب امرُه لعدم اللحوق بصلاة الجماعة:

جاء في لآلىء الأخبار أن قوماً زاروا أحدَ العلماء فوجدوه على حالٍ غير طبيعية خلافَ ما عهدوه منه فسألوه ما الخبر ؟ هل حدث لك حادث أو ألمّت بك مصيبة؟ فقال: نعم مصيبةٌ كُبرى وحادثٌ صعبٌ فلقد منعني انشغالي ببعض المسائِل من المشاركةِ في صلاةِ العشاء جماعةً ، فصليتُها لوحدي وبذلك حُرمتُ من فضيلةِ صلاة الجماعة .

هذا ما يفعلُه الإيمانُ ، فالمؤمنُ يعلم جيداً ما لصلاةِ الجماعةِ من أثرٍ ويعلم كذلك أن الله العلي القدير يُحبُّ الجماعةَ ، ويا حبّذا لو كان الإنسانُ يتأثرُ دائماً لأيِّ نقصٍ قد يطرأ على معاملتِه مع الله مثلما يتأثرُ في معاملاتِه الدنيوية وينزعجُ حينَ الخسارةِ أو الضرر ، فلو قُدّر للإنسانِ ان يخسَر شارياً لبضاعةٍ له أو تهبط الأسعارُ في السوق فتكون سبباً لهبوطِ قيمةِ بضاعتِه فما الذي يفعله؟ ينزعجُ حتماً ويتأثر لذلك ؟! فكيف به إذا كان المشتري هو الله سبحانَه وتعالى ؟ . فعلى أمور الدنيا تمتعضُ وينقبض قلبُك ، وعلى امورِ الآخرة ماذا تقول فالخسارةُ كبيرةٌ قاصمةٌ للظهرِ والمشتري هو العزيزُ الحكيم فإذا ما تسامحت في أمرٍ كان يكونَ عملاً خيرياً ولم تُنفق مما اعطاكَ الله ، فانك بهذا تتسامح في ربحٍ وفيرٍ ساقَه الله إليكَ وتمتنعُ عن اكتسابِه .

فلو قُدِّرَ لك أن تأخذَ يتيماً جائعاً أو حافياً إلى أحدِ بيوت المسلمين أو أغلبِهم واقترحتَ عليه ان يفيضَ مما أفاضَ الله عليه لقال: ان وضعي لا يسمح

لي بذلك ، وأنا مدينٌ لفلان وفلان أو يقول: حريٌّ بك أن تذهبَ به إلى فلان من الناس : وعلى أية حال فهو يريدُ بعمله هذا دفعَ الفقيرِ عنه ظناً منه أن ما يمكن اعطاؤه قد يسببُ له الضرر ، غير آبهٍ ولا مصدقٍ بآياتِ الله » على العكس من ذلك المؤمن الذي يبحثُ عن الفقراءِ والمحتاجين فيعطيهم وهو لا يُري ما يعطي ﴿ ولستم بآخذيه إلاّ أن تُغمضوا فيه ﴾[5] ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾[6] .

العنب الطازج أحسن للإنفاق:

لقد كانَ الإمامُ زينُ العابدين (ع) يُحِبُّ أكلَ العِنب « العنب والرمان من ثمار الجنة» : لقد كان على وقتِه فصلُ قطاف العنب ، وكان قليلاً جداً في السوقِ ، فجاؤا للإمام بعدّةِ عناقيد منه وحينما لامست يدُ الإمام (ع) عنقوداً وإذا بسائلٍ يظهر أمامه فيناوله الإمام (ع) عنقوداً بدون ان يتذوقَ هو حبةً واحدة من حباتِ هذا العنب فيخاطب أحدهم الإمام (ع) فيقول : ياابن رسول الله إن هذا العنب يندُر الحصول عليه الآن ، كان حريٌّ بك أن تعطيه عدةَ دراهم فأجاب الإمام لرغبتي في العنب اعطيتهُ منه في سبيلِ الله .

وعلى روايةٍ أن الإمام الرضا (ع) حينما كان يجلس إلى مائدةِ الطعام يأخذ صحناً ويضعُ فيه من كل ما تشتهي نفسه مقداراً من الطعام ويقول أعطوا هذا لمحتاجٍ ، وليس خبزاً يابساً و . . .

لا يجتمع الإيمان مع الخطيئة وحبّ الدنيا:

نور الإيمان لا يعطيه غيرُ الله سبحانه وتعالى وإذا ما حصّل هذا فإن الإنسانَ يتغيرُ بشكلٍ واضحٍ ظاهرٍ للعيان ، فكن أولاً مسلماً بعدها درّبْ نفسَك على تركِ المعاصي لتكونَ مؤمناً لأنَّ الإيمانَ لا يجتمعُ مع المعصية إلاّ إذا كانت

---

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦٧ .

(٦) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

المعصيةُ قليلةٌ جداً ونادرةٍ الحدوث ، فالشخصُ الذي يقرُّ بالذنوب ويتظاهر بها لا يمكنُ ان يكونَ في قلبهِ مكانٌ للإيمان .

إن حبَّ الدنيا والللذات يبتعدُ بالإنسان عن الإيمان ، فعليه يجبُ أنْ يسعى الإنسانُ لأن يكون مسلماً يسلمُ الناسُ من لسانه ويدِه ليحظى بالإيمان ويتقرب إلى جادةِ الله السوّية « وأشتاق إلى قربك في المشتاقين وادنو منك دنوَّ المخلصين »[7] .

لذة المؤمن في شهر رمضان:

إنكم رأيتم عيدَ نوروز وما الذي يفعلُه الكبارُ والصغارُ ابتهاجاً بهذا العيد ، عليكم أن تحتفِلوا بشهرِ رمضان مثلما تحتفلون بعيد نوروز فهو شهرُ البركةِ والرحمة والذي فيه قراءةُ آية من القرآن الكريم تَعدِل في الثوابِ ختمَ القرآن في غيرِه من الشهور ، فالعبادُ فيه ضيوفُ الرحمن والأنفاس فيه تسبيح للواحدِ الأحد .

يقولُ الإمام السجاد (ع) في دعاءٍ له في وداع شهر رمضان « السلام عليك يا عيد الأولياء » .

يصومُ البعضُ شهرَ رمضان كارهاً ، يَعدُّ الأيامَ قائلاً متى ينتهي شهرُ رمضان على الرغم من انه صامَ خمسين سنة أي خمسين شهراً من أشهرِ رمضان المبارك .

لقد كان يفرحُ في الصِغَر عندما يلبسُ جميلاً ويأكُل لذيذاً أما الآن وعلى الكِبَر عليه ان يلتذَّ بمناجاةِ الواحدِ الأحد ، وقد كان في ما مضى يلتذُّ في قراءةِ القصص ، وقد حان الآنَ الوقتُ لأن يستأنِس بقراءةِ القرآن المجيد . وهنا اذكر لكمْ حكايةً تنمّ عن الاستئناسِ بالقرآن:

---

(٧) من دعاء كُميل ـ مفاتيح الجنان ـ لعباس القمي . دار إحياء التراث ص٦٧ .

الأنس بالقرآن والنبال المميتة:

لقد جاء في تفسير مجمع البيان ان النبيَّ وفي احدى الغزوات قررّ أنْ يبقى قائدَ الجيش ومعَه ثلَّةٌ من الأصحاب في حدودِ العدّو خوفاً من أنْ يحملَ العدّو ليلاً فيصيب مقتلةً من المسلمين فانتخب اثنين من اصحابِه لهذه المهمة درءاً للخطَر فكان عمارُ بن ياسر أحدُ هذين الاثنين ، وفي المساء نامَ جيشُ المسلمين وبقي هذان الإثنان للمهمةِ الصعبة وكان مقرراً أن ينامَ احدهُما نصفَ الليل وينامَ الآخرُ النصفَ الباقي فنام عمّار النصفَ الأول من الليل وبقيَ صاحُبه للحراسة ، فقام للصلاةِ فقرأ في الركعةِ الأولى سورة الكهف وفي اثناء القراءة نفذ أحدُ الجواسيس اليهود ليتعرف على وضعِ المسلمين حتى يُخبرَ جيشَ اليهود بوقت الحملةِ على المسلمين ، لقد شاهد اليهودي عموداً في الظلام فقال في نفسِه قد يكون هذا العمود شجرة أو إنساناً فلأجرّب النبلَ فيه فإذا تحركَ عرفتُ بذلك أنّه إنسان ، فشدَّ قوسَه ورمى صوبَ الحارس المسلم اثناء صلاتِه وقراءته للقرآن الكريم فاصابَ السهمُ صدرَه ولكنه لم يتحرك لأنهُ كان ملتذاً بالقراءةِ ، ففهم اليهودي على أن العمودَ هذا ليس بإنسانٍ ولكن بعد مدة ساورَه الشك في العمود قد يكون إنساناً فرمى ثانيَ سهمهِ فنفذ السهم من صدرِ المسلم إلى ظهره ولكنه لم يتحرّك لاستئناسِه بقراءة سورةِ الكهف ، فرمى اليهودي بسهمٍ ثالثٍ فأثّرَ فيه وبحركةٍ برجله ضرب عماراً ليفيق من نومه .

انتهى الحارسُ من صلاتِه ـ وصحى عمار من النومِ وبدأ الحديثُ بينهما فعرفَ اليهودي أن الذي رمى لم يكن عموداً ولا شجرة وانما كان حارساً فولّى هارباً ، وعلم عمار بما جرى فعاتب صاحبَه أنْ لماذا لم توقظني ؟ فأجاب: اقسمُ لكَ صادقاً بأنّي كنت مستئنساً بقراءةِ سورة الكهف ولولا خوفي من ان أموتَ ولا استطيعُ إيقاظك ويحمل العدوُ على جيوش المسلمين لما إيقظتُك ؟!

إن صلاةَ الليلِ مستحبةٌ ؛ ولكن انظر ايها المسلم كيف يتعاملُ المسلمون

في صدرِ الإسلام مع الوقوفِ بين يدي الله وانت لا تصلّي صلاةَ الصبح إلاّ قضاءً لأنك تقضي ليلَ الصيف القصير بمشاهدة التلفزيون الذي يبقى متأخراً فلا تستطيعُ النهوض لأداءِ فرضٍ واجب ناهيك عن أنك تُصبحُ على جُنبٍ وتدعي أنك مسلمٌ وتتبجح بايمانِك غير الموجود ؟!

السعي لكسب نور الإيمان:

إذا حصُل الإيمانُ فإن الوضعَ العامَّ والخاصَّ للإنسانِ يتغيّر كليّاً ، ولا أدري أن هذا الكلامَ يهزّ القلوبَ أمْ لا ؟ لقد سعينا جاهدين لأنْ نكونَ مسلمين حقيقيين من أجلِ أن يرِدَالإيمان قلوبَنا ؛ فإذا لم يستحكم الإسلامُ ويتحكم في كلّ اعمالنا فلا يُمكن أن يعطيَ اللهُ جل وعلا الإيمان .

وكما يقول المثل « إذا لم تسعى جاهداً فليس لك أن تحظى على كنز » وأيّ كنز؟ فهو كنزُ الإيمان الذي يُعطى بالمجان لأيِّ شخصٍ ، وبالقوةِ كذلك لا يمكن أنْ يُعطى .

فالعظام والأجلاء حصلوا على نورِ الإيمان من خلالِ العباداتِ الكثيرة والأعمال الخيِّرة والتضرع إلى الله ، ونرى هذا الشيء في دعاء أبي حمزة الثمالي حين يقول الإمام (ع) « من أين لي الخيرُ يا ربّ ولا يوجَدُ إلاّ مِنْ عندِك ، ومن أين لي النجاةُ ولا تُستطاعُ إلاّ بك؛ انك ايها المسلم تئن لضرردنيوي اصابكَ بينما يجدر بك ان تئِنَّ وتخشعَ للهِ وتتضرعَ من اجلِ آخرتِك .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأن للذينَ آمنوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1] .

الإيمان نور ثابت في القلب:

إن الإيمانَ هو أساسُ كلِ خيرٍ ومقام ودرجة فإذا عُدم فالحياةُ الدنيا تضحىٰ حياةً حيوانية ، ويتجلى ذلك بعدَ الموت . فالإيمان الحقيقيُ ليسَ الفاظاً يتلفظُ بها مَنْ هُم لا يعقلون والذين قال اللهُ فيهم ﴿ صمٌ بُكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون ﴾[2]

فالإيمان حقيقة ثابتة وموجودة وليست توهّماً وامراً انتزاعياً واعتبارياً فهو حقيقة يُعبَّرُ عنها بالنور ، النورُ الثابتُ في القلب ، المتمركز بخطِ الله ﴿ اولئك كَتبَ في قُلوبِهم الإيمان ﴾[3] لذا فالإيمان لا يمكن أن يُمحى من القلب ، وقد

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨ .

(٣) سورة المجادلة، الآية٢٢ .

جاء في اصولِ الكافي بابٌ ذُكر فيه سؤال وهو: هل أن الإيمان يمكن ان يمحى أو يقلّ؟ فكان الجواب ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾[٤] .

ان الشيـاطينَ هم أحقرُ من أنْ يتمكنـوا من قَلْبٍ احتـواه الإيمـان ، نعم فالفردُ العاملُ للخطايا له كلام آخر لما للشيطان عليه من سُلطان ، ولكن المؤمنَ المؤيدَ من قِبَل الله تعالى له قوة يدفـعُ بها كيـدَ الشياطين عن نفسِـه ﴿ وايدهم بروح منه ﴾[٥] هذه القوة هي نورُ الإيمان الذي لا ينطفىء ومكانه القلب وقـد صرّحت الآيةُ الشريفةُ بمكان الإيمان هذا حين قال الله تعالى : ﴿ قالَتْ الأعرابُ آمَنّا قُل لَمْ تُؤمِنوا ولكِن قولُـوا أسْلَمْنا وَلَمّـا يَدخُـلِ الإيمان في قلوبكم ﴾[٦] فالإيمان عطاءُ الله الذي لا ينضَبُ يرمي به في قلبِ الإنسان فيُصبحُ كالجَبل لا تهزُه الريحُ ولا العواصفُ ، فيترفّعُ عن الهُمـوم والسَفر عبـرَ الخيالِ والـوهم ، وعندما يصل الإنسان إلى هكذا مرحلة يقف بإيمانه في مقابـل كل الخلق آمنـاً مـطمئناً ﴿ هـو الـذي أنـزلَ السكينة في قلوب المؤمنين ليـزدادوا إيمـانـاً مع ايمانهم ﴾[٧] .

آثار الإيمان الثابت:

علينا أن نعرفَ جيداً بأننا عبادُ الله وهـو سبحانـه خالقُ الخلقِ والعبـاد ، فالعبد عليه أن يقف ثابتاً في طاعةِ الله تبارك وتعالى ، ولا يكون كالحرباء متلوناً تتغيرّ شكلاً تبعاً للمؤثرات الخارجية فلا ينبغي لكَ أن تكونَ في الصباحِ مع الله وفي المسـاء مع هوىَ النفسِ والشياطين تتناسىَ ربَّك الذي خلقَك وآخرتَك التي تنتظرُك فهذا الحال هو حالُ الكافرِ الذي لم يَعْرِف الإيمانُ قلبَـه ولم يتّخذْ فيـه

---

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣ .
(٥) سورة المجادلة، الآية ٢٢ .
(٦) سورة الحجرات الآية: ١٤ .
(٧) سورة الفتح ، الآية٤ .

موضعاً له ، فالخوفُ من الآخرةِ يجعلُ منكَ إنساناً مستقيماً متجنباً للمعاصي والآثام وقد عبّر الإمام علي (ع) في خطبة همام فقال: « قد براهُمُ الخوف بَرْيَ القداح » .

الخوف هو الذي صعّدَ من أنين علي (ع) أما أنا وانت فغافلون وفجأة نفيق ولكن على ماذا؟ حينها يكون الوقت قد قَطَعنا ، لقد جاء في الروايات أن المؤمنَ الخائفَ من عذابِ يومِ القيامة يقومُ لله ليله وكأنه خشبةٌ مسندة ، إنه يفكر في سجلّه الذي يُحصي عليه أنفاسَه ﴿لا يغادرُ صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾[8] وحينها يسلم إليه هذا السجل المليء بالأعمال فيقال له : ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[9] فكن منصفاً وتفكّر جيداً هل فكرّت بيوم الحساب ؟ هل انتابتك حالةٌ من خوف ذلك اليوم ؟ إنك وعلى الظاهر لا تهتم لهكذا موضوع .

المصيبة والبلاء تحتسب عند الله:

الإيمان أمرٌ ملكوتي معنويّ ثابت وليس مجرّد وهم وفرض ، الإيمان وكما عبّر عنه الرسول الأكرم (ص) فقال فيه هو النور ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تكون القلوبُ مهيئةً لورود النور فيها وقابلة للهداية ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ فإذا ما كان الإيمان نوراً يبعثُه الله ليستقرَ في القلوب ، لذا ينبغي لهذه القلوب أن تكون رقيقةً حتى يتمكن النورُ من الولوجِ إلى داخلها ؛ فإذا ما كانت كالحديدِ الصلب قاسية لا يتأتى للنور أن يعمل عمله فيها ، ولكن العزيز القدير هيأ بعض الوسائل لصقل هذا القلب وتليينه حتى يتمكن الإيمان من النفوذ إلى داخِله فجعل البلاء والمنغصات ليتسنى للإنسان أن يرجَعَ إلى الله ويقول: إلهي خلّصني مما أنا فيه فيبتعد القلب عن زخارف الدنيا .

---

(٨) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٩) سورة الإسراء، الآية١٤.

إن شيعة علي (ع) ينبغي لهم أن يكونوا مستعدّين لتحمل المصائب والبلايا ، فالقلب المحبّ لله وأوليائه يبتعد عن حب الدنيا ، فحبّ الواحد الأحد لا يتيح للإنسان التعلق بما دونه .

لا فتى إلاّ عليّ ولا سيف إلا ذوالفقار:

لا نعرف أحداً مثل أمير المؤمنين (في الاولين والآخرين ذاق طعم الأذى ، فلقد كانت البلايا ميّزة تميّز بها علي (ع) على طول حياته ، ولو تمكّنا من إحصاء المصائب والمنغّصات التي واجهته لتعجبنا ، ففي غزوة أحد وحين رجوع الإمام (ع) كان قد جُرح تسعين جرحاً ناهيك عن سقوطه عن الفرس عدّة مرّات ، ولكن المولى تعالى ذكره حفظه وحينها نزل جبرئيل على النبي الأكرم (ص) وهو ينادي عالياً لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلاّ عليّ ، فالبلايا التي عاشها الإمام (ع) ملأت قلبه الشريف دماً علاوة على تقولات المنافقين الكثيرة التي لو أسهبنا بشرحها لطال الأمر .

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

عجبي لك يا أمير المؤمنين ، وأنت ترى البعض يدّعي الإيمان بالله وبالنبيّ (ص) ويتبجّح بلا إله إلا الله ليتمكن من استلام السلطة ، والبعض الآخر يتطاول عليك بكلمات لا يجرؤ اللسان على ذكرها لما لها من قباحة ، ناهيك عن اولئك الأرجاس من مثل ابي سفيان حين قال في زمن عثمان وحكومته ، وكان حينها فاقداً للبصر والبصيرة:

لعبت هاشم بالمُلك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

فتصوّر أيها المسلم ما لاقىٰ أمير المؤمنين (ع) من بلايا ومصائب لو صُبّت على الأيام لصُرْنَ لياليا .

صبر عليٍّ من معجزاته:

إن أفضل تعبير قاله الإمام (ع) بصدد صبره هو:

« فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى» ، هـل تعلم أن علياً (ع) عانى على مدى خمسة وعشرين عاماً اشد العناء » ولا نبالغ إذا قلنا: لقد كـان مثل ذلك الذي عَلِقَ عظمٌ في آخر حلقه فلا يقدر على الكلام فتصوّر عـزيزي المسلم مـدى الصعوبـة التي كان يعيشهـا الإمـام سـلام الله عليـه حين الأكـل والشرب وحتى التنفس .

مثله كمثل الذي استقرت في عينه شوكة فإذا ما قلت مجرّد شوكة فما أنصفت
ولـو كـانـت فـي عينـك لتجرعـت الغصـص

ولهذا قيل: إن من معجزات علي (ع) صبره على الشدائد ، وإلاّ فالبشر العادي لا يمكن أن يتحمل مثل ما تحمل سلام الله عليه .

وبناءً على هذا ، وفي صُبيحة التاسع عشر من شهر رمضان سمع الجميع صيحة عليّ (ع) أن « فُزتُ وربِّ الكعبـة » ، لقد انقضى الليـل الحالـك وبَرَد التنّـور الحامي : فقـد نجا الإمـام (ع) من وضع معـاوية اللعين ، وجـازَ على الغصص العظام وتركها ناجياً بايمانه الأصيل وفاز بالجنة والرضوان وخسـر مَنْ عاداه من الذين باعوا ايمانهم بثمن بخس وذهبوا إلى حيث ذهب يزيد واتبـاعه ففازوا بعذاب الخلد والمهانة .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ للذينَ آمنوا أَنْ تَخْشَعَ قُلوبُهم لِذكْرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحقِ ولا يكونُوا كالذين اوتـوا الكتاب من قبـلُ فطالَ عليهمُ الأمـدُ فقَسَتْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسِقون ﴾[١٣] .

---

(١٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.

ولقد أشارَ المولى جلّت قدرتُه إلى هذا البلاء فقال في محكم كتابه: ﴿ وَلَقَد أرسَلْنا إلى أممٍ من قبلِك فأخذناهُم بالبأساءِ والضرّاءِ لعلّهم يتضرّعون فلولا إذ جاءَهم بأسُنا تضرعَوا ولكن قسَت قلوبُهم وزَيَّنَ لهم الشيطانُ ما كانوا يعملون ﴾[١٠] .

فبسبب ما بأيدي الناس من منافع وماديات يبتعد هؤلاء الناس عن ذكر العزيز ولكن الله يريد للقلب البشري أن يأنس بذكر الله فينزل البلاء لإزالةِ السبب ولكن بعض القلوب قاسية إلى درجةٍ لا تتأثرُ حتى بالبلاء والمصيبة ، واضرب لكم مثلاً على هذا:

من يعطي الشفاء الطبيب أم الله ؟!

مرض فلان فقيل ان الطبيبَ الفلاني شفاهُ بنسخةٍ كتبَها له فاشترى الدواء فشفيَ مما كان فيه ، هكذا يتصور البعضُ بأن الطبيبَ هو الشافي الحقيقي .

إن إيمانَ هذا الشخص تركز عند هذا الطبيب فمرةً يتوسل به واخرى يرجوه ، وحين يستلم منه النسخة ويأخذ دواءه ويشفى يضحي الطبيب ربُّه الأول والآخر واينما جلَس يتحدث عن حذاقةِ هذا الطبيب وشفائه له وينسى الواحدَ الأحَد الذي هو الشافي الحقيقي فلا حمداً ولا شكوراً .

أما إذا لم يشف من مرضِه ووصل به الحال إلى درجةِ الموت حينها يقول الهي ليس لي غيرُك شافني وعافني ويتضرع ويتوسل بالله الشافي وفي وقتها يعلم ان الذي شافاه وعافاه تلك المرة لم يكن الطبيب بل الله الواحد الأحد ولم يكن الطبيب الاّ سبباً من اسبابِ الله العزيز القدير .

لقد كان طبيباً حاذقاً ذلك الذي يقول: في بعض الأحيان اكون على يقينٍ من ان المرضَ الفلاني دواءُه في المكان الفلاني واكتب ورقتي ويتناول مريضي

---

(١٠) سورة الأنعام، الآيتان ٤٣ ـ ٤٤ .

دواءه ولكن ما الخبر ؟! فالمريض لا يشفى من مرضهِ فابقى في شكٍ وحيرة ، لقد شخَّصت المرضَ دقيقاً ووجدتُ العلاجَ الناجعَ له ولكن بلا فائدة فأعطي دواءً إضافياً بعنوان احتياط فأرى ان الدواء الإحتياطي هو الذي بدا أثرهُ امّا الاصلي لم يكن ليعمل شيئاً؛ ان الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أيّ دواء يُصيب وأيّ دواء يخطىء والآن اقول لك: بمن تؤمن انت ؟!

العلف دواءٌ لعدة أمراض:

نقل لي المرحوم صدر الحكماء قبل اربعين عاماً بأنه جيء بمريضٍ له يشكو من امراضٍ عديدة فقلتُ لمن أتى به: اذهب به فلا فائدة منه فقال لي متهكماً إذا كنت لا تفهم بالطب فلم صيَّرتَ من نفسك حكيماً وفتحت لك مطبّاً ؛ فانزعجتُ لذلك كثيراً وقلت له: اذهب به واعطه عَلَفاً مما تأكلهُ الحيواناتُ ؛ ولم اكن اقصدُ إلا الإهانةَ لما وجّه لي من أتىٰ بالمريضِ من اهانة !! وبعد فترة ليست بالطويلةِ وإذا بشخصٍ يدخلُ مطبّي محملاً بالهدايا التي شملت خروفاً وزيتاً ولبناً وزبداً وهو يبّشُ بوجهِه ويقول: هذا ما أرسله لك المريض الفلاني ؛ لقد أعطيناه الكثير من العلف حتى أصبح سالماً من كل الأمراض !

يقول هذا المرحوم: لقد لفَّتني الحيرة وعلمت انه صنع الله فهو الشافي الحقيقي .

لقد حكم القضاء أن لا يعمل الدواء فزيت اللوز لا يزيد الجفاف إلا جفافاً

الخيبة واليأس من الناس:

إذا أراد الله لعبدٍ خيراً حرمهُ مما في أيدي الناس لكي يلتفت إليه ، وقد يتضرر الإنسان كثيراً في تعامله مع الناس على الرغم من امتلاك هذا الشخص لعقلية مُبَرْمَجة وقدرة عالية ، ولكن الله إذا أراد لعبدٍ ان يخفق في معاملاتِه أو تجارته لا يمكن أن تفيد مع هذا الاخفاق فِطنة أو ذكاء أو قدرة وحينها ينتبه

الإنسان إلى قدرة الله وقد ذكر لنا أمير المؤمنين في نهج البلاغة ما ينطبق على حديثنا هذا حين قال: «كثّر الله في أرزاق الحمقى ليتعظ العقلاء» .

يتصوّر العلماء انهم يصلون إلى ما يريدون ولكنّ المئات منهم يحتارون في أمره

لا تقل بقدرتي وبعقلي وبعلمي وصلت إلى هذه الثروة . . . بل قل إنّ المولى تبارك وتعالى هو الذي أراد لي هذا الشيء لحكمةٍ هو يعرفها ، فقد يكون الحرمانُ في بعض الأحيان لطفاً الهياً ، لكي يبتعد القلب عن زخارف الدنيا ويبتعد كذلك عن الإلتصاق بها ، فعندما ينقطع الأمل بالحياة الفانية يتحرر الإنسان من العبودية إلاّ لله الواحد الأحد ، فإذا ما تكالبت المصائب والبلايا عليه حينها يتضرعُ الإنسان فيقول إلهي ، مَنْ لي غيرُك ، ومن هنا يتأتى اللطفُ الإلهي حين يقترب العبدُ من ربّه متوسلاً متضرعاً ذاكراً بسببِ ما لحق به من البلاء .

حجرٌ للخروف الغافل:

عندما يخرج الخروف عن مجموعتِه لسببٍ من الأسباب يسعى الراعي العطوف جاهداً لإرجاعه إلى مجموعتِه بحجرٍ يرميه به من بعيد خوفاً من ان ينفرد به ذئبٌ جائع ، فالحديث هنا يكمن في ان الحجَر المرمي والضَرر الواقع على الخروفِ من عصاً يتحملها مضضاً هي بنفعه ، وكذا ابن آدم فمهما عانىٰ من ويلات وطالت عليه مُدد المصائب فهي ينفعه لذا كان من الأفضل له أن يعتمد على المولى تعالى وحده ، وان يتحمل صابراً محتسباً الأجر عنده بعيداً عن الهمّ والغم في أن احدى ساقيه شُلّت ولا يتمكن بعد ذلك من الذهاب إلى السوق ، بل ينبغي له أن يتفكر ويتدبر لو أن كلتا ساقيه شُلّتا أو مَنَع عنه تعالى الرزق فلا يستطيع العيش ؟! عليه أن يعرف أن الله تبارك وتعالى وحده هو الذخر والسند « يا ذخر من لا ذُخر له »[11] ، فليكن عندك أيها المؤمن قوة قلب عليّ (ع) لا

(١١) دعاء الجوشن الكبير في مفاتيح الجنان لعباس القمي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ص٩٠.

قوة المال والجواهر ، اعتمد على الله فقط وليكن ايمانُك خالصاً له وقل صادقاً: لا إله إلا الله ، الله ثقتي ، رضيت بالله ربّاً ، فهو الذي يُحيي ويميت ، وربك يخلق ما يشاء ويقدر ؛ ﴿ وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾[١٢] .

القناعة بعلي (ع) لا تنسجم وترف الدنيا:

ينبغي لشيعة علي (ع) أن يكونوا على أهبة الإستعداد لاستقبال البلاء ، فالقلب الذي احتواه حبّ علي (ع) وهو طائع للارتباط به (ع) لا يمكن أن ينبض بدون بلاء ومصيبة ، ولقد ذكر الإمام (ع) ما معناه: «لو تسنّى للمؤمن ان يعيش وحيداً على قمم الجبال لقُيِّضَ له شخصٌ يؤذيه» .

فيا أيها المسلم ، لو أردت صادقاً الارتباط بعليّ (ع) لخلعت من قلبك زخارف الدنيا وبريقها لأن القلب المرتبط بالدنيا لا يتلائم والارتباط به (ع) ساقي الكوثر ، فعلى سبيل المثال: لو قدّر لشخصٍ امتلاك مزرعة يجري بها الماء كبطون الحيّات مرتبة الوسائل ، تراه صباح مساء جالساً إلى جدولها العذب وأنت تذكر له الكوثر لما تحرّك فيه عرقٌ يشتاق إليه ، لما يتمتع به من سرورٍ وحبور إلى جنب جدوله؛ ولكن إذا ما تكالبت عليه الحياة الدنيا وأخذ منه المرض مأخذه فاضطر إلى تعاطي الدواء مرتّباً حينها ينتبه لنفسه فيقول: اللّهُمَّ إني أسألك وورود حوض الكوثر : هذا الحوض الذي يقال ان شربةً منه لها مئة الف طعم ، ومن يد عليّ (ع) ، فالمشتاق لهكذا حوض يشدو طرباً عندما يسمع انه سيسقى من يد امير المؤمنين ريّاً روياً ، فهذا الشوق يتنافى مع حبّ الدنيا وما فيها ولا يمكن في حالٍ من الأحوال ان يجتمع الشوق للحوض وعليّ (ع) مع ما في الدنيا من شكليات .

---

(١٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٥ .

التهوّر يبعث على القساوة:

لقد ذكرنا بأن البلايا دواءُ القلب ، واليوم اروم تقسيم القساوة «قساوة القلب» واتطرق إلى علاجِها؛ وبعد هذا التقديم اصبح معلوماً عندنا أن الإيمان يدور حول اطرافِ قساوة ورقةِ القلب ، فإذا ما رقّ القلبُ جاء الإيمان وإذا ما قسى ابتعد عنه ، وبابتعاد الإيمان يبتعد الخيرُ كلّه .

في البداية اذكر لكم اسباب قساوة القلب واتعرض هنا بشكل مختصر إلى أهم الأسباب:

قساوة القلب ليس أمراً طبيعياً ، ولا ترجع إلى الفطرة ، بل ان البشر يولدون وهم لا يمتلكون من قساوة القلب شيئاً ، ويمكن ان نقول أن القساوة حالة مكتسبة ، فإذا ما صار القلب قاسياً انعكس ذلك على سلوك الفرد وتتناسب قساوة السلوك طردياً مع قساوة القلب فيزداد القلب قساوة بازدياد الممارسات القاسية .

إن الله تبارك وتعالى لم يخلق بشراً قاسي القلب ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم** ﴾[١٤] .

فعلى الوضع الاولي الفطري يتقبّل المولود الحقّ ، أي عنده الاستعداد الكامل لقبول الحقّ ، وهذه هي الفطرة أما بعد ذلك وبمرور الأيام ومن خلال التهاون في بعض الأمور الموصلة إلى التهور يتأتى للقلب ان يقسو ، فإذا ما تساهل الفرد في أن يطلق العنان لعينيه ـ على سبيل المثال ـ للنظر إلى ما حرّم الله ورسوله واباح لنفسه عدم الالتزام أو الانضباط في المسائل الأخلاقية أدّى به ذلك إلى اسدال ستارٍ على قلبه منسوجٍ من الشهوات ، على الرغم أنه كان قبل ذلك يُرخي عينيه للدموع خوفاً من الواحد الأحد ﴿ **وإذا تُليت عليهم آياتنا**

---

(١٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

زادتهم إيماناً ﴾[١٥] وكان يترحّم على اليتامى والمساكين ، اما الآن فهو يأكل مال اليتيم ظلماً ويقطع الرحم ويتهور في انجاز الأعمال ، وهذا يرجع سببه إلى أنه تساهل وتهاون في ارتكاب الصغائر حتى وصل الأمر به إلى ان يقسو قلبه وقد تكون هذه القساوة من نظرة محرمة « فالنظرة المحرمة سهم مسموم من سهام إبليس » ومثل هذا باقي المحرمات والمعاصي .

نظرة حرام من على مئذنة مسجد ذهبت بايمانهم

جاء في تفسير روح البيان انه في سالف العهد كان ثلاثة أخوة ، الكبير فيهم شغل منصب مؤذن من على مئذنة مسجد لمدة عشرة سنوات ، فخلفه الثاني لعشرةِ سنين أُخر ، وبعد وفاتهما اقترح الناس على الثالث اشغال مكانهما ولكنه أبى وقال: لا يمكن أن أفعل ذلك ؛ فقيل له: نقودٌ تكسبها على الراحة فلِمَ الرفض ؟ هل أن الأذان إساءة ؟! فقال: كلا ، ولكن الأذان من على هذه المئذنة لا يمكن أن اقوم به ؛ فسُئِل عن السبب فقال: لقد كانت هذه المئذنة سبباً في ذهاب اخواني من الدنيا بدون إيمان ، لقد طلبت من اخي الكبير على ساعة رحيله من الدنيا ان يقرأ سورة «يس» فنهرني وقال لي: وما القرآن ؟ وكذا فعل أخي الثاني .

استغثت بالله كثيراً طالباً منه جلّ وعلا ان يطلعني على السبب الذي حدا بأخويّ الملتزمين بصلاة الجماعة والمؤذنين من على مئذنة المسجد أن يخرجا من الدنيا صفر اليدين ، بلا إيمان فمَنّ الله تبارك وتعالى عليَّ في عالم الرؤيا فرأيت أخي الكبير وهو في العذاب غارق؛ فقلت له: لن اتركك حتى تقول لي على علّة موتك بلا ايمان ؟ فأفهمني الله سبحانه بإطلاق لسانه ليقول لي: لقد كنت انتهك الحرمات من على مئذنة المسجد من خلال النظر في بيوت من جاوروه ، فأرضي شهوتي بالاطلاع على الاوضاع الداخلية للناس .

---

(١٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

لقد كان هذا المسكين يُضفي سِتاراً جديداً على قلبه حين يطلع المئذنة للأذان ؛ تلوّث قلبه فأضحى سافلاً ، ولم يسع لأن ينقطع عن هكذا عمل قبيح ، لقد كان يرمي النبال المسمومة في قلبه حتى وصل إلى لحظة الموت وحينها يتمنى على الله أن يكون له قلبٌ خاشع .

انظر إلى ساعة موتك كيف تكون خاشعاً ، هذا الخشوع ينبغي أن يكون الآن في قلبك خشوعاً مثل ذاك الذي احتواكَ على وقت وفاة والديك « اللّهُمَّ إني اسئلُك خشوعَ الإيمان قبل خشوعِ الذُل في النار »[١٦] .

ان الخشوع الاختياري على زمانك هذا ذو قيمة ، اما ذلك الخشوع القهري والتكويني ساعة الاحتضار فلا قيمة له .

إن الإنسان المتهوّر كيف له ان يفوز بالخشوع ، وكيف يتأتى للقرآن هداية هكذا شخص فاقد للالتزام الشرعي ؛ فالقرآن يهدي الورع والمتّقي ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدىً للمتقين ﴾[١٧] فالقرآن بالنسبة لهكذا أفراد غير متقين كالمسمار الحديدي المطروق على حجر صخري .

البطنة وأكل الحرام يبعث على القساوة:

فِكرهُ يدورُ حول بطنه ، فهو لا يتورع من ارتكاب معصية في سبيل ارضاء شهوة بطنه ، ولا يترفع عن اكل الحرام الذي هو سببٌ اساسي في قسوة قلبه ، همّهُ الوحيد هو ملء بطنه من الطعام اللذيذ ، نحن لا نقول بالامتناع عن الطعام اللذيذ ، ولكن نقول بالامتناع عن الطعام الحرام ، البطنة ، الاسراف .

أنت تريد ملء بطنك ، وتكون عبداً لها حينها لن يكون في قلبك مكان

---

(١٦) دعاء أبي حمزة الثمالي، أنظر مفاتيح الجنان لعباس القمي - دار إحياء التراث - ص١٩٨ .

(١٧) سورة البقرة، الآية: ٢ .

للايمان ، ويضحي قاسياً بقدرٍ لو جاءك يتيم يستعطفك لما رفَّ لك عِرق ولما تأثرت .

إن منظر الحسين (ع) وطفله الرضيع يوم العاشر من محرم يرقُّ له كلُّ ذي قلب ، ولكن عجباً لتلك القلوب القاسية التي عدِمَت الرحمة والشفقة ؛ ان عبارة الحسين (ع) : اسقوه الماء يُفهم منها : أنا لا أريد الماء لنفسي بل لهذا الطفل الذي يمكن أن تأخذوه انتم عندكم وتسقوه الماء : وحينها قال (ع) « قد مُلئت بطونكم من الحرام» يعني بذلك: قست قلوبكم من الأكل الحرام .

المعصية وعدم طهارة القلب:

ان المرأة التي تفكر دائماً بعرض محاسنها ، متبرجة في الدوائر أو المدرسة أو السوق ، فهي كل يوم وعلى هذا الوضع تزيد في غِلظ حجاب قلبها وتضيف ستاراً جديداً للاستار القديمة المضروبة على قلبها : فلا يبقى مكان للإيمان فيه ، وعندها تقول: المهم في الأمر القلب السليم وليس الالتزام بالحجاب ؛ إنكِ لا تعلمين كيف احتوت اضلعك قلباً قاسياً غليظاً صنعتْ أستارَهُ يداك .

ان الاستعراض الذي يتبرعن به بعض النساء في اماكن دور السينما لا يقتصر على هذه الدور فقط ، بل يتعدى ذلك إلى مراكز البيع والشراء التي تعجّ بالمتبرجات الطاليات وجوههن بشتى أنواع المساحيق المثيرة التي يتحرك قلبك شئت أم أبيت لها ، فيا أيها الشاب المسلم المضطرب والسارح في الخيال لو قُدّر لك أن تسأل إحداهن عن السبب في كلّ هذا لجائتك الإجابة سريعة: من أجل ساعة ترفٍ تستشعر فيها الفرح والسرور ؟!

خلاصة الأمر ان التهوّر واتباع الهوى يجرّ إلى القساوة القلبية فلا يبقى مكانٌ للإيمان وحبّ الله تبارك وتعالى ، فإذا اصبحت ممن يتبعون الأهواء فقد حكمتَ على نفسك وجعلت منها في قائمة اهل البطنة والشهوة والحيونة ، وإذا

ما سلكت سلوكاً متهوراً تتلاعب بالأموال الكثيرة ، حينها يصبح همّك الوحيد المال اينما وجد وكيفما اتفق الحصول عليه وبعد مدة قصيرة من الزمان ترى أنك أصبحت كالكلب العقور تنهش كلّ من تراه ساعياً وراء المال .

إن الإمام الحسين (ع) في ليلة عاشوراء كان يقول: كأني ارى كلباً أبلقاً يتسابق مع الاخرين ليحملَ عليٍّ ، نعم ، لقد كان ذلك هو الشمر بعينه يتسابق طمعاً في نيل جائزة يزيد ، لقد رأى الإمام (ع) في ما يرى النائم باطن الشمر على هيئة كلب ابلق .

بماذا تعالج القسوة ؟

إن أساس الكفر وعدم الإيمان هي القساوة ، وعلاجها كما جاء في الروايات المتواترة عن آلِ بيت الرسول عليهم السلام نذكرها لكم بالتدريج إنشاء الله وأولها هو: ذكر الموت ، وتهيئة الكفن والنظر إليه كل يوم ، فذكر الموت لا يعجّل بمجيئه ، فالآجال محسوبة ولا يمكن الهروب منها : فلم الخوف منه ومن سرعة مجيئه .

لقد كشفت لنا الروايات والأخبار عن أن ذكر الموت وتهيئة الكفن من المسائل التي تمدُّ في عمر الإنسان فعليه ينبغي للانسان أن ينظر إلى كفنه مرة واحدة في اليوم على الأقل ويتفكر في خلق الله وعباده وما يمكن أن يكون بعد الموت ، اما بالنسبة للنساء فإن المقنعة يمكن أن تذكرهن بالموت كما الحال عند الرجال فالعمامة والذؤابة المستحب لفّها على الرقبة التي يقال انها ترقق القلب وتجعل من صاحبها يخشع لذكر الله ولذكر الموت ، وإذا تمكن الإنسان من ان يحفر له قبراً يمرّ عليه بين الفينة والأخرى من أجل ان تبتعد عنه قسوة القلب بذكر الموت وما بعد الموت .

حريٌّ بك أن تزور قبور والديك وحريٌّ بك أيضاً أن تفهم انك لاحقٌ بهم لا محالة ، وان الموت لا يخبرك بأنه سيأتيك في اليوم الفلاني أو الساعة الفلانية

وان من هم أصغر منك رحلوا إلى عالم البرزخ وإلى عالم ما بعد الموت ؛ وهنا نذكر لكم حكاية انتقيناها لكم من كتاب حياة الحيوان :

حكاية الاسكندر وسلطان الصين:

عندما وصل الإسكندر إلى الصين على زمن فتوحاته للبلدان ، حاصرها ـ وحين الحصار وعندما كان الاسكندر يجلس في فسطاطه مع وزرائه ، وإذا بشخص صيني يقف على باب الفسطاط يطلب الإذن بالدخول من الحاجب ، فأذن له ، وحين الدخول قال للحاجب ان الكتاب الذي معي لا يمكن أن احدّث به غير الاسكندر حسب أوامر سلطاننا ، فأمر الإسكندر بتخلية المكان ممن معه ، فدخل القاصد وقال مخاطباً الإسكندر ألا تعرفني ؟ فأجاب الاسكندر: كلا ، فقال: أنا سلطان الصين ، فتعجب الإسكندر وقال: كيف تأتت لك الجرأة بالمجيء إلى هنا وحيداً ألا تخاف من إقدامك هذا ؟ فقال : لا ؛ لقد سمعت أنك انسانٌ عاقل ولا تذهب اعمالك أدراج الرياح ناهيك عن أنني لم أسيء إليك من قبل حتى يتبادر إلى ذهنك قتلي ، أما مسألة احتلال أرضي وقتلي فلا فائدة منها ، لأنّ بلادي محصنة بقلاعٍ متينة وهناك من هم مثلي الكثير يديرون البلاد فنائب السلطنة والوزراء وغيرهم من كبار المسؤولين على أهبة الإستعداد لمواجهة أيّ خطر ؛ فقال الإسكندر إذن نحن حاضرون للصلح معكم ـ لمّا رأى حكمة سلطان الصين ـ ولكنه شرط ذلك بقوله: عليكم أن تأتونا بخراج الصين لمدة ثلاث سنوات ، وقال: هل يضيرُ ذلك بكم ؟ فأجاب الصيني: نعم ، فإن ذلك يطيحُ باقتصادنا ويؤخره عن التقدم .

لقد كان الإسكندر رجلاً فطناً وذا فراسة فقال: إذا اعطيتمونا خراج سنةٍ واحدة فلا أظن أنه يؤثر على اقتصادكم فقال السلطان الصيني : تأكد يا أيها الإسكندر أنّه يؤثّر على اقتصاد بلدنا فطلب اليه الإسكندر ان يدفع اليه خراج « ٦ » أشهر وقال له بعد ان وافق الصيني على ذلك: إنك اعقل واعلم حاكم صيني عرفته .

وخلاصة الأمر ان الصلح تم بين الطرفين بشكل سلميّ وجميل ، بعد طلب السلطان الصيني إلى الإسكندر ان يقبل دعوته إلى وليمة يقيمها الصيني على شرف الإسكندر مع كبار قادته ووزرائه فأجابه الإسكندر إلى ذلك : وسار بجيشه إلى حيث فسطاط السلطان الصيني فاستقبله الثاني بجيوش عظيمة أثارت القلق والحيرة والرعب في نفس الإسكندر حتى ظنّ ان في الأمر خدعة فقال: للصيني : هل تريد بي سوءً ، فاجابه: كلا ، بل أردت أن اعرّفك بأن الجيش الذي تحت إمرتي اعظم من جيشك ولكني فضلت السلم على الحرب حقناً للدماء التي يمكن أن تسيل من جرّاء حرب كادت أن تقوم .

واخيراً حضر الإسكندر مائدة السلطان الصيني ، فجلس الوزراء والقادة في مكان وجلس السلطانان في مكان خاص ، فانتبه الإسكندر إلى ان الآنية كلها من جواهر وأحجار كريمة فاندهش وامتنع عن تناول الطعام فقال له الصيني بالتفضل إلى تناول الغذاء فأجاب قائلاً: هذا ليس طعامي فقال السلطان الصيني : وما هو طعامك إذن ؟ فقال: خبزٌ من القمح ورزٌ وقليل من اللحم فقال الصيني لقد ظننت ان هذه المجوهرات النادرة هي طعامك وإلا فالرز والخبز واللحم موجودٌ أيضاً في اليونان فما الذي حدا بك لأن تأتي إلى بلادنا ، وبِمَ أنت ولع ؟!

لقد كان الإسكندر عالماً ، دائم السعي في مواكبة العلم والعلماء ولكنه في بعض الأحوال توقظ ضميره ووجدانه بعض العبارات التي تصدرُ ممن هم أقل منه علماً ومعرفة ، فلقد كانت عبارات الصيني تتضمن موعظة عميقة معناها أنك لم تأت إلى هنا إلاّ لملءِ بطنك ، فهل كان الطعام في بلادكم غير كافٍ حتّىٰ تأتي إلى بلادنا ؟ . إنه الحرص الذي أتى بك إلى هنا لتضيّع حقّ الآخرين !!

إذن كل هذا التحرك وجمع الجيوش من أجل المال ، الذي جعل منك قسيَّ القلب .

داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار:

ضمن وصيته لابنه الحسن المجتبى (ع) قال أمير المؤمنين (ع) « بُني أحيي قلبك بالموعظه[١٨] .

ان أرضك أرضي في معرض رياح شمالية تتلاعبُ بها يميناً وشمالاً
وفي تلك الأرضِ تمزّقت وجوهُ مَنْ هُم لا مثيلَ لهم
ولو كُشِفَت اطباقُ الثّرى عن وجههم لم ترَ إلا كدقيقِ الهلال
احياء ولكن قلوبُهم ميّته
أنت لا تعرفهم، لكنهم أولئك التاركين ذكر الله

قد يصلُ الإنسان إلى حالةٍ وإلى وضع يصعبُ عليه صقلُ قلبه وحينها تحتويه القساوة من كل جانب فلا علاجَ بعد ذلك عليك أخي المسلم أن لا تجعلَ من قلبك صخرةً صماء قاسية ، أحيها بذكرِ الموت « تذكّر دائماً موتَ الأحباب والاقارب واعلم أنك لاحقٌ بهم لا محالة ، فكلُ آتٍ قريب » ولا أعلمُ عندما احتضر في ذلك اليوم المحتومِ هل سيكونُ إلى جانبي من يلقّني العقائد الحقّة ويذكرني بالله الواحِد الأحد .

كلُّ ساعةٍ أنا في فكرٍ من شكلٍ خاص لما ينتظرني من يوم محتوم
وفي تلك الساعة أرجو عفوَ الله وحفظَه لي من ان اقَعَ في الغفلة
وفي تلكَ الساعة ارجو النجاة من الشيطانِ وأرجو أن يحفظ الله لي نور الإيمان
على ذلك الوقت لن يبقى لي فطنة فساعدني على أن لا أنسى ذكر اسمِك

مرةً اخرى نرجع إلى علي (ع) هذا الأب والطبيب الروحاني أحبتي اذكركم هنا بدائكم ودوائكم ليتسنىٰ لكم الخروجُ من هذا الداء ، فلقد قال اميرُ المؤمنين ما مضمونه ونحن نردد ما قال: «داؤكم الذنوب ودواؤكم الإستغفار» .

---

(١٨) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ص٩٠ .

فالذنوب التي تشمل الهوى وحبّ الدنيا والتهوّر و . . . ، علاجها طلبُ المغفرةِ من الله العزيزِ القدير وخصوصاً في هذا الشهرِ ، شهرِ رمضان المبارك لتتمكنوا من جلاءِ قلوبِكم التي صدأت .

استصغار المعصية وقساوة القلب:

لقد كان مجملُ بحثنا بالأمس القريبِ عن سببِ قساوة القلب وقد ذكرنا أن عدَم التقيّد والتهور أو بتعبير أشمل العصيان وارتكاب المحرمات والاصرار عليها يجعل من القلبِ صخرةً قاسيةً ، وان لهذه القساوة القلبية مقدمات كأن يكون اتلاف مال الغيرِ أو التجاوز على حقوقِ الأخرين واستصغارِ هذه الأمور مما يبعث رويداً رويداً على قساوةِ القلب وبالتالي خروج نور الإيمان من القلب القاسي .

ولقد جاء في اصول الكافي عن الإمام الخامس محمد الباقر (ع) ما معناه ان المؤمنَ إذا اذنبَ صارت في قلبه ندبةٌ سوداء فإذا ما استغفَر الله انمحت تلك النقطة وإذا ما كررّ وأصرّ على المعصيةِ غدا قلبه اسوداً واصبح كالحجرِ القاسي لا تمضي به الموعظة ولا يتأثر بطيّب الحديث وقد يصلُ به الأمرُ إلى الكفر من كثرةِ ممارسة المحرمات والإصرار عليها .

وقد تطرق الإمام الباقر في معرض حديثه لقسوة القلوب فقال ما مضمونه ما جفّت الدموعُ إلا لقسوةِ القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب .

فيا أيها المسلمون عليكم ان تخشَوا على قلوبِكم من القساوةِ حاولوا أن لا ترتكبوا المعاصيَ والآثام وإذا ما حصَل ذلك فساروعوا إلى الإستغفارِ ومعاهدة الباري على ان لا يتكررَ ذلك منكم لأن الإستغفار والتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى هي العلاجُ الوحيد لمحوِ النُدب السوداء من قلوبكم .

الأماني وقساوة القلب:

إن الأماني من المكروهات وفي نفس الوقت فهي من المباحات التي تبعثُ على قساوةِ القلب وكذا الأملُ وقد ذكرها آل بيت الرسول عليهم السلام

في الروايات المتواترة ، فقد جاء في احدى الروايات أنه: « لا يطولن بالدنيا املك فيقسو قلبك » . فما هو طول الأمل؟

طول الأمل: هو الفترة الزمنية بين التمنّي وحصول الأمنية ، فأنت لو وضعت برنامجاً لمدةٍ معينة بدأته بأمنية وسعيت جاهداً لأن يبرز إلى الواقع ستحتاج إلى زمنٍ معين بالطبع فينصبّ بذلك كل تفكيرك على هذه الأمنية مما يجعل منك إنساناً متناسياً أو ناسياً لبعض الأمور كذكر الموت مثلاً فيقسو بذلك قلبك ؛ وإذا ما قسى القلبُ فأنّى يمكن وكيف الحصولُ على قلبٍ مليءٍ بالإيمان خاضعٍ لله مدركٍ لنِعَمِه ، فإذا ما قلتَ انّي من المصلين ولا يمكن ان يخرج الإيمانُ من قلبي نقولُ لك: ان الصلاةَ أصبحت عادة أو صرفَ خيال أو خوفاً من تركِ واجب وباتت انجازاً لعبادةٍ ظاهريةٍ لا تعتمدُ الإيمانَ أساساً لها ومجرّدة من الخشوع ؛ لقد أهلكَ الخشوعُ طولَ الأمل .

خيالات الإسكافي والحجاج الملعون:

نقل لنا الراغب الاصفهاني في كتابِ المحاضرات ان الحجاج اللعينَ خرج ليلاً مع ثلةٍ من حرسِه يتفقدُ المدينة فابتدأ بالسوقِ فرأى أن ابوابَ الدكاكين قد سُدّت إلاّ دكّاناً واحداً يجلس في زاويةٍ منه اسكافي يتحدثُ إلى نفسِه بصوتٍ عال : كان يقول: إلى متى أعيشُ هكذا ؟ فيجيب نفسه أن: عليك بالتفكير بالشيء الذي يرفع من مستواك إلى عليين ، نعم ، والحديثُ له: ان المال الذي ساحصلُ عليه غداً ساوّفرُ نصفَه ، وأُقتّر على نفسي وعيالي حتى يُصبح عندي مالٌ وفير فأكونُ بذلك من الأغنياءِ الأثرياء » بعد ذلك اتقدّمُ لطلبِ يدِ ابنةِ الحجاج وعندما يرى ما لدي من ثروة سوف يمنحني منصباً في حكومتِه وبذلك لن يعرفَ أحدٌ أنني كنت اسكافياً في يومٍ من الأيام وإذا ما جادلني الحجاجُ على شيء سوف اجمعُ يدي لاضربَه على أمِّ رأسِه .

وهنا وصلَ الحجاج مع حرسِهِ وسمع الجملة الأخيرةَ من حديثِ هذا

المسكين مع نفسِه ، فأمرَ الحرسُ باخراجِه من الدكان إلى خارجِه وبدأ يكيلُ له السباب والشتائم قائلاً له: أيها الحقير مالك ولإبنتي في هذا الليلِ الحالك ؟ وهنا أمرَ الحجاج بضربه «٥٠» ضربة سوط . تحمّلَ الإسكافي السياطَ التي مزّقت ظهرَه ، ولا يدري أحدٌ بعد ذلك هل وصلَ الإسكافي إلى آماله وآمانيه أم لا ؟!

الأماني المادية لا نهايةَ لها:

ان الإنسانَ مخلوقٌ دائمُ التمنّي ولا يمكن ان ينتهي عن ذلك إلاّ برؤيةِ ملكِ الموتِ قادماً بالقهرِ الإلهي .

ان الرغبات الإنسانيةَ الموهومةَ تنحرفُ به عن الواقعِ المُعاش وكلما زادَ من امانيه ورغباتِه ازدادَ شوقاً إلى التفكير اكثر في ما يُمكنُ ان يحصُل له مستقبلاً مثلُه كمثلِ شاربِ ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ؛ اما الشخصُ الذي يطمع في الحصولِ على المادةِ ويرغب دائماً في ان يكونَ ثرياً فذلك الذي يقضي عمرَهُ في هكذا أماني ، وكلما تمّ له شيء طمَع بأكثر مما في يديه ، ولو قُدّرَ لنا أن نسأل أحدَ طلاّب الدنيا وهو يحتضر: هل وصلت إلى ما كنتَ تريد؟ لأجابنا لم أصِل إلى ١٪ مما كنتُ أتمنى بلوغَه .

لقد خابَ كلُ من طلَب الدنيا وزينتهَا ، لأن التمنيّ في الحصول على زينةِ الدنيا وزخارفِها بشكل كليّ لا يتأتى للإنسان سواءٌ كان رئيساً أو مستخدماً والكلُ يموت خائباً وسيخيب كذلك من يروم ويتمنّى ويضربُ في الأرض سعياً وراءَ بلوغ الثرّيا .

العجبُ كلُ العجب لقرننا العشرين هذا فالتمنيات زادت والآمارُ تفاقمت حتى وصلتْ إلى حدٍ كأن المتمنين لا يرون أنّ الموت قريبٌ على الرغم من أن الموتَ لا يعرفُ صغيراً ولا كبيراً فقد يفاجىء الإنسانَ موتٌ يذهبُ به وبخيالاته إلى غيرِ رجعة ، فالشبابُ والفراغُ والجدة يجعل من البشر يطيلون التفكيرَ في

الأماني المستقبلية وان هؤلاءِ الأشخاص بطبيعةِ الحال يكونون من قُساةِ القلوب ، أين تفكيرُهم وامانيهُم وآمالُهم من الموت ؟

وهنا اذكر لكم حكايةً فيها عبرة لمن طال أملهُم :

لا أرغب في دار يكون عمري معها (٧٠٠) عام:

جاء في لآليء الأخبار ان احدَ الأنبياء وصلَ في سياحةٍ له إلى راهبٍ يتعبدُ في قمّةِ جبل لا يملُّ ولا يكلّ ليس له من الحياة الدنيا بيت يحميه من برْدِ الشتاء ولا مكانٌ يقيهِ حرَّ الصيف ، فسألَه النبي : منذ متى وانتَ هنا؟ فأجاب: منذ سنين : فقال له: لماذا لم تتخذ لنفسِك بيتاً يحفظُك من الحرِّ والقرّ ؟ فقال: عندما ينزل المطرُ ألتجيءُ إلى هذا الغار ، فلِمَ اتخذُ بيتاً وليس لي من العُمر ولن يكون لي إلّا اعواماً معدودة ، ولقد مرَّ بي قبلك نبيٌّ فسألتُه عن بقائي في هذه الدنيا فقال لي : لن تعيش اكثر من «٧٠٠» سنة » فهدأتُ وقررتُ ان لا أبني بيتاً من أجل هذه الأعوام القليلة ؟ وقلت في نفسي : إنكَ لن تعمّر اكثرَ من (٧٠٠) عام فلماذا بناء الدار ؟ فقال النبي : يأتي زمان لا يعمِّر فيه الإنسان (١٠٠) عام وعلى الرغم من ذلك تراه يتخذُ الحديد والحجرَ في بناءِ دارٍ له . وحينها قال العابد: لو كنت علمت ان عمري لا يتجاوز المئة عام لقضيته في سجدةٍ واحدة .

على أية حال إننا على زماننا الحاضر لا نفكرُ تفكيراً منطقياً فالأمال والأماني قد تتجاوزُ في بعض الأحيان حدود أعمارِنا على الرغم مما يؤثر عن النبي (ص) فيما مضمونه: « اكثرُ أعمار أمتي بين الستين والسبعين » إذن فليعلم الإنسانُ عندَ وصوله إلى هذِه السن أنه وصل على حافةِ حدودِ الموت ، وفي حديثٍ آخر للرسولِ الأكرم يتطرق إلى الحرصِ في العمر والحرص في المال على زمان الشيخوخة يبين لنا أن الأماني والآمال لا تنتهي إلّا بنهاية العمر حيث ورد عنه ما يفيده «يشيبُ ابن آدم وتشيب فيه خصلتان: الحرص في العمر

والحرص في المال » .

فحين يكونُ المرءُ شاباً تـراهُ يمتعض لامتعاض احبـابه واقـرباءه ويسعى بجديةٍ لأن يساعد من هم ضمن دائرةِ حياتـه ولكن الأمر يتبـدل إلى غيرِ ذلـك حينما يشيخ ويثري ، فهو لا ينفقُ ولا يتصدّق من كثيرٍ ولا من قليل خوفاً من أن يقلَّ ما لديه من الأموال ، ففي الكبر تتبدل الأخلاقُ إلّا الإنسان المؤمن الملتزم بشرعة الله سبحانه وتعالى .

قرض لشهرين والأمل الطويل:

اقرأ عليكم حديثاً آخر من اصولِ الكافي لنغـورَ اكثر في أسبـار التربيـةِ الإسلامية:

لقد اشترى اسامة بنُ زيد أمةً بقيمةٍ مؤجلة فوصل الخبر إلى النبي (ص) فقال: إن اسامةَ لطويلُ الأمل .

ان التعاملَ بالقروض يجرّك إلى الحرصِ ويدللُّ على أنـك لا تفكر في الموت ، عجباً : هل انت ضامنٌ لنفسك أن تعيْش إلى الغد ؟

نحن لا نقولُ لك اترك التعاملَ مع الناس ولكن عليك أن تفكرَ في موتك وقد يكونُ ذلك في الغدِ القريب ، فعليه ينبغي لك أن تتركَ المسائل الكماليةَ أو على الأقل تقللها إلى الحدّ الذي لا يضطرُك إلى الإقتراضِ من هذا وذاك ، فإذا ما جاءك الموت وانت على هذه الحالة فمن المسلم أنـك ستموت مـديناً ـ ولا تتوقع من وارثك سدادَ دينك ، اسع دائمـاً لئلا تقتـرضَ من أحد وضـعَ الموت وذكرَه نُصْبَ عينيك .

النبي يرى الموت قريباً:

لقد جاء في حـديث للنبي محمد (ص) أنـه قال: «والـذي نفـس محمد بيـده ، مـا طـرفَت عيني إلا ظننتُ أن شفـري لا يلتقيـان حتى يقبض الله

روحي» . [19] .

إن النبي (ص) عنى بذلك: ان الموتَ قد لا يُمهل الإنسان مضغَ لقمةٍ وضعَها في فمه ، وانتم أيها المسلمون أمّة هذا النبي الذي يرى الموتَ بهذا القُرب ألا ينبغي لكم أن تسيروا على نهجهِ وتسلكوا سلوكَه وتفكروا ما كان يفكرُ فيه من ذكر للموت .

إن امير المؤمنين علي (ع) كان يوصي شيعتَه واصحابَه ويقول: « أوصيكم بكثرة ذكر الموتِ واقلال الغفلة عنه »[20] .

عليكم أن تذكروا الموت كثيراً ، فحين خروجك إلى عملك صباحاً لا تأمل الرجوعَ إلى دارك ثانية فكثيرٌ هم الذين ذهبوا ولم تكن لهم عودة ، لا تطمئِن إلى عمرِك فقد تنام ليلاً ولا تصحو إلا في الجنةِ أو في النار فقد يأتيك الأجلُ وانت نائم ، ﴿ والتي لم تَمُتْ في منامِها فيُمْسِكُ التي قضَى عَلَيها الموتَ ﴾ ، لذا ينبغي على المسلم أن يرقق قلبَه ويجعل منه خاشعاً لله بذكرهِ للموت فالمؤمنون هيّنون لينون مستكينون .

لا أطمئن إلى عمري لذا لا اعدُك:

جاء شخصٌ إلى الإمام الباقر (ع) يسأله مبلغاً من المالِ ليسدّ به ديناً عليه فأجابَ الإمام (ع) بعدم وجود نقود ولكن موادأ من قبيل الحبوبِ في الطريقِ إليه ، فقال السائل: عدني يا ابن رسول الله (ص) بأن تعطيني منها إذا وصلت لأسُدَّ بها دَيني فأجابَ الإمام سلام الله عليه كيف اعدُك وانا غيرُ ضامنٍ لعمري .

---

(١٩) بحار الأنوار/ ج٧٣ ، ص١٦٦ طبع بيروت ، مؤسسة الوفاء .

(٢٠) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (الخطبة ١٨٨) ـ ٣ (ص٦٧) .

(٢١) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

لقد كانت آمالُ آبن سعدٍ تتركزُ في تملّكِ الريّ ، وكان مستعداً لقتلِ الإمام الحسين (ع) من اجلِ الوصولِ إلى امنيته الواهية ، وحينها قال: إذا ما كانت هناك جهنم حقاً فإني سأتوبُ إلى الله بعد قتلِ الإمام (ع) وعليّ اليوم أن أصل إلى مرادي وهو ملك الري .

أأتركُ ملكَ الرّي والرّي منيتي　　أم ارجعُ مأثوماً بقتلِ حسين

لقد كان اغلبُ القادةِ الذين ربطوا مصيرَهم بمصيرِ عبيد الله بن زياد يحدوهم الأملُ بالفوزِ بجائزةٍ من يد الطاغية ، ان طول الأمل والأمنيات اوصلتْهم إلى جهنَم والحمد لله لقد خابَ ظنُهم ولم يصلوا إلى مرادِهم الذي خططوا له .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأنِ للذينَ آمَنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكِر الله وما نَزَل من الحقِ ولا يكونُوا كالذين أوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ فقسَت قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾[1]

كثرة الطعام وكثرة الحديث وكثرة النوم تبعث على القساوة:

يتأتى خشوعُ القلبِ لله الواحِد الأحد والإيمان به تعالى إذا نجا الإنسان من مرض القساوة .

إن أسبابَ القساوة كثيرة ، ومهمّها ما تعرضنا له سلفاً وهو طول الأمل ؛ ومن جملة ما اكدت عليه رواياتُ آل بيت الرسول الأكرم عليهم السلام هو تركُ الإكثار من الأكل وقلّةِ النوم ؛ وبالاكل الزائد عن الحاجة وبالنوم الطويل تتحققُ قساوةُ القلبِ فلا يعرف الخشوع بعد ذلك، وان الله يبغض كلَ أكولٍ نؤوم، قد يقولُ قائلٌ انني آكلُ من مالٍ حلال، صحيح ما تدّعي انشاء الله ولكن الأكل

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

الزائدَ المؤدي إلى البطنةِ مبغوض عند الباريء تعالى لأنه يجلبُ البلاءَ وقساوةَ القلب.

كل من الطعام ما يسد حاجتك:

ان لقمةً اضافيةً واحدة عن الحدِّ المعقول تضرُّ بروحك ضمناً لا يمكن لشخص ان يدعي النسبةَ المعقولةَ او المحددة لكل شخص بل يمكن ان يضعَ الإنسان لنفسِه حدّاً معقولاً فلا يتجاوزُ بداية الشبع ؛ فالشاب العاملُ من الصباحِ حتى المساء يختلف غذاؤه بشكلٍ كلّي عن ذلك الجالِس في زاوية من زوايا دارِه ، وعمدة الحديث هنا هو أن على كلِ فردٍ ان يُدرِك الغرض الأساسي من الطعام فالطعام يُساعد الإنسان على الحركةِ وكذا الماء مثله كمثل الحافلة التي لا يُمكن لها ان تتحركَ بدونِ بنزين فإذا ما قلَّ فيها إلى ما يقرب الانتهاءُ عمدت إلى التلكؤِ في المسير ؛ وهكذا الطعام بالنسبة للإنسان فهو يقوّيه على الحركةِ ويمدّهُ بدلاً عما خرج منه بصورة عرق أو فضلات .

حكمة تذوق الطعام من مُديمات البدن:

إن الله الحكيم وعلى أساسِ حكمتِه البالغة منَّ على الإنسان بحاسةِ الذوق ولو عُدمت هذه الحاسة المهمة لما جرى الإنسان وراءَ الطعام ، فالطعامُ هو وسيلةٌ لمنع إنحلال وضعفِ البدن .

ولقد قال البعضُ : بأن التذوقَ وحاسةَ الذوقِ من الحِكَمْ الإلهية الخفية التي تجبرُ الإنسان على تناوُلِ الطعام .

المعدة تشبه خزان وقود الحافلة:

إن الإنسان العاقلَ لا يتناول الطعامَ إلاّ إذا كان محتاجاً لذلك وبالمقدار اللازم مثله كمثل الحافلة التي يملأ صاحبها خزانَ وقودِها بالبنزين بالمقدار اللازم لها وحسب احتواء خزانِها لهذا البنزين : فيا أيها الإنسان العاقلُ إنكَ تحتاجُ إلى الطعام عندما تكونُ معدتُك خالية وبغير هذه الصورة فإن الأكل الزائد

عن اللزوم يلحقُ بك الضرر ، فإذا ملأت معدتك تمهل قليلاً حتى تخلو ، فإذا كانت مليئة واكلت ثانية أضرت بك وجرّتك إلى قساوةِ القلب وقد يكونُ الأكل المفرط في بعض الأحيان حراماً لأنه يجلبُ على النفسِ البشرية غلظةً يضيع معها الخشوع فلا يعودُ ثانية إلى القلب ، ومن اجل هذا قال الإمام الصادق (ع) : «ليس شيء أضرُّ لقلب المؤمن من كثرةِ الأكل ، وهي مورثة لشيئين : قسوةِ القلب ، وهيجانِ الشهوة»[٢] .

إن ما لا يليق عمله على مائدةِ الطعام هو السرعة في تناول الغذاء ناهيك عن حجم اللقمة الكبيرة . وعلى العكس من ذلك فإن من المستحبِ ان تكونَ اللقمةُ صغيرةً تتعطل في الفمِ لتُمضغَ جيداً وكذا يستحب طولُ الجلوس على مائدة الطعام ، وليس المقصود من ذلك زيادةَ الأكل بل يتعدى الأمرُ إلى غيرِ ذلك حيث يجبُ ان يتفاوتَ طعامُ الإنسان مع طعام الحيوان كمّاً وكيفاً .

لا تأكل بدون رغبة :

لقد عيّن الإمام أبي جعفر الباقر (ع) ميزاناً لضمان صحةِ الإنسان فقال: «من أراد ان لا يضرَّهُ طعام ، لا يأكلُ طعاماً حتى يجوع وتنقى مَعِدَتُه ، فإذا اكل فليسمِّ عليه ، وليُجِدِ المضغَ ، وليكفَّ عن الطعام وهو يشتهيه ويحتاج اليه»[٣] .

إن لقمة أقلّ ، تضمن لك راحة بدنك ، وإذا ما زِدْتَ لقمةً على الحدّ المعقول انما أوقعت بدنك في مشكلات والأم علاوة على مشكل الروح بل والأهم من ذلك قساوة القلب التي تأتي بها اللقم الإضافية .

يقول الإمام الصادق (ع) : «ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرةِ

---

(٢) مستدرك الوسائل/ تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث (ج١٦، ص٢١١) .

(٣) وسائل الشيعة/ ج١٦ ، ص٥٤٠ تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٤) مستدرك الوسائل/ تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث (ج١٦، ص٢١١) .

الأكل ، وهي مورثة شيئين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة»[٤] .

إن الغذاء الزائد عن الحاجةِ يُفسد في البدنِ ولا يعطي الجسم طاقة إضافية بل العكس هو الصحيح فضرره عميمٌ على الروح والقلب والجسم .

أكل اللحوم ، وصفات الحيوان المأكول:

إن الله تبارك وتعالى أحلّ لنا لحومَ اغلبِ الحيوانات واستثنى القليلَ منها فحرّمه ؛ فأكلُ اللحوم على الرغم من حليّتها لها اثرٌ وضعي على الطبيعةِ البشريةِ وخاصةً عندما يُكثِر من اكلِها ، فالفردُ المكثرُ من اكلِ لحوم الخراف يقل إحساسُه وشعورُه وتبتعد عنه العاطفة الإنسانية وكذا المكثر من لحومِ الطيور الداجنة يكتسب صفاتها فتراه يصاب بالصداع بين الفينة والفينة حاله حال الطيور ؛ فيقل فهمه ويضحى كالطيور التي لا تعرف غير التقاط الحبوبِ علاوة على قساوةِ القلب .

وإذا ـ لا سمح الله ـ اكل الإنسان لحوم الخنزير المحرمة اصبح مثله فاقداً للغيرة ناغياً في الشهوةِ الحيوانية ، فالخنزير حال جماعه مع انثاه قد يبقى على هذه الحالة المخجلة الى عدة فراسخ .

ولقد سمعت أن أكلة لحوم الخنازير في الغرب والشرق لا يتمتعون بالغيرةِ على نسائِهم فتراهم يفرحون لمن يرقُص مع نسائِهم وهذا هو أثرٌ واحدٌ من الآثارِ السلبيةِ التي تظهرُ على أكلةِ لحومِ الخنازير .

يقال ان بعضَ أنواع المأكولات مُزجَت بلحومِ الخنازير ولا سمح الله ان يتأتىٰ للمسلمِ ان يأكُلَ من هكذا مأكولاتٍ فتتغير اخلاقُه لتصيرَ مشابهةً لاخلاقِ الخنازير .

النوم لتجديد القوى وليس لإتلاف الوقت:

ان الافراطَ في النومِ أيضاً يوجب قساوةَ القلب ، فالإنسان العاقلُ عليه ان يُدركَ المغزىٰ الحقيقي من النـومِ والذي حـددَه القرآن الكـريمُ في الآية التي تقول: ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾[٢] فالنوم تجديد لقوىٰ الإنسان ليتسنى له إدامة اعمالِه الـدنيويـة التي تؤدي به إن شـاء الله إلى الفوزِ بـالجنةِ والـرضوان وليس لإتلافِ الوقتِ الثمين .

لقد جعلَ الله النومَ للبشرِ استراحةً ورفعاً للملَل والكلَل ، ويتفاوت الناس في الحاجة إلى النوم ، فالبعض قد يحتاج إلى «١٠» ساعات من النوم ليتمكن من إدامة اعمالِه في حين يحتاج البعضُ الآخر إلى ساعتين تكفيه في تجديد قواه البدنية والعقلية .

وإذا ما قُدِّر للإنسان ان يتجاوزَ عن حدودِ حاجته في النومِ فإنه سيحظى بنتيجة عكسية تمـاماً فتـراهُ تعباً كيـلاً منهك القـوى علاوة على اكتسـابِه غِلظة وقسـاوة .

وبناءً على هذا ينبغي للإنسان أن يأخذ قسطاً وافراً غير متعد على حاجتِه من النوم من أجلِ الخروج على حالةِ التعب والإرهاق التي قـد يسببها العمـلُ طيلة اليوم .

وإذا ما استسلم الإنسان للنومِ فلا فرقَ في أنْ ينامَ على ارضٍ مجرَّدة أو ان ينامَ على ريشِ نعامٍ فالنومُ واحد

النوم المكروه يبعث على البلاء:

عرفنا مما تقدم أنَّ الإكثار من النومِ بدونِ مبرر يجرّ الإنسانَ إلى قسـاوةِ

---

(٢) سورة النبأ ، الآية : ٩ .

القلبِ سواءً كان ذلك في الليلِ أو في النهار ولكن بعضَ انواعِ النوم يجرُّ القلبَ إلى قساوةٍ اكثر من مثلِ النوم بين الطلوعين والنوم في آخرِ ساعة من النهار أي قبل أذان المغرب .

وقد يكون أحد أسباب النوم بين الطلوعين هو العمل إلى وقتٍ متأخر أو متابعة برامج التلفاز إلى ساعة متأخرة من الليل فتراه يقوم كسِلاً لأداء صلاةِ الصبح علاوة على الأضرار البدنية التي يمكن أن تتأتى من هكذا سهر ناهيك عن تدنّي الروح إلى الحضيض : وقد عبرّت الرواياتُ عن هكذا نوم بنوم اللعنة ونوم الشقاوة .

هل سمعت بأمير المؤمنين (ع) وهو يخرج صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك يوم ضُرب ، فوقعت عينُه على انبلاج الصبح حينها تلا الآية الشريفة التي تقول ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ يقول صاحبُ بحار الأنوار ان اميرَ المؤمنين قصد من تلاوتِه لهذه الآية إشهاد الفجر على أنه لم يكن في يومٍ من أيام عمره الشريف نائماً .

نرجع إلى قساوةِ القلب ، فالحديثُ الزائد عن الحدِ المعقول أو ما يسمى بالحديث الترفي يساهم مساهمة فعّالة في تقسية القلب ويجعلُ منه حجراً أصمَّ ولا نقصدُ بذلك إلاّ الحديث المباح ، أما الكذب والتهمة والغيبة وافشاء السر والسبّ والشتم والقذف كل هذه حرام قطعي ولا علاقة لنا بها .

الجلوس مع النساء يقسي القلب:

إن الجلوسَ إلى النساءِ والتحدث اليهن واستلطافهن يبعث على القساوةِ القلبية ـ لأن الاتجاهات الشهوانية والمادية قويّة عند النساء ، فطالب المعرفةِ والكمال والخشوع القلبي لا ينبغي له إلاّ أن يخرج النساءَ من قساوةِ القلب التي تحتويهن ، وهذا لا يتأتى بالمجاملات والردّ والبدل الذي يمارسُه بعضهم ظناً منه أن يسلك جادةً صائبة .

هل سمعت أو عرفت نساءً جلَسْنَ إلى بعضهِن لم يتحدثن بالأمورِ المادية الدنيوية ؟! فالجلوسُ إلى النساء والإنصات إلى احاديثهن يخلعُ على الجالس اليهن من الرجالِ بعضَ صفاتهن .

عليك أيها المسلمُ ان تفكرَ ملياً بهذا الأمر وفي هذا الشهر شهر البركة والرحمة شهر رمضان المبارك ويجدر بك أن تصعّد من خشوعِك القلبي من خلالِ قيام الليل واحياءه ليتسنى لك الوصولُ إلى ما ارادك الله إليه .

انظر إلى أولِ يوم من شهر رمضانك المبارك وكذلك إلى آخرِ يومٍ فيا ترى هل تقدمتَ خطوةً إلى الأمام؟ وهل رَقَّ قلبُك لحالِك؟ قد تسأل ما الخشوعُ لترى تقدمَك على طريقِهِ فحقيقة الخشوع سنتطرق إليها انشاء الله في بحثنا القادم .

ان البعضَ يتخلفُ عن مواكبةِ مسيرةِ شهرِ رمضان فتراه يُكثرُ في الطعامِ ويكثر في المنام وكذلك في التحدث والكلام الفارغ فتكون النتيجةُ عكسية تماماً ، أي يقلُّ خشوعُه في شهرِ رمضان .

« استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم » .

بسم الله الرحمن الرحيم

جمع المال مقدمة لذهاب الإيمان:

جمعُ المال والتهافت وراءه عاملٌ آخر من عوامل قساوة القلب ، وقد تعرض القرآنُ المجيدُ والروايات الشريفة إلى هكذا عامل وكذا كان الوجدان الإنساني شاهداً على ذلك : فجامع الأموال مثله دقيقاً كمثل جهنم التي يُقال لها: ﴿ يومَ نقولُ لجهنَم هل امتلأتِ وتقولُ هل من مزيد ﴾[1] فطالب الدنيا وجامع المال لا يشبعان ولا تملأ عيونهم غيرُ حفنةٍ من التراب .

فالإنسان الذي ابتلى بجمع الأموال وزيادتها حكمَ على نفسهِ بالقساوة وزيادتِها ، لا يمرُّ عليه يومٌ إلاّ وتراه يفكر بكيفية إضافة اموال الى اموالِه ولا يمكن صرفُه عن هكذا تفكير إلاّ بوضعِ حجاب بينه وبين ما يرى ليسكن لحظةً إلى التفكير بالله تبارك وتعالى ولن يتأتى له ذلك ابداً ، على الرغم من صلاته وصيامه ، لأن صيامه وصلاته سطحيتان .

ان السعي وراء جمعِ الأموال واكتناز الذهب والفضة قد ينحرف بالإنسان ليصل به إلى مرحلةِ الكفر في بعض الأحيان وبذلك يصبح طاغيةً شقياً لا أثر

(١) سورة قٓ ، الآية : ٣٠ .

لصلاتِه عليه لأنَّ الصلاةَ أو الأعمال العبادية التي يمارسُها مجرّد عادة اعتادَ عليها ويبتعدُ الخطور عن ذهنِه في أنّه عبدٌ لله ومحتاجٌ له في كلِّ الظروف والأحوال وقد يؤول الأمرُ إلى أن يتركَ الصلاة وغيرها من العبادات التي اعتاد عليها ، وخلاصة الحديث لقد كان جمعُ المال والسعي في زيادته مقدمة لذهاب الإيمان من قلبِه وروحه .

يقول أمير المؤمنين علي (ع) : « كثرة المال يُفسد القُلوبَ ويُنسي الذنوب »[٢] .

فيا من جعلت هدفك الأساسي جمع الأموال وأنت غافل عن قلبك الذي قسى وحينما تنتبهُ لذلك ترى أنّكَ وصلتَ إلى عتبةِ الموتِ وانتَ لا تملكُ ذرةً واحدةً من الخشوعِ لله الواحد الأحد .

مع الأسف ، ان المشتغلين بجمعِ الأموال ينحصرُ تفكيرُهم بالمادةِ وتكاثرِ الأموال فتراهم كلّما ازدادوا منها ازدادوا حرصاً ، فيبدو الواحدُ منهم يعيشُ معيشةَ الفقراء وهو يُحسب على الأغنياء فيحاسب بالآخرةِ حساباً شديداً لأنه فاقدٌ للخشوعِ والإيمان ممتلىءُ فقط بالاموال التي ضيّع وقتَه الثمينَ فقط لجمعِها تاركاً جمعَ الحسناتِ التي هي الأساس في نجاةِ الإنسان من عذابِ الله العزيز القدير .

وجود الأموال مقترنٌ بالانفاق :

إن البعض من طلاب الدنيا يشكلون على المسلمين بانهم غير نشطين في جمعِ الأموال ويعيشون على الأمل ، ويقولون بالسعي الحثيث لجمعِها لأنها تجعلُ من الإنسان سيداً مطاعاً ، إن من يقول بهذا الشيء يغالط نفسَه ويستعينُ بالشيطانِ على تقولاتِه هذه بدون ان يشعُرَ ، فالإسلام حرَّمَ الثراءَ ولم ينهَ عن

---

(٢) غرر الحكم ودرر الحكم ، لعبد الواحد الآمدي التميمي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ج٢ الفصل السادس والستون ص١٠١ رقم ٣٨ .

استحصال الأموال » والثراء هو تكديسُ الأموال بشكلٍ فاحش وهذا لا يتأتى إلّا من خلالِ تركِ الإنفـاق ، فالـذي يحصل على الآلاف عليـه ان يُنفقَ بالآلاف وهذه الثروة ممدوحة في الإسـلام لما لهـا من جَلاء للقلوبِ وابتعـادٍ عن الكفر والزندقة .

إن الفضلَ كلَّ الفضل في ان يحصُل الإنسانُ على اموالٍ طـائلة ليُنفقها في سبيلِ الله تبارك وتعالى وهذا الإنسان لا يمكن أن يحصُل على هكذا أموال إلّا من خلالِ العمل الجاد والدّؤوب ؛ فليخسأ من يقول بعدمِ سعي المسلمين وتفضيلهم لحياةِ الراحة على الحياة العملية .

هلك ثري لم ينفق:

إذا أُنفق المال في طريق الحق تعالى فنعم المال الصالح ، وهذا ما قال به الـرسول (ص) في خبـر ذكره الصـدوق نقلاً عن أبي ذر الغفـاري ان الرسـول الأكرم (ص) قال ما مضمونه : « من كانَ اكثرُ همِه نيلَ الشهوات نُزعت من قلبِه حلاوةُ الإيمان » .

إن غاية الرسول الأكرم من هذا الحديث هو تشجيع الأغنياء والاثرياء على الإنفاق في موارد الخير ؛ فإذا ما سعى الغنيّ لأن يُفرِحَ الملهـوفَ أو يفرّجَ عن مكروبٍ فقد نجا وبخلافه هلك .

عليكم أن تجعلوا من انفسِكم حمّالين للمال يسعى أحدُكم لزيادةٍ ما لديه من الأموال صباحَ مساء ، فلقد جاءَ في لآلىء الأخبار أن : « من أصبح وامسى وهمّه الدنيا والدرهم حشره الله مع اليهود والنصارىٰ » .

نعم ، إن الأثـرياء في خـطر ، لقد امتـلأتْ قلوبُهم بحبِ الدنيـا ومالهـا وفرغت من الإيمان به تعالى والخشوع له ، لقد استولى حبُ الأموال على مكانِ حُبِّ الله في قلوبِهم فلم يترُك له فسحةً يستأثر بها الخشـوع والخضوع للواحـد الأحد .

لقد كانَ ثعلبة أفقر أصحابِ رسول الله (ص) ، كـان خاشعاً لله ، دائمَ التضرع وكـان يهتمُ بـه الرسـول (ص) كثيـراً ، وفي يـوم ٍ من الأيـام سـألـه الرسول (ص) عن أحوالِه ليُخرجَه من الوضع ِ الذي هو فيه ، فاستعرضَ ثعلبة ما هو فيه من حـال ، فرقّ لـه النبيُ محمد (ص) واعـطاه درهماً يستعين بـه على دُنياه ؛ وذهب ثعلبة إلى السوق واشترى متاعاً بـذلك الـدرهم واستطاعَ بفـطنةٍ وذكاء ان يوظّف ذلك الدرهم بشكل ٍ يدرُّ عليه ربحاً لا بـأسَ به ، وتمكن بعـد ذلك أن يستفيدَ من الـدرهم وارباحِـه في شراء بضـاعةٍ اخـرى ويبيعها وهكـذا دواليك حتى تحسنَ وضعُه ليشتري أغناماً وغيرَ ذلك ولكنه انشغل كثيراً بأغنامِه حتى وصلَ به الأمرُ إلى عدم ِ إقامة صلاتِه على وقتها مبرراً لنفسه عدم إمكـانية تركِ الأغنام واللحـوق بصلاةِ الجمـاعة ولم يكتف بـالعمل داخـلَ المدينـة بل توسعت اعمالُـه إلى خارجِهـا أيضاً ؛ وفي يـوم من الأيام ذهب الـرسول (ص) لتفقدِ أحوالِه ولكن قيلَ له (ص): ان له من الحيوانات والأغنام والجمال ِ ما لا يُعد ولا يُحصى مما جعلَه لا يتواجد اغلبَ وقتِه إلاّ في أراضيهِ التي حوَتْ هذه الحيوانات .

بعثَ الرسولُ اليه لدفع ِ ما عليهِ من زكاة ، فعدَّ ما لديه فوجد أن الأموال التي يجبُ ان يدفَعها بعنوانِ زكاة كثيرة إذا ما اراد العطاء فتهاون في الأمر وصدرَ منه كلام هو إلى الكفر أقربُ حين قال: ما لمحمد والزكاة أيُريد أن يـأخذَ منّي ضرائب على أموال ٍ جمعتها بعرقِ جبيني .

لقد كانَ قبلَ ذلك مسكيناً خاشعاً مقبولاً عند الله ورسوله فهلك في نهاية الأمر بعدَم انفاقِه .

إذا اراد المسلمون ثروةً يمكن ان نـطلق عليها ثـروةً اسلاميـة فعليهم أن يُحكّموا ايمانَهم في كل حركةٍ أو خطوةٍ يخطونها للحصول ِ على الثراء إذ عليهم أن يعتبروا الإنفاق توأماً لثرواتهم وممتلكاتهم وبشكل يتناسب مع هذه الثروةِ ولا

نقول لهم بانفاق «١٠٠٠» دينار مقابل استفادةٍ أو ربح ساقه الله اليهم مقداره «١٠٠» دينار ؛ ان هذا الفعل لا يمكنُ ان يطلقَ عليه إنفاق بل تهوّر وعدم تقدير .

قارون أهلك ثروته:

هل إنَّ السعادةَ في امتلاكِ الأموال ؟ وهل ان اليهود كانوا سعداء على الرغم من أنهم مَلكوا الدنيا ؟ لقد قال عزّ من قائل في محكم كتابه: ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتيَ قارون إنَّهُ لذو حظٍ عظيم ﴾[٤] .

إنهم لا يعلمون أن المال قاتلٌ للقلوبِ وخانقٌ للإيمان ، فالحياة الدنيا مكابدةٌ وتعب وتشمل حتى الأثرياء بل ان الأثرياءَ اكثر من غيرهم يعانون من المنغِصات والإزعاجات حيث كلما ازدادت اموالهم ازدادت انزعاجاتهُم وعدمُ ارتياحهم ؛ وخلاصة الأمر ان الحياة الهادئة هي التي يعيشُها الفقراءُ والمحرومون وان الأثرياء والأغنياء يعيشون حالة التخوف من فلتانِ حالةِ الغنى والثروة من ايديهم ويضربون اخماساً بأسداسٍ من اجلِ زيادةِ رؤوسِ اموالهم في المعملِ الفلاني أو يتملّقون للسائلِ والوضيع لكي يتغافلَ عنهم أو يتناساهم عند وقت جِباية الضرائب ؛ لقد تمنىْ الفقراءُ في يومٍ من الأيام ما اوتي قارون ولكن بعدما خسفَ الله به وبدارِه قالوا: ﴿ وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أنْ منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾[٥] .

استعداد الخليفة لأن يكون منظفاً للملابس:

رأى الخليفة الأموي من بعيد وهو يجلس على عرش السلطنة رأى شخصاً

---

(٣) سورة القصص ، الآية : ٧٩ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٨٢ .

يغسل ملابساً له في غدير تحيط به الخضرة من جميع جوانبه وهو يتحدثُ ويضحكُ بشكل ينمّ عن راحة بال واطمئنان فقال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي: ليتني كنت كهذا الذي يضحك ويمزح ، إنه يعيش قانعاً بما يفعل مستأنساً بما يقول؛

إن ذلك اليوم الذي قال فيه عبد الملك بن مروان هذه العبارة كان آخرَ يومٍ من أيام حياتِه بعدها ذهب إلى مصيرِه الذي ينتظره .

على أيّة حال فالأغنياء والأثرياء والسلاطينُ والحكامُ لا تخلو حياتهم من الفكر المشوّشِ والبالِ المشغول ، والأنكى من ذلك قساوة القلبِ التي جلبوها على أنفسِهم من خلالِ جمعهم للأموال واكتنازهم للذهب والفضة : أنا لا أقولُ أن وجودَ المالِ الوفير خطيئة والسعي وراءهَ جريمة بلْ يُشترط في ذلك أن يكونَ العطاءُ والإنفاق مُناسباً طردياً مع جمعِ المال والسعي وراءه .

إذا اردتَ اخي المسلم ان تتعدى قنطرةَ الموت الى الطرف الآخر بإيمان : عليك أن لا تجعلَ من ثروتك مَهْلكةً لك .

نعم ، هذا فيما إذا كان الإنفاق والعطاءُ في سبيله وحده تبارك وتعالى بعيداً عن الريّاءِ وكسب الشهرة من قبيل نقش ذلك في الصحيفة اليومية أو توقّع إكالةِ المديح والإطراءِ لأن هذه التوقعات وانتظارِ المدائح من هذا وذاك تزيد في قساوة القلب فلا تُبقي عليه ، فإذا ما كان خيالُك السارحُ يدفعك إلى انفاقٍ مختصر ورياءٍ عظيم من أجل كسبِ القضية الفلانية فلا بارك الله لك في هكذا خيال ، وتيقّن انه خيالٌ خاسر .

اقول قولي هذا لك مشروطاً وأنت تتحين الفرص للفرارِ من الشرط

امنية الثراء ، مهلكة للفقراء:

أيها الفقراء والمساكين ان التمنّي وصولاً إلى الثراءِ والغنى خطرٌ حقيقي ، فجمعُ الأموال الى درجةِ الثراء وما يتبعهُ من مشاكل على هذا الطريق يمكن أن

يصيبَكم مثلما اصابَ من هم امثالُكم من انجرار إلى قساوَةِ القلب وحينها وفي أوجِ القضية سوفَ تنتبهون إلى أنفسكم وعندها تقولـون « يا ليتني كنت معكم فأفوز معكم فوزاً عظيمـاً » عندهـا تتمنون لـو كنتُم مع الإمـام الحسين (ع) في صحراء كربلاء فإذا ما قلت حقاً ونطقتَ صدقاً فثوابُك واجرك مثل اجر وثـواب الـذين استشهدوا مـع الإمام (ع) وإذا مـا قلت هنيئاً لأولئـك المثرين فهـلاكُك حتمي مثل هلاكِهم الذي ينتظرهم .

ان الأماني في الوصولِ إلى الثراء تقسي القلب كما تعرض لها الرسـول والأئمـةُ الأطهارُ في مجمـلِ احاديثِهم المتـواتـرة . وقسـاوةُ القلب تبعث على تجرعِ غصصِ الدنيا والتحسر وتشغل الفكرَ البشري عن التوجـهِ الكامـل إلى نهجِ الله وشرعتِه الشريفة .

نار جهنم نتيجة للمعاصي :

قال علي بن الحسين (ع) « والله إنّ القبر لروضةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »

ان المتمعن بهذا الحديث الشريفِ يتأوه ويشتاق إلى تلك الرياض الرحبة ويتمنّى على الله ان لا يجعلَ من قبره حفـرةً من حفر النيـران ، ولكن القاسيـة قلوبُهم لا يهتمـون لهكـذا احـاديث من كثرة الجـري وراء تكـديس الأمـوالِ متصـورين ان اعمالهم طـابت وحسُنت بانفـاقٍ مختصر كـان على أيـامٍ مضت متناسياً أن عليه ان يقوّي إيمانَه ويُصلح قلبَه الذي علاهُ الصدأ .

أخي المسـلم لو قُدِّر لكَ ان يكونَ قبرُك حفرةً من حفر النار فهل تتوقع ان الإمـام الحسين (ع) يأتي لـزيارتِـك أو يشفع لـكَ عند الله ، كـلا والف كلا ، فالمكان الذي عَلَتْ منه رائحةُ الحرائق لا يمكن ان يكونَ فيه مكان لسيدٍ جليلٍ

---

(٦) بحار الأنوار: ج٧٨ ، ص١٤٨ طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت .

كالحسين بن علي (ع) ، فقبرُك تتكالبُ فيه الثعـابين وتتسابق لانتـزاع لسانِـك والعقارب تنتشر في زوايا القبرِ تنتـظر دورها في الحصـول على سهم يديم لهـا الحياة وكل هذا الذي تراه هو محصلةٌ لما عَمِلتْ يداك فالغيبةُ والتهمـةُ والغشُ وجمعُ الأموال من مصادرِ الشبه هو الذي جرَّ إليك كلَّ هذا البلاء .

ففي زمانٍ موته كان ظالماً لفلانٍ من الناس ، لقد أوغر صدرَ فلان واشعَل فيه النارَ فليذُقِ اليومَ ناراً اشدّ ؛ ناراً لا تبقي ولا تذر .

وقد جاءَ في كثيرٍ من الروايـات انه يُـزاد على سيئاتِ الـظالم من سيئاتِ المظلوم ، هذا ناهيك عن العقارب والثعابين التي تنتظر الظالم ، اما بالنسبـة للمظلومِ فلا يضيعّ الله تبارك وتعالى له حقاً .

ينبغي للإنسان ان يتّعِظَ ويعتبر ويتناهىٰ عما هو فيه من معاصي ويرجعَ إلى فطرتِه السلمية « ألم يكن قد عاهد الله واشهده على نفسِه في بدايةِ الأمر ؟ لذا يجبُ عليه الآن إدراكَ القضية بشكل عام حتى لا يقسو قلبُه فيهوي في نار جهنم وساءت مصيرا .

ان بعض الأشخاص يعطون اهميةً خاصـةً للامـورِ الاعتباريـة كأن يقـولُ مثلاً : أنا عـالم ، او أنا إمـامُ جماعـةٍ وغيرُ ذلـك من الأمور التي تؤدي بـه إلى الغرورِ ، وكلما رأى الإنسان من نفسِه غروراً في هكذا قضايا كان عليه ان يتذكرَ قـدرةَ الله عليه وعـذابَه الشـديدَ لكي يتسنى لـه الرجـوعُ إلى الوضـع الطبيعي فيتضاءَل أمامَ عظمة القادر المقتدر ويعرف انه لا يملكُ لنفسِه نفعاً ولا ضـراً ، وقد حثّت كثير من الأدعية على هكذا قضايا حيث نقرأ في أحد الأدعية « اللّهُمَّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت » .

بسم الله الرحمن الرحيم

عدمُ اليأس من رحمةِ الله :

لقد طرح احدُ المستمعين اثناءَ حديثي عن الإيمان مسألة يأسهِ من كل شيء ؛ وكان حديث هذا الشخص المستمع عن اليأس راجعاً إلى سوءِ فهمِه لأحاديثي علاوةً على وجودِ بعض المغرضين الذين يحاولون جُهدَ الإمكان تشويشَ أفكارِ السذّج من الناس فمثلاً يتعرضُ لجزءٍ من حديثٍ فيقول لي : ألم تقل لا فائدة من ان يستغفر الإنسان الف مرة وهو مصرٌّ على الذنوب فاجبتُه بنعم لا فائدةَ من الإستغفار وانت تمارسُ المعصيةَ ولكن الإنتهاءَ عنها والندمَ ثم الاستغفار يقودُكَ إلى النجاةِ مما أنت فيه ؛ فمتى كان هذا الحديث يبعثُ على اليأس ؟ فالحديث اجمالاً كان عن تركِ المعاصي وحفظِ اللسان وعدمِ التسليم لهوى النفس الأمّارة بالسوءِ وعدمِ الجري وراءَ جمع الأموال والثروات ، لقد تطرقت إلى الإنفاق والعطاءِ في سبيل الله ولكن يبقى عليك أن تُحكّم عقلك في هكذا قضايا ليتأتى لك الإيمان الحقيقيُ والخشوعُ الواقعي لله العلي القدير وبذلك تحظى بخير الدنيا وخير الآخرة .

المؤمن الحقيقي هو من يقول: اللهم اجعلني اشتاقُ إلى قربك في المشتاقين ، فالشوقُ للقاءِ الله واليومِ الآخر يسلُك بالإنسان السلوكَ السّوي على جادةِ الصواب .

قد يفهم البعضُ مِن قولي ادعُ الله صباحَ مساء ، انه بهذا الدعاء سوف تنزل عليه اموالُ الدُّنيا والآخرة وان المالَ مرتبطٌ بالإيمان فتراه يئن ويدعو الله لأنْ يضاعفَ أمواله اضعافاً كثيرة فيقول في دعائه الهي متى يصير الإيمان من نصيبي : ظناً منه أن الإيمان والمالَ واحد ، وهذا الذي يسرح في هكذا خيال لم يتدبرّ في الآية التي تقول: ﴿ الم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم ﴾[1] علاوة على ان قلبَه مع قلب إمام زمانِه وعمله يتنافى مع قلبِه ، فخلاصة القول لسانه يقول غيرَ ما في قلبِه ناهيك عن عدم تحكيم عقلِه في اعمالِه المنافيةِ للشرع الإسلامي الحنيف ، ففكره مشغولٌ بالمعاملات المادية وحواسه تتابع زيادةَ ما لديه من أموالِ وسوق إيمانه كساد ، ومن كسادِ الإيمان يتجرعُ الغصص .

لقد جاء في اصولِ الكافي بصددِ هكذا اشخاص يقولون بألسنتهم ما يتنافى مع اعمالهم «المستصغر لذنبه المرتكب له كالمستهزىء بربه» . فالاستغفار الحقيقي يسبقه الندم الملازم .

التوسل يأتي بعد المعرفة والايمان

لا اقول بعدم التصاقِك بالإمام الحسين (ع) ، فكلّي املٌ في ان تكون حسيني ؛ أما كيف ؟ فالحسيني يلتزم منهج الإمام الحسين (ع) ويؤمن بما قامَ به من اجلِ دينِ الله وشرعتِه الحقّة ، والتوصل والتضرع بالله والله اولاً والتوسل بالنبي والإمام الحسين (ع) تقرباً لله الواحدِ الأحد ثانياً لأنَ النبي (ص) مفترضُ الطاعة وكذا الإمام الحسين (ع) باعتبارِه خليفةَ رسول الله (ص) ونور الهداية ، فالإمام الحسين سفينة النجاة وكل من انتهجَ نهجَه ابتعد عما يُسيء إلى الإسلام والمسلمين ، فشاربُ الخمر ولاعبُ القمار إمامُهُ يزيد وليس الحسين (ع) والمرائي الذي يتظاهرُ بالحسنِ ويعمل بالباطلِ إمامُه معاوية وليس عليّ بن ابي

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

طـالب (ع) فلا تـدعّي أنـكَ من المحبّين لعلي (ع) وأنت تعمـل عمـلَ يـزيـد ومعاوية .

يقال ان فلاناً من الناس مدّ مائدةً للناس متوسلاً بـأبي الفضلِ العبـاس آملاً قضاء حـاجته وهـو يعيث فساداً ولا يـراعي لله حرمـة ، أو يقال ان المـرأة الفلانيةَ نـذرت نذراً لـلإمام الفـلاني من أجلِ نيـل حاجتهـا أو قضاء مسـألتها الفلانية ، وهي لا تلتزم بالحجابِ ، هذا الذي عمله الرجل وانجزتـه المرأة لا عبـادةَ ولا إيمان ولا يصبّ في الـطريق المؤدية إلى طـاعةِ الله ولن يكـون سبباً لنجاتهم من عذاب يوم الآخرة .

عبّاد الأصنام ، والإنفاق في طريق الإمام الحسين (ع) :

كثيرٌ من الناس من الهندِ يتعاملون مع مواكبِ الإمام الحسين (ع) بشكلٍ يثيرُ على الدهشةِ فهم يخصصون في كل عامٍ جزءً من ارباحهم السنوية لإقامة مراسمِ عاشـوراء وفي الوقت نفسِـه وفي غير أيـام عاشـروراء يعبدون الأصنـام ويتقربون إليها زلفى .

رحم الله السيد مجاب دندانساز الذي كان يقول: كنتُ في بومباي مدةً من الزمن وفي كلِ سنةٍ اشاهدُ الكثير من التجار الهنود من عبدةِ الأصنام يسهمـون في إقامة المراسم الحسينية بتخصيص سهم لا بأسَ به من ارباحهم فذاك الذي يساهمُ بالسُكر وهذا الذي يرسـلُ الشاي وآخـر يتبنى جلبَ الرز وهكـذا اغلبُ التجار الهندوس ولأن الشيعةَ في الهند يرون ان الهندوس كفرة لذلك تراهم لا يأكلون ولا يشربون مما صنعتْ أيدي الهندوس وعليه يوظف الهندوس عدداً من الشيعةِ لتوزيعِ الطعام وما إلى ذلك على المواكب الحسينية قائلين لهم اشركونا معكم في ثوابِ المراسم لكي يشفعَ لنا الإمام الحسين (ع) يومَ القيامة .

المتعاملين مع الإمام من الدنيا:

أيها الاخوة الذين تتعاملون مع الحسينِ والعباس من أجل المنافع الدنيوية

عليكم أن تعلموا ان العملَ الدؤوب الصالحَ والسير على نهج الأئمة الأطهارِ يتطلب هِمَّةً عاليةً وسعياً حثيثاً والتزاماً بما التزموا به لكي تفوزوا بشفاعتهم ، عليكم ان تتجنبوا التعامل الجاف وتبتعدوا عن حبّ الدنيا وزينتها ، لقد عهدناكم تذكرون في أدعيتكم خلافَ ما تقومون به من أعمال لا تتمّ إلا عن التصاقٍ بالدنيا وبالمادياتِ على الرغم من أنه ينبغي لكم الإنتهاء والإبتعاد عن حبّها والتفكرِ والتدبرِ بما بعد الموت من حساب فحبُ الأئمة الطاهرين يتنافى مع حبِ الدنيا وما فيها من زينة .

خادم مسجد علي (ع) وحب الدنيا:

ينقل لنا أبو الفتح شهاب الدين مظفر حكايةً تقول: كنتُ والخليفة العباسي المكتفي بالله مع اثنين من وزرائه في عام ٥٣٥ للهجرة ذاهبين إلى مسجدِ الإمام علي (ع) وحينها كان الخليفةُ العباسي يرتدي زيّاً غيرَ زيّه لكي لا يتعرف إليه أحد وحين دخولنا المسجدَ تعرف الخادمُ إلى احدِ الوزراء ، وفجأة بدأ الخادم بالسلامِ والتعظيم رغبةً في الحصول على هديةٍ أو جائزة ، فخجل الوزيرُ من ذلك وعرّفه على الخليفة العباسي ؛ ـ وا أسفاه لهكذا اشخاص يخلطون بين حبّ الدنيا وحبِ امير المؤمنين (ع) ـ ؛ نرجع ثانيةً إلى الحكاية لنكملها: عندما جاء هذا الخادمُ ليسلم على الخليفةِ العباسي أدارَ الخليفةُ له وجهه ولم يهتم له وقال لوزيره اسأل من هذا الخادم وقل له: لقد جئت قبلاً إلى هذا المسجد ورأيت وجهَه قد ملأته غدّة حرّمت عليه حتى الطعام فكان يتناولُ طعامَه بصعوبةٍ بالغة ، فاسأله كيف تمكن من إزالة تلكَ الغدّة ؟ ؛ فالتفتَ الوزير إلى الخادم وقال له هكذا سأل الخليفة فما هو قولك ؟ فأجاب: لقد عيّرني الناس وشمتوا بي لتلكَ الغدّة فتألمت كثيراً ولم أنم ليلتي تلك حتى رأيت في ما يرى النائم اميرَ المؤمنين علي (ع) فشكيتُ له حالي ، وشماتةَ الناسِ بي فقال لي: إنك ممن يريد العاجلةَ وانك من محبّي الدنيا ، وإنك لا ترى إلاّ نفسك ، سوف يشفيك الله من ذلك ، وليس لك في الآخرة من ثواب على ما عانيت .

فمن أحب الدنيا وتعلقَ بها ، خرجَ الإيمان من قلبِه وجرى وراء رغباتِه وشهواته ، فـذَمُّ الناس وشمـاتتهُم أو اطرائُهم ومـديحهم لا يؤثر على من تعلقَ بالآخرة ولا يثيرُ شجون من عرف الله واولياءه ، فلقد شمتَ المنافقـون من قبلُ برسولِ الله (ص) وكذلك فعل الحكام الجائرونَ بأمير المؤمنين علي (ع) ومن بعدهِ من ولدهِ وعترتِه الطاهرين .

ميثم التمار وذكر مناقب علي (ع) :

ينبغي لك أيها المسـلمُ أن تكونَ مثلَ ميثم التمار في حبِّه لعليّ (ع) ، فمن أحبَّ علياً وسارَ على نهجِه لن يشمَّ ريحَ جهنم ، ميثم التّمار لم يتبرأ من عليّ ولو للحظةٍ واحدة على الرغم من علمه بأنَّ الإطراءَ على عليّ (ع) وذكرَ مناقبِه قد يؤدي به إلى الموتِ المحتم .

فلقد استعرضَ هذا الصالحُ مناقبَ أمير المؤمنين (ع) على عهدِ ابن زياد في المسجدِ وفي السوق وفي كل مكان مبيناً حقانيةَ امير المؤمنين (ع) وولدِه في استخلاف النبي (ص) حتى وصلَ الأمرُ بابن زياد لأن يقطعَ لسانَه ويصلبَه على جذعِ نخلة ، لم تكن له حاجةٌ أو غـرض دنيوي ، فـلا تكن أيها المسلمُ من طلّابِ الدنيا تتملق للحكامِ والمتسلطين الظلمة .

أنا لا أقولُ لك أعرض عن الدنيا بكُلّك ولا اقولُ لك لا تطلب المالَ ، بل اقول بمعرفةِ الإمام (ع) ونهجِهِ القويم وتوسّل به إلى الله لأن يقضيَ حوائجك ، توسّل بالإمام الحسين (ع) إلى الله ليدفعَ عنك البلايا والاخطار ، ولا تكن مثل اولئك اليهود أو النصارى ممن يتوسلونَ بـالإمام الحسين (ع) على أيـام محرمِ الحرام من أجلِ قضاء حوائجهم ، ولا تكن ممن يـريدُ العـاجلة ينبغي لك أن تطلبَ الآخرة ، ان تطلبَ لقاء الله القادر المقتدر .

ان خادمَ مسجد علي (ع) الذي تعرضنا إلى ذكرِ حكايته لم تكتمل بعد : لقد قال الخليفةُ العباسي له بعد ان سمعَ ان الإمام علي (ع) هو الذي ساهمَ في

رفع الغدةِ من وجهه: سنعطيك ما تريد لأن الأمير علي (ع) شفع لك عند الله ونجّاك مما أنتَ فيه فاطلب ما تريد: فقال: عيّن لي من بيت المال ثلاثةَ مثاقيل ذهب كلَّ أول شهر.

ذهبوا به بعدَ مدة لإمضاءِ على ورقةٍ كُتب فيها « لخادم مسجد علي (ع) ثلاثة دنانير » فختم خلفَ الورقة وكتب الى جنبِ اسم علي (ع): أمير المؤمنين وسيد المتقين صلوات الله وسلامُه عليه وآله أجمعين ـ وكتب مثل ذلك في حق الخليفة العباسي: وعلى أيّة حال فالإطراء على الخليفةِ العباسي لم ينبع من قلبِه، ويعرف بذلك نفس الخليفة.

فتعال يا اخي المسلم إلى انتهاج نهج الإمام علي (ع) واخلع حبَّ الدنيا من قلبِك علَّكَ تحظى بشفاعتِه سلامُ الله عليه

الخوف وعالم البرزخ:

لقد جاءَ في كتاب من لا يحضرهُ الفقيه ان احد خواصّ الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: لقد حدثني الإمام بحديثٍ عن الأهوال والمصائب في عالم البرزخ بحيث اخذَ منّي الخوفُ مأخذَه حتى أصبحت لا اهتمُ لمصائبِ الدنيا، لقد استعرض لي الإمام كيفية انزال الميت إلى قبره بشكلٍ يبعثُ على الرهبةِ والخوف من الأهوال التي يمكن أن تلحقَ بالإنسان في عالم البرزخ.

إذن ينبغي ان نتعظَ ونعتبرَ ونُعرِضَ عن الدنيا وزينتها، ومن لم يفعل ذلك فهو قسيُّ القلب، وينبغي للمؤمِن « ونحن في شهر رمضان المبارك » ان يستفيد من اوقاتِ السحر فيقوم لله خاشعاً ذليلاً يطلبُ الرحمةَ والغفرانَ ويدعو الله برقةِ قلب ويقول « أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري ابكي لضيق لحدي

---

(٢) مفاتيح الجنان المعرب ـ للشيخ عباس القمي ـ دعاء أبي حمزة الثمالي ص١٩٣ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

ابكي لسؤال منكر ونكير إياي » .

شبهة الأجبار في الهداية والضلال :

يتخذ البعض من الآية الشريفة ﴿ . . يُضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾[٣] حجّة للتقول بأن الله تبارك وتعالى يُكرهُ الناس على الهداية أو على الضلال ـ والعياذ بالله ـ ، فالهداية والضلالةُ ممكنة إذا شاء؛ ولكن يمكن الحل في ابعادِ هذه الشبهة بما يلي :

الهدايةُ على قسمين : هداية عامة وهداية خاصة فعلى سبيل المثال: يريدُ أحدُهم الوصولَ إلى منزلِ فلان ولا يعرفُ أين يسكن فلان ، إذن لا بد له من عنوانٍ كأن يكونَ اسم الشارع واسم المنطقة ويحصل على العنوان كاملاً ولكنه وحين وصولِهِ إلى المنطقة يسأل من احد المارّة او من ساكني تلك المنطقة عن منزل فلان وكيفية الوصولِ إليه فيقول له الأخير تذهب من الشارع الفلاني لأنه اقربُ إليك وتدخل في الحارة الفلانية وهكذا حتى يصلَ إلى مرادِهِ وهذا ما يُمثّل بالهداية العامة ، اما مثل الهداية الخاصة فهي ان يتكلفَ الشخصُ بمرافقةِ السائل ويتلطفُ عليه بالتشجيع والمواساة حتى يصلَ إلى ما يريد .

الهداية العامة تشمل كل عاقل مكلف :

ان الهداية الالهيةَ العامة والتي تبينُ السبيلَ إلى الجنةِ أو إلى جهنمَ تشمل جميعَ البشر ﴿ إنّا هديناهُ السبيلَ إما شاكراً وإما كفورا ﴾[٤] وتتأتى هذه الهداية بإدراكِ العقلِ أولاً لها ومن ثم بمساعدةِ الأنبياء والرُسل ولذا فإن الحجةَ الإلهيةَ على جميع البشر متحققة إلا إذا كان الشخصُ ناقصَ العقل وبغير هذا فالعقلُ والفطرة وانضمامُ الوحي وهداية الأنبياء هم حجة بالغةٌ على الإنسان؛ فالعقل يقول: هذا هو طريق السعادة ويقول إنَّ الذي خلقك واحد أحد وبمثلِ ذلك

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٣ .
(٤) سورة الدهر ، الآية : ٣ .

يُرشد الأنبياء الناسَ إلى « لا إله إلا الله »فالإنسانُ السويُّ هو ذلك الذي استجابَ لنداءِ العقل الداخلي ونداءِ العقلِ الخارجي الذي يمثله الأنبياء وبذلك يتحققُ الإيمان في النفس مضافاً إلى العملِ الصالح الذي يتبعُه وهناك عدةُ استثناءات في هذه القضية كأن يكونَ الشخصُ على سبيلِ المثال لم يسمع ابداً بدعوةِ الأنبياء والرسل أو يكون فاقداً للعقل ، لأنَّ الأنبياء سلامُ الله عليهم ومنهم خاتمُ الأنبياء (ص) جاؤا بقول الله الذي تبيِّنُه الآيةُ الشريفة حين يقول الله عن نفسه : ﴿ وانَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾[٥] أو تلك الآية التي تقول: ﴿ فمن تبع هدايَ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٦] .

الهداية الخاصة تتعلق بمشيئة الله :

واما الهدايةُ الخاصةُ فإنَّ الله سبحانه وتعالى يخصُّ باعطائها اولياءه الصالحين ، فمن كان راغباً بالهدايةِ الخاصةِ عليه أولاً أن يمرّ بمرحلةِ الهدايةِ العامة ونضربُ هنا لكم مثلاً يتناول هذه المسألة بشكلٍ أدق واعمق ، فالشخصُ الذي يمتلك عنوان بيتٍ لزميل له يرومُ زيارتَه يمتلك اسم المدينةِ واسمَ الشارع واسمَ المحلة التي فيها زميلُه ومثل هذا كمثل المهديّ بشكل عام أما إذا تطوّع فردٌ لأن يسيرَ معَه إلى هذا العنوان ويتلطفَ عليه إذا ما اصابه تعبٌ أو نصب باستئجارِ وسيلةٍ توصلُهُ إلى ما يريد فان مثل هذا كمثلِ الهداية الخاصة ، واما الشخص الذي لم يقبل منذ البداية الهداية العامة فكيفَ يتأتى له الوصولَ إلى الهداية الخاصة إنه لم يرض ابتداءً سلوكَ طريق العبودية والوصول إلى الجنة ورضيَ بما هو عليه من وضعٍ دنيويٍ عادي بعدما عرّفوه بطريق الجنة والنار أو كذاك الذي يتبجحّ ويشيع بين الشبابِ ان لا وجودَ للجنةِ والنار وعليكم ان تستثمروا أوقاتكم باقصىَ ما يمكن في الإستفادة من الملذّاتِ الدنيويةِ المحرمة

---

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٣٨ .

هذا وذاك لن يشمّا ريحَ الجنة إنهما لم يؤمنا ابتداءً ولم يتعدّيا مرحلةَ الهداية العامة ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾[7] فالمهتدي يُعينُه المولى على البلاءِ ويُنجيّه من السقوطِ في الرذيلة ولا يجعل للشياطين عليه سبيلاً ويزيدهم هدى إلى هداهم ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدىً ﴾[8] ، فالذي يهلك هو ذلك الذي لم يقبلْ الهدايةَ العامةَ بل وأدار لها ظهرَه سالكاً الطريقَ إلى جهنم ولم يُدرك أو أدركَ وتغافل حتى يصلَ الأمرُ به في نهايةِ المطاف إلى ساعةِ الموت وعندها يندمُ على افعالِه واعماله وحينها لا ينفعُ الندم ، اما السعيدُ فهو ذلك الذي قبِلَ الهداية العامة ورضيَ بها فوفّقه الله تبارك وتعالى إلى أبعدِ من ذلك فزادَه هدىً إلى هداه .

(٧) سورة التغابن ، الآية : ١١ .

(٨) سورة محمد ، الآية : ١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سكون القلب عطاء من الله :

﴿ هـو الـذي أنـزلَ السكينـةَ في قُلوبِ المؤمنين ليـزدادوا إيمـانــاً مـع ايمانِهم ﴾[1] .

إن السكينة عطاءُ الله الذي يتفضل بها على البشر ، وقـد أردتُ أن اقول في أول الأمر ان مقامَ الإيمان الشامخ هو عطاء الله تبارك وتعـالى ووظيفتنا هي الإستعداد لتقبّل الإيمان فالروحُ تُصلح البدن ، والروح جسم الايمان وهي عطاءُ الله ؛ مرة اخرى اعود إلى القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ صبغةَ اللهِ ومَنْ أحسنُ من الله صبغة ﴾[2] . عليك أن تُبقي على روحك الآدمية ولا تنحرف بها وتجعل منها روحاً شيطانية أو روحاً بهيمية ، إنّها الروح التي تتصف بصبغة الله فابقِ على صبغته تعالى ذكرهُ فالـروحُ تتوق إلى الإيمـان الذي يشتـاق إلى السكينة وروح الإيمان عطاءُ الله السـامي ، ولنتروَّ قليلاً ونرى إلى من تُعطى روحُ الإيمان ؟

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

إبحث عن الماء القليل وابق عطشاناً:

علينا أن نفهم في بداية الأمر ان الشيء لا يُعطى بالقوة ، فالاكراهُ خطأٌ فاحشٌ وكُفرٌ ، لأنّه لا فائدَ من استخدامِ القوةِ ، فالإيمان يُعطى لطالبهِ صدقاً ولا يُعطى لمن اراده بالقوة ولا يدخل الإيمان قلبَ امرءٍ بالاجبار؛ إننا نقرأ في بعضِ الأدعية « اللّهُمَّ إنّي اسألك إيماناً تباشر به قلبي »[٣] هذا ما تقوله بلسانك اما قلبك وروحك فتروم شيئاً اخر فقد تكون الأمنية هي المال أو الجاه والدعاء الذي تدعو به يتطرق إلى الإيمان .

إن طلب الإيمان يتناسب طردياً مع الجديّة في الأمر والتدليل على صدقِ الطلب يتحقق من خلال السلوك الإنساني الرفيع فقيام الليل وصيام النهار وترك المعاصي وعدم انتهاك الحرمات و . . . و . . . كلها تبعث على الإيمان؛ فالحصولُ على الإيمان مثله كمثل أولئك الذين يعملون في التنظيمات الحركية سعياً وراء الأمال المادية ، فتراهم لا ينامون في اليوم الواحد إلا عدة ساعات ويتحملون الجوع والعطش والتعب والعناء من اجل تأمين الحياة التي يرجونها ، فطالب الإيمان يجب عليه ان يتحمّل كل شيء في سبيل نيل الإيمان الذي يرتضيه المولى سبحانه وتعالى ، وقد يتوسلُ الإنسان بائمةِ اهل البيت من اجل ان يتلطف العزيزُ القدير عليه بالإيمان وقد يختلط عليه الأمر فتداخل الطلباتُ المادية والحاجاتُ الدنيوية مع طلب الإيمان ، ولا نقول ان التوسل بآل بيت الرسول (ص) من اجل الحاجات المادية عمل غير حسن ، فقد يتفضل الله تبارك وتعالى على الإنسان بقضاء حوائجه ببركة الائمة الأطهار .

وعلى أية حال فإن الله سبحانه وتعالى يُحِبُّ لعبده التوسلَ والتضرعَ اليه ، لكي يبقى على إتصال دائمٍ به فلا يبتعد إلى غيرهِ من عبادِ الله وخلقه الذين لا

---

(٣) من دعاء أبي حمزة الثمالي في مفاتيح الجنان المعرب لعباس القمي ط دار احياء التراث العربي ص١٩٨ .

يضرون ولا ينفعون إلّا إذا شاء الله تبارك وتعالى .

وعندما يفهم الإنسان هذا المعنى يسكن ويهدأ ويتواصل هذا السكون والهدوء في القبر وفي عالم البرزخ .

مراسم العرس حاضرة للمؤمن في القبر :

لقد تواترت الروايات الكثيرة بصددِ مسألة مراسِم العرس للمؤمن في قبره ، ومراسم العرس ومن ضمنها الحجرة التي يجتمع فيها العروسان هي مكان الراحة والإبتعاد عن المزعجات والمنغصات وكما عبرّ القرآن الكريم عنها حيث قال تعالى فيه ﴿ فروح وريحان وجنّة نعيم ﴾[4] ففي هذه الحالة يتسع القبر ليشمل رياضاً نضرة تمتد بالمؤمن إلى يوم ِ الحساب ويقال ان رائحة العطور المستخدمة في عرس المؤمن على زمان البرزخ تُشم من مسافة «٥٠٠»سنة ، فالإنسان الذي يكون هذا مكانه كان قبل ذلك قانعاً ساكناً راضياً برضا الله تبارك وتعالى ، والويلُ كلُّ الويل ِلذلك الذي كان قلقاً مضطرباً لا يقنعُ بشيءٍ ولا يرضىٰ برضا الله تبارك وتعالى فقد كان يُجهِدُ نفسَه راكضاً لاهثاً وراء هذا وذاك يطلب منهم ويتناسى وجودَ الصمد الذي لا ينبغي لأحد ان يطلبَ من سواه وبعد الموت يأتي فرداً وحيداً لا أتباع ولا أنصار ﴿ ولَقَد جِئتُمُونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ﴾[5] فيُسأل حينها عن اتباعِه وأنصاره الذين تعب من الجري وراءهم لإنجاز أعماله ، ويُسأل عن أموالِه وهل كانت فيها الفائدة أو هل يمكن ان تنجيه من عذابِ الواحد القهار ؟!

إن الإسلام الظاهري جعل منه عبداً للمال؛ فالمال الههُ والنساء قبلتهُ والدنيا جنتُه ، لقد عميَ عن رؤيةِ الحق فلم يعمل به بل اتخذ الباطلَ منهجاً له فسلك به إلى نارِ جهنم

---

(٤) سورة الواقعة ، الآية : ٨٩ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٩٤ .

اقلع السبب من جذوره :

إن الحياة الطيبة التي يتمتع بها المؤمن تتأتى من الإيمان الذي احتوى قلبه ، فالاطمئنانُ والسكينةُ كلُّها نتائجُ طيبةٌ لإيمان الإنسان بالله الواحد الأحد ، وإذا ما قُدِّر ان لا يتمكن الإيمان من قلب امرءٍ فإن المرء يضحى مضطرباً قلقاً يتأوّه لأقلِ البلايا واتفهِ المصائب حتى يصلَ الأمر به في بعض الأحيان ان لا تعرفَ جفونهُ النوم ولا يطيب له مأكلٌ أو مشرب .

وظيفتنا نحن المسلمين ان نطلبَ الإيمان اينما كان ، فنبدأ بقلوبنا نفتش فيها أولاً فإذا ما عرفنا انها خاليةٌ منه توسلنا إلى الله ودعوناه لأن يمنحنا إياه «اللهم إني اسألك ايماناً تباشر به قلبي» .

استطلاع أحوال القلب من مستلزمات حياته :

جاء في اصولِ الكافي ان احدَ رواةِ الأخبار نقل لنا حكايةً عن سفرٍ له إلى الحج مع الإمام الصادق (ع) حيث قال: « زاملنا أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) إلى الحجِ وكنت واياه على محملٍ واحد فناداني وطلبَ مني ان اقرأ القرآن ، فقرأت فبكى وقال: يا ابا عصامة . . . فإنه تأتي على القلبِ ساعات ليس فيه إيمان ولا كفر مثله كالخرقةِ البالية » لقد وصف الإمام (ع) القلبَ بالخرقة البالية التي تتمزقُ بسرعةٍ عند الاستعمال .

وقد عنى الإمام (ع) بتصويرهِ القلب كالخرقةِ البالية ان: يا أيها المؤمن الذي تتصورُ ان قلبَك قويٌّ وايمانَك محكمٌ عليك الإنتباه إلى ان القلبَ قد يكونُ كالخرقةِ البالية حين تراودُه الوساوسُ الشيطانيةُ ، لذا يشيرُ الإمام إلى استطلاع القلب بين الفينةِ والأخرى وامتحانِه بذكر الله الحاضر والناظر فإذا ما لاحظت منه خللاً في إيمانه اسعَ لأن تُرجعَه إلى فطرتِه التي فطره اللهُ عليها . وخلاصة حديثنا هذا هو: ان التكليفَ الأول ينضوي تحت عنوان طلبِ الإيمان ﴿ والذين اهتدوا

زادهم هدى ﴾[٦] فالذي قرأته في القرآن او سمعتَه من الرجال المؤمنين خُذ به واطلب الزيادة في الإيمان لأنّ الله العزيزَ القدير يَزيدُك هدى إلى هـداك إذا ما رأى منك طلباً جدّياً وحقيقياً وليس لقلقة لسـان ، اما التكليف الثـاني فينضوي تحت عنـوان تنفيذ الـواجبات الملقـاة عليك كمسلم والتي جـاءت واضحةً في القرآن الكريم وأقرتها السنةُ النبويـة الشريفـة وصدقتهـا رواياتُ الأئمـة الأطهار سلامُ الله عليهم ليضحىٰ قلبُك ممتلئاً بنورِ الإيمان .

دعاء أبو ذر كنز من كنوز العرش :

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد ، اللهم إني اسألُكَ الأمنَ والإيمان بكَ والتصديقَ بنبيك والعافيةَ من جميع البلاء والشكر على العافية والغنى عن شرارِ الناس برحمتِك يا ارحمَ الراحمين .

إيمان أبو ذر ، واللحظات الأخيرة من عمره:

لنتعرف هنا على الإيمان الذي ذهبَ به ابو ذر من دنيا الفناء على الرغم من الأذى والتبعيد وضيق اليد التي عانىٰ منها:

على الـرغم من تلفِ اموالِه جميعاً بسببِ التبعيـد والنفي الذي اصـدرَه الحاكمُ بحقهِ ظلماً وعدواناً لم يبدُ على أبي ذر الغفـاري آثاراً تـدللّ على أنّـه حزين ، لقد كان وحيداً فريداً لا يرافقهُ إلاّ ابنة له ، ولكنه كان يمتلكُ قلباً قوياً مطمئناً مليئاً بالأمنِ والإيمان .

عنـدما انتبـه ابو ذر الغفـاري إلى ان الموتَ قـد دنا منـه تبسّم وهـو في اللحظاتِ الأخيرة ، يجودُ بنفسِه ، بكت ابنتُه لأنَّ والدَهـا يشدُّ رحـالَه فـطمئنَها قائلاً: سيصلُ أبوك بعد لحظات إلى جوار حبيبه ، ان فراقَ الرسـول (ص) قد جرَّه إلى حزنٍ ما بعدَه حزن .

---

(٦) سورة محمد ، الآية : ١٧ .

قالت ابنتُه : أبي ووالدي من لي بعدَك ؟ وما الذي افعله اذا رحلتَ عنّي ؟ وكيف ادفنُ بدنَك الطاهرَ في هذه الصحراء ؟ فأجابها: بنيّة ، لكِ الله ، فأنت لن تبقي وحيدةً بعدي ، ألا يسُرك ان ارحلَ إلى الحبيب محمد (ص) وهو الذي أخبرني بقدوم ثلة من الصالحين بعد موتي ليجعلوا من جسدي أمانة في أرضِ الله ؛ فلا تحزني فإنّ الأصحاب في الطريقِ إلينا .

مات أبو ذر ، ووقفت ابنتُه على مفرقِ طرقِ القوافل القادمة من العراق ، وإذا بقافلة يقودُها أحدُ المحسنين يسأل من ابنة أبي ذر عن أبيها وكان يبدو عليه انّه عظيمُ الشأن شبيهاً بمالكٍ الأشتر ، وما ان سمعَ ان جسدَ ابي ذر الغفاري الصحابي الجليل بدونِ غسلٍ ولا كفن سارعَ واصحابُه إلى التسابق لغسلِه وتكفينِه ودفنه فلم تتحرك القافلةُ حتى اقاموا عليه مراسمَ العزاء .

لقد ذكرنا مراراً ان الإنسان الذي قبل الهدايةَ العامة ورضيَ لنفسِه ان يكونَ عبداً مطيعاً لله ، يؤيده الله بالطافِه ويدخلُ الامنَ والطمأنينةَ على قلبِه وهذا ما اشارَ إليه القرآن الكريم في الآية الشريفة التي تقول: ﴿ **نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا** ﴾[٧] فالنفسُ المطمئنةُ الراضيةُ بقضاء الله وقدره يهديها الله تبارك وتعالى إلى طريقِ النجاةِ ، طريقِ السعادةِ ، طريق الجنة .

المرأة الامريكية المسلمة الوحيدة في مدينة امريكية :

قرأت قبل عدة سنوات في مجلة «نور العلم» خلاصة لحادثة عجيبة ومدهشة ، فالمدينة امريكية والكلُّ نصارى ولكن العجيب في الأمر ان احدى النساء كان اسمُها مهاجر ، لقد اختارت لنفسها اسماً لا يتسمى به غيرُ المسلمين ، ان بعضَ المستشرقين الذين زاروا هذه المدينة الأمريكية يقولون: سألنا هذه المرأة كيف تأتى لكِ ان يكون اسمك اسماً ينمّ عن أنّكَ مسلمة

---

(٧) سورة فصلت ، الآية : ٣١ .

فاجابت: لا ينكر الجميع عليّ ذكائي الخارق منذ الطفولة ، حيث إنني لم امارس عملاً يُغضب الله تبارك وتعالى منذ نعومةِ أظفاري وقد سترت محاسني (الرأس واليدين والرجلين) فلم يبدُ منّي غيرُ قرصِ الوجه والكفين وقد تعلمتُ القرآنَ الكريم واعجبت بالآية التي تقول : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾[8] والحق أقول: لقد الهمني الله سبحانه وتعالى معنى ومضمون هذه الآية الشريفة قبل ان اقرأ القرآن ، فأنا المسلمة الوحيدة في مدينتي هذه ؛ وأخيراً تضيف هذه المرأة فتقول: رأيتُ فيما يرى النائم ان شخصاً جليلاً يأتي من الشرقِ حاملاً كتاباً يقول لي: هذا هو طريق السعادة وهذا هو سفينةُ النجاة ـ أفقت من نومي وبدأت ابحثُ ما يقارب على الثلاث سنوات عن اسمِ وشكلِ هذا الكتاب ، طرقتُ المكتباتِ الشرقية في امريكا فلم أفهم شيئاً يهديني إلى هذا الكتاب ، وفي يومٍ من الأيام رأيتُ احدَ الهنود المسلمين فسألتُه عن ضالتي بعد ان استعرضتُ له ما رأيت في منامي ، فتبسمَ واخرجَ لي من حقيبته كتاباً كانَ نفس الكتاب الذي رأيتُه في المنام فسألته ما اسمُ الكتاب فأجاب: قرآن محمد (ص) وقال : هو هديةٌ لك ، بعد ذلكَ حصلتُ على ترجميته الانجليزية من احدى المكتبات وبدأت اطالعُه وأمعنُ النظر في حروفِه وكلماته و . . . .

فيا أيها المسلم ، يا من يرومُ هدايةً خاصة ، إذا ما اردت ذلك فالأمرُ راجع إليك فانت الذي تُساهم في جلب الهداية الخاصةِ صوبك .

إسعَ لأن يكون أولادك مؤمنين :

إن من الوظائف والتكاليف الواجبةِ على كلِ مسلم مؤمن أنْ يجاهدَ في سبيل أنْ يكونَ اهلُه واولادُه مؤمنين ايضاً ولا ينبغي له ان يترك الأمرَ على الغارب ويتناسى مثل هذا الواجب الإجتماعي المهم في بناءِ مجتمع يسودُه الأمن والإيمان وبهذا الأمر يتمكن المؤمن من دفع النار عن نفسِه وعن اهله وولده ﴿ يا

---

(٨) سورة النور ، الآية : ٣١ .

أيها الذين آمنو قوا أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾[٩] ، فالمؤمنُ الحقيقي بالله وبيومِ الجزاء يتكفل هكذا مهمة برحابةِ صدر ليحظى بخيرِ الدنيا وخيرِ الآخرة ، فالأبناء الذين ينتهجون النهجَ القويمَ أو يسيرون على خطى آبائهم المؤمنين يثيب الله تبارك وتعالى آباءهم مثلما يثيبهم جزاء عملِهم الصالح ، وكلُّ خيرٍ يفوز به الأبناء يكون الآباءُ شركاءهم في هذا الخير ، اما الذي يتغافلُ أو يتهاون عن تربية الأهل والأولاد فليسَ له منهم في الدنيا إلاّ التعب والعناء وفي الآخرةِ حساب شديد .

عدم الإعتماد على الله ، وادعاء التمدّن :

نقلت مجلة «مكتب اسلام» جملةً عن كاتب إنكليزي معروف كان قد كتبَ مقالةً في احدى المجلات البريطانية ؛ وخلاصتُها : ان شبابَ القرن الذري والذهبي ـ القرن العشرين اذكى واعلمُ من شبابِ القرون التي سبقت .

وواقع الأمرِ هو ما قاله هذا الكاتب البريطاني من حيث الذكاء والمعلومات والفهم والإدراك إلاّ أن هدوء البال وراحةَ النفس مفقودة بين شباب الجيل الجديد على الرغم من وفرةِ وسائل الراحة والوسائل الترفيهية والآلات والأدوات المتطورة ، إذن فما هو الذي يجري في قرننا العشرين هذا ؟ فكلُّ أسباب الراحة متوفرة وفي القرون السالفة قليلة أو معدومة ؛ إنه اليأس والإحساس بعدم وجودِ الأمان ، فما العمل إذن ؟ ان أمريكا التي تدعّي انها مهدُ التمدّن تتطرق في اعلامِها إلى حدوث حالة انتحار في كلّ «٣٥» دقيقة ، فتصور حالةَ الضغط النفسي الذي يجبرُ الإنسان على التضحية بنفسه في سبيل لا شيء وتصوّر الظروف النفسيةِ التي تُحيط بالشبابِ والتي تجعلُهم يقدمون على الانتحارِ ، فما هو السببُ في ان يقتلَ الشابُ نفسَه ؟!

ما هو السبب ؟ إن العقلاء يعرفون ان السببَ في ذلك هو الضياع الذي

---

(٩) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

تُعاني منه هذه الفترة الزمنية ، فالأمانُ مفقودٌ والملجأ كذلك والاستنادُ إلى هذا أو ذاك حالة شائعة ـ وصراحةً أقول ان الإيمان بالله مفقود ، انهم اعتمدوا اشخاصاً في حياتِهم وكان كلّ أملهم فيهم وعندما يكتشفون انهم اعتمدوا اشخاصاً لا يستحقون منهم كل هذا الأمل وذاكَ الرجاء حينها تضطربُ انفسُهم وتصلُ إلى درجةٍ يضيع معها التفكير أو بالأحرى ينحصرُ التفكيرُ في نقطة ضحلة الا وهي الإنتحار ولو قُدِّرَ لهم أن يستندوا إلى الله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء وهو خبيرٌ بعبادِهِ لكان الأمر غير ذلك : فالمؤمن يصبر ويعرفُ ان حكمَةَ الله تُحتم عليه ان لا يكون ثرياً أو بالعكس أي ان لا يكون فقيراً انه يعلم ان الباري هو المدبّرُ وهو الرزاق فلا ييأسُ من رحمتِه على عكس ذلك الذي لا يؤمنُ إلاّ بالشخصيةِ الفلانية أو المذهب الفلاني فهو لا يتحملُ ولا يطيق ولا يصبر على البلايا التي يمكن ان يحمِّلَها إياه من يرجوه ويأمله .

لماذا لم تعرفّني الخالق ؟

يقول هذا الكاتب البريطاني المشهور الذي اسلفنا ذكره :

زارني صديق لي في بيتي ، وقد كان مضطرباً وقلقاً جداً فسألته عن السبب ؟ فقال : لقد دار بيني وبين ابن لي حديث طويل استسهلتُ الموتَ بعده ؛ رأيت ابني يرمي بكتابه الجامعي بعيداً ويقول: لن اذهب بعد الآن إلى الجامعة ولن أحاولَ الدرسَ والبحثَ في هكذا جامعات ، وعندما أراد الذهابَ صرختُ به وقلت: ما الذي حدث ؟ وما الذي تقوله ؟ فأجابني : لا تتحدثّ معي قلت: لماذا ؟ فقال: إني اكرهُك وعجباً يسمّوك ، أباً فقلت: ما الذي اردته منّي ولم تحصُل عليه فكل وسائل الراحةِ عندك ، وايّ شيء طلبته جئتُك به !! فقال بهدوء : ذلك الذي كان يجبُ عليك ان تعمَله ، لم تقمْ به ولم تخطُ خطوةً على طريقِهِ ؛ فسألته : وما هذا العمل ؟ فقال : أين المروّة التي تدعيّها وانت لم تُعرفّني الله على طول هذه المدة ليكونَ سندي وملجأي !! قالها وذهب .

ان الأبناء سيقفون ويحاجون آباءهم يومَ القيامة بهذه القضايا ، ان الآباءَ يتصورون انهم بشرائهم التلفزيون يخدمون الأبناء ؟ ان بناتكم سيحكمن عليكم بالتهاون ويجرُّنَكم إلى السؤال لماذا لم تعلمونا الدين ؟ لماذا لم تحاولوا ارشادنا إلى طريق النجاة ؟ لماذا لم تعرفونا الهدفَ من الحياة ؟ ولماذا لم تفهمونا ان هناكَ حياة آخرة فيها الحساب .

ان التهاون في تربيةِ الأبناء جريمة لا تغتفر وغبن لحقوقهم ، علّموهم كيف يعتمدونَ على الباريء المصور ، علموهم كيف أنّ الحاجات لا تطلب إلاّ منهُ تعالى ، وإذا ما أرادَ إنسان ان يقوم بقضاء حوائجهم فبمشيئةِ الله تبارك وتعالى لأن الله هو المسبب وان البشرَ هم أسباب فقط .

هداية خاصة بفضل الإمام (ع) :

في حكايةٍ عن السيد عبد الحميد رئيسِ مكتبةِ الحميدي في النجف الأشرف ، لقد كانَ خطيباً وقارئاً ؛ كتبَ يقول: كانت ملك ابنة الملا علي تسكنُ مدينةَ النجف الأشرف ، وفي ليلة ليلاء لزمها صداعُ شديد حتى المَّ بعينيها فلم تعد ترى وعندما وصلني الخبر قلت في نفسي ان هذه الحالة لا علاج لها إلاّ ان تتوسل بالله وتتضرعَ إليه في مكانٍ يحبُّ الله ان يذكر فيه ، فاقترحت على ناقل الخبر ان يقول لها بالذهاب إلى حرمِ أمير المؤمنين (ع) وتتضرعُ إلى الله تعالى في ذلك المكان الشريف عسى ان يخفَّ المها ، وبعد مرورِ ثلاثة ليالي خف الألم وتمكنت من الركونِ إلى النوم الذي غادر عينيها لثلاثِ ليالٍ خلت ، وبعدَها ارجع الله تبارك وتعالى إليها البصر ببركة الإمام (ع) فإن لله أماكنُ يُحبُّ ان يُذكرَ فيها .



القسم الثالث

« الصبر »

﴿ ام حسِبتُم ان تدخُلوا الجنةَ ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين ﴾[1]

الإستعداد في الدنيا لإدراك درجات الآخرة :

إن عالم الحياة الدنيا هو عالم الجهاد ، جها النفس ، الجهاد الأكبر لأنَّ أصلَ الخلقة البشرية هو ان يجاهدَ البشرُ في الحياةِ المادية لتهيئة النفسِ من خلالِ الصبر والمكابدة ليصلَ إلى العالمِ الأعلى والوطن الأصلي والحياة الأبدية الخالدة .

إن شرط الوصول إلى العالمِ العلوي هو الإستعداد واستحقاق الثواب ، فالإنسان الذي لم يتمكن من ان يكونَ مسالماً ومؤمناً لن يتأتى له الوصولُ إلى عالمِ الأمن والسلام ﴿ لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليّهم ﴾[2] .

تعبير آخر يعبر عنه أميرُ المؤمنين علي (ع) حيث يقول في نهج البلاغة ما

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٧ .

مضمونه « رحم الله مؤمناً عرف من اين والى أين وفي أين » .

لقد مضىٰ العمرُ وانتَ لم تعرف من اين اتيتَ ؟ وإلى اين تذهبُ وما هو الهدفُ من وجودِك ؟ فيا أيها الإنسان ان الحياة الدنيا حياةٌ ماديّة فكن لطيفاً مسالماً لتلتحق بعالمِ اللُّطف والسلاَم ، لا تسرح بخيالِك وتقول ان الجنة روضةٌ حالها حال رياض الدنيا ، لأنّ الحقيقة غير ذلكْ ولا يمكن لفردٍ أن يدركَ حقيقةَ الجنّةِ والملك العظيم ولكنّ القرآن الكريم يحاكي الناسَ على قدرِ عقولهم فيشبّه الجنة برياضٍ أو حدائق أو بساتين غنّاء ولكنّ الذي اخفاهُ الله هو اكبر من ذلك ﴿ فلا تعْلَم نفسٌ ما أخفي لهم من قُرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملُون ﴾[٣] .

إن الإنسان بقالبه المادي لا يُمكن ان يُدركَ ما صنع الله وما خلقَ من جناتٍ تجري من تحتِها الأنهار ، ففيها ما لا عينٌ رأت ، وقد عبّر القرآنُ المجيدُ عن ذلكَ تقريباً للمعنى حيث قال تعالى : ﴿ وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً وملكاً كبيرا ﴾[٤] .

هذا غير الخدمِ والحشم من الملائكةِ والولدان المخلّدين : ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلِ باب سلامٌ عليكُم بما صَبَرتُم فنِعمَ عقبىٰ الدار ﴾[٥] ؛ فالحورُ العينُ تجولُ وتسرحُ ولكن ليسَ كنساءِ عالم الطبيعة ، انهن لِطافٌ بشكلٍ ترىٰ الماءَ يسري حين الشرب في رقابهنَّ التي هي كالزُجاج الرقيقِ الشفاف ، ولن يحظى الإنسان على هكذا أمر إلاّ بصبرٍ ونصب إلا بجهادٍ طويل على جادةٍ تحفُها الأشواكُ والبلايا ﴿ أم حسبتُم ان تدخلوا الجنّة ولما يعلمِ الله الذين جاهدُوا منكم ويعلمَ الصابرين ﴾[٦] .

---

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٧ .
(٤) سورة الإنسان ، الآية : ٢٠ .
(٥) سورة الرعد ، الآية : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢ .

اما الذين نسوا الله وسعوا جاهدين وراء حُبِ الـدنيا والأهـواء والشهواتِ فاولئك لن يشمّوا ريحَ الجنـةِ ابداً ﴿ ويـأكلون كما تـأكلُ الأنعـامُ والنارُ مثـوىً لهم ﴾(٧) ، نعم يأكلونَ ولا يشبعون ، يشربون ولا يروون ، انهم يشتركون مع الحيواناتِ في شهوةِ البطنِ وشهوةِ الفرج بل ويؤكدونَ على هذه الشهوات فقط فلا ترى منهم غيرَ القساوةِ والغلظة ويشتركون كذلك مع الحيواناتِ بانهم لا حياءَ لهم ، فهم يشاهدون المؤمنينَ يلفّهُم الحياءُ والخجلُ من عملِ المنكرات ؛ ولا يتحركُ فيهم عرقٌ لانتهـاجِ نهجِ الله القـويم في الترفـعِ عن المعصية وعمـلِ الذنوب .

فالذي يعملُ طبقاً لرغباته وهواه يتشابه مع الحيوانات التي لا همَّ لها إلا الأكلُ والشربُ أما الذي يمنع النفسَ الأمارة بالسوءِ عن كـلِ ما تـريد وتـرغبُ معتبراً ان الحياةَ الدنيا امتحـانٌ له وتمحيصٌ بينـه وبين ما دونَـه من المخلوقات الأُخـرى فهو حـريٌ بالحيـاة الأخرى وحقّ لـه ان يدخـلَ الجنّةَ آمنـاً راضيـاً . ﴿ وليمحِّصَ الله الـذين آمنـوا ﴾(٨) ﴿ ليَميـزَ الله الخبيثَ من الـطيبِ ويجعـلَ الخبيثَ بعضَه على بعض ﴾(٩) .

قد يسرح الإنسان بخياله ويمرحُ ويحسبُ ان قولَ « لا إله إلاّ الله » كافياً ومجزياً لأن يدخلَ الجنة ، ويتصور أنّه يمكن له ان يرافقَ سلمانَ وأبا ذر بدون أنْ يعاني ويكابد ويجاهد من أجلِ ذلك ؟ فالإستعداد الظاهري مرفوض ، والعملُ الحقيقي هو الذي يمكّن الإنسانَ من الوصـولِ إلى الهدفِ الـسـامي ﴿ أحسِبَ الناسُ ان يُتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون ﴾(١٠) أين انتَ ايها المسلم من اولئكِ الذين صبروا على الأذى ، وعملوا على تأجيل رغباتهم واهوائهم ، انهم

---

(٧) سورة محمد (ص) ، الآية : ١٢ .
(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٤١ .
(٩) سورة الأنفال ، الآية : ٣٧ .
(١٠) سورة العنكبوت ، الآية : ٢ .

اجتازوا الإمتحان الإلهي بمهارةٍ فائقة ﴿ ولقد فَتنّا الذينَ من قبلِهم ﴾[11] .

إن الحياةَ الدُنيا اختبارٌ للإنسان ، فقد تكونُ النتيجةُ ، ان يُحسب على الحيواناتِ ، وقد تكون أنْ يُحسب على البشرِ الذين وقفوا صامِدين أمام الشهوات والرغباتِ فلم يسمحوا لانفسهم بالإنجرار وراءَ الهوى والرذيلة ، بل صَبروا واحتسبوا الأجرَ والثواب عند الله الذي لا يضيعُ عملَ عاملٍ من ذكر أو انثى .

أعِنّا على اجتياز الإمتحان

قد يمرّ الإنسان بظروف عصيبة تنزلق به عن جادة الصواب إلاّ إذا أعانه الله على ذلك وسهّلَ أمرَه في عبور الامتحان الصعبِ ، فقد ينجرُّ الإنسان وعلى اثرِ مشكلةٍ أو مصيبة شديدةٍ إلى الإقدام على عمل الحرام ، وكلما كانت المصيبة كبيرةً كلمّا كان الامتحانُ عسيراً ، فالصبرُ على الشدائد وتذكر مصائب الآخرين قد يهوّنُ بعضَ الشيء عنه ويتراجع عن عمَل المنكر .

استثمار المباحات يبتعد بك عن المحرمات :

ان الحياةَ الدنيا مكابدةٌ وجهاد ، فلا ينبغي للمؤمن ان يوطّنَ نفسَه على راحةٍ مطلقةٍ ، فالراحةُ المطلقة هناك في الجنة ، في الوطنِ الأبدي ﴿ في مقعدِ صِدقٍ عندَ مليكٍ مقتدر ﴾[12] .

نحن لا نقول بترك طيّب الطعامِ المشروط بحليّة ، بل على العكس فالمباحاتُ قد تُشغلُ الإنسان عن المحرمات ﴿ قل من حرّمَ زينةَ الله التي أخرجَ لعبادِه والطيباتِ من الرزق ﴾[13] وفي آية أخرى يقول عزّ من قائل ﴿ يا أيُها

---

(١١) سورة العنكبوت ، الآية : ٣ .
(١٢) سورة القمر ، الآية : ٥٥ .
(١٣) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

الرسلُ كلوا من الطيباتِ واعمَلُوا صالحاً ﴾[14] .

ان الله تبارك وتعالى اباحَ للإنسان استثمار النعم الطيبة والرزق الحلال ، ولكنه حرّم عليه ان يستفيدَ من هذِه النعم بشكل مبتذل ووضيع ، فلقد احلَّ الله الطعامَ وحرّمَ الإسرافَ واحلَ البيعَ والشراءَ وحرَّم الربا ، واحلَ معاشرة الحليلةِ «الزوجة» وحرّم النظرَ إلى الأجنبية ناهيك عن اللمسِ وما إلى ذلك مما يجرّ إلى تفتيتِ المجتمعِ البشري .

إن اكتشافَ المذياع والتلفاز عملٌ راقي والاستفادة منهما مباح ، اما استثمارُه بشكلٍ يبعثُ على الفسادِ وتخريب النفوس فهو بلا شك محرّم ، ولا ينبغي للمسلمِ أنْ يستخدمَ التلفازَ لأغراضٍ خلافَ العفّةِ العامةِ وإنْ فعلَ فقد خسِر الدنيا والآخرة .

مريم ويوسف حجج الله على عباده :

لا عذرَ للإنسان في يومِ القيامة لما أعطاهُ الله من تمييزٍ وحسن فترى الأسئلةَ تنهالُ عليه من كلِ حدبٍ وصوب أنْ: لماذا لم تكن مانعاً لنفسِك عما تريدُ وترغب

لقد جاءَ في بحارِ الأنوار الجزءِ الثالث ان النساءَ في يومِ القيامةِ يسألْنَ عما عملنَ من سوءٍ في الحياةِ الدنيا فيعتذرنَ عن أنَّ الجمالَ الذي حُبينَ به هو السببُ الذي جعلَهن يستعرضن محاسنَهن لغيرِ ما أحلَّ لهُن .

يقالُ ان مريمَ العذراء كانت جميلةً ولكنها كانت تلتزمُ النهجَ الإلهي في عدمِ استعراضِ محاسنِها على الآخرين لقوة الدينِ والإيمان الذي تمكن من قلبِها ونفسِها فجرَّ عليها لأن تصل إلى عليين .

---

(١٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٥١ .

أما بالنسبةِ للشبابِ فينبغي لهم أن يتذكروا يوسُف (ع) وما عُرِضَ عليهِ من عروضٍ تطرقَ اليها القرآنُ الكريم ولكنه امتنعَ وأبى إلاّ شرعة الله على الرغم من أنّه كان جميلاً وفتياً ، ومَنْ عرضت عليه هي الأخرى جميلةً وفتيّة .

فصبرُ يوسف حجّةٌ بالغةٌ على شبابِ هـذا اليوم ، والتـزام مريم العـذراء حجّةٌ على فتياتِ ونساءِ عصرنا الحاضر ، فالصبرُ والجهادُ يسموان بالإنسان إلى ارفعِ الدرجاتِ حتى ليظنّ المرءُ أنّه اقربُ إلى الملائكة منه إلى البشر .

ساعة الموت ، الشياطين والملائكة :

عالمُ الدنيا والطبيعة كما ذكرنا لكَ يتطلبُ مجاهدَة النفسِ ، فإذا لم تكن نوراً لن يسعفَك الحظُ من الـوصول إلى النـورِ « وإن لم تكن مسالمـاً لن تشمّ رائحةَ دارِ السلام » .

صدق أخي المسلم إن الإنسان على زمانِ الموتِ تحيط به الشياطين من كلِ جانب ينتظرون نزوعَ روحِه ليمضون بـه إلى جهنّم وان الملائكـةَ كذلـك تحيط به ينتظرونَه ليمضون به إلى العالم الأعلى عند العرشِ العظيم **﴿ إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴾**[١٥] **﴿ وانَّ كِتاب الفُجّار لفِي سجين ﴾**[١٦] .

---

(١٥) سورة المطففين ، الآية : ١٨ .
(١٦) سورة المطففين ، الآية : ٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا جَعلْنا ما علىٰ الأرضِ زينةً لها لنبلوَهم أيُّهم أحسنُ عَمَلاً ﴾[1].

كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون :

لقد أشرنا في السابقِ إلى أنَّ الحياةَ الماديةَ للإنسان على ظهرِ الكرةِ الأرضيةِ ما هي إلاّ مقدمة للحياةِ الأبدية بعد الموتِ ، فكيفية الحياة في دنيا المادةِ لها نتيجة ، وهذه النتيجة يمكن الحصولُ عليها بعد اجتيازِ قنطرة الموتِ التي تربط الحياةَ الدنيا بالحياةِ الأخرة فلو قُدر للإنسان أنْ يحيا حياةً حيوانيةً محضة فالنتيجةُ واضحةٌ وهي عدمُ الإلتحاق بالعالمِ الأعلى هذا فيما إذا كان التوجّهُ ، كلُّ التوجّه للمسائِل المادية الحقيرة والتعلق بالدنيا وزينتها إلى الحدِ الذي لا تتكون فيهِ علاقةٌ للنفسِ البشرية مع العالم الأعلى وحينَها تُصبح النفس غيرَ توّاقةٍ للعالمِ الأعلى وهنا تنتفي الحاجةُ لالحاقه بهذا العالم الذي لا يمكنُ ان يكونَ إلاّ من نصيبِ من له علاقةٌ خاصة به واشتياط ورغبة في اللحوقِ بالملكوتِ الأعلى ، فالنفس البشرية الفاقدةُ للعلاقةِ يعبِّرُ عنها القرآنُ الكريم

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧ .

بدقة فيقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ ولا يدخلون الجنّة حتى يلجَ الجُملُ في سَمِّ الخيـاط ﴾[٢] فالإنسـان الذي تعلّق قلبـهُ بهذِه الحياة الدنيا من مالٍ ومقامٍ فارقَه الحياء من الباري تعالى اسمه فهو يجري مثلَ الأطفال وراءَ الترّقي الزائف ، إنك لو نظرتَ إلى الطفلِ لرأيته يتشابه مـع هذا فهو في كلِ لحظةٍ له شكلٌ معين ، مرة يلعبُ واخرى يأكل يشدُّه اللعب وكـذا الأكل وإذا ما اصبح له من العمرِ ثلاثون أو اربعون وجدَ لعبةً اكبر لعبة الشهـوة ولعبـة الفساد الإجتمـاعي وقد لا تختصُ الشهـوةُ بالفـرجِ والبطنِ فحسب بـل تتعداها إلى شهـوةِ الحديث ، فهـو يتحدثُ حينمـا يقتضي الحالُ الصبـرَ على عدمِه ، انَّ نفسَهُ تنفصلُ عن قلبِه على حال العبـور من مرحلةِ الـطفولـة إلى ما بعدها من المراحل .

لماذا الشهوات ؟!

لماذا خَلَقَ الله المرأةَ الجميلةَ ، وكذا لذيـذَ الطّعـام ، و . . . و . . . . لماذا ؟ لماذا ؟!!

والجوابُ هو ما جاءَ في سورةِ الكهفِ حيث بيّن الخالقُ ذلـكَ في سورة الكهفِ حيث قال : ﴿ إنّا جعلنـا ما على الأرض زينـةً لها لنبلوهم أيّهم أحسنُ عملاً ﴾[٣] . إن هذهِ الزينةَ التي تتحلّىٰ بها الأرضُ والشهواتِ التي تُحيطُ بهـا هي وسيلة لإمْتحانٍ وتكميلِ الروّح البشريـة لكي يتبيّن فيما بعـد ايّهما يـذهبُ بصاحبِه اهي الشهوات والزينة أمْ الجنة التي وَعَدَ الله بها عبادَه ﴿ لنبلوهم أيهم احسنُ عملا ﴾ وقد ينجحُ الإنسان في هذا الإمتحان فيفوز بوعد الله وتبهر الحورُ العينُ عقلَه وليسَ النساء اللاتِ احتوتْهُن الحياةُ الدنيا .

أيّهما يذهبُ بعقلِك وقلبِك ، جنةُ الله في العالم العلوي ؟ أم هوى النفس

---

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٧ .

الذي يجرُّك بعيداً عن وعودِ ربِّ العالمين ، أهو قربُ الماديات ؟ أم هو قربُ العالَم العُلوي الذي سيجرُّك إليه ؟

الغرضُ من حديثي هذا هو أن زخارفَ الدنيا وزينتَها جعلَها الله تبارك وتعالى لكي يمتحنَ البشر ويبلوهم ليرى أيصبرون أم يجزعون وليسَ الغرضُ من ذلك ان يتصاغرَ الإنسان أمامَ الجمال والمال والمقام ويتعلق بعالم الحياةِ الدنيا ويتهاوىٰ ادراكُه إلى الأمورِ الجزئيةِ التي تبتعدُ به عن عالَم الحياةِ الأُخروية ﴿ قلْ مَنْ حرَّمَ زينةَ الله التي أخرجَ لعبادِه والطيبات من الرِّزق ﴾[٤] ، فالتلذذ بالمباحِ لا إشكالَ فيه أو عليه ، ولكن التصاقَ القلب وتعلقَه بحيث يعمى الإنسان فلا يرى إلاّ هذه اللذائذَ فإنّه من المشكلاتِ التي تنحرفُ بالإنسان إلى قساوةِ القلب والإبتعاد عما يذكره بالآخرة وبالموتِ وبيومِ الجزاء ، فالاشتياقُ والتعلقُ ينبغي أن يكونَ لله وفي الله « اللّٰهُمَّ اجعلني اشتاق إلى قربك في المشتاقين وادنو منك دنو المخلصين »[٥] » فيا أيّها المسلم : اعملْ بالمباحِ ولا تنسَ ذكرَ الله تباركَتْ اسماؤه » تلذَّذ بالطعام الشهي ولا تغفلْ عن الاشتياق إلى طعامِ الآخرة اجعلْ قلبكَ يتعلقُ دائماً بعالم الأرواحِ ، عالمِ الغيب واخلَعْ عنه حبَّ الدنيا وزينتها ، عليكَ ان تتساوىٰ عندَك الجلسةُ على الحرير أو على الأرض وكن مرناً من حيثُ وجود الشيءِ أو عدمه وهذا لا يتأتى طبعاً إلا بإدراكٍ وفهمٍ لا يخلو من معرفةٍ لحقارةِ هذا العالم وعظمةِ ذلكَ العالم .

الجزع نتيجة حتمية لعدم إدراك عظمة الآخرة :

﴿ وللآخرةُ اكبرُ درجاتٍ واكبرُ تفضيلا ﴾[٦] ؛ ما العملُ إذا انزعَجت ،

---

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

(٥) دعاء كميل في مفاتيح الجنان المعرب ـ للشيخ عباس القمي ـ دار احياء التراث العربي ص٦٧ .

(٦) سورة الإسراء » الآية : ٢١ .

تتجرعُ الغصصَ الدنيويةَ وتشتاقُ إلى العيشِ فترةً أطولَ ولديكَ الأموالُ ، لقد وصلَ بكَ الأمرُ إلى الإنزواءِ فلا حديث ولا بسمة ، اقل الأمور تُخرجُك عن طورِك فلا صبرَ ولا تحمل ولا طاقة تحتوي الصبرَ لأنك لم تفهم ولم تُدرك عظمةَ العالم العُلوي ، ولو قُدّرَ لكَ ان يكونَ العالم الذي على مدِّ بصرِك مليئاً بالخردلِ واقتضى الأمرُ أنْ تعدَّ حباتِ الخردل هذه حبّة حبّة وقضيت ملايين السنين في العدّ فان ما قضيت من العمرِ علاوة على ملايين حبّات الخردل لا يمكن ان يقاس بأزلية الحياة بعد الموتِ ؛ كم من السنين يمكن العيشُ في هذه الدنيا ؟ فإن قلت «١٠٠» عام فبعدَه الموت ، فالحياةُ التي تطول «١٠٠» عام لا تتناسب مع الحياةِ الأزلية وان نسبتَها كنسبةِ الخردل الى الفضاءِ الذي لا نهايةَ له

إذن ، لا ينبغي للإنسان ان يتعلقَ بحياةٍ لا تتعدى المائة عام ويتركَ حياةً أبدية دائمة .

لا قيمة لدارٍ والعمر «٧٠٠» عام : .

عند عبورِ نبي من الأنبياء احدىٰ المدن رأى عابداً تحتَ الشمسِ مشغولاً بالعبادةِ فجلسَ إليه وسأله : كم لكَ من السنين وانت هنا ؟ فأجابَ : ما يقاربُ المائة عام ؛ فقال له : لماذا تفترشُ الأرض وتلتحفُ السماء اما كان حريٌّ بك ان تتخذَ لنفسِك بيتاً يظلُّك يحفظُك من حرِّ الصيفَ وقرّ الشتاء .

قال : على اوائل عمري وصلَ لي خبرٌ من أحدِ الأنبياء بأني لن اعيشَ اكثرَ من «٧٠٠» سنة ، وعند مراجعةِ حساباتي تبيّن لي ان لا قيمةَ لإقامة دارٍ مع عمر يطولُ «٧٠٠» سنة حينها تبسم النبيُّ وقالَ : ان البشرَ في آخرِ الزمّان يستعملون الحديدَ والحجرَ في بناءِ بيوتِهم على الرغمِ انهم لا يَعيشون اكثرَ من «١٠٠» سنة ، فقال العابدُ مقاطعاً : لو قُدِّرَ لي ان أعيشَ في آخرِ الزّمان لأنهيتُ المائة عام بسجدةٍ واحدة .

وفي الواقعِ ان «٧٠٠» عام كثير في حساباتِك هذه الحسابات هي

حساباتُ الحياةِ المادية حياة الذرة ولا يمكن ان تُقاسَ الحياةُ المتناهيةُ بالحياةِ اللا متناهية ، إذن بعد الموتِ توجَدُ حياةٌ تنتظرك لا نهايةَ لها ولا آخر ، ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾[٧] انها تتجاوز حساباتك التي لا تتعدى الف ومائة الف ومائة مليون سنة .

ما دمتَ اخي المسلم تحيا على هذِه الكرة الأرضية ، لا ينبغي لك أن يكون ادراكك ضحلاً ووضيعاً ، تجزع بسرعة وتفرح لاتفه النتائج الإيجابية ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لعبٌ ﴾[٨] ، عليكَ ان تُدركَ أيُّها المسلمُ انَّ الحياةَ الماديةَ متناهيةٌ لا محالة .

يقول الرسول الأعظم (ص) : « . . ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء »[٩] ؛ تأتي بعض الأحيان ترى الإنسان ينفعلُ ويرعد ويزبد من أجلِ لا شيء ، إنَّكَ تعرفُ أصلَ الحياة الدُّنيا ، فالبقاءُ فيها محدودٌ ومحكومٌ عليه بالموتِ فلِمَ هذه الضجة التي تثيرُها هنا وهناك ، وما هي الضجةُ وما قيمتُها تلكَ التي يُثيرها الآخرون حولَك ؟ إصبر فإنَّ الصبرَ يجعلُ منكَ إنساناً سامياً راقياً لذا عليك اجتناب ممارسة المعاصي لأنَّك لو ابَحْتَ لنفسِك ذلك لتباعَدت عن رضا الله ولتصاغَرْتَ ولقسىٰ قلبك .

لا ينبغي للمسلم أن يضطرب قلبُه في المصائب :

لا يستلزم ان يضطرب القلبُ تبعاً لإضطراب النفس ، فما اصابَ النفسَ لا يجدرُ أنْ يؤثِّرَ على القلبِ وإذا كان الأمرُ تأثراً بالمتأثرِ فان القلبَ في خطر ،

---

(٧) سورة النساء ، الآية : ١٢٢ .

(٨) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤ .

(٩) سفينة البحار ، الشيخ عباس القمي دار المرتضى ـ بيروت ـ ج١ ص٤٦٥ .

لذا ينبغي السيطرة على هكذا أمور لأنَّ في اضطرابِ القلب اضطراباً للإيمان الساكن فيه ، وإذا ما تهاوى الإيمانُ واضمحلَ ولم تَفْهَم بذلك فالمصيبةُ كُبرى كمثلِ الذي سُرقت أموالُه وهو لا يعرفُ وعندَ المعرفةِ تضطربُ النفسُ فتؤثرُ على القلبِ ، ولكنَّ حقيقةَ الأمر وجوهرَها تكمُن فيما لو أنَّ النفسَ اضطربت ولكن لم تسمح لها ان تأثر على القلبِ ، أو اكثرَ من ذلك وهو عدمُ اعطائِك أهميةً تُذكَر للبليّة التي اصابتك أو المصيبةُ التي لحقَت بك فإنك حينَها تكبرُ وترقى نتيجةَ ترفعك عن الاهتمام بهكذا توافِه أو بزينة الحياة الدنيا وعندها لن تتأثر النفسُ ولا القلبُ ولا الإيمان الساكن في القلب .

الشيخ الأنصاري والثريد :

عندما دعا احدُ تلاميذِ الشيخ مرتضى الأنصاري استاذه إلى وليمةٍ في دارِه وكان قد هيّأ لهذا الأمر ثريداً ومرقاً ، وحين صبِّهِ للمرقِ على الثريد سقطَ إناءُ المرقِ من يديهِ على الأرضَ فاغتمّ لذلك ، ولكن الشيخ الأنصاري ـ رحمة الله عليه ـ سارعَ إلى تخليةِ إناءٍ ثانٍ من المرقِ وصبّه على الثريدِ قائلاً: أنّنا اردنا ان نخلط بين الثريد والمرق للأكل والتشبعِ ولا نريدُ ان تتأثرَ او تغتمَ وانها مسألةٌ طبيعيةٌ جداً ، وبهذه العبارات استطاعَ الشيخ الأنصاري أن يُبعدَ الهمَّ والغمَ وان يُعيدَ تلميذَه إلى وضعهِ الطبيعي غيرِ المضطرب .

فعلاجُ النفسِ التي ترومُ الإضطراب ، علينا ان نصبرَ ولا نجعل للجزع الينا من سبيلٍ ، وخلاصةُ القول علينا أنْ لا نجعلَ القلبَ الحاويَ للإيمان يتأثرُ بتأثرِ النفس فتتقطعُ حبالُ الوصلِ بالآخرة ، فالوطنُ الأصلي هناك بعدَ الموت ، والجزع على مالِ الدُّنيا الفانية لا يؤدي بنا إلاّ إلى مصيبتين أولاهما: ذهابُ المالِ ، أو حدوثُ البلية أو المصيبة وثانيهما: نفسُ الجزع هو مصيبة فلا بأسَ ان تكونَ المصيبةُ واحدة وهو ذهابُ المال أو أي بليةٍ قد تُصيبنا ، اما الجزعُ فلنتركهُ جانباً ونرضى بقضاءِ الله وقدره ونصبرُ على ذلك للحصول على أجرِ

وثوابِ الصابرين .

﴿ وبشـر الصابـرين . الذين إذا أصـابتهم مصيبّة قـالوا إنـا لله وإنا إليـه راجعون ﴾[١٠]

(١٠) سورة البقرة ، الآية : ١٥٥ ـ ١٥٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

صبر

قال الإمام الباقر (ع) : من صبَر واسترجعَ وحمدَ الله عنـدَ المصيبةِ فقـد رضي بمـا صنعَ الله ، ووقـعَ أجرُه على الله ، ومن لم يفعـلَ ذلك جـرىٰ عليه القضاءُ وهو ذميمٌ وأحبطَ الله أجرَه»[1] .

بالادراك الجزئي تدرك اللذة الكلية :

إن المراتبَ والمقاماتِ التي ينالُها الإنسان في عـالم الطبيعـة هذه والتي تعتبر بمثابةِ مقدمةٍ للحياة الآتية هي نتيجة حتمية لصبرِه.، وكلمـا زاد في مقدارِ الصبر كانت النتيجةُ أفضلَ واحسن ، فالإنسانُ الذي يتصورُ أو يظنُ انه يشم ريحَ الجنة بدون صبر ، مخطىء ، فالقربُ والدرجاتُ الساميةُ التي وعد الله بها عباده يستحيل نيلُها بدون الصبر .

فـي روايــةٍ عن أمـيــر المـؤمـنين عـلي بن أبـي طــالب (ع) ذكــر أن رسـول الله (ص) كان يقـول : «ان الجنـة حُفت بـالمكـاره ، وان النـار حفت بالشهوات »[2] .

---

(1) بحار الأنوار ـ للشيخ المجلسي . طبعة مؤسـسة الوفاء ـ بيروت ج٧١ ص٩٦ .

(2) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغـة ـ مؤسسة النشـر الإسلامي ـ الخـطبة ١٧٦ ـ ٢ ص٦٠ ـ ٦١ .

فالحديثُ عن الصبرِ حديثٌ ذو شجون ، واذا لم يتأتَ للإنسانِ ان يتسلّح بالصبرِ لن يتمكنَ من بلوغِ المقامات الرفيعةِ التي كثيراً ما تطرقَ القرآنُ الكريمُ إليها ، وهذا التهيؤ هو التسامي عن عالمِ الحيوانية والقفز عليه إلى عالمِ الإنسانية المترفع عن عبادةِ الشهوات والأموال والنساء ، وتجاوز عالم الدنيا الدنية بالادراكِ والفهم سيراً على جادةِ الصواب لبلوغِ العالم العلويّ الذي لا يُنال إلاّ بالصبرِ على المكاره .

لا ينبغي للمسلمِ ان يتصاغَرَ أمام المغرياتِ ويبقى عند الحدودِ الحيوانية كمثل الطفل الذي سُلبت منه لعبة أو أكلة فتراه يجزَعُ ويفزع لعدم وجودِ الصبر فهو صغيرٌ بعمرِه وبعقله ، أما إذا تجاوزَ الإنسان بسنه الأربعين وهو لا يزال على هذه الحالة فهو لم يكبر بعد انما الذي كبُر عمره وليس عقله وادراكُه على الرغمِ من أنَّ المفروضَ عليه ان يتعدىٰ حدودَ الطفولةِ ويترفعَ عن كلِ الأمور الدنيوية الزائلة لا محالة .

لا تعدل الدنيا جناح بعوضة :

أيها المسلمون : هل سمعتم حديثَ الرسولِ الأعظم (ص) الذي يقول : « . . ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء[٣] .

ان الحياةَ الدُنيا لا وزنَ لها يُذكر ولا قيمةَ إذا ما قيست بالعالمِ العلوي ، فالإنسان الذي يُدرك ما في الآخرة تصغُر وتتضاءل في عينه الحياة الدنيا .

يقول احد الشُعراء ما معناه : إنَّ الدنيا وما تحتويه من زينة وتجملات لا قيمة لها عند الله في الوقت الذي تأسُرُ قلبَك بعضُ زينتها وتُلهيك عن ذكر الله وذكر الآخرة والجنةِ ولكن عندما تقتنع انتَ او يقتنع قلبُك بأن ما فيها زائل وان

---

(٣) سفينة البحار ـ الشيخ عباس القمي ـ دار المرتضى ـ بيروت ج١ ص٤٦٥ .

زينتها وهمّ حينَها تتجهُ إلى حيثُ البقاء وحيث الحقيقة ، « فقلبُ المؤمنِ عرشُ الرحمن » كما في الأثر عليك اخي المؤمن ان تصلَ إلى الحدِّ الذي لو ذهب كلُ شيء في الدُّنيا من يدك ناهيك عن تكالبِ الامور عليك ، إدراك عدم وجود قيمة حقيقية للدنيا الدنية بل وانَّ الذي فيها من زخارف وتجملات هو امر موهوم ولا وزنَ له .

وقد قالت الرواياتُ المتواترةُ بتمنّي المذنبين الذهاب إلى جهنم بسرعة حين الحساب لشدةِ ما يتنابهم من خجلٍ شديد وادراكٍ لضحالةِ ما كانوا فيه في الحياة الدنيا من ترف موهوم وبقاءٍ مزعوم : فالإنسان الذي لا يُدركُ القيمةَ الحقيقية للاخرةِ لا يمكن أنْ تكون الدنيا في نظرِه إلّا عظيمة وقيّمة ، فعلو شأنك يتأتى من إدراكِك واكبارِك للحياة الآخرة ﴿ قل هو نبأٌ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾[4]

إذا جزتُ الصراط . . .

في خبر على زمانِ ولايةِ سلمان المحمدي للمدائن ، يقال : ان منافقاً قال لسَلمان : أيُّهما افضل لحيتُك البيضاء أم ذيل الكلب ؟! فأجابَه سلمان رضوان الله تعالى عليه بكل برود وبدون إثارة ضجّة : لو قُدِّر لي أنْ اجتاز الصراطَ يومَ القيامة فان لحيتي أفضل ، ولو هويت في النار ولم اكمل الإجتياز فذيلُ الكلب افضل .

لقد كانَ سلمان المحمدي إنساناً كيّساً ، عاقلاً ، رزناً عَرفَ كيفَ يجيب هذا المنافِق الوضيع ؛ لم تكنْ الدنيا عنده قيّمة بل كان فكرهُ وعقلُه وقلبُه يبحث دائماً عن حكاياتِ الآخرة والقيامة والصراط المستقيم ، انه يتغافل ويتناسى الدُّنيا الدنية بل ويراها صغيرة وتافهة ؛ فالإنسان الكبيرُ تكبرُ في عينِهِ الآخرة

---

(٤) سورة ص ، الآية : ٦٧ ـ ٦٨ .

والحقيرُ تكبرُ في عينهِ الدُّنيا الفانية الزائلة .

إذا اردتَ أنْ تُصبح كبيراً عليكَ بالفرار من المقام الدنيوي الذي يحسبونَه كبيراً واستفد من إدراكِك وفهمِك ، قوِّه على طريقِ الوصول ، والتقويةُ هذه تتأتّى من الصبرِ الذي بيّن كيفيته اميرُ المؤمنين (ع) في خطبةِ همام حيث قال « ارادتهم الدنيا فلم يريدوها » .

أيها الشبابُ الأعزّاء اصبروا ، فإذا ما اصبحتم من أهلِ الصبر فعلىٰ زمان الشيخوخة يترسخُ هذا الصبرُ ويؤدي بكم إلى جوازِ الصراطِ بسلامةٍ وأمان ، واما إذا كان العكس وتهورتم ـ لاسمحَ الله ـ فلن يكونَ هناك حتى رائحة الصبر على أيامِ الشيخوخة .

قاومْ أيها الشابُ المسلمُ واصمُد حين تطلبُك الدنيا ولا تكن متهاوناً في هذا الأمر فالنفسُ تتربىٰ وتتأدب وتتعلم ، والشهواتُ يمكن تأجيلُها ليتسنىٰ لكَ الفوز برضا الله تبارك وتعالى : لا تكن ممن تستهويهم الشهوات وتأسرهم ، اكسر طوقَ الأسر هذا وكن من الأحرار وكما يعبّر الأمير عليّ (ع) عن ذلك فيقول « وأسرتهم ففدوا انفسَهم منها »[٥] .

اغلال من الملكات والسلوك :

يقول ابن ميثم في شرحهِ لجملة « أسرتهم (الدنيا) ففدوا أنفسهم منها » تعبيرٌ عن الصورةِ الملكوتية واضفاء صفة الأغلال على تبعيةِ النفسِ للقلب ودوران النفس حولَ القلب ويتطرّق القرآنُ الكريم إلى هذا النمطِ من الحديث فيقول : ﴿ إنّا جعَلْنا في اعناقِهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمَحون ﴾[٦] .

---

(٥) المعجم لفهرس اولفاظ نهج البلاغة ـ مؤسسة النشر الإسلامي الخطبة ١٩٣ ـ ٨ ص٧٢ .

(٦) سورة يس ، الآية : ٨ .

ان للهوىٰ اسراراً وخفايا لا يمكنُ ان تُدرَك بسهولة من مثلِ : البخل ، الكبر ، الحسد ، الحرص ، سوء الظن ، حب الدنيا ، طلب الراحة ، حب الذات ، العجب فالجري وراءَ كل واحدٍ أو كلٍ من هذه الأسرار أو الخفايا غلّ ، وفي النتيجةِ لا يفهم ولا يرى ولا يميِّز الإنسان في هذه الحالةِ الجري الحسن من السيء ، وبالتالي يتداعىٰ الأمر إلى عدمِ الإدراك وبذلك يضحى اسيراً على الرغم من أنّه ينبغي له أن يكونَ حرّاً ، حرَّ النفس والهوى لا تتحكمُ به وبقلبه الشهوات .

المؤمن حرّ عزيز :

كن حرّاً لتلتحق بالرجالِ الأحرار .

جاء في اصولِ الكافي عن رسول الله (ص) أنّه قال : «ان الحُر حرٌّ على جميعِ أحواله ، ان نابَتْهُ نائبة صبَر لها ، وان تداكت عليه المصائبُ لم تكسِرْه وان أُسِرَ وقهر واستُبدل باليسرِ عسراً »[٧] ، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ ولله العزّةُ ولرسوله وللمؤمنين ﴾[٨] .

يجب على المؤمنِ ان يكونَ عزيزاً وحرّاً غيرَ ذليل ، عزيزَ النفسِ والهوى ، ولكن البعضَ تراهم يتهاوون من اجلِ حفنةِ دنانير لأنهم اذلّاء لا يتسنى لهم السيطرة على انفسهم السنتهم بطونهم ، او اعضائهم من اجلِ الفوز بثمن بخس ، اسرتْهُم الدنيا فهم لا يعرفون ما يدور في خارجها ، لكنَّ المؤمنَ المتّقي حرَّر نفسَه وأدبَّها وصدَّها عن الإنغماس في ما تشتهي وتُريد ، ولَنا عبرةٌ في يوسف على نبينا وعليه السلام .

لقد كانَ يوسُف حراً منذ البديةِ وحتى النهاية ، رموه في البئرِ فكان حرّاً ،

---

(٧) سفينة البحار ـ الشيخ عباس القمي . دار المرتضى بيروت ج٢ ص٤ (باب الصبر) .
(٨) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

وخرجَ منه وصارَ إلى حكومة عزيز مصر وكان حرّاً ايضاً ، أبى أن يقع في شرَك زُليخا لأنّه كان حرّاً ، وكذا كان في سجنِ مصر ـ الهي نجّنا من شرِ انفسنا ولا تجعلّنا نـركنُ إلى الشهـوات ، اجعلنـا ممن يتعـالـون على الهـوى ، هـوى النفس ـ ، عجباً لهذا الشابِ الذي كان اسمُه يوسُف ، كان جميلاً وفتيّاً وكـذا المرأة التي حاوَلت ايقـاعَه في حبـائِلها فهي جميلةٌ وذات جـاه ومقام فلو قُـدّر ليوسُف أن يوافقَ هواه لكان نصيبُه من الدنيا الرئاسة والمال والمقام ، لقد هددته زُليخا بالسجنِ إن لم يُطع لها أمراً ولكنّه فضّلَ السجنَ على دعوتها ، ﴿ **قال رَبِّي السّجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعونَني** ﴾[9] .

يقال ان يوسُف (ع) كان يتلقىٰ من العذابِ يومياً علاوة على سجنِه مـائة جلدة . ﴿ **فـاولـئـكَ الـذينَ أنعَم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشُهـداء والصالحين وحسُن اولئك رفيقا** ﴾[10] ، لقد كانَ يُوسُف (ع) شاباً سامياً رفيـعَ المستوى لا يتأثرُ بالزينةِ الدنيوية والشهواتِ المنتهية إننا نحن الذين نجري وراءَ الشهوات جارّين على انفسِنا الذُلَّ والهوانَ لا نتناهى عن المالِ الحرامِ ولا عن النظرةِ الحرام ولا عن . . . ، علينـا ان نصبرَ ونجـاهـد هـذه النفسَ الأمـارةَ بالسوء ، ونتحملَ المشاقَ والصعابَ وتأجيلَ الشهوات لكي نرقى ولو إلى درجةٍ من الدرجات الكِثار التي جازَها يوسف (ع) .

إذا لم يـذق الإنسان مـرارةَ الصّعاب لن يتيسّـر لَه الحصـولُ على الكنـزِ الثمين .

فبالرغباتِ والشهواتِ لن يتمكنَ الإنسان من الفوز بنصيب يسرُّهُ ﴿ **وجعلنا منهُم أئمةً يهدون بأمرنا لمّا صبروا** ﴾[11] ، إن الكمال والسمو والرفعة تأتي من

---

(٩) سورة يوسف ، الآية : ٣٣ .

(١٠) سورة النساء ، الآية : ٦٩ .

(١١) سورة السجدة ، الآية : ٢٤ .

كثير صبرٍ على هوى أو على شهوةٍ ، فالحرية الحقيقية هي عدم الإرتباط بالرغبات والشهوات بل يمكنُ اعتبارها سلسلة تطوقُ الإنسانَ لتجعلَ منه اسيراً لها ؛ فحريٌ بك اخي المؤمن ان تكسرَ هذه الأغلال وهذه السلسلة لتتحرر من الأسارة لها ، وهي مقدمة طيبةٌ للسموِ والرفعة والنموِ الفكري .

ملك الدنيا وذهابه اطارٌ واحد لصورتين :

يقول الرسول (ص) ما مضمونه: « أخوف ما أخاف على أمتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون » .

هذا الحديثُ الشريفُ يشجّعُ الإنسانَ العاقلَ على الإنفصال عن العلاقةِ بالمادةِ من خلال تربية النفس وتدريبها على التعلقِ بالآخرة وعدم إعطاء الدنيا وما فيها من ماديات اهمية تذكر بل ينبغي منحُ الحياة الآخرة أهمية بالغة لأنها هي الوطن الأصلي للإنسان ، فإذا ما تسامى الإنسان وترفّع عن الماديات تقدّم بخطواتٍ واسعةٍ نحوَ الحياةِ الآخرة ناهيك عن عدمِ الإغتمام والتأسفِ على ما في هذه الدنيا الدنيّة .

إن الإنسان ليكبُر حينَما تمتدُّ جذورُ تعلقِه بالحياة الآخرة وتجفُ جذور تعلِقه بالدنيا وزينتها ، فعندما يُدركُ الإنسان ويتيقن بِنعَم الآخرة وما فيها من الثواب والأجر الجزيل تتهاوى الحياةُ الدنيا بعينه وتُصبح عديمة الأهمية وعلى العكسِ من ذلك فالذي يتعمقُ بحبِّ الدنيا تضحىٰ الآخرة عنده غيرَ مهمّةٍ ولا قيمَة لها .

جاء في اصول الكافي حكاية عن خبرٍ تقول: عندَ خروجِ اميرِ المؤمنين علي (ع) من المسجد في يومٍ من الأيام وإذا بشخصٍ يلتقيه وقد اخذَ التعبُ والنصبُ منه كُلَّ مأخذ ، حائراً ، مضطرباً فسألَه الإمام (ع) : ما الخبر يا اخا العرب فأجاب : مات ابي وامّي واخي في حادثة ، وانا اخافُ الموت تأثراً عليهم ؛ فقالَ له الإمام : اصبر فإنك لاحقٌ بهم لا محالة ، اوتظن أنّكَ خالد ؟

أيها الشابُ المسلمُ : اقولُ لك ايضاً إنكَ ذاهبٌ من هنا فهذا المكانُ وما فيه زائل ، وإذا ما صبَرت واحتسبتَ فأجرُك على الله ، إن الله لا يضيّعُ أجرَ من عملَ عملاً صالحاً .

كثيرةٌ هي الأحاديثُ التي تتناولُ الصبرَ ، وقد جاء في كتاب اصول الكافي «٢٥» حديثاً عن الصبر ، ناهيك عن باقي الكتب التي تتناولُ الصبرَ والصابرين .

كان ابن المفضل ممثلاً للإمام الصادق (ع) في الكوفة فمات : فبعثَ الإمام الصادق (ع) كتابَ تعزيةٍ إلى المفضل وقال لسماعةَ بن مهران اذا وصلْتَ الكوفةَ فقُل للمفضل ان ابني اسماعيل ماتَ أيضاً ؛ وقد عنى الإمام (ع) بذلك ان الدّنيا عارية وفانية وان الله قاهرٌ عبادَه بالموت فاصبر .

الشخص أو المال أحدهما يذهب قبل الآخر :

جاء في أصولِ الكافي ان سَماعةَ بن مهران أفلسَ بعد ان كان تاجراً ثريّاً ، فجاءَ إلى مكة وكما هو عهدُه كلَّ عام ثم عرجَ على الإمام الصادقِ (ع) في المدينةِ فسأله الإمام (ع) : ما سببُ عدم مجيئك للعامِ الفائت ؛ فأجابَ: ياابن رسول الله (ص) ان الدّنيا أعرضَت عنّي فذهَبت اموالي واصبحتُ مديناً لهذا وذاك فقالَ له الإمام (ع) ان تصبر تُغتبط وإنْ لا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أو كارهاً»[١٢] .

إن الهدفَ من هذا الحديث هو تذكيرُ نفسي وإياكم بالصبرِ علّنا نحظى بسهم من صبرٍ يريدُه الله لنا ان شاءَ لكي نحفظَ قلوبَنا سالمةً ونرقى إلى مقام الصابرين الصالحين الذين سبقونا إلى الإيمان .

إن عظيمَ صبرٍ هو ما صبرَه الإمام عليّ (ع) حتى وصف صبرَه على حد

---

(١٢) سفينة البحار : الشيخ عباس القمي ـ دار المرتضى ـ بيروت ج٢ ص٥ .

قوله : « فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً »[١٣] .

إن صبرَ الإمام علي (ع) كان فوقَ التصوّر فيدُه التي حَمَلت السيفَ بخيبر هي نفسُها التي أطاحَت بسيف عمر بن عبد ود العامري من اجلِ مرضاةِ الله ولكنّك لو تـراهُ وقد اشعلوا النـارَ في بيته وهـو لا يُحرّك سـاكناً لعجبتَ لصبـره ولشككتَ في قُدرته ، كلا ، والفُ كلاّ فهو الشجاعُ البطلُ فامامَهُ تفـرّ الرّجـالُ ولكن الأمرَ يختلفُ هنا إنّه الصبرُ والخوفُ على الإسلام .

(١٣) نهج البلاغة/ ضبط نصه : الدكتور صبحي الصالح ص٤٨ طبعة بيروت الصغيرة الحجم .

« يقين »

بسم الله الرحمن الرحيم

اليقين ، الركن الثاني للإيمان :

نرجع إلى حديث أميرِ المؤمنين علي (ع) الـذي سبقَ وأنْ تطرَقنـا له في الجـزءِ الأول من كتاب الايمـان حيث يقـول: إنّ الإيمـانَ يـرتكـزُ على أربعـةِ دعـائم : الصبـر ، اليقين ، العـدل ، والجهـاد وقـد اسهبنـا في الحـديثِ عن الصبر .

أما اليوم فنبحث في الدعامةِ الثانية وهي اليقين فالإيمان موقوف باليقين ، فعندَ عدم اليقين بوصولِ سيارةِ الأجرة إلى بيتك فلا إيمان يحصل بالوصولِ ، فعدمُ اليقين بالعوالم الإلهية الغيبيةِ التي تبتعدُ بالإنسان عن الإضطراب والتزلزل لا يمكنُ أنْ يتأتىَ الإيمان الذي يبعثُ على السكينة والهدوء .

ومن أجلِ معرفةِ اليقين ومراتبـهِ وما يتعلقُ بـه ومن ثم حصولِ اليقين ، وبعد ذلك زيادته ؛ فستجد ذلك تفصيلاً في هذا الكتاب شريطة ان تقرأه بقلب سليم وتتمعن بـه ؛ وهنا نتـطرقُ بشكلٍ مختصـر إلى معاني ومـراتب وحصول اليقين من خلالِ اشارات بعضِ العلماء إلى ذلك .

اليقين هو الاعتقاد الجازم :

في البداية نذكرُ بعضَ اقوالِ العلماء بصدده اليقين فاليقينُ : هو الإعتقاد الثابتُ المطابقُ للواقعِ ، وعنى بثباتِه عدمُ ذهابِه بين الفينةِ والأخرى ، فالبعضُ منكم يعتقدُ اعتقاداً راسخاً بمكةَ على الرغم من عدم ذهابكم إليها ولكن السماعَ الكثير عن مكة جرّكم إلى اليقين بها بشكلٍ لا يمكن حرفكم عن هذا الإعتقاد حتى في احلكِ الظروف .

اليقين : واقعٌ أو حقيقةٌ نادرة ، فعندما يحصُل اليقينُ بالله « بالمعادِ ، بحسابِ اليوم الآخر » بالجنةِ والنار يستحيلُ تزلزلُ هذا الاعتقادِ او التشكيك به ولذا كانَ من المفروضِ على الإنسانِ ان يصلَ الى مرحلةِ اليقين بالعقائد الحقّةِ التي يستحيلُ معهَا الضياعُ والولوغُ في جادةِ الشك وإذا ما اتفقَ ان رافقَ الشكُ بعضَ الإعتقاد فإن اليقينَ منذ البداية لم يتمّ لأنّ حصولَ اليقين لا يُمكّن صاحبَه من التشكيكِ في عقيدةٍ من العقائد ، وبعبارةٍ اخرى يُمكنُ اعتبارُ الشكِ في هكذا أمور شكاً عرضياً بل إنَّ الإيمانَ بالعقيدة الفلانية بشكلٍ إجمالي كان تقديرياً .

لقد اشارَ القرآنُ المجيدُ الى مراتبِ اليقين في بعض السورِ الشريفة فقد جاءت عباراتُ علمِ اليقين ، وعينُ اليقينِ وحقُّ اليقين بشكلٍ واضحَ وصريح ، اما اليقينُ التقليدي فشرَحه من على منبرٍ فلا فائدةَ منه بشكلٍ عام ناهيك عن أنَّ الذينَ يرومون معرفتَه قلّة .

كفاية الظن الإطمئناني :

الشيء الموجود يكفيه ان نقولَ به منذ البداية ـ وغير معلوم وصولُنا إليه في بداية الأمر ، ومرتبة اليقين تلك التي تعرّضَ لها الشيُ الأنصاري (ره) في بحثِه ظن الفتوى وهي :

مهما بدا من الأدلّة الوضوح في وجوبيةِ تحصيل علمِ اليقين على

المكلفِ ، والسعي لإيصال نفسِه إلى هذا العلم فالظنُّ الإطمئناني كافي ومجزي ، لأنَّ تحصيلَ علم اليقين مسألة عَسيرة ومحرجةٌ في نفس ِ الوقتِ عندنا من الدلائِل ما يشيرُ إلى أنَّ اليقين قليلٌ وعزيزٌ وأنّه في المجتمع الإسلامي نادر ، بل إنّه كالكبريت الأحمر ؛ لذا لا ينبغي استساغة الشكِ في مسائل القبر ، الجنة والنار ، الميزان والصراط بل المفروض ان يحصُل الإطمئنان الكاملُ بها من خلالِ البحث أو التعلّم ِ من علماءِ الدين الأعلام والوثوق بهم الى درجةٍ يصلُ معها إلى اليقين ـ ان «الإذا» إذا دخلت على أنَّ الله كريم فاعلمَ أن «الاذا» هذه كفرٌ والحاد » عليكَ ان تطمئنَّ بوجودِ شيءٍ قطعي من مثل ِ القيامةِ والحسابِ والكتاب والصراط والعقاب وما إلى ذلك وإذا ما قام الناسُ خلافاً لما تقولُه من اطمئنانٍ بما ذكرنا ، فاصمُد على ما انتَ عليه من اعتقادٍ بمقام ِ علم ِ اليقين ، وواقع الأمر ان مقامَ علم ِ اليقين من المشكلات .

لكن الوصول إلى مقام ِ الظن الإطمئناني وببركة القرآن المجيد والموعظة والصبر ممكن ﴿ **هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين** ﴾[1] والظن الإطمئناني هو ظنُّ الخير بالقضية الفلانية وليس ظنَّ السوء » فظنُّ الخيرِ لا يعتريه الشكُ ابداً .

يحتاج الظنُّ الإطمئناني دائماً إلى حركةٍ ومتابعة ، وكذلك يحتاج إلى دعاءٍ مثلما تدعو دائماً من اجل دنياك ومن اجل ِ صلاح حالِك الدنيوي ، اطلب من الباري الإيمان وحدِّث نفسَك بعدميّة قيمة الحياة الدنيا فكلُ شيء مقدرٌ ومحسوبٌ ولا يمكن ان يتجاوز الإنسانُ ما قُدّر له كثيراً كان أو قليلاً ، والويلُ والثبورُ لذلك الذي لا يقينَ له والفاقد لليقين فاقدٌ للإيمان وخسارة كبرى في الدنيا والآخرة ، فاحفظ ايمانَك اخي المسلم ولا تجعله يتمايل مع الشكوكِ والريب وخصوصاً في اصول ِ العقائد والمعارف الإلهية وكن دائمَ السعي لأن

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

تحصل على اعلى مراتب اليقين .

الفطنة من مستلزمات الايمان :

جميل هو كلام الإمام امير المؤمنين علي (ع) وكم هو لطيفٌ طريقُ الوصول إلى اليقين ؛ يقولُ الإمام (ع) « واليقين على اربع شعب : تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة وسنّة الاولين » .

الفطنةُ من المستلزمات الضروريةِ للمؤمن ، فعند التعامل مع الآخرين ينبغي للفطن ان يستشيرَ ذوي العقولِ ويبحث في الأمرِ هنا وهناك ومن ثم يُصمم على التعاملِ مع فلانٍ أو فلان هذه تسمى فطنة : والفطنةُ ارقى مرتبة من الذكاءِ ، فإذا ما أعملت فطنَتك في المعارفِ الإلهية والأمور الدينية فتصل في نهاية الأمر إلى اليقين .

أما الشقي أو الأحمق فهو ذلك الذي لا يستفيد من ذكائِه أو فطنتِه في امورِ دينه ، لأنَّ الشيطانَ تلبّس في بدنِه وعقلِه فهو لا يفهم غيرَ لغة المادة والمعاملة القذرة الوضيعة والتحايل على الناس ما سَنَحت له الفرصةُ انه لم يُحاول ان يُبعد الشيطان أو الأعمال الشيطانية عن نفسِه . نفسه غلبته وطغَت على قلبِه فلم يعد يفهم غيرَ اليقين بأعماله المخالفة لشرعة الله تبارك وتعالى .

بالدقة والعبرة تصل إلى اليقين :

ان الدقة من مستلزمات العملِ بشكلٍ عام و«تأول الحكمة» هي التدقيق في الحقائقِ التي يرومُ البشرُ الوصولَ إليها ، وعند العمل بدقةٍ عليك ان تعتبرَ من تجاربِ الماضين إذا كنت تُريد ان لا تصطدمَ بعدمِ الفهمِ في اموركَ الدينية .

يقولُ عزَ من قائل في محكمِ كتابه ﴿ وكأيِّن من آية في السموات

والأرض يمرّونَ عليها وهم عنها معرضون ﴾[٢] فالعاقلُ هو مَن يرى في كلِ شيءٍ من حوله آية ويكتسبُ العِبَر ، فتنعكس عليهِ متذكراً الله وجميلَ صُنعه وقد يصل الإنسان إلى مرحلة تَرى فيها ان جَميعَ النباتاتِ تسبّحُ وتقول وحدَه لا شريكَ له ، وان الفطنَ هو من يرىٰ في اوراقِ الأشجار الخضراء أوراق معرفة وان كلَّ ورقة تدلّ على حكمةِ الباري جلَ أسمه ، فالتعاملُ مع الدنيا يستلزمُ اليقظةَ وكم هي الآياتُ الإلهية التي نشاهدها كلَّ يوم على الأرض ، فالمؤمنُ لا يُمكنُ له ان يتغافلَ عنها بل يدركُ أنّها دلالات على وجودِ الخالق بينما الذي سلبَت عقلَه الدنيا بزينتها لا يلتفتُ البتة إلى ما حولَه من آياتِ كثارٍ صنعَها الباري لكي يعتبر الإنسان منها .

جمال الحاجبين والجبهة

كم مرة تعرضُ نفسَك على المرآة ؟ ان من المستحباتِ ان يرىَ الإنسان نفسَه في المرآةِ قبلَ الخروج من دارِه فلقد كان الرسول (ص) في اغلبِ الأحيان يعرضُ نفسَه على المرآةِ أو على الماءِ ليرتّب حالَه اذْ قد يكونُ شيءٌ لا يليق قد لاصقَ وجهَه الشريف من أجلِ حفظ ماء الوجه ومن أجلِ عدمِ التعرض إلى الإستهزاءِ من قبلِ الآخرين فالمؤمنُ له كرامة والاستهزاءُ به واهانته لا تنسجمُ وما حباه الباري من إيمان .

وقد يتمادى الإنسان في النظر إلى المرآة فيكثر في الأمر بشكلٍ غير معقول ، ولكنكَ لو أمعنتَ النظرَ لمرةٍ واحدةٍ إلى القوسين الجميلين «الحاجبين» وفكرّت في وضعهما في هذا المكان بالذاتِ لعرفَت انّهما سدّان يمنعانِ العرق النازلَ من الجبهةِ باتجاه العينينِ وان الحاجبين الاسودين يساعدان العينين على كسر الضوء الساقط عليهما مباشرة ﴿ فتباركَ الله أحسنُ الخالقين ﴾[٣] .

---

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .

خلق الأهداب من عجائب الحلقة :

لو أمعنت النظرَ في ترتيبِ الأهداب لشاهدتَ هدباً في الجهةِ العليا من العين والآخر في اسفلِها حفظاً على العينِ من أنّ يدخلَ فيها جسمٌ غريب .

ان وجودَ الجفنينِ شيءٌ عجيب وكذا الأهداب فهي لا تنطبقُ مباشرةً بـل تـأتي بينهما شُعيـرات (أي شعرة من الجهـة العليا واخـرى من الجهـةِ السفلى وبينهما شعرةً ثالثة قد تكونُ من الجفنِ العلوي أو قد تكونُ من الجفنِ السفلي مما يدلل على قدرةِ الخالقِ في تزاوجِ أهداب العين ؟ والمسألة الأخرى هي ان إتجّاه الشعيرات يكـونُ إلى خارجِ الجفن وليس إلى داخلهِ وقـد يُبتلى البعضُ بدخولِ بعض شعيـرات من الأجفان إلى داخـلِ العين فتؤدي حينَها إلى الألم والتألم ، لذا ينبغي للإنسان أنْ يشكر الله على نعمةِ الأهداب التي تتجه باتجاهِ خارجَ العين ويشكرَ الباري على نعمةِ الأهداب التي نُظمت بشكلٍ يبعثُ على الدهشةِ حفظاً لسلامة العين .

حركة العين إلى الجهات الأربع ، نعمة إضافية :

ان احد صفاتِ العين السليمة هو التحرك في الإتجاهـاتِ الأربعة ، ولا يحتاجُ الإنسان لتحريكِ رأسِه إلى هذهِ الجهات ، بل تعملُ العينُ حركتَها اليها بدونِ هذا التحريك ؛ والجديرُ بالذكر ان حركةَ العين نسبية وليست كلّية ؛ فكم هو جميلٌ صنعُ الله ودقيق ؛ واما الحكمة من تحريـكِ العينِ الى اربعِ جهـاتٍ فلأنّ الرأسَ عظيم والعين تنوبُ عنه في الحركاتِ النسبية .

قبل أعوام مضت كنتُ في دارٍ على أثـر دعوة ، وقـد كانَ صـاحبُ الدار يتلكأُ في مسيره بشكلٍ يبعث على الدهشةِ فسألتُه : ما السـببُ في مسيرك بهذا الشكل ؟ هل حدثَ أمرٌ لرجلك جعلك تسيرُ على غير ما هو مألوف ؟ فأجابني : إنَّ شريانَ الدمِ الموجود أسفل عيني جفَّ منذ مدة مما اسهَم في ايقاف حـركة عيني إلى الأسفل لذا كـانَ عليَّ حين المشي او الجلوس إنزالُ رأسي اكثـرَ من

المألوفِ لأرىٰ موضعَ قدماي .

تفكر أخي المسلمُ في حركةِ العين إلى الأسفل واعتبر ، فانّها نعمة عظيمةٌ حباها الباري لعبادِه بصورة عامة . ولا تنكر النعمةَ هذه ولا تتنكر للخالِق الذي أنعمَ عليك ، قد يكونُ الإنكار من بعضهم تنمراً وقد يكونُ حماقةً . ولكنّه في الوقت ذاته يُعمل فطنتَه في الأمور الدنيوية بشكلٍ جيد ، ويتغابىٰ في أمورِ آخرته .

ايُّها الشابُ المسلمُ : ان الفطنةَ . ينبغي ان تعملَ بشكلٍ جيد حتى يتسنىٰ لكَ بلوغُ مقامِ اليقين . ناهيك عن الإعتبار مما تُشاهدُ وترى .

العبرة ، انتقال من موضوع إلى موضوع آخر :

العبرةُ ، بمعنى الإنتقال من موضوعٍ إلى آخر والاستفادةِ من خبراتِ الموضوعِ الأول ؛ فإذا ما اعملتَ فطنتَكَ وذكاءَكَ في وضعِ الحياةِ الدنيا وتفكرتَ بما فيها من نعمٍ كثيرةٍ ووصلتَ إلى حدِّ اليقين بربوبية الخالق تباركَ وتعالى والإعتقاد بالحياةِ الأبدية بعد الموت لصرْتَ إلى وضع لا يؤثرُ معَه عليك انسانٌ فاقدٌ لهذا الإعتقاد قيدَ أنملة بل لا يُمكنُه ان يحرفَك من حالةِ اليقين إلى حالةِ الشك مطلقاً .

خلقَ الله الإنسانَ بحكمتِه البالغةِ من أجلِ سعادتِه ، وهي غيرُ متوفرة في الحياةِ الدنيا لأنها ليست بالحياةِ الأصلية ، على عكسِ الإعتبار القائلِ بأصليةِ الحياة الآخرة وإنها الوطن الأصلي والسعادة الحقيقية .

ولو افترضّنا عدم وجودِ القرآن وأحاديث الأنبياء فان الفطرةَ والعقلَ يقولانِ بالوصولِ الحتمي إلى الموتِ وبالوصولِ أيضاً إلى العالم الأبدي .

التعلّق بالفاني خطأٌ فادح :

علينا أن نعتبرَ من الفناءِ والزوالِ ونعرف بحكم العقلِ أنَّ التعلقَ بالحياةِ

الدنيا خطأٌ فادحٌ ، وعلامةُ الوصول إلى مقامِ اليقين هو عدمُ الإلتصاق بالفاني .

ان الموت لا يحتاجُ إلى فهمهِ أو ادراكِه بلوغَ مرحلة اليقين فكلُّ يومٍ تسمعُ ان فلاناً قد ماتَ وأنَّ فلانة اصابَتْها سكتةٌ قلبية ، إذن فالموتُ حتميةٌ لا يُمكنُ تجاوزُها ، فلِمَ اذَنْ هذا التعلُّق بدنيا الفناء ؟ وانت على يقينٍ بذهابِك من هنا إلى عالمٍ آخر ؟

جاءَ في أصولِ الكافي « جعل الله الراحة في اليقين والرضا » ؛ فمَن أرادَ الراحةَ فليطلب اليقينَ والرضا ، فاليقين والرضا يبتعدانِ بالإنسان عن حبِّ الدنيا لاطمئنانِهم بفنائها والذهابِ عنها .

حتى سليمان وجب عليه الموت :

يقول اميرُ المؤمنين عليّ (ع) « فلو أن أحداً يجدُ إلى البقاءِ سلماً او لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخِّرَ له ملكُ الجنِّ والإنس مع النبوةِ وعظيم الزلفة ، فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسيُّ الفَناء بنبالِ الموت »[٤] .

للنبوةِ ملكان ، ملك ظاهري وملك معنويّ ، والملك الظاهري للأنبياء لا يُشابِه في كينونتِه ملكَ الإسكندر المقدوني أو غيره بل « سخر له ملك الجنّ والانس » وطائفة الجن لها من القدرة والقوةِ أضعاف القدرةِ والقوةِ التي يمتلكها البشر ، فعشرةُ أنفارٍ من الجنِ لهم من القدرةِ والقوةِ ما يعادل قدرة وقوةَ الفِ نفرٍ من البشرِ او اكثر ، ومثالٌ على ذلك عفريت الجن الذي أخبر سليمانَ بقدرتِه على جلبِ عرشِ بلقيس من مسافةِ «٥٠٠» عام قبلَ ان يقومَ من مجلسِه « مخلوقٌ لطيفٌ ومن البشرِ اسرع واقوى .

---

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ـ مؤسسة النشر الإسلامي الخطبة ١٨٢ ـ ١٨ ص٦٣ .

سليمان(ع) كان سلطانُه على جميعِ الإنس والجن حيث كـانَ له جيشٌ على يمينه لمسافةِ «٢٥» فرسخاً وكذا على شمالِه ، ولو أمرَهم لنفذّوا امرَه على الفورِ ومن جملة اعمالِم «اعمال الجنّ» جلبُ الصخورِ الجبلية الضخمة لوضعها تحتَ القدور الراسيات العظيمة ليوضعَ فيها مئاتُ الخراف والجمـال من أجلِ تهيئة الطعام لسليمان وجنوده ، هذا ناهيكَ عن تسخيرِ الله للريحِ وتطويعها لنقل بسـاطِ سليمان من مكـان لآخر حينَ يُـريدُ ﴿ ولسُليمـان الريْـح غـدوُّهـا شهـرٌ ورواحُها شهر ﴾[5] .

يرتفع البساطُ بسليمان (ع) ويـذهبُ بهِ صبـاحاً من الشـامِ إلى المدائنِ المتاخمةِ لبغـداد وعندَ الـظهر يتنـاول طعامَـه هناك ليـرجع عصـرا إلى حوضِ سباحته في فارس ، مسافةَ نصفِ شهر بنصفِ يوم .

لقد كانَ سلطانُ وملكُ سليمان نموذجاً حقيقياً للقدرةِ والقوةِ والعظمةِ .

تعرّضَ اميرُ المؤمنين (ع) لملك سليمان ووصفَه بأنَّه كانَ مُلكاً معنـوياً ، أي أنَّه عندما قُدّر له أنْ يموتَ عندَ انتهاءِ مدةِ حكمِه كان من المقدَّر له أيضاً أن يأكُلَ اللقمةَ الأخيرةَ ويشربَ القطرةَ الأخيرةَ من الماءِ لينتهي ويذهبوا به إلى مثواه الأخير .

ذكـرتْ الـروايـات الصحيحـة ان سليمـان ورِثَ أبـاه داود وهـو في سنّ الخامسـةَ عشرة ومارسَ المُلك (ع) عاماً وبنت له الجنُّ قصراً شامخاً من المرايا احتوى كل المدينة علوّاً ، فكلما أرادَ (ع) ان ينظرَ الى جيشِه وبساطِه طلَعِ الى أعلى القصرِ ليتفقدَ اوضاعَ مدينته وجيشهِ ؛ وفي يومٍ من الأيام قال سليمانُ (ع) لحاشيته : لا أُريدُ أن أرىٰ اليوم أحداً يدخلُ عليّ ولاٌ أحبُ أنْ أسمَعَ اليوم خبراً لا أحب سماعهُ وبعد هذا الأمر دخل سليمـان (ع) إلى قصره متكئـاً على عصاً

---

(٥) سورة سبأ ، الآية : ١٢ .

له ، وفجأة وعلى حين غرّة دخل عليه شابٌ مسرعاً فاضطرب سليمان وتعجبَ للأمرِ وقال له بعد ان اقتربَ منه . من أدخلَك الدار ؟ قال: ربُّ الدار ، فانتبه سليمان إلى أنَّ الذي يخاطبه من الجنّ وقال لهُ: من انت ؟ فأجابَه : ملك الموت : فامتعضَ سُليمان لذلك .

ان هـذا الـموت يـكـرهـه كـلّ من يمشي عـلى الـغـبـراء

قال سُليمان لملكِ الموت : جئت لزيارتي أمْ لقبض روحي فأجابَ : لقبضِ روحك ؛ فقال سُليمان : امهلني كي ارتب الأمر بعدي واعيّن خليفتي فإنَّ لي بناءً في بيت المقدس تمَّ قبل أيام واريد ان انظمّه ، ولي . . . ولي . . . ، فقال عزرائيل كلا ، . . . فلم يسمح له حتى بالجلوسِ أو الاضطجاع بل قبض روحَه وهو واقفٌ يستند إلى عصاه ؛ وبقي على حالِه هذه لعامٍ كامل ولم يقربه أحد خوفاً من عقوبته .

وعند اقتضاء الحكمة الالهية لكشف الأمر ، أمرِ موتِه بعث جلّت قدرتُه دابةَ الأرض تأكل عصاه فتخويها ليسقطَ الجسد الطاهرُ على الأرض ﴿ **ما دلّهم على موتِه إلا دابةُ الأرض تأكلُ منسأته فلما خرَّ تبينتِ الجنُّ أن لَو كانوا يعلمونَ الغيب ما لبثوا في العذابِ المهين** ﴾[٦] .

الزهراء (س) تفرح لخبر موتها :

ذكرت لكم في حكايةِ سُليمان انه : ما إن سمِعَ سليمانُ اسمَ ملك الموت حتى اضطربَ ، وانّى لشخصٍ عدم الإضطراب حين سماع اسم موتِه ، وقد ذكرت لنا الروايات المتواترة إنساناً لم يبدو عليه الإضطراب والخوف من موته بل كان فرِحاً مسروراً ، إنها تلك التي لم يتجاوز عمرها «١٨» ربيعاً ، إنها الزهراء البتول عزيزة الرسول (ص)؛ عجباً لها والفُ عجب ، إنه اليقين الحقُّ ، بالموتِ الحق ، والقلب المطمئن الراضي برضا الله ، بل إنها البشرىٰ للّحوق

---

(٦) سورة سبأ ، الآية : ١٤ .

بخاتمِ الأنبياء وسيدِ السفراء رسولِ ربِ العالمين محمد (ص) .

عندما كان الرسولُ الهادي (ص) يجود بروحِه الطاهـرة ، بكت الزهـراء خوفاً من فراق العزيز الحبيب ، ولكن الرسولَ الأكرم (ص) ناداها فاقتربت منه حتى وضعَ فمَه الشريف عند أذنها وقالَ لها شيئاً لم يسمعه من كان حاضِراً ، بعد ذلك علت البسمةُ والسرورُ وجهَ البتول (س) ؛ وحينها سألتها عائشة ما الذي قاله لك الرسول (ص) حتى ينقلبُ حزنُك الشديد إلى فرحٍ شديد ، فاجابت بالبشارة بعدمِ بقائها بعدَه كثيراً في دنيا الفناء وانها اولّ شخص تلتحق بهِ من آل بيته سلام الله عليهم أجمعين .

وقد قيل عن لسانِ فاطمة بيت شعر لا بأسَ من ذكره هنا ليفهم الانسان مظلومية أم أبيها الزهراء البتول :

صُبّت عليَّ مصائبُ لو أنّها صُبَّتْ على الأيام صِرنَ لياليا

اليقين بالتوحيد :

إن أقلَّ ما يجبُ أنْ يصِلَ إليه الإنسانُ في مقامِ اليقين هو الإطمئنان بـ « لا إله إلا الله ، محمد (ص) رسول الله ، وهو الرزاق والمدبّر وهو الذي يُدير الخلق ؛ ويمكن اعتبارُ هذه المسألة من اصولِ الدينِ فلو قُدِّر للإنسان ان لا يطمئن إلى ان الله واحد احد او فرد صمد لبطلَت كلُّ أعمالِه ولتزلزل وضعُه بشكل يوصِلُه حتماً إلى نارِ الخلود ـ عليه ان يعرفَ ان الجزاء بيدِ الله وحده » فهو الذي يعاقِب وهو الذي يثبت ﴿ ولتُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت ﴾[٧] ، ويصلُ الإنسان إلى اليقين من خلال أربعة طُرقٍ إنسانية وهي : الفطنةُ ، الحكمةُ ، والغيرةُ ، والإلتفات والتدبر في حالِ السالفين .

يقال : ان الحمارَ لو دخلَ من مكانٍ ضيّقٍ يصعُب عليه الخروج منه ، لما أعادَها ثانية ودخلَ من نفسِ المكان ، وهذا ما يسمى بالعبرةِ ، فلا بأسَ ان

---

(٧) سورة الجاثية ، الآية : ٣٢ .

يعتبر الشابُ من موتِ شريكه الذي يعملُ معَه على الرغم إنه لم يكن به علّةٌ أو مرض ، فالكل يموت فربك قاهرٌ عباده بالموت .

خروج الإنسان من أسر الشهوات :

لو قُدِّر لنا ان نكونَ معتبرين ومن أصحاب الحكمةِ فما الذي يجب ان نفعل ؟

بشكلٍ عام ، ان الإنسان الذي يلهثُ وراء الآمالِ والشهوات وهوى النفس وحبُّ الذات لن يتأتىٰ له ان يصلَ إلى مرحلةِ الحكمة والفهم الروحاني ، فما دام طلبُ الراحةِ يُسيطر عليه والشهوات تأسرُه لن يكونَ له الطريق سهلاً لبلوغ الفطنةِ ، الحكمة ، العبرة والانتباه والتي بمجموعها تشكلُ مقدمة اليقين .

ان العلفَ الذي يُقدَّم للخروف ليس حبّاً فيه وانما من أجلِ ان يزداد وزنُه ويكبر ليكون حاضراً للذبح والأكل ولو فهم الخروفُ ذلك لما أكلَ العلف ولكنّ فهمه في مكان آخر ، فهمُه محدود بالأكلِ فقط ولا يتجاوز ذلكَ ولا يرقىٰ إلى غيره فالإنسان إذا تحدّد فهمُه فقط بالأكلِ والشرب والمسكن واللباس لكان حاله حالَ الخروف الذي لا يخرج فهمُه عن دائرةِ الأكل ؛ فأنّى لك ايها الإنسان فهم الحقائق ، ومتى تعتبر ؟ فالدنيا كلّها عبر .

العنب اللذيذ ، وخالق العنب :

عندما تقع عين الإنسان على العنب يتسارع الذهن إلى طعمه فتشتهي النفس مذاقَه ولكنه يا ترى هل يتبادر ذهنه إلى خالقِ العنب ؟

عندما ينشغل الفكرُ بالهوى وحبِّ الذات وطلب الراحة يبتعد التفكيرُ عن الخالقِ ، وخلاصة القول ان فكره سلك مسيراً واحداً وطرفاً واحداً وتغافل عن المسير الآخر الذي يؤدي به إلى عظمةِ الخالق تبارك وتعالى ؛ ففي الشتاء ترى شجرة العنب جافّة اوراقها صغيرة وحباتُ العنب التي تحملها حادة المذاق ولكن

بعد مضيّ ثلاثةِ أشهر يتغيرُ الحال إلى حال آخر فالأوراق تكبر وتخضرّ وحبّات العنب يحلو مذاقها وهكذا حتى تصيرَ إلى وضعٍ يستأنسُ الآكل والناظرُ بها ؛ إلهي أين كانت هذه الحلاوة ؟ أين كان هذا الطعم ؟

ومثلٌ آخر النخلة ، وثمرها الحلو الطيّب المذاق ، اين كانت الحلاوةُ والطعم هذا ؟ واما النواة فهي بمثابة المحور الذي تلتف حولَه الثمرة .

ذكرت الروايات لنا كيف ان الرسولَ الأكرم ـ حين يقدم له التمر ـ يشم الثمر ويقبلُه وكذا بترابه يفعل لينبّه اصحابَه إلى قدرة الباري تعالى ، وهكذا كان يفعلُ مع باقي نعمِ الله الأخرى .

هذا هو النور ، والأصل نار :

ان فطنةَ وحكمةَ وعبرة العاقل تُلفتُ نظرَه قطرة ماء فيرجع بفكره إلى المنبعِ الأصلي ، فالذي يدرك الجمال المحدود عليه ان يرجع إلى أصلِ الجمال فالذي يرى رشحاتٍ جمالية في الحياة الدنيا ينبغي له ان يرجعَ بفكرِه وعقلِه إلى المنبع الأصيل في عالم الجمال عالم الغيب .

كثيرة هي الروايات التي تتطرق إلى جمالِ حور العين وكيف لو أن احدىٰ الحور العين ظهرت لأهل الدنيا لما تحمّلوا النظر إلى جمالِها ولزهقت ارواحُهم من التوقِ للحظوةِ بها ، اما النساء في الحياةِ الدنيا المقدَّر لهنّ انتهاج شرعةِ الله ورسولِه فيحشرهن الله بجمالٍ ارقى من جمالِ الحور العين .

في حكايةٍ عن أحد الأجلّاء أنه رأى في عالَم الرؤيا امرأة من الحور العين تتلألأ فسألها : من اينَ لك هذا التلألؤ فقالت اضفاه عليّ الدمعُ المراق في الأسحار خوفاً من الله تبارك وتعالى .

النساء الملتزمات وعالم المحبّة :

إن النساء الملتزمات بدينِ الله وشرعتِه يحشرُ اللهُ كرامة لهنَّ ازواجُهنَّ

معهُنَّ وقد قال القرآن بذلك والسنّة النبوية الشريفة ﴿ **ومن صلح من آبائهم وازواجهم** ﴾[8] ناهيك عن الأحاديث الكثيرة التي ذكرتها سفينةُ البحار في الجزءِ الثاني وعلى التحديد في الصفحة ٣٨٣ .

وأما مسألة تعدد الزوجات فهي مسألة طبيعية في الآخرة ولا يوجد مجالٌ أو مكان للحقد والضغينة فالزوجةُ والحورُ العين يطلب احدهما الآخر ويأنسان ببعضهما البعض ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍ إخواناً على سرر متقابلين** ﴾[9] .

فالوحدةُ والمحبةُ التي تتجلى في الجنانِ لا يُدركها العقل المحدود بل تدركها العقول التي تسامت ورقت وصارت إلى المقامات العلى « فالمؤمن المدرك يفرحُ لمقام أخيه المؤمن الذي يرقى على مقامه في جنان الله ورياضه فأنت في الجنّة وليس في دنيا الفناء ، نعم انَّ الحياةَ الآخره هي امتداد للحياة الدنيا فالذي خلا قلبُه من الحقد والحسدِ في الحياة الدنيا كذا يكونُ في الحياة الآخرة والعكس هو الصحيح .

بعد شهادة زوجها الأول في جبهةِ الحرب ضد الكفار تزوجت امُّ سلمة من رسول الله (ص) ، وحينها سألت الرسولَ الأكرم (ص) عن الحياةِ الآخرة وعما قد يحصل في الآخرة لها ولزوجِها الأول وكان الرسول وقتها قد طرح مسألة التحاقِ الزوجةِ بزوجها فاجاب سلام الله عليه بما مضمونه « لها الخيار في ذلك » .

أما الاستغفارُ والدعاءُ للمؤمنين فحتى الملائكة الذين يُسبحون بحمدِ الله يستغفرون لهم ، فالحبُ ، والسلامُ والأمن والأمان كلها مزايا من مزايا الآخرة

---

(٨) سورة غافر ، الآية : ٨ .

(٩) سورة الحجر ، الآية : ٤٧ .

وقد أشارَ القرآن الكريم إلى هذه القضية فقال عزّ من قائل : ﴿ الذينَ يحملونَ العرشَ ومن حولَه يسبحون بحمدِ ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . . . ﴾[١٠] .

لا تغرنكم زينةُ الحياة الدنيا :

ينبغي للمؤمنِ الحقيقي ان يكونَ فطناً حذراً من الوقوع في مخالب الحياة الدنيا وزينتها ، فالعاقلُ هو من طلب الأصل وترفّع عن الفروع فالآخرة أصلُ العالم والدنيا فرع من فروعه وانها دارُ امتحان واختبار اما الآخرة فهي دار القرار ، لا ينبغي لنا ان ننخدع بما لدينا من حقول ورياض ومزارع ، فشبر واحدٌ في الجنة أفضل من آلاف الكيلومترات في هذه الدنيا لذا يجدر بنا ان نهيءَ مستلزماتِ البناء للوطن الأصلي مع عدم التلكؤ في السعي الذي يمكنُ معه حفظُ ماء الوجه في الحياة الدنيا فالفطن من عرف كيف يرتّب نفسَه لحياةٍ دائمة والاحمق من جرى وراءَ القشور والسفاسف في دنيا الزوال ، ولا أقصد من الفطنة الشطارة في كيفية الحصول على الأموال والوصول إلى الثراء الفاحش فكل إنسان قُدّرَ له رزقُه ، فالطفل له رزق معين وكذا الشاب وهكذا الكل ، ولكن العاقلَ والفطن هو ذلك الذي عرفَ كيف يُنفق ما حصل عليه وعرف كيف يحصل على رزق لا تشوبُه الشبهات ﴿ وما من دابةٍ في الأرض إلاّ على الله رزقها ﴾[١١] .

وقد بيَّن لنا القرآن الكريم بصراحةٍ هذا المعنى حين قال تعالى ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحقّ مثلما أنكم تنطقون ﴾[١٢] .

---

(١٠) سورة غافر ، الآية : ٧ .
(١١) سورة هود ، الآية : ٧ .
(١٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

اشقياء اصفهان والمرحوم المجلسي :

اجتمع جماعةٌ من الأشقياء حول أحد مريدي الشيخ المجلسي يريدون الاستهزاء ، وفي احد الأيام أخبروه بأنهم يرومون زيارته في داره فاضطرب الشيخ المريد لذلك لأن الاشقياء لو جاؤا داره لجاؤوا بوسائلهم التي يستفيدون منها في اللهو المحرّم فلجأ المريد إلى الشيخ المجلسي وأخبره بالأمر ، فاقترح عليه المجلسي بدعوتهم شريطة ان يكونَ الشيخ المجلسي أيضاً في حضورهم .

حضر الشيخ المجلسي في بيت مريده قبل ان يحضُر الأشقياء ، وفي البداية حضر أحدهم ففتح له المجلسي الباب وادخله إلى حيث هُيء مكان لهم ، فبدا للشقي انه لا يمكن ان يسخَر بالمريد في حضورِ المجلسي لذا قرر ان يتفوهَ بكلام يستفزّ به المجلسي فيذهب لحالِه ويستأثر هو بالمريد لوحدِه فقال: أيها الشيخ لماذا يعيب الناس علينا بعض تصرفاتنا على الرغم من أننا لا نخون الزاد والملح فقال له الشيخ المجلسي : ان ما ذكرته من الزاد والملح أمرٌ لا إشكال فيه بل وممدوح أما سلوككم فلا خير فيه ابداً ولا خصلة عندكم إلا الخصال الذميمة أما مسألة عدم خيانتكم لمن اكلتم من ملحه وزاده فهذا ما لا أراه فيكم فانفعل الشقي لكلام الشيخ المجلسي وقال: اسأل من تريد في اصفهان فلن تجد إلاّ ما ذكرت لك ! فقال المجلسي: انا اشهد شهادة على انكم تخونون من خالَط ملحُه وزادُه لحمَكم ودمكم ، انه الله الواحدُ الأحد الذي حباكم كلَّ هذه النعم وانتم لا تزالون تتبعون هوىٰ النفسِ ولا تتبعوه ؟!

لم يقل المجلسي (ره) الا واقع الأمر والحقيقة المرّة التي الجمت الشقي فلم يعُد يتنفس إلا بصعوبة وطأطأ رأسَه خجلاً فلم ينبُس ببنت شفه (يا حبّذا لو كان المقدسون من العلماء تاركين للغرور مثل هذا الشقي المتعظ) .

وفي صباح اليومِ التالي طرقَ الشقي بابَ دار المجلسي وعندما فُتحَ له

قال الشقي : أيها الشيخ ان كلامَك بالأمس اشعل ناراً في قلبي اضاءت لي السبيل الى الحق والحقيقة فادعُ الله تعالى لي بالتجاوز عن سيئاتي ، فادخلَه الشيخ في بيتِه وتحدث إليه بلطف وعطف وعرّفه أنَّ الباري يتوبُ على البشر لو كانوا صادقين .

نحن أيضاً ، كم هي خياناتنا مع الرحمٰنِ الرحيم الذي تفضل علينا بكل هذهِ النعم ، فالأنا خيانة ، والتكبر خيانة ، والعجب خيانة و . . . . خيانة ؛ إننا لم نعرف إلاّ فلاناً من الناس الذي بيدِه أمورِ المؤسسة الفلانية ونسينا الذي بيدِه الارواح والسماوات السبع والأرضين السبع وعالم الحياةِ والغيب و . . .

قد نتحدثُ إلى فلانٍ من الناسِ فنقول لولا فلانٌ لهلكت فيا أيها المسلم يا من تدعّي الإيمان وانتَ بعيدٌ كلَّ البعد عنه الا تخجل مما أنت فيه ؟ أين ذهبَ الحياءُ عنك ؟ وهذا شهر رمضان شهرُ الطاعة فاستثمره للتوبة النصوح وقل « أنا الذي عصيتُ جبارَ السماوات أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشا ، أنا الذي لم استحيك في الخلاء ولم اراقبك في الملأ ، أنا صاحبُ الدّواهي العظمى ، أنا الذي على سيده اجترى » .

اليقين بالولاية والإمامة :

إن الخامسَ عشرَ من شهرِ رمضان المبارك وبناءً على الروايات الصحيحة السنيّة والشيعية هو اليوم المطابق ليومِ ولادةِ الإمام الحسن بن علي (ع) .

ولد الإمام الحسن (ع) وهو الإمام الثاني من ائمةِ آل بيت الرسول الأعظم في السنةِ الثالثة أو الرابعة للهجرة في المدينة المنّورة وبهذه المناسبة الكريمة نتناول بحث اليقين بالولاية والإمامة .

لقد ذكرنا سابقاً وطبقاً لحديثِ أمير المؤمنين وسيدِ الوصيين علي (ع) بأن اليقينَ هو الدعامةُ الثابتةُ للايمان ، اليقين بالتوحيد ، الأفعال الالهية وحتى اليقين بالمعاد .

ان احدىٰ شعب اليقين الواجب تحصيلُها على كلِ مسلم ومسلمة ، هو اليقين بالإمامة والوصاية ووجوب التبعية والمحبة لأئمة النور الأثنى عشر الطاهرين والذين اولهم علي ابن ابي طالب (ع) واخرهم الحجة بن الحسن العسكري (ع) » هؤلاء الأئمة الأبرار تجب اطاعتهم بشكل يقيني لا يخالطُه الشك ولا يساوره .

لقد شاهدنا بعضَ الحالات التي انجرفَ فيها بعض المسلمين إلى التشكيك بالأئمة متأثرين بشبهة أو باخرى .

علي (ع) وليٌّ من أولياء الله :

نتطرق هنا إلى شبهةٍ يتقول بها بعضُ المهرجين ونردّها بشكل لا ينقص من قيمةِ أحد؛ فعندما يقول فلانٌ « أشهد أن علياً وليُّ «الله» في الوقت الذي لا يحتاجُ الله العزيز القدير إلى وليّ حسبَ الآية الشريفة التي تقول ﴿ ولم يكن له وليٌّ من الذل ﴾[١٣] هذه القضية قد يتطرق إليها بعضُ الذين يسيئون الفهم لأنَّ القصد من أن علياً وليّ الله هو : أن علياً وليّ من اولياء الله الصالحين وله الحق في الولاية على المؤمنين بأمرٍ من الله تعالى على لسان رسولِه الأمين لأنّ الإمامة أسُّ الإسلام واصلُ كل خير ونظام الأمة وانها أي الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين وعن أبي جعفر (الباقر) (ع) أنه قال : « بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحجّ ، والصوم ، والولاية ، قال زرارة » فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهنّ والولي هو الدليل عليهن »[١٤] ؛ هذا وان القرآن الكريم قد ذكر الوليّ واولياءَ الله وما إلى ذلك حين قال تعالى في محكم كتابه :﴿ الا ان اولياءَ

---

(١٣) سورة الاسراء ، الآية : ١١١ .

(١٤) انظر اصول الكافي ـ للكليني الجزء الثاني باب «دعائم الإسلام» ص١٨ الحديث الخامس .

الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[١٥] .

لماذا لا يغسل الشيعة اقدامهم عند الوضوء :

عندما لا يصل الإنسان إلى مقام اليقين يساوره الشك في أتفه المشاكل بل وفي البديهيات أيضاً ، فقد يتزلزل الإنسان عقائدياً ويقولُ بغسلِ رجليه عندَ الوضوء هذا إذا اقتنع بالكلمة التي هي «وارجلكم» مفتوحة ومعطوفة على فاغسلوا ﴿ وامسحوا برؤوسِكم وأرجُلَكم إلى الكعبين ﴾[١٦] هذه المسألة الأولى اما المسألة الثانية فهي انَّ النظافة غير الوضوء فالوضوء عملٌ خاص من أجلِ الطهارة المعنوية وليسَ الظاهرية ، نعم ، يمكن ان تدخلَ النظافةُ بالتبع لبعضٍ من أعضاءِ البدن فيضطر الشخصُ إلى استعمالِ الصابون والغسل من أجلِ إزالة مادة دهنية أو ما شابه ، إذن نحنُ نقولُ قد يستوجبُ الأمر إلى التوضؤ وفي اليدِ صابون وهذه الطريقة لها حدود ضمن إطارِ اطاعة الأمر للخروج من الحدث ، او قد يغتسل الإنسان للخروج من الأوساخ المعنوية ، أما طهارة الجسمِ لا تتمُ بالغسل الإعتيادي بقصد تنظيف الجسم وهنا لا يمكن اعتبار الغسل صحيحاً ولا الوضوء ، فتطهير الجسم ظاهرياً على حِده ويدخل ضمنَ النظافة ولا يدخل ضمن إطارِ الإغتسال ، فالإغتسال مسألة معنوية للخروج من الحدث ، والوضوء غير التنظيف وغسل الرجلين والرأس وما إلى ذلكَ والإغتسال غير السباحة فالأول معنوي والثاني ظاهريّ ، وهيهات أن يكونَ الظاهريّ كالمعنوي .

البائع ، وكيس النقود أثناء الموت :

ينبغي للإنسان العاقل ان يصلَ إلى حدِّ اليقين في مجملِ العقائد الحقة لكي لا يتزلزل ولا يساوره الشك وبالخصوص في ساعةِ الموت العصيبة .

---

(١٥) سورة يونس ، الآية : ٦٢ .

(١٦) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

لقد جمعَ احدُ الباعة المتجولين «١٧» درهماً في كيس له بعنوان توفيرٍ لنقوده التي حصل عليها من بيعِه ، وكان متعلقاً جداً بهذا الكيس ، وعندما حضَره الموتُ وهو على فراشِه وبدأ بالاحتضار بدأ أحدُ اقربائه بتلقينه الشهادتين وبعدها طلبَ منه ان يقولَ اشهد ان علياً والأئمة من ولدِه حجُج الله وانهم مفترضو الطاعة سكت ولم ينطُق بذلك ، ومن حسن حظّه انه لم يمُتْ على هذه الحالة بل تعافى ورجعَت إليه عافيتُه وما كان عليه من صحة ، فسألوه عن سببِ سكوتِه وعدم جريان شهادتِه بان أميرَ المؤمنين (ع) والأئمةَ من بعدِه مفترضو الطاعة وهو الذي قضىٰ عمرَه في ذكر الإمام علي (ع) والأئمة من ولدِه فأجابَ : كأني رأيتُ وأنا على فراشِ الموتِ شخصاً يحملُ كيساً كالذي جمعتُ فيه نقودي وهو يقول: ان اعترفت بالولاية اخذتُ هذا الكيس وكما تعلمون انني كنت على علاقة خاصة بكيسي الذي ذكرتُ لكم .

الأدعية الحزينة تثبّت الايمان :

ان الذي لم يتمكن من بلوغِ مرحلة اليقين ، تتقاذفه الأهواء وتتلاعبُ بقلبه الفتن ، سألنا الباري ان لا يجعل القلب يتعلق بالأموال والجاه والمقام « يا مقلبَ القلوبِ ثبت قلبي على دينك » .

نصحَ الإمام الصادقُ عليه السلام اصحابَه بالدعاء الحزين وتطرق إلى مسألةِ أنَّ الإنسان قد تراهُ ديّناً صباحاً وفاقداً لدينِه مساءً ولا يعصمُك من ذلك إلاّ الدعاءُ الحزين ،

« عليكم بالدعاء الحزين : « اللّهُمَّ يا مقلبَ القلوب ثبتْ قلبي على دينك »[١٧] .

نرجع ثانية إلى ولادةِ الإمام الحسن (ع) فهو الإمام الهمام الحسن إبن

---

(١٧) مفاتيح الجنان المعرب ـ للشيخ عباس القمي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت من ادعية الصباح والمساء ص٢٣ .

عليّ المجتبى ثاني أئمة آل البيت ، طاعته واجبة على جميع المسلمين وواحدٌ من اثنى عشر إماماً عينّهم الرسولُ الأكرم وشادَ بهم وقد روت الكثير من الكتب من الفريقين ان رسول الله (ص) قال : « اللهم إني أُحبُّهُ فاحبَّه »

« . . . عن سليم بن قيس قال : شهدت وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن (ع) وأشهد على وصيّته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته واهل بيته ، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح . . . . »[١٨] .

فاليقين بأئمة أهل البيت ينبغي تحصيلهُ والتأكيد عليه فالولاية ركن من أركان الأصول الخمسة .

الثواب والعقاب :

« . . واياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم »[١٩] .

إن الأئمة الأطهار سلامُ الله عليهم شفعاء يومِ الحساب وسلاطين عالم البرزخ ، لقد شاءَتْ القدرةُ الإلهية ان يكون الأولياء والصالحون شفعاء للناسِ بإذنِ الله تبارك وتعالى .

لقد قيلَ على سبيلِ المثال في علي بن ابي طالب (ع) « قسيمِ الجنة والنار » ، فالأئمة وعلى رأسِهم امير المؤمنين (ع) وبارادةِ الباري جلّ ذكرهُ يسهمون في تقسيمِ الناس ناهيك عن الأبرار والشهداء فقد تطرقت الروايات المتواترة إلى أنَّ الأئمةَ والأبرار والشهداء يمكن ان يكونوا شفعاء لهذه الأمة فمن احبهم وعمل بعملِهم يشفعون له باذنِ الله ومن عاداهُم ونصبَ لهم العداوة وادارَ

---

(١٨) الأصول من الكافي : للكليني ـ دار الأضواء بيروت ج١ ص٢٩٧ باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام ـ الحديث الأول .

(١٩) الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة ـ السيد عبد الله . بيروت . مؤسسة الوفاء ص٢٤ .

وجهَه عن نهجهم ومسلكهِم الذي هو نهجُ الله ومسلكِه اداروا هم كذلك وجوههم عنه .

سلام على عليّ جلب له الربح الوفير :

لقد ذكرَ الرسول (ص) اسمَ شخص في مجلسِه واشارَ إلى أنّه ربح ربحاً وفيراً ، وعند دخول هذا الشخص إلى مجلسِ الرسول الأكرم سألَه الأصحاب ما الذي فعلته وما كانت تجارتُك لتربَح بهكذا ارباح ؟ فقال : لم اكسب شيئاً ، وكنت قد ذهبت إلى السوقِ مبكراً فلم أجد أحداً فقلت في نفسي لأذهب واسلم علىٰ عليٍّ أمير المؤمنين (ع) فذهبت إليه واستنصحته فنصحني فأحسستُ بالإطمئنان في نفسي ففهم من في المجلس انَّ حديثَ أمير المؤمنين (ع) ربحٌ اكثر نفعاً من ربح التجارة .

حبُ محمد (ص) ربح ، وحبُّ آل بيته ربحٌ لماذا ؟ لأنهم يدلّون البشرَ على الجادةِ الصواب التي تسلك بهم إلى رضوانِ الله ورضاه والفوز بالجنة ؛ أما أولئك الذين اضمروا الحقد والعداوةَ لآل الرسول (ص) فلن يتأتى لهم ان يسلكوا الطريقَ الحق ولن يتأتى لهم الفوزُ إلا بالنّار الحامية التي تنتظرهُم يومَ القيامة .

التبعية والمحبة :

التبعية بلا شك يلزمها المحبة ، فمن تعلّق بآل بيت العصمة والطهارة (ع) وسارَ على نهجِهم الذي هو نهجُ الحقِ والصدقِ والعدلِ وكان تابعاً لهم في ما عملوا ، فسوف يلقاهم ويُحشر معهم .

إن سيرة آل بيت الرسول (ص) غير خافية على أحد ، فلقد كانوا المثال الواقعيَ لما جاءَ في القرآن الكريم من ايمان ويقين وصدقٍ ، فهم لم يعرفوا غيرَ ذلك ، لم يعرفوا غير الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، فهم الكهف الحصين وسفينةُ النجاة وحجج الله على خلقه ، ولو تصفحنا التاريخَ لما وجَدنا أفضلَ منهم ديناً

واتضباطاً فلقد نهوا عن المنكر وأمروا بالمعروفِ وعبدُوا الله حقَّ عبادتِه فما وهنوا وما استكانوا حتى اللحظاتِ الأخيرة من عمرهم الشريف ، وانَّ العدوّ والصديقَ يشهدُ لهم بذلك » فالذي احبَّهم سلكَ سلوكهم ووصل إلى شاطىءِ النجاة ومن اضمرَ لهم العداوةَ والبغضاءَ خسرَ وهوى في جهنَم وبئسَ المصير .

الشفاعة في يوم القيامة :

لقد تعرضتَ احـدى الروايـات والتي نُسبت إلى الإمام محمـد بن جعفر الصادق (ع) إلى أنَّ الشفاعةَ تكونُ في يومِ القيامة : وحينَ سؤال احدِهم للإمام الصادق عن ذلك اجاب بما يفيد: « . . . لكن الشفاعة في القيامة واني اتخوف عليكم من البرزخ » .

فتصور أخي المسلم الجليل كم يطولُ عالمُ البرزخ بك حيث لا شفـاعة فيه » ففي البرزخ عذابٌ ايضاً لمن انحرف عن جادة الصواب وفيه يضغط القبرُ على ساكنِه وفيه . . . والبرزخ كما تعلمون المدة أو الفترة بينَ المـوت ويومِ القيامة لأن القيامة تشمل جميعَ البشر اما البرزخ فلا يشمَل إلاّ الموتى .

إذن لا ينبغي للمسلمِ ان تملأ العداوةُ والبغضاءُ قلبَه ولا يجدر به إلاّ ان يتمسكَ بالأخلاق الفاضلة وبـأوامر الله تبـارك وتعالى وسنّـة المعصوم التي هي تفصيلٌ لما في كتاب الله الكريم حتى يفلت من عـذاب عالم البـرزخ الذي لا يمكن معرفةُ مدته فقد تطول وقـد تقصر ، فـالحبُّ في الله والبغضُ في الله قد يؤدي بالإنسـان إلى التخفيف من العذاب الذي قد يلاقيه في عالم البرزخ » يقال « ان في الجنّة عموداً من ياقوتـة حمراء عليـه سبعون الف قصـر في كل قصـر سبعون الف غرفة للمتحابيّن في الله » وفي يوم القيامة يتمسـك المحبين للمؤمنين ولآل بيت الرسول الطاهرين بـدعاء «الهي أسـألك بحق محمـد وعلي وفاطمـة والحسن والحسين لما يُحيني » .

ذكرُ اهل بيت الرسول والكرامة :

ان العقباتِ والصعوبات التي يلاقيها البشرُ بعد الحياة الدنيا يسهل الموت معها إذا قيسَ بها ، ولكن الاستعانةَ بالله العفو الكريم وشفاعة آل بيت الرسول (ص) قد تهوّن بعضَ الأمور ، اما الأمور التي هي على زمان الدنيا والتي تدخل ضمن دائرةِ التهوين الذي ذكرنا فهو ذكر آل محمد (ص) في الجلساتِ الخاصة ؛ فقد تواترت الروايات على ان الجلساتِ التي يُذكرُ فيها الرسولُ وآل بيته الأطهار (ع) تحفُّ بها الملائكة مستغفرين للحضور وطالبين العفوَ من الرحيمِ الغفور لهم ؛ « اللهم إنّا نسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ولد الحسين (ع) العفو والعافية والمعافاة . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

« واليقين على اربع شعب : تبصرةِ الفطنة وتأوُل الحكمة ومعرفة العبرةِ وسنّة الأولين ، فمن أبصر الفطنَة عرف الحكمة ومن تأوَلَ الحكمةَ عرفَ العبرةَ ومن عرفَ العبرةَ عرفَ السنة ومن عرف السنة فكأنما كان مع الأولين »[1]

علامات انشراح الصدر :

قلنا ان الدعامة الثانية للإيمان هي اليقين الذي هو نورٌ يرميه الله في قلبِ عبده ، وقد تواترت الرواياتُ في أنَّ اليقين يشرح الصدرَ وقد ذكر ذلك في مجمع البيان وغيرهِ من كتب الأخبار والتفاسير ؛ وقد سُئل الرسولُ الأعظم (ص) عن انشراح الصدر فأجاب بما مضمونه : « في التجافي عن دارِ الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت » .

فمن تركَ المحرمات وعملَ بشريعةِ الإسلام وتجافى عن دار الغُرور دارِ الحياة الدنيا مبتعداً عن كلِ ما يثير الشهوات حباهُ الله انشراحاً في صدره ويقيناً

(١) الاصول من الكافي ـ الكليني ـ بيروت ـ دار الأضواء ج٢ ص٥٠ ـ ٥١ باب صفة الإيمان .

في قلبِه فهو لا يميلُ إلى النزاع ولا إلى الجدل لأن الفرد الذي شرح الله صدره يترفع ويتسامى عن هكذا افعال تنم عن صغرٍ في الهمّة وظلمة في القلبِ ما بعدها ظُلمة ، ومن عمل بذلك تراه ضيّقَ الصدر يقطعُ رَحِمَه على اثر امر تافه وينظر إلى الحياةِ الدنيا كما ينظرُ الطفل إلى الأمور الجزئية من لعبٍ ولهو .

نزاع متمادي من اجل الفوانيس :

قبل ثلاثين عاماً مضت روى لي أحدُ وكلاء الطب العدلي حكاية تبعث على الدهشةِ انه كانَ يقول: كان في الهندِ قبل الاستقلال والتجزئة الى قسمين حيث كانت الهند والباكستان وبنغلادش ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني ؛ كان هناك ملفٌ عجيبٌ لورثة احد النوّاب الهنود الذي كان مديراً لناحية من نواحي الهند حيث جاء في الملف : ان نزاعاً نشبَ بين الورثةِ دام لمدة طويلة تقاربُ العشرة سنين وقد أتلفت اموالاً طائلة على هذا النزاع كان الرابح فيه المدافعين عن الأطراف المتنازعة .

وبعد أعوامٍ طوالٍ وصلَ الأمرُ بأن يُرسلَ ملفُّ النزاع إلى لندن لكي يلقى الحلَّ الأخير ، وعند وصولِ الملف إلى يدِ رئيس المحاكم في لندن ، دقّقَ في الأمر فوجدَ ان النزاعَ على أربعينَ ملك عظيم على ما يبدو من الملف فقامَ من ساعتِه وذهب إلى الهند وجمع الورثة وقال لهم أروني هذا المُلك الذي تدّعون ، وإذا به اربعون فانوساً تشكل بمجموعها ثريا قد علّقت في سقفِ أحد الدور فأمر بانزالِهِ إلى الأرض ، وعند الإنزال سقطَ الأربعون فانوساً على الأرض وتحطمت ولم يبق منها إلاّ الزجاج المتناثر ، فاضطرَ رئيسُ المحاكم إلى ختم الملفِ وفصل النزاع .

نقول هنا أن الذي حدث من نزاع ولسنين طوال لم يكن إلاّ عملاً صبيانياً ، فقد تُلفت الأموال وامتلأت القلوبُ حقداً وغيظاً من أجلِ إرثٍ لا قيمة له تُذكر .

«الفرق» أمر حقيقي واعتباري بنور العقل :

العاقل هُو من شعَّ نورُ الإيمان واليقين بقلبِه فجعل منه كبيراً وحينَها رأى كلَّ اوضاعِ الدنيا على حقيقتها وفهم انَّ الدُنيا لعبٌ ولهو فلا فرقَ عندَه من ان تكوّن الحاجـةُ الفلانيـةُ ملكه أو تكـون صِرفَ اعتبـار ، وهم وخيال ، انتَ في الحمامِ عريانٌ وفي المكان الذي يغسّلونك فيه بعد الموت ايضاً تكون عريانَ . فعنك ينزعون الملابس القديمة ولا فرق في ان يكـونَ القماش من الدرجة الأولى أو يكون عاديّاً لا قيمة له ، ولو كان عندك في البنك مليون من النقود أو لم يكن ففي ذراتك شيءٌ واحد وهو : انه في آخر الأمرِ يذهبون بك إلى القبر ؛ فرأس مالك ذرّاتك فهي التي تذهبُ معَك وهي التي ترافقك في القبرِ ولا يرافقُك مـا عندك في البنوكِ وفي الدار أو في الصحراء .

آكلة النجاسات والأوكار الصغيرة :

ان أفضـلَ تعبير يُمكن ان يقـالَ لمن عجز فكـرُه واهتمَّ وحرص على ان يجمَعَ الأموال هو «الجعل» والجعل حيوان يـأكل النجـاسات ويعتـاشُ عليها ، وواقع الأمر هو ما قيلَ في الحريص .

ولو قُدّر ان بقيت قافلةٌ في الصحراءِ إلى يومِها الثاني ترى حيوانَ الجعل يعتاش على ما يخلّف المسافرين من برازٍ وفضلات فترى هذا الحيـوان يتنافس مع مثيلِهِ من الحيوانـاتِ في جمع الفضـلات ويؤدي بها إلى وكـرٍ حقيرٍ صغيـر وبالتالي لا يتمكن هو من الورود إلى وكرِه فهو تـارة يأكـلُ من هذِه النجـاسات واخرى يتكالبُ عليها ليرمي بها في وكرِه الصغير ، والبعضُ الآخر يسدّ عليه بابَه أو منفذه بهذه النجاسات فلا يستطيعُ الخروج من وكـره فيموتُ حسـرةً على ما تبقى في خارجِ وكره وكذا الحريص الذي لا يملأ عينيه غير حفنة من الترابِ ولا يذهب إلاّ بكفنٍ شُقَّ من يمينه ليضع خدَّه الأيمنَ على التراب .

من كـان لا يـطأ التـرابَ بـرجلِه   يـطأ الـتـرابَ بـنـاعـمِ الـخـدِّ

التوكل على الله والرجوع له :

ان حيوان «الجُعَل» يحسبُ حسابَ الآتي فيجمعُ في وكرِه الكثير من الفضلات ولكن لا يفهم متى يكون الآتي ؛ اما الإنسان العاقل الذي كبُرت روحُه ونفسُه وفهم انَّ الباري تبارك وتعالى اوصلَه إلى هذا اليوم يفهم كذلك انّه تعالى اسمه سيتكفل به بقيّة عمره ، فيا أيها المسلم من أينَ لك أنْ تعلمَ ان الشخصَ الذي اعتمدت عليه واستندتَ إليه وتكفلَك لمدةٍ من الزمن سيتكفلك إلى آخرِ عمرك ؟ فلا تكن قليلَ العقل والإيمان واليقين لا تكن صغيراً وتجافى عن دار الغرور ولا تعتمد في اعمالِك إلاّ على الذي خلقك واوصلك إلى هذا المقام ، وكذلكَ انتِ أيتُها المرأة التي ترومين اللحاقَ بقافلةِ الزهراء فاطمة (س) فالمقامُ والإدراك والعلو والعظمة التي وصلتْ إليها الزهراء لا يُمكنُ الوصولُ إليها بالحقارة والحطّةِ ، وحتى لو قدّرت انكِ تصلين إليها فلن تكوني عندَها إلاّ إذا كَبُرتِ على الرذائل وترفَعت عن الصغائر ونظرت إلى الدنيا نظرةَ احتقار وصِغَرْ .

فيا أيها المسلمون انظروا إلى انفسِكم فهل وصلتُم بأفكارِكم إلى العالمِ العلوي أم كان تحرككم تحركاً عرضياً وأوهام وخيالات فإذا كان كذلكَ فاينَ الفطنةُ والحكمةُ والعبرةُ منكم ؛ ظاهر الأمر انكم لم تستفيدوا من تجاربِ الماضين ولم تُعْمِلوا الفطنة والحكمة في اعمالكم التي ستحاسبون عليها في الغدِ القريب .

مدة قصيرة والرؤوس تتطاير في دارِ الامارة :

ان اكتسابَ العبرةِ من السابقين أمرٌ لا بدّ منه حتى يتسنى للبشرِ سلوك الطريق التي تؤدي بهم إلى الحياة السعيدة الأبدية في جنان الله ورياضه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن اولئك رفيقاً .

يروي التاريخ شواهد كثيرة ينبغي لنا ان نتخذ منها دروساً وعبراً في حياتنا

الحاضرة : عندما صعد عبدُ الملك بن مروان إلى كرسيّ الحكم أو ما يسمونه بالخلافة فكرّ أول ما فكر في الحربِ ضد مصعب بن عمير الذي كان والياً على العراقين فأعد الجيوش الشامية وتحركَ صوبَ الكوفة وتغلّب في نهاية الأمر على مصعب وفتح دار الإمارة في الكوفة ، جلسَ على منبرِ الحكم والبهجةُ والسرور تعلو سحنات وجهه ، وعندما أدخلوا عليه رأس مصعب قال أحد الأعراب والذي كان حاضراً مجلسَ عبد الملك : أيها الأمير قبل مدة وفي هـذا المكان وتحت هذا السقف كان مصعب بن عمير يجلس مجلسَك هذا وقد أحضروا بين يديه رأس المختار ، وجلسَ قبل ذلك على هذا المنبر المختار وكنتُ انا حاضراً حين أدخلوا عليه رأس ابن زياد ، وقبل المختار رأيت بأم عيني كيف كان ابن زياد يجلس مجلسَك هذا وقد أدخلوا عليه رأس ابن بنت رسول الله (ص) الحسين

ابن علي ـ عليه السلام ـ . العجيبة هنا في قتل ابن زياد والذي صادفَ في العاشر من محرم الحرام بعد «٦» أعوام من قتل الامام الحسين (ع) حيث لبس بني هاشم السواد ولمخ يخلعوه عنهم حتى جيء برأسِ ابن زياد وحينها هدأوا نسبياً .

كان العاشرُ من محرم الحرام « يومَ قتل الحسين (ع)» ، وبعد ستةِ سنوات قُتل ابن زياد وحُزَّ رأسُه بيدِ ابراهيم بن مالكِ الأشتر وقد عرفَه من كثرةِ ما كان يتعطرُ بالمسكِ والسبب في استعمال ابن زياد للمسك في كلِّ الأحوال هو ما ذكرته كتبُ التاريخ والتي جاء فيها : « بعد مرور يومين من قتلِ ابن بنت رسول الله (ص) جيء برأسِ الحسين (ع) إلى ابن زياد فأمسكَ اللعين بالرأس الشريف وبدأ بالإستهزاء والسخرية فتندّت عينُ الامام (ع) ونزل الماء منها إلى المريء ومن المريء نزل الماء مختلطاً بالدمِ المبارك على فخذِ ابن زياد فأثر في فخذِه فارتاع لذلك ورمىٰ بالرأس على الأرض دهشةً وتعجباً منه ؛ لقد كان مكانُ ابنِ زياد دائمَ التعفن وحتى آخرَ عمرِه لذا كان يتعطرُ بالمسك يومياً ليقلل

من الرائحةِ القذرةِ التي لازمته .

طلب الرئاسة شرٌ ومشكل :

عليك ان تعتبرَ اخي المسلم الكريم ، فمن طلبَ الرياسة طلبوه وما الحوادثُ التي جرَت في دارِ الإمارة إلاّ شواهد حيّة يعتبر بها العاقل فلا تطلبُ

الرئاسة من أجل ان تقمّع فلاناً أو تنتقم من فلان فعاقبة الأمر الإنتقام منك والإيقاع بك ، فمن أرادَ الإيقاع بالآخرين وسحقهم فلينظر الى عاقبته فهو على ما يفعل ، ولا فائدة في هكذا أمور يمكن الفوز بها .

ان هذا الذي يطلبُ الرئاسةَ من أجلِ ان يضرَ بالآخرين ، انسان خاسر وليس له من جزاءٍ إلاّ نار جهنم ، ومن تفكرَ وتدبّر ونهى النفس عن الهوىٰ فهو سعيد وفائز برضا الله ورضوانه لذا ينبغي لك ايها المسلم ان لا يكون تفكيرك محدوداً مثل تفكير معاوية الذي تحكمت به الشهواتُ وركبَ رأسه عناداً من أجل ان يستأثر بالسلطة والرئاسة .

جاء في عيون أخبار الرضا ان من وقعت عينُه على قمارٍ أو مائدة خمرٍ ولعنَ من قتل الحسين (ع) كتب الله له «١٠٠» الف حسنة ؛ والغرض من ذلك هو انَّ اللاعنَ يعبّرُ عن التزامه بسلوكِ الإمام الحسين (ع) ولا يرضى بسيرةِ يزيد التي طبعت على الخمرِ والقمار ، وخلاصةُ القول : علينا ان نعتبرَ من سير الماضين ونرتب أمرنا بشكلٍ نتمكنُ معه من انتهاجِ نهج الصالحين والأبرار والأئمة الأطهار (ع) محكمين العقلَ في ذلك طالبين العونَ من الله الرؤوف الرحيم في شرحِ صدورنا على الحق والتنكرِ للباطل .

يقالُ انَّ سلمان المحمدي حين كان يجود بروحِه قال ما مضمونه : « لا ادري أألحق بمحمدٍ (ص) أم لا ؟ ولا اعلمُ هل نفذت ما جاء بهِ محمد (ص)

أم لا ؟ رجوت الله ان لا يبعدني عنه» .

ونحن نقولُ : اللهُمَّ لا تجعل بيننا وبينَ الحسين (ع) ستراً إننا نسعى لأن نسلكَ طريقَ الإمام الحسين (ع) طريقَ التقوى والحقيقة طريقَ التعامل الحرّ مع الله العزيز القدير .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ان في خلقِ السمواتِ والأرض واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألباب ﴾[1]

واليقين على اربع شعب: تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة، وسنّة الأولين . . .

فطنة المؤمن ، وحسن العاقبة :

من أين يتأتى اليقين ؟ انه على اربع شعب فأولها الفطنة وثانيها الحكمة وثالثها العبرة ، ورابعها سنة الأولين ؛ فالفطنة هي الذكاءُ مخلوطٌ بالكياسة والدقة والحكمة ، فالفطن هو من كانَ دقيقاً في حساباتِه وحكيماً في معاملاتِه فحياتُه مرتَّبة يخافُ الله ربَّ العالمين ويستأنسُ بالمعارفِ والحقائقِ ؛ يُقال : ان « المؤمنَ كيّس » وقد يتصورُ البعضُ ان الشيطنة واكلَ مال الناسِ وطلبَ الرياسة والجاه فطنة وكياسة ؟! إنَّها ليست بفطنة ولا بكياسة بل إنَّها مكرٌ وخديعة! .

إنَّ الكياسةَ هي التي عرف الناس بها علياً وشيعتَه الذين ادركوا أنَّ الدنيا لعب ولهو .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠ .

يقول الرسول الأكرم (ص) فيما تذكره الروايات ما مضمونه « الكيس من عمل لما بعد الموت » ؛ اما الأحمق فهو من ساحَ في الحياة الدنيا طلباً في زينتها ولهوها وكلّه املٌ في نيل الآخرة ﴿ وانْ ليسَ للإنسان إلا ما سعىٰ وان سعيَه سوف يُرى ﴾[٢] .

لا دارَ للمرءِ بعدَ الموت يسكُنها   إلّا الذي كانَ قبلَ الموت بانيها

فبناة الدور والقصور كُثُر ، ولكن الفطن هو من فكرّ في دارٍ يبنيها لآخرته الدائمة ، فمن لم يفكر في مسكنِه الأبدي ولم ينته عن المعاصي فليسَ له إلا الشدائد والبلايا في زمانِ البرزخ ناهيك عن أهوال يوم القيامة .

الإيمان بالله محصلة الفطنة :

الفطنة والذكاءُ والتروي كلها صفاتٌ تؤدي بالفرد إلى الإيمكان بالخالق ، فالتأمل بالمخلوقات فطنة والتفكر والتدبر بما صنع الله من سماوات عُلا فطنة ، فالإيمان يتأتى من الفطنة ولا يتأتىٰ من التقليد ، قد يؤدي بكَ التقليدُ إلى إيمان واعتقادٍ مختصر ولكنه يخبو بعد فترةٍ وجيزة ، اما الإيمان الحاصل عن فطنة وتدبر لا يمكن ان يتضاءلَ ويخبو بل يزدادُ ويقوى ، فالذي علمك شربَ الماء في بداية الأمر ورزقكَ اللبن في ثدي امك سوف لن ينساكَ ويقطع عنك ما قُدر لَك » فلمِ الحرص ؟ ولم القنوط ، إنك تجري اليوم وراءَ فلان وفلان وكلّك تصور بأنَّ الذي تجري وراءَه هو الذي يرزقك ، لقد أخذَ الخيالُ منك كلَّ مأخذ ، فالرزاق هو الله وحدَه لا غير وباقي المخلوقات أسباب أصغر من انَّ تدرَّ عليك رزقَك فما قدّر لك لا يمكن ان تأخذ اكثرَ منه وما مُنع عنك لا يمكن أنْ تنالَه يداك فاتقِ الله في ما تفعل فانت المخلوق وهو الخالقُ والرازقُ فالجريُ وراء الدنيا بهذه الكيفية وبهذا الشكلِ قد يكونُ منشأه الكفر والإشراك بالله الواحد الأحد .

---

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩ ـ ٤٠ .

التسابق في القيادة لا فائدة منه :

ان التسابقَ مع الزمنِ خيالٌ ووهم وانَّ العجلةَ في قيادةِ السيارة من أجلِ الحصول على رزقٍ اكثر وتعريض النفس إلى الخطر حرام ، وبعقيدتي كفر ، لأنَّ السائقَ يزيدُ في سرعتِه من اجل بلوغِ مطلب او رزق او غيرِ ذلك وحين طلبِه للرزق بهذه السرعة يدلل على اعتقادِه بانَّ الرزقَ بيدي » فإذا ما زاد في سرعته ظن انه سيحصل على رزق اكثر مما لو كانت سرعتُه بطيئة أو معتدلة .

انَّ المسلمَ الذي يقول لا إله إلا الله يعتقدُ بان الرزقَ بيد الله وان السرعةَ لن تزيد في الرزقِ ﴿ الله يبسطُ الرزقَ لمن يشاء ويقدر ﴾[٣] فالرزق محسوبٌ ومقدّرٌ ولا يمكن تجاوزُ هذه الحقيقة بزيادةِ السرعة فالذي كان مقدراً له رزقاً قليلاً لا يمكن أن يزيدَه بسرعة سيارتِه او مركبته التي قد تصطدم بشخصٍ فتحيله إلى القبرِ أو المستشفى وبذلك تكون هذه السرعة باعثاً للضرر به وبالآخرين ؛ فأين فطنتُك التي تدعي ؟ واين هو الدين منك ؟ واين ذهبَ القرآن الذي علمك بأنَّ الرزقَ بيد الله ، فإذا ما اردت ان تفعل شيئاً أو تصل إلى مكان ما فقل اذا اراد الله أو إذا شاء الله فالرزق وغيرُه بيدِه وحده ﴿ ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً . إلا ان يشاءَ الله ﴾[٤] ، لا ينبغي لكَ ايُّها المسلمُ الإدعاء بأنَّكَ سوفَ تفعلُ الأمر الفلاني غداً ، من تكونُ انتَ ؟ ان حياتكَ مرهونةٌ بيد الله وان نفسَك تتنفسه باذنٍ من الله فإذا اقتضت مشيئةُ الله الأمر الفلاني لا يمكن لك ولا يتأتى ان تغيّر مشيئته جلَّ ذكرُه .

ابتلع سمّاً ويريد القاء نفسه من عالٍ ولكن . . .

قبل عدةِ سنوات كُتب في احدى المجلات انَّ شخصاً في احدى المدن الأمريكية انحصر تفكيرُه في زيادةِ ثروته فبدأ ببناء بنايةٍ من عدةِ طوابق بكل ما

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٢٦ .
(٤) سورة الكهف ، الآية : ٢٢ و٢٣ .

لديهِ من أموالٍ ليستفيدَ منها في كربها للآخرين ولكنَّه وصلَ إلى حدٍ انتهتْ معه أموالُه ولم تكتمل البناية بعد فاضطر لأن يقترضَ من عدةِ مُرابين ليكمّل ما بدأ به ولكنَّه وقع تحتَ ضغط الدائنين ولمّا يكتملِ البناء ، وحينَ رأى ان المبالغَ التي عليه لا يمكنُ سدُّها بسهولةٍ والدائنين يضغطون عليه بشتى الوسائلِ والطرقِ صمم على الإنتحار » وحتى يكون موتُه محتماً قررَ ابتلاعَ السمِّ وإلقاء نفسِه من أعلى البناية ؛ ولكنَّ العجيبَ في الأمرِ وبعدَ ابتلاعِه للسمِّ ارادَ الصعود إلى أعلى البناية وكان هناكَ بعضُ الأخشاب على سلالمِ البناية فتعثّر بها، وخرجَ السمُّ من فيه ولم يمت .

أيها العاقلُ ، الم تفهم بان سلبَ الحياةِ والروح بيد الله تبارك وتعالى ، فكن فطناً واعلم ان الله حيٌّ لا يموتُ وان وراءَ هذهِ الحياة عالمٌ غيبي ﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء** ﴾[٦] .

لم ينتبه ولم يلتفت هذا الإنسان إلى أنَّ الرزاقَ هو الله ولم يدرك ذلكَ ، كان يظنُّ أنَّه بعمله هذا سوفَ يحظى بمالٍ وفير ورزقٍ كثيرٍ ولكنَ مشيئةَ الباري تباركَ وتعالى ارادت له غيرَ ما يُريد فما كان له ان يتعجلَ الأمر لأنَّ « مع التثبت تكون السلامة ومع العجلة تكون الندامة »[٦] .

والتثبتُ هذا الذي ذكرنَا يدخلُ ضمنَ دائرةِ الفطنة ، والتثبت معناهُ التحققُ في الأمر ، فالمتحققُ بانَّ الله هو الرزاقُ لا يُمكن أنْ يلهث وراء المالِ والجاه والمقامِ بشكلٍ وضيعٍ وسافلٍ وكذا الذي لا يتحققُ ولا يتثبتُ من القولِ فيضرُ بنفسه وبالآخرين . ﴿ .. **ان جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[٧] .

---

(٥) سورة يس ، الآية : ٨٣ .

(٦) سفينة البحار : ج١ ص١٢٩ .

(٧) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

كيفية اطعام الطائر الأعمى :

يقالُ : انّ النبي (ص) كان مضطجعاً تحتَ شجرةٍ على التراب فجاءه ابو ذر وقالَ له: يا رسول الله انظر إلى اعلىٰ الشجرة فان عليها طائراً أعمى فلنراقبه ؛ وما مضت إلاّ لحظاتٌ وإذا بطائرٍ آخر يأتي ويحطُّ عند ذلك الطائر مقرباً منقاره إلى منقارِ الطائر الأعمى ويغذيه .

إن الله سبحانَه وتعالى لا يغفلُ عن خلقِه لحظةً واحدة ، فكلٌّ له رزقُه والكلُّ قدَّر الله لهم أرزاقَهم وكتب على نفسِه جلّ اسمه أنْ يرحمَهم ويصلَهم .

فيا أيها الذي وصلَ بك العُمر إلى ستين سنة أتذكر ما كانت عليه مدينة شيراز قبلَ اربعين سنة ؟ هل كانتْ تتمتع بكل هذه النعم من الغذاء ، فلقد ازدادتْ النفوسُ وازدادَ معها الرزق والنعم ، فعلى ذلك الزمان لا يدخلُ الرزُ اليها بهذه الكمية ؛ لقد ازدادت النفوسُ وازدادَ معها الرزق ؛ فأجعل اعتمادك عليه وعلى فضلِه وكرمِه فان الله قريبٌ منك ورحيمٌ بك وقد ذكرت الروايات ان الله سبحانه وتعالى أحنُّ من الوالدة على ولدها فلا تخشى قلّةَ الرزق ولا تتشابه عليكَ الأمور فالعيبُ والنقصُ فينا وليسَ فيه والعياذ بالله .

محبة الطير لصغاره ومحبّة الله لمخلوقاته :

جاء شخص إلى مسجد الرسول في زمان صدرِ الإسلام حاملاً اثنين من صغارِ الدجاج فقدمهما إلى رسول الله بعنوان هدية قائلاً وجدتهما في طريقي إليكم فآليت أنْ اقدمهما هديةً إلى رسولِ الله (ص) ، وما أنْ حلَّ وثاقهما في المجلسِ واذا بدجاجةٍ تحوم حولَ المجلس تريدُ الدخولَ وما أنْ رأت صغارَها حتى اسرعت اليهما بشكلٍ يثيرُ على الدهشةِ ويبعثُ على الرقةِ والترحم .

ان العجيبَ في الأمرِ هو الرقة والعطفُ الذي ابدته الدجاجة على صغارِها وقد تواترت الروايات على ان الله سبحانه وتعالى ارحمُ بعبادِه من الأم على اولادها .

أيها المؤمن خذ عبرةً مما اقول ووجّه وجهكَ صوبَ الرحمن الرحيم فقد قدّر لكَ العزّةَ والشرف ، فقد أرسلَ إليك اشرف مخلوقاتِهِ محمداً (ص) ليجرّكَ إلى جنتِهِ﴿ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين﴾[8] فلا تنسَ الرحمن الرحيمَ ولا تنسىَ عطفَه فلو تقدمت إليه خطوة لتقدم إليك خطوتين فاتقِ الله في نفسك وتعال إلى ما اراد الله لك من خير وصلاح .

إنك تدعوهم حتى كأنك تحتاج إليهم :

إنه تعبيرٌ جميل نقله لنا التاريخُ عن الإمام السجاد علي بن الحسين (ع) « فرحمة الله وسعت كل شيء » انه جلّ ذكره يدعو الإنسان إلى الأخلاق الحميدة إلى الترفع عن المعاصي من ظلمٍ وجور وانتهاكِ حقوقٍ وما إلى ذلك ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[9] ﴿ وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾[10] ﴿ فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[11]؛ ولو تمعنا في الأدعية وخصوصاً دعاء الإفتتاح في ليالي شهرِ رمضان المبارك لفهمنا وادركنا انَّ المولىٰ تبارك وتعالى يتحبب إلى الناسِ ولا تعي الناس واقعَ الأمر حيثُ نقرأ في بعض الأدعية « وتتحببُ إليّ فاتبغضُ إليك وتتودد إليّ فلا أقبلُ منك ، كأنَّ لي التطول عليك فلم يمنعكَ ذلك من الرحمةِ لي والإحسان إليَّ والتفضلِ عليَّ بجودِك وكرمِك فلم أرَ مولاً كريماً أصبرَ على عبدٍ لئيم منك عَلَيَّ .

---

(8) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(9) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

(10) سورة الزمر ، الآية : ٥٤ .

(11) سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

العبرة

ان الهدفَ الأساسي من خلق الإنسان هو إيصاله إلى الكمال والبلوغ به إلى السمو والرقي حتى يصلَ إلى حالةِ الملائكة بل ويتعداهم إلى أبعدَ من ذلك .

إن الله تبارك وتعالى خلق الأشياء من أجل الإنسان ولكنه تعالى خلق الإنسان من أجلِه ؛ لقد خلقَ الله العالم قبل «١٧» الف عام وجعل منك أيّها الإنسان تفاحة على رأسِ مائدة مُلئت بالنعم ، إنك فاكهة عالمِ الوجود ، زهرة نوريّة للعالمَ انت ، يريد بك العلو وتأبى إلاّ أنْ تكونَ في الأسفل ، لماذا ترمي بنفسِك في الحضيضِ والله يريد لك الغور في اسبارِ السماء فأينَ فطنتك وأينَ حكمتُك التي تُملي عليك سلوكَ ما يريدُ الله لك ، فعلى علمي أنَّ الذي يرومُ الوصولَ إلى اليقينِ ينبغي له أنْ يتمتعَ بفطنةٍ وحكمةٍ عاملتين تعينانه على فهمِ وادراكِ ما يُريد الله له من خير وصلاح .

ما اكثر العبر واقل الاعتبار :

اما الإعتبار بسنّةِ الاولين فهي مسألة مهمة فعلى سبيل المثال لو أخذنا سيرة وسلوك الإنسان الذي وصل إلى مقامِ اليقين والعلم علي بن ابي طالب (ع) لاستفدنا الكثير الكثير منها ولتعلمنَا كيف نصبر وكيف نتعامل مع

الناسِ ومع الله تبارك وتعالى فهو المثالُ الحيّ للإعتبار وحياتُه الـدرسُ العمليّ للبشريةِ جمعاء « والإعتبار يجب أنْ يكونَ ملازماً لتعلمِ السنّة الشريفة فالإعتبار بـلا علم لا فائـدة منه « والسنّـة بلا إلتـزام لا فائـدةَ منها أيضـاً : وأول خطوة يخطوها الإنسان على جادة الإعتبار هو التفكر الذي لا بدَّ منه وكمـا يروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »[1] ثم قيل له وكيف يتفكر قال:

«يمـرّ بالخـربـة أو بـالـدار فيقـول أين سـاكنـوك واين بـانـوك مـالـك لا تتكلمين »[2] .

أيوان المدائن عبرة تاريخية :

عندما وصل الإمام علي (ع) في سفرِه إلى صفين طاق كسرى في المدائن تلا هذه الآية الشريفة ﴿ **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين** ﴾[3] ، ولو مررتَ بالشامِ على قبرِ معاوية لما رأيتَ غيرَ حفنةٍ من الأحجار وكوخٍ من طين وباب مغلقةٍ ، ولو نظرتَ من ثقوب الباب القديمة المغلقـة لرأيت القبرَ وقد علتـه الفئران التي تخـرجُ وتدخـل إلى داخلِ القبـر المتعفن ؛ هذا الرجلُ الذي حكم بالقوةِ عبـادَ الله وأذاقهم مرّ العـذاب وارتكب الجنـايات والجـرائم التي لا يُمكن ان تُعـدَ وتحصى بحقِ أهـل بيت العصمـة والطهارة ناهيك عن قتلهِ للأخيار والصديقين من أتباع رسولِ الإنـسانية محمد بن عبد الله (ص)

قبلَ عدةِ قرون كتبَ المؤرخون : على زمانِنا هذا خربة مشهورة ومعروفة بقبر يزيد ، فكل من كانَتْ له حاجةٌ ومرَّ على هذه الخـربة ورمى حجـراً عليها

---

(١) سفينة البحار : للشيخ عباس القمي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ج٢ ص٣٨٢ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) سورة الدخان « الآية : ٢٥ ـ ٢٧ .

قضيت حاجته ، فمن كثرةِ ما رُميَ بها أو عليها من الأحجار والأوساخ صارت مزبلة ، وعند دخول بني العباس للشام نبشوا جميع قبور الأمويين واخرجوا الجثث واحرقوها وعندما وصلوا إلى قبرِ يزيد وجدوه محترقاً منذ زمن بعيد وعلى ارتفاع قامة إنسان ، وقد قال بذلك اغلب المؤرخين من أهل العامةِ والثقاة منهم ، بعدَ ذلك اصبحَ هذا المكان مزبلة عمومية إلى ما قبل مائة عام من الآن ، اما على زماننا فلا أثرَ للخرابةِ ولا للمزبلة .

ان المعتبرَ لا ينبغي له أنْ يتبع نهجَ معاوية ولا نهجَ يزيد لأنَ نهجَهم موسومٌ بالشهواتِ وحب الدنيا﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾[٤] بل المفروض بالإنسان الذي يعتبر من سيرِ الماضين ان يتبعَ نهجَ الحسين (ع) نهجَ القرآن نهجَ الصواب ﴿ فاعتبروا يا اولي الأبصار ﴾[٥] .

بلوغ اليقين لا يخلو من الصعاب :

ان مقامَ اليقين والإيمان الكامل الذي يخرجُ به الإنسان المؤمن من الدنيا لا يخلو من عناءٍ وتعب ، عليه أنْ يعملَ ليصلَ إلى المقامات العُلىٰ يترفع عن طلبِ الرئاسة والمناصب الدنيوية ، يؤجل رغباتِه وشهواته ويكابد من أجلِ أنْ لا ينزلق في منزلقاتِ الأهواء والترفِ والإسراف ؛ هل شاهدت طلاب الدنيا كيف يبذلون المالَ والعمرَ أملاً في بلوغ الكرسي الفلاني في الوزارة الفلانية أو المنصبِ الفلاني في المكان الفلاني فاسعَ أنتَ لأن تبلغَ العُلى في العالمِ الآخر وترفَّع عمّا يصبو إليه طلابُ الدنيا وزينتها لكي تفوزَ بجوارِ الأولياء والصالحين والمخلصين الذين جاء فيهم « وشيعتك على منابر من نور مبيضةٌ وجوهُهم حولي في الجنةِ وهم جيراني »[٦] فالذي يريدُ اليقين والإيمان الكاملَ ينبغي له ان

---

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٤٥ .
(٥) سورة الحشر ، الآية : ٣ .
(٦) دعاء الندبة ـ في مفاتيح الجنان المعرب ـ للشيخ عباس القمي ـ بيروت ـ دار احياء التراث العربي ص٥٣٤ .

يتحملَ الصعابَ والبلايا من أجلِ ذلك ، ولا يمكن له كسب هذا المقام بدونِ هذه الصعاب وتلك البلايا .

ديمومة الاعتبار تحصيلاً لليقين :

ان العبرةَ هي احدى طرقِ الوصول إلى اليقين ، وهذا لا يمكن تحصيلُه بيومٍ أو يومين ، فالاعتبار يمكن أنْ يتأتى من كلِ شيءٍ تراه ابتداءً من خروجِك من المنزلِ صباحاً قاصداً مكانَ عملك وانتهاءً برجوعِك ثانيةً إلى دارِك التي تأويك فلو قُدِّر لك ان ترى إمرأة متزيّنةً عليكَ ان تعتبِر وتتذكَر أنَّ هذِه المرأة مسكينة ولا فهم ولا إدراك لها فبعد أيام تُلفّ بكفنٍ شقَّ من يمينه لتضع خدّها اللطيف على التراب المليء بالهوامِ المنتظرة طعامها ، واول ما تأكل هذه الهوام عينَ الإنسان التي طالما خانت ولم تلتزم بما أمرَها الله تبارك وتعالى به من غضٍ للبصر .

الغرض من هذا الحديث هو : ان لا ينسىْ الإنسان الإعتبار فيسرح ويمرح كيفما اتفقَ مطيعاً هواه وشيطانه الذي لا يريدُ له إلا الشرّ .

صورة الميت بدلاً من الصورة المهيجة :

ان بعضَ الشبابِ يسألون ماذا نفعل ونحن في عصرٍ كلّه مهيجات ومثيرات والأنكى من ذلك الصور التي تتناولها أيدي الشباب والتي تبرز محاسنَ المرأةِ بشكل سافر .

وفي جوابهم قلت : إذا اردتَ النجاة والخلاصَ من هكذا مواقف عليك بحملِ صورة رفيقك أو زميلك الذي ماتَ منذ سنين ، فحين تُعرض عليكَ الصورُ الجنسيةُ انظر إلى صورةِ زميلك الميت وتذكر كيف أنّه كانَ معكم يأكل ويشرب ويلعبُ وهو الآن تحت التراب وأنَّ مصيرَك إلى ما صار إليه زميلُك لا محالة فالانتباه والاعتبار يبتعد بك عن سلوكِ طريق الشهوات الخطِرّ ويقتربُ بك من طريق اليقين بالله الواحد الأحد وباليوم الآخر الذي لا بدَّ من ذهابِنا إليه

والوقوف على أحداثه .

ذكر الموت حياة للقلوب :

جاء في المحجة البيضاء ان عائشةَ سألت الرسولَ (ص) : هل يدخُل الجنةَ أحدٌ بدون حساب فأجاب (ص) : من يذكر الموت «٢٠» مرة في اليوم والليلة .

يقولُ عزَّ من قائل في محكمِ كتابه ﴿ يا قوم إنّما هذه الحياةُ الدنيا متاعٌ وانَّ الآخرة هي دارُ القرار ﴾[٧] وما يشابه ذلك ما ينقل عن علي (ع) بما مضمونه : « فاجعلوا إجتهادكم فيها التزوّد من يومها القصير ، ليوم الآخرة الطويل ، فانها دار عمل ، والآخرة دار القرار والجزاء » ، فالدنيا دارُ متاعٍ ودارُ تزوّد والآخرةُ دارُ قرار ودارُ جزاء فليعمل الإنسان لآخرته وليتذكر دائماً الموتَ ليعينه هذا التذكرُ على الخروجِ من تسلط النفس والشيطان ، فطالب الإيمان واليقين عليه ان يُجري ذكر الموت أبداً على لسانِه وليعمل بالخوف من الله وبالرجاء لرحمته تبارك وتعالى علاوة على الإعتبار من سير الماضين واتخاذها دروساً ، خاصة في المواقف العصيبة التي يبتلى بها الإنسان من مثل الميل نحو الشهوات أو الإقدام على المحرمات فذكرُ الموت أحسن وافضل سلاح لمبارزة هكذا مواقف .

الاعتبار حتى في التخلي :

ان الإنسان لا ينبغي له ان يغفل ولو للحظةٍ عن اكتسابِ العبر والدروس حتى في أوضعِ الأماكن؛ ففي الإستخلاءِ عبرة للإنسان فلو قدّر لإنسانٍ ان لا يخرج بوله من بدنه فما هي الحالة التي سيكون عليها ؟ سيذهبون به إلى المستشفى لكي يضعون انبوباً حديدياً في آلته ليتسنى له إخراج عدة قطرات من بول إنْ حبست أدت به إلى الهلاك فيا لها من نعمةٍ لا يقدّر القادرون قدرها وقد

---

(٧) سورة غافر ، الآية : ٣٩ .

تواترت الروايات في آداب الاستخلاء من أوراد وافعال تؤكد الشكرَ للخالق الصمد ، الذي حبانا امكانية إخراج المواد السميّة بشكلٍ يبعث على الإعتبار والالتفات إلى رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وخلقه على السواء .

وخلاصة القول : ان العبرةَ مسألةٌ اساسيةٌ في حياةِ البشر فبدونها لا يلتزم الإنسان بكثير من القضايا التي أمرنا الله بها .

الكعبة أول بيت للعبادة :

مثال آخر للاعتبار ، بيت الله الحرام ، أشرف بقاع الأرض ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك حين قال تعالى : ﴿ **ان أولَ بيتٍ وُضعَ للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين** ﴾[٨] .

فيا أيّها الحجاجُ والمعتمرون ، يا من طويتم مراحلَ من الإيمان واليقين لا تشغلوا الفكرَ فقط بالبيع والشراء والهدايا بل يجدرُ بكم ان تصرفوا مقداراً من الفكر في الإعتبار من الحج ، فهنا مكان الاستفادة الأصلي والإعتبار العظيم .

في البداية عليكم ان تُدركوا ان مكةَ هي اولُ قطعةِ أرض اختارتها الذات المقدسة لأن تكون مكاناً يتعبّد فيه المؤمنون وقد أوصىٰ الله انبيائه الأبرار ببنائها ، وقد خصَّ بالبناءِ أفضلَ الأنبياء بعد خاتم الأنبياء محمد (ص) إبراهيم (ع) ، فقد رفعَ ابراهيمُ الخليلُ قواعدَ هذا البيتِ بمساعدة اسماعيل (ع) ذبيح الله ﴿ **وإذ يرفع ابراهيم القواعدَ من البيتِ واسماعيل . . .** ﴾[٩] ، لقد طافَ حولَ هذا البيت جملةٌ من أنبياءِ الله ورسلِه لذا يجدُر بالحجاج الكرام ان يلتفتوا إلى هذهِ النقطةِ المهمة بشكلٍ يشوبُه الأدب والوقار ، انهم يضعون اقدامَهم في المكانِ الذي وضع رسول الله (ص) قدمه الشريفة وغيره من الأنبياء والأولياء لذا كان حريٌّ بهم أنْ يتذكروا أعمالَ وافعالَ النبي المشرفة والتي رفعت

---

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .

اسم الإسلام عالياً في كل بقاع المعمورة وينظروا إلى الكعبة نظرة تختلط بالتفكر والتدبر فان « النظر إلى الكعبة عبادة »[١٠]

النظر إلى الكعبة وذكريات اصحاب الفيل :

عندَ النظرِ إلى الكعبةِ تذكر عمل ابرهة القبيح قبل اربعةَ عشرة قرناً حين جاءَ بجيشِه الممتطي للفيلةِ من اليمن ليدُكَّ أساس بيت الله الحرام بشكلٍ لا يترك للقريشيين واهل مكة إلّا الفرار من مكة المكرمة ؛ لأنه لا فائدة من المقاومة أمامَ جيش جرّار عظيم ومقتدر وقد أمر في وقتها عبد المطلب جدُ الرسول ابنَه عبد الله بالصعود على جبل أبي قبيس ليرى ما في الأمر وإذا به يقول لأبيه : انَّ ما يشبه البُقع السوداء تأتي صوبنا من جهةِ البحر ، فقد يكون ذلك غيوماً محمّلة ـ ولكن الأمر غير ذلك ـ فقد كانتْ جيوش الأبابيل ، إنها طيور السنونو الصغير جاءت وهي تحمل في مناقيرها وارجلها شيئاً كأنَّهُ « الحمّص » فلقد حملَ كلُ طائرٍ ثلاثةَ حمصات ليهوي بها على ثلاثةِ رؤوس كافرة من جيش أبرهة الطاغية ناهيك عن عبورِ حباتِ الحمص من رؤوسِ الفيلة لتخرج من بطونها ناراً تحيط بها من كل جانب ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾[١١] لقد أضحى جيشُ أبرهة كذرات الرملِ في يومٍ عاصف ، اصبحَ مكرُهم وكيدُهم في ضلالٍ وحفظَ الله تعالى بيتَه الحرام من الزمرة الكافرةِ الضالة ، وعليه ولأهمية وقدسية المكان عليك ايّها المسلم ان تتعاملَ بحذرٍ شديد في هذا المكان الذي حباه الله لطفاً خاصاً فأنت عبد ذليل في ضيافةِ الله القادر فلا جدَل ولا نزاعَ ولا خلافَ وإلا تحسب على الذين ليسَ لهم من الحجِ إلاّ التعب والعناء .

---

(١٠) سفينة البحار : ج٢ ، ص٥٩٦ (وردت ضمن حديث ابتدأ « النظر إلى علي (ع) . . . » .

(١١) سورة الفيل ، الآية : ١ .

طيور الحرم ، تؤدي الاحترام :

ان في المسجد الحرام آياتٌ بيناتٌ لو امعنتَ النظر فيها لتعجبت ولعرفت وادركت قدرةَ الباري جلَّ اسمُه .

كم هو عدد الطيور التي تدور حولَ الحرم وعند الحرم ؟ يمكن ان تعرفَ ذلك من خلالِ ما يلقى لها من الحبوبِ فهي كثيرة جداً ، والعجيب في الأمر انها على كثرتِها لا تمر من فوق الكعبة مباشرةً وقد طالعتُ هذا الموضوع شخصياً فتعجبت لهذه الطيور التي هي في تكوينها الحيواني تتأدبُ وتحترم حرمةَ المكان فلا ترى برازاً لها في مكان ما من الكعبة على الرغم من كثرتها ، فالحيوان هذا يعملُ بمقاييس الأدبِ في الحرم ، وانت أيها الإنسان العاقلُ ينبغي لكَ ان تراعي الأدبَ والإحترام اضعافاً مضاعفة إذ لا يمكن المقارنة بينك وبينَ الحيوان .

قال أبو عبدالله : ان الحجاجَ يصدرون على ثلاثةِ أصناف ، صنفٌ يُعتق من النار ، وصنف يخرُج من ذنوبِه كهيئتِه يوم ولدته أُمُه ، وصنف يحفظ في اهلِهِ ومالِه وذاك ادنىٰ ما يرجع به الحاج .

أبناء آدم عبرة لبني آدم :

ان الفردَ الذي يطلبُ اليقين عليه ان يضعَ سيرةَ الماضين نصب عينه لكي يعمل وفقاً لمقولةِ امير المؤمنين فيما يُنقل عنه (ع) مضموناً : « من نجا انما نجا بطاعة الله ومن هلك انما هلك بمعصية الله » ، ولا بأس بنا ان نرجعَ إلى بداية الخليقةِ للإعتبار بما حدَث لابني آدم فيدلنا القرآن الكريمُ على ذلك في الآيةِ الشريفة : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قربا قرباناً فتُقبل من أحدِهما ولم يُتقَبل من الآخر قال لاقتلنَك قال انما يتقبلُ الله من المتقين ﴾[١٥] .

((١٥) سورة المائدة ، الآية : ٢٧ .

لقد اشتعلت نارُ الحسدِ في قلبِ ابن آدم فجنى على نفسِه بسفك الدم واي دم ، إنـه أخوه؛ ومـا الحسـدُ إلا تفـريطٌ للحسنات ، فليتعظ ابنـاءُ آدم ولا يجعلوا للحسـدِ إلى قلوبِهم من سبيلٍ ، فـلا بأس ان يـربَـح زميلُك أو جـارُك شيء ، ولا ضيرَ في ان يفوزَ فلانٌ من الناس بكسبِ تجاري ، وما فائدة حسدِك لفلانٍ أو فلان وحاول اخي المؤمنِ ان تردعَ النفسَ الأمارةَ بالسوءِ منذ البداية لئلا يستشري الحسدُ هذا ويُصبح عادةً من العادات السيئة التي لا يُمكن بعد مدةٍ من الزمنِ ان ننتهي منها إلاّ بصعوبةٍ بالغة وقد لا تستطيعُ لأنّها قد تمتلك عليكَ قلبَك وعقلَك فلا تجعلْ لكَ سبيلاً للخلاصِ منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وان لكم في القرونِ السالفةِ لعبرة ، اين العمالقةُ وابناءُ العمالقة ، أينَ الفراعنةُ وابناءُ الفراعنة ، اين اصحابُ الرسّ ، أين الذين قتلوا النبيين وأحيوا سننَ الجبارين .

القسم الرابع اليقين : معرفةُ سنةِ الأولين ، فمن عرفَ السنة فكأنما كان مع الاولين واهتدىٰ إلى التي هي أقوم ونظر إلى من نجا بما نجا ومن هلكَ بما هلك .

الاستقامة في العبودية والهلاك في المعصية :

طالبُ الإيمان واليقين يجب ان تتجلى فيه تجربةُ الماضين وان يكونَ معتبراً بما حدثَ لمن سبقوه في الحياةِ الدنيا ، عليه ان يعتبرَ ممن هلكوا ويرى كيفيةَ طبيعةِ هلاكهم ، وكذا من الناجين الذين بلغوا السعادة في الدارين ويرى كيف وصلوا شاطيء السلام ، فالتفكر والتدبر طبيعة المتقين﴿ والعاقبة للمتقين﴾[1]، فالعملُ الحسَن هو حاصلُ عمرٍ قضاهُ صاحبه بالتقوى ملتزماً جادة الصواب والتي ارادها الله ورسولُه له ، واما الشقاء فهو حاصلُ عمرٍ قضاه صاحبه جرياً وراء الأهواء والشهوات وعدم الإلتزام بالقيم الأخلاقية والتهور في انجاز

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ .

عمل ما ، وانتم اخوتي المؤمنين تمتلكون من الشواهدِ الكثير فكم شخصاً رأيتم كان همُّه الوحيدُ جمعَ الأموال وتكديسها وتملك الدور والأسواق ولم يَحْظَ بفائدةٍ او ربحٍ بدا عليه منذ البداية وحتى نهاية حياته ؛ فهو يُقتِّر على اسرته ويمنعها من شراء حتى الحاجات الضرورية للمعيشة ناهيك عن بخلِه الشديد حتى على نفسِهِ فلا يأكل جيداً ولا يلبسُ جيداً يحاسبه الله حساب الأغنياء على الرغم مِن أنَّه عاش معيشة الفقراء .

ورأيتم كذلك كيف كانَ هناك أشخاص كسبوا الكثير ـ وقد يكون الكسب معنوياً ـ من خلالِ عمل الخير ، ومساعدة الملهوف ، والبذل والعطاء فالكل يذكرُهم بخيرٍ وهذا كسب وفوزٌ والكل يترحم عليهم بعد وفاتهم وهذا أيضاً فوزٌ عظيم فلا يأتي ذكرهم إلاّ وذكر الناس اعمالهم الخيرة هذا غير ما ينتظرهم من عطاءِ الله في جنان الخلدِ والدرجات العلى .

على أية حال ينبغي للمسلمين أن يقرأوا القرآن ويتدبروا ما فيه من مواعظ جاءت في قصصِه المتناثرة كالدُرَرِ في صندوقِ المجوهرات لمعرفةِ سُنّة الأولين وعندها يجتنب الإنسانُ المسلمُ الأخطاء والمعاصي ويسلك طريقَ من نجوا طريقَ الصواب والحق والصدق .

حكاية الاخوة يهودا وبطروس في القرآن الحكيم :

اقرأ عليكم انموذجاً روائياً جاءَ في القرآن الكريم علّنا نكتسب عبرةً أو نعتبر ﴿ **واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرّنا خلالهما نهراً ، وكان له ثمر** ﴾[٢] . جاء في بعضِ التفاسير :

كان في بني اسرائيل أخوان ، اسم الأول يهودا والثاني بطروس ورثا عن ابيهما «٨» الآف دينار كانت حصةُ كل واحدٍ منها «٤» الآف دينار . فانفقَ يهودا

---

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٢ ـ ٣٤ .

اربعة آلافه في سبيل الله تبارك وتعالى ولم يُبق على شيء لنفسه ، اما الأخ الآخر قطروس او بطروس فقد اشترى جنتين او بستانين باربعة الآفه من الدنانير واجرى بينهما نهراً واتخذ لنفسه قصراً بين الجنتين يشتمل على الخدم والحشم وما إلى ذلك .

ذهبَ يهودا إلى أخيه الوحيد بطروس ليقترض منه بعض المال ، فنظر إليه بطروس نظرة ازدراء واستهزاء وقال له : لو كنتَ تعرف كيفَ تتصرفُ بأموالِك لما آل بك الأمر إلى القرض علاوة على هذا فقد قال بطروس بعدمِ زوال جنتيه هاتين ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما اظن الساعةَ قائمةً ولئن رددتُ إلى ربِّي لاجِدَنَّ خيراً منها منقلبا ﴾[3] إنّه لا يعلم أو يتغافل عما بين يدَيه » انَّ الذي بين يديه من ملك أو زروعٍ ونخيل عاريّة فالملكُ لله الواحد الأحد ، خلاصة الأمر بدأ يتحدث بشكل يبعثُ على الدهشةِ حيث وصلَ به الأمرُ للتشكيك بيومِ القيامة إلى ان جاءه يهودا وقال له كما جاء في القرآن : ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً ﴾[4] ، ﴿ لكنا هو الله ربي ولا اشركُ بربي أحدا ﴾[5] أبدى يهودا النصح لاخيه علّه يرجع إلى فطرته او يتخلّى عما صدر منه ولكن هيهات !! لقد تمكّن الغرور منه بشكل وصلَ به إلى الطغيانِ على كلِ القيم السماوية .

إرادة الله

لقد نصح يهودا أخاه بشتّى الوسائل والطرق وذكّره بالله تبارك وتعالى ولكنه لم يدعو وقال له : ﴿ إن ترنِ أنا أقلَّ منكَ مالاً وولداه فعسى ربي أنْ يؤتين خَيراً

---

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٣٥ ـ ٣٦ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٣٧ .

(٥) سورة الكهف، الآية : ٣٨ .

من جنّتك ويرسل عليها حسباناً من السماءِ فتُصبحَ صَعيداً زلقاً ﴾[٦] فلم يقتنع بكلام أخيه بل سخِر منه وطرده من جنته **﴿ وأُحيطَ بثمرِه فأصبَحَ يُقلِّبُ كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاويةٌ على عروشها ويقولُ يا ليتَني لم أُشرِك بِربّي أحداً ﴾**[٧].

ينبغي لكَ أيُّها العاقلُ المسلمُ أنْ تعتبرَ من هذِه الرواية التي سردها لنا القرآن المجيد، فنبحثُ في قصص الأشرار وكذا في قصصِ الأخيار فإنما هَلَك من هلَك بمعصية الله ونجا من نجا بطاعة الله.

بنو أمية وخيبتهم :

لو نظرنا في التاريخ لرأينا خيبةَ الساعين في اذهاب الحقِ وتضييعهِ ، **﴿يُريدونَ ليُطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره﴾**[٨] ، انهم « بنو أمية » وقفوا قبالة الحق ، حاربوه حاولوا ان يمحقوا اسمَ الدّين من الوجود ولكنهم لم يصلوا إلى أهدافِهم الوضيعة ؟ لقد استمروا على البقاءِ في الوحل وخاب سعيهُم وضلّ .

لقد بذلَ بنو أمية الغالي والنفيس من أجلِ ازاحةِ آل بيتِ الرسول (ص) عن الحياة السياسية والإجتماعية بل قتلوهم شرَّ تقتيل وشردوهم شرَّ تشريد وسبّوا علياً (ع) «٣٥» سنة على المنابرِ وقتل يزيدُ ابنَ بنت رسول الله وأحدَ سبطي الرحمة ولكنَّه وغيرَه من المردة لم يبلغوا مرادَهم وهو الذهاب بالإسلام والقضاءُ عليه .

انَّ الإمام علي (ع) أمرَ ابنَه الحسن بتشكيل أربعةِ نعوش بعدَ وفاته لتضييع الأمر على معاوية خوفاً من التمثيلِ ببدنه الشريف ؛ لذا كانت هناكَ أربعةُ

---

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٧) سورة الكهف ، الآية : ٤٢ .
(٨) سورة الصف ، الآية : ٨ .

مكانات للدفنِ فالمكان الأول مكة المكرمة والثاني صوبَ بيت المقدس والثالث في بيتِ الإمام (ع) والرابع وهو الأصلي حيثُ دُفنَ البدنُ الطاهـرُ ليلاً بعـد ان نامتْ العيون المتطفلة ، ولقد بقيَ قبرُ أميرِ المؤمنين علي (ع) مضيّعاً لقرنٍ من الزمانِ بعدَها ثبّت التاريخُ اسمَ كتاب.فرحةِ الغري لابنِ طاووس وهو من الكتب المعتبرة الذي يبينُ فيه المؤلف كيفيةَ العثورِ على قبرِ الإمام سلام الله عليه .

انَّ عاقبةَ الأمور لا تفارقُ المتقين بل هي حتمُهم انّهم سعَداء الآخـرة ، فأينَ موسى بن جعفر (ع) من هارون ؛ انَّ هارون لم يتنازَل يوماً واحداً عن هوىٰ النفس وحبِّ الشهـواتِ وانتهاكِ الحـرمـات و . . . و . . . . ، على العكسِ من عبادِ الله الصالحين الذين أحسنَ الله عاقبتَهم فـأصبحُوا سـلاطينَ عالمِ الملك والملكوتِ .

هل تريدُ السمو ؟ هل تُحبُّ الرقي ؟ هل تُريدُ أنْ تكبرَ ؟ كن صغيـراً في قبالِ الله ، وأنكر ذاتَك التي تأمرُك دائماً بالسوءِ ، كن مثلَ موسىٰ بن جعفرٍ (ع) حين كان يُمرّغُ وجهَه بالترابِ تصاغراً أمامَ الله تبارك وتعالى لقـد كان « حليفَ السجدةِ الطويلة » .

بســـم الله الرحـــمن الرحيـــم

العدل :

. . . والعدل على أربعة شعب غامض الفهم وغمر العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم فمن فهم فسّر جميع العلم ، ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً[1] .

وخــلاصةُ حــديثِ أميــر المؤمنين (ع) هــو : يجــدرُ بــالمؤمنِ فهم المشكلات ، ولا قيمةَ للمؤمنِ بدونِ فهمٍ وادراك هذا ناهيك عن إصرار المؤمن بسبرِ أعماق الحقائق وفهمها لكي يتسنى له مراعاةُ الإلتزامِ بالعدل وان يكون ذا حكمــة ظاهــرة يستفيد منهــا في درك الحقــائق ؛ وقــد جــاء في بعض النســخِ « تغاوص الفهم » المأخوذة من غاص ، يغوص ؛ وقد تكون كذلــك لأنَّ العلمَ كالبحر والفهمَ كــالمجوهــرات ، فمن رامَ الجواهــر نزلَ إلى البحــرِ وغاص في أعماقهِ مستخدماً علمَه وادراكَه للخروجِ بجواهرِ الحكمةِ من أعماق بحرِ العلم الممتد .

أساس العدل الفهم :

لقد أولىَ الإمام علي (ع) الفهمَ أهميةً خاصةً حيث أشار إلى أساسيته في

---

(١) الأصول من الكافي ـ الكليني ـ دار الأضواء ـ بيروت ج٢ ص٥١ .

شُعب العدلِ الأربعة ، فأساسُ العدلِ الفهم ، ولكنَّ المسألةَ تكمنُ في الإرتباطِ بينَ الفهمِ والعدلِ ؛ فأولُ مراتبهِ هو الفهمُ لذا كانَ أساساً له . والعدلُ هذا على ثلاثةِ مراتب العدل مع الله ثم العدل مع الخلقِ بعدها وثالثاً يأتي العدل مع الذات .

عندما يكون التعاملُ معَ الله تباركَ وتعالىٰ وفقاً لأحكامه وشرعته يكونُ الإنسان عادلاً ؛ من خلالِ دقته وفهمه للحقائق جميع المسلمين يعلمون أنَّ من الأحكام الضرورية العقلية والشرعية هو عدمُ التصرف في ملكِ الغيرِ بدونِ إذن ورضا صاحبه ، فالعقل يقول بقباحتِه والشرع يقول بحرمتِه ولا أعتقد ان أحداً يشكُّ في ما أقول ؟

فالورودُ في بيتٍ بدونِ علمِ صاحبه مرفوضٌ عقلياً ومحرم شرعياً .

التصرف في ملك الله بدون إذن :

هل تعلمُ ملكية أبداننا وأعضائها ؟ في الحقيقة إذا تعمقتَ في الأمر فستفهم وتراعي العدالةَ في هذهِ الملكية .

لنأخذ مثلاً هذه العين فمن هو خالقها ؟ فهل أنتَ خالق أو صانع لجهازِ التصوير هذا والمتكون من سبعِ طبقات تتصل كلُّ طبقة بالطبقةِ التي فوقها ؟ وهل لكَ يدٌ في الرطوبةِ التي هي بين الطبقات والتي إذا ما جفت الرطوبة في إحدىٰ الطبقات فقدَ صاحبُها البصر .

أو هل لك دخلٌ في خلقِ الأذن التي تحتوي على ثلاثةِ آلاف من الذرات ؛ يقولُ الشيخ الطنطاوي من مصر في تفسيره : ان الأذنَ البشريةَ لا يُمكن ان تسمعَ شيئاً إذا لم تكن مكتملةَ الخلايا ، وعددُ الخلايا فيها ثلاثة ملايين خليّة ؛ فمن صاحبُ هذه الأذن ؟ ومن هو صاحبُ اللّسان انَّ صاحبَها هو ذاك الذي صنعها ، ولستَ أنتَ ، إنّها ليستَ بملكِ لك ، لا الأذنُ ولا اللسانُ ولا . . . و . . . كلها ملك لله جلّت قدرتهُ فأنت ملكٌ لله من رأسِك وحتى

أخمصِ قدمِك ، وعقلُك يقولُ بذلك أيضاً فهو يعرفُ أنَّـكَ ملكُ غيرك ويجبُ أنْ توظفَه في خدمتِه وفي رضاه ، فملكُ الغيرِ لو استخدمْتَـه بدونِ إذنِ صـاحبه يُعدّ ظُلماً ، ولا ينبغي لكَ ان تنسىٰ ان البشريةَ جمعاء اتفقت على أنَّ استخدامَ مالِ الغير بدونِ إذنٍ قبيح عقـلاً وحرام شـرعاً ؛ فـالإنـسـان الـذي يـسـبّ ويشتم بلسـانِهِ ، لم يعـدل في ملكِ الله ، وتصـرفـهُ هـذا في غيـرِ محلّهِ وكـذا العين الخؤون ، وخلاصةُ الأمر ان أيّةَ حركةٍ في ملكِ الله في غيرِ رضاه ظلمٌ .

أولادُك ملكٌ لله ، وهم أمانةٌ في يدِك ، ائتمنك الباري عليهم وكذا دارُك والحجرُ والترابُ والحديدُ والخشبُ وكلُّ شيء راجع له وحدَه لا شريكَ له ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾[2] .

انَّ تصرفَك بملكِ الله على أنّه مالك ، ولا يـسـمعُ الناس منك إلاّ أموالي ، ومالي ، وملكي فأنت ظالمٌ لله وليـس فيك شيء من العدلِ لأنَّ كلَّ شيء ملكه وحده ولكنَّ نسـيانَك لله جعلَ منك ظالماً ، ظالماً في أعضاءِ بدنِك وفي مـالكِ وفي غيرِ ذلك ، فعلى سبيل المثال إذا كنتَ مسرفاً فانّك ظـالـم ؛ ﴿والذينَ إذا أنفقُوا لم يُسرِفُوا ولم يَقْتُروا﴾[3] ﴿ولا تجعلْ يدَكَ مغلولةً إلى عُنقِك ولا تبسطْها كلَّ البَسطِ فتقعدَ مَلُوماً محسُوراً﴾[4] ﴿ . . . والذينَ يكنِزُونَ الـذَّهَب والفضةَ ولا يُنفقونَها في سبيلِ الله فبشّرهم بعذابٍ أليم﴾[5] .

السَّجادُ والسّوط :

لقد جاءَ في بعضِ الأخبار ان الإمام السجـادَ عليُّ بنُ الحسين (ع) حجَّ إلى بيتِ الله الحرام «١٥» حجّة هذا غير حج العمرة التي غـالبـاً مـا يقيمها في شهرِ رجَب المرجب وأحياناً في شهرِ رمضان المبارك .

---

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٣ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٢٩ .
(٥) سورة التوبة ، الآية : ٣٤ .

وقد روي في حقّه أنّه في حجٍّ له على جملٍ رفعَ سوطَه على جمله يُريدُ ضربَه لتعطله عن السيرِ بسببِ كلاٍّ كان يـأكلُه ولكنه تـذكرَ انَّ الجمـلَ ملكٌ لله وأمانةٌ عندَه فامتنعَ عن ضربِه وقال : « لولا خوف القصاص » .

انَّ الإمام (ع) يُدركُ جيداً ان ضربَ الجملِ مسؤوليةٌ كبرى يحاسبُ عليها فيما بعد فلو تأتى للإمام (ع) يقيناً ان ضربَ الجملِ مرضاةٌ لله لضربَه ولكنه يعلمُ يقيناً ان الضربَ في هكذا حالة فيها قصاص مأخوذ لا محالة لذا كان امتناعَه عن الإتيان بالضربِ في محلّه .

وفي مناجاةِ أمير المؤمنين (ع) جاء : « مـولاي مولاي أنت المـالك وأنـا المملوك » أنت الصانع وأنا المصنوع » .

انَّ المعاني المدركة من مناجـاةِ الإمام (ع) تـدللُ علىٰ التقـوى الحقيقية وعدمِ القولِ باستقلاليةِ التملكِ في ما خلقَ الباري تعالىٰ شأنُه وان الله تعالى هو الوحيد الذي يمكن انْ يتحكمَ فيما خَلَق .

العدلُ مع المخلوقِ يستلزمُ الفَهمَ أيضاً ، فمن كانتْ الحكمة من نصيبِهِ يفهمُ جيداً عدميّة التباين بينَ جميعِ البشر حسبَ أصْلِ الحقيقة وهي أنَّ الكلَّ من تُراب والكلُّ يصيرُ إلى تُراب والجميعُ مخلوقاتُ ربُّ العالمين التي تَفنى في آخرِ الأمر ، فالإنسـان خُلق من غير اختيار ويُذهب به إلى العـالَم الآخر بـدونِ إختيار أيضاً ، فما الفرقُ إذَن بين أفرادِ البشر حسبَ الخلقةِ والتكوين ؟ لا فرق بينَهم فهُمْ سواء في خلقِ الله لهم ، وذهابهم قهراً من عالمِ الحيـاة الدنيـا إلى عالمِ الحياة الأخرة ، إذن لا ينبغي لأحدِ أنْ يستعلي على آخرٍ ولا ينبغي له أيضاً أنْ يتكبُّر ويقول بأفضليتِهِ على الآخرين .

نقلَ لنا الغزالي حكاية عن أيام ولايةِ عهدِ الإمام الرضا (ع) في خراسان جـاء فيها : ذهـبَ الإمـامُ الرضـا (ع) إلى الحمّامِ ومـا مضـت غيـر دقـائق وإذا بصاحبِ الحمّام يعود الإمام الرضا (ع) ليسأله إذا كان لديه حاجة أو لا ؛ ولكنّه

رأى العجب !! انه رأى الإمام(ع) وقد أمسكَ بليفٍ ليدلُّكَ ظهر أحد المتحممين فـأرادَ ان يحمل على الشخص ذاك ولكنَّ الإمـام (ع) أشار إليـه بالإنضبـاط ، والـظريف في الأمر ان ذلـكَ الشخص لم يكن يعرف أنَّ الإمـام (ع) هـو وليُّ العهد ، فكانَ قد عرضَ عليه أنْ يدلُّكَ له ظهرَه بالليفِ فامتثل الإمـام (ع) إلى طلبِه ونَفَّذ له ما أراد .

نعم ، فالمخلوقات البشريةُ سواء في العبودية لله تبارك وتعالى ، اما مقامُ الإمامة والنبوة فهذا يرجع إلى درجات عطاء الله للإنسان الذي تمكّن من لجام نفسِه وتسامىٰ عن الشهوات والمعاصي ؛ اما من ناحيةِ العدلِ فلا ينبغي لأحدٍ أنْ يتعالىٰ ذرةً واحدةً فوقَ نظرائِه من الخلقِ وإنْ فعلَ فهو ظالم لنفسِه وللغير .

أشد الناس حسرة :

أربع طوائف هم الذينَ تكونُ حسرتُهم أكثرَ من الباقين :

الأولى : عالم ينصحُ النّاس ولا يلتزم بما يقول ولا يعمـل بما يعلم فهـو هاوي في نارِ جهنّم وغير مجتاز للصراطِ ويرى بأمِّ عينيهِ مريديه يجتازونَ الصراطَ المستقيمَ بسلامة وهو لا يقدرُ على ذلك فيتحسر .

الثانية : رجل لم ينفق من مالِه في سبيلِ الله شيئاً وماتَ وله ورثة أنفقُوا المالَ في عملِ الخيرات والصالحات يأتون يومَ القيامة لينـالوا الـدرجاتِ وهـو ينظرُ إليهم من قعرٍ في جهنّم حام .

الثالثة : رجل وامرأة كان لَهم خدمٌ وعبيدٌ يحكمون عليهم ويستهزئون بِهم فإذا جاءَ يومُ القيامـة رأوا مكانَهم في أعلىٰ عليين وهم (أي أصحـاب الخدمِ والعبيد) في نارِ جهنّم يصطلون .

الـرابعة : رئيسٌ جلسَ على كـرسيِّ الحكم يأمـرُ وينهي ويُلحقُ الضـررَ بمحكوميه وفي يومِ القيامة تراهُ في مكانٍ يحكمُ عليه محكوميه فينالونَ منه أكثرَ مما نالَ منهم .

الحكام واقعون في المصيبة إلّا من عدل :

في روايةٍ تتحدث عن الولاية والحكمِ جاء في مضمونها : « من وَلِيَ عشرةً فما فوقَهم جاءَ يومَ القيامةِ مغلولة يدُه إلى عنقِه فإنْ كانَ مُحسناً فكَّ عنه ، وانْ كانَ مُسيئاً زِيدَ إلى غلِّه » وفي روايةٍ أخرى وان كانَ ظالماً هوى به في نار جهنّم وبئس المصير » .

لقد تحدَّثنا بالأمسِ القريبِ عن تربيةِ الأولاد وقُلنا انّه لا يجبُ تركُ الحبلِ لهم على الغارب ولا يجبُ شتمُهم وسبُّهم فانَّ السبَّ والشتيمةَ ظلمٌ ناهيك عن اكتسابِ الطفلِ لهذهِ الصفةِ البذيئة ، وقد أولىٰ الإسلام العزيز عنايةً خاصةً بالطفلِ وقالَ بإيفاءِ العهدِ له إذا عاهدته فإذا ما قلتَ له سأشتري لكَ الحاجة الفلانية وحددتَ له اليومَ والساعة وبدأتَ تسوِّفُ في الأمرِ فأنتَ ظالم علاوةً عن اكتسابِك صفة عدمِ الوفاء بالوعدِ والعهد .

وعلى أيّةِ حال فانَّ الأطفالَ يجبُ أنْ يتربوا بشكل يفهموا معهَ انَّ الكذبَ قبيحٌ ومذمومٌ وصاحبَهُ كريه ، ولو تأتي لابنِك ابداء صدقٍ في القضيةِ التي تُخفيها عن فلان من الناس ، وأبديتَ له اللّوم في ذلكَ فسيبقى أثرُ كلمتك الباطلة في ذهنِه ما دامَ حيّاً وبذلكَ ظلمتَ نفسَك وابنَك والمجتمع .

والويلُ والثبورُ للآباء والأمهات من الذينَ يُكرهون أولادَهم على الفسقِ والفجور بل ويُشجّعون على ذلك وهناك وفي يومِ القيامة يُمسكُ الابنُ بتلابيبِ أبويه ويقول لهم : ظلمتموني ، فأنتُم الذينَ شجعتُم على ذلك ولولا أنتم لما سرقتُ ، ولولا الحديثُ الفلاني لما فعلتُ وهكذا .

حق الأبناء على الآباء :

انَّ الحديثَ في بيانِ العدلِ مع المخلوقِ تطرقنا إليه بشكل وجيز حيثُ قُلنا انَّ اداء الحقوق يوجبُه العقلُ والشرعُ ، وقد شرحَ وفصَّلَ كتابُ الفقهِ في بابِ المعاشرة حيث جاءَ فيه : انَّ حقوقَ الأبناء تشمَلُ الآباء (الأب والأم) على

السواء فهم شركاء في تربيةِ الأبناء وجيران ، وبائع ومشتري ، ورفقاء سفر ومتحدثين في جلسةٍ واحدة وقد أسلفنا في الحديثِ عن هذا الموضوع اختصاراً ونذكرُ اليومَ القاعدة الإجمالية لتربيةِ الأبناء أو حق الأبناء في أعناقِ الآباء .

يلزمُ الآباءَ في كلِّ وقتٍ وزمانٍ تشجيع الأبناء على تركِ المعاصي والوقوف سداً منيعاً أمامَ انزلاقهم في مهاوي الفساد حيث يكونُ المنعُ في هكذا حالات واجباً اما المسائلُ التي يُمكنُ أنْ يمارسَها الطفلُ بصورةٍ عشوائية وتحتسب من المعاصي فلا خوضَ فيها لأنَّ الطفل غيرُ مكلّف ولكن يبقى تدريبُه وتعليمُه على أنَّ الذي يفعلُه ليسَ صحيحاً وتعويده منذ البداية على الحسَنِ من العَمل والقول ، فعلىٰ سبيلِ المثال لو قُدِّرَ أنْ يستقبلَ الطفلُ أو يستدبر القبلة حينَ التبول أو التغوط ـ وهو حرامٌ على كلِّ مكلّف ـ فهو عليه غير حرام لأنه غير مكلف أو غير بالغ سنَّ الرشد وليسَ في ذلك وجوب من منعِه بل الأجدر أنْ يُسلكَ به طريقاً إلى التمرينِ على عدمِ ممارسةِ ذلك من خلال إلتزام البالغين بذلك . فالصلاةُ مثلاً لا بأسَ بأنْ يقومَ بها من غيرِ احتسابها واجباً عليه ولكن الوالدين عليهما أنْ يسعيا إلى جرِّ الابن إلى ممارسةٍ بذلكَ قبلَ الوصول إلى سنِّ البلوغِ فالابن يصلّي في سنِّ الثانية عشرة والبنت في السابعةِ وإذا لم يتم ذلك ـ لا سمح الله ـ فالعهدة في رقبةِ الأبوين وإذا ما صارتْ البنتُ إلى التاسعة من عمرِها ولم تمارِسْ فريضةَ الصّلاة وكذا الابن الذي يصلُ الخامسة عشرة فالعهدةُ على الأبوين لأنّهما لم يوقفا أبناءَهما إلى الصّلاة من قبلِ البلوغ .

صدّ الطفل عن ممارسة الكذب والنميمة :

إنَّ زجرَ الأبناء يتوجبُ على الآباء في حالةِ ممارستِهم للمعاصي التي تَتمُّ عن الفسادِ من مثلِ الكذب ، إذ لا ينبغي للآباءِ أنْ يتركوا أبناءَهم يعتادونَ على الكذبِ والغيبةِ والنميمةِ ولا يجدرُ بهم أنْ يتبسّموا في وجوهِهم حينما يمارسون هكذا معاصي لأنَّ التبسمَ في وجوهِهم أو لهم يبعثُ على الفتنةِ والسقوطِ في هاوية المعاصي ، بل يجبُ عليهم أنْ يَسدُوا النُصحَ لهم حين التفوه بكلماتٍ

يُفهمُ منها أنّها غيبةٌ أو نميمةٌ ، وقد يُشاهَدُ في بعضِ الأحيان حالات تبعث على الأسف من مثل تشجيعِ الأمهات لأبنائهن على ممارسةِ المعاصي بدونِ أنْ يشعرنَ بذلك فعلى سبيلِ المثال قد يعاقبُ الأبُ ابنَه أو بنتَه بسببِ ممارسةِ لمعصية ، فتسرع الأُمُّ لترضية الابن بقولها لا تهتم لذلك فاني سأجعلُ من أبيك إنساناً راضياً عنك بدلَ ان تُسدي له النُصحَ وتعلّمه إنَّ الذي فعلَه أبوك معكَ إنَّما هو الصحيحُ لا يجدرُ بك أنْ تفعلَ ذلك مرةً اخرى ، ولكنْ بشكلٍ هادىءٍ جداً ، فسنّةُ الحياة أنْ يتشددَ أحدُ الأبوين في حالةِ معصية الأبناء ويُهدّيءِ الآخرُ الأمورَ بدونِ أنْ يتعرضَ إلى إذهابِ النُصحِ ادراجَ الرياح .

يرافق أُمّه العجوز إلى مكة والمدينة :

هذه نبذة مختصرة عن حقوقِ الوالدين التي يتحملُها الأبناء لنتعرف إلى بعضِها من الحكايةِ التالية :

كانَ لأحدِ أصحابِ الإمامِ الصادق (ع) أمٌّ عجوزٌ طلبَتْ منه أنْ يأخذَها معَه إلى مكة والمدينة ان كانَ ذلك ممكناً ولم يتوانَ الشابُّ في الأمرِ بل أبدى رجولةً فيه وسارَ مع أُمهِ صوبَ الحجاز على الرغمِ من أنَّ السفرَ في ذلك الزمان لا يخلو من الشدائدِ والصّعابِ ناهيك عن كبَرِ سنِّ أُمّه واحتياجها المتواصلِ إلى من يهتمُّ بها بشكلٍ غيرِ طبيعي وعند وصوله إلى المدينة المنورة ذهبَ إلى الإمام الصادق (ع) وقصَّ عليه ما جرىٰ له ولأمّه في الطريقِ إلى المدينة وقال : يا آبنَ رسولِ الله هل وفّيتُ بحقّها ؟ فأجابَ الإمام (ع) بالنفي .

ولو حملَ هذا الرجلُ أُمّه على كتفِه وجاءَ بها من الكوفةِ إلى المدينةِ لما وفّىٰ حملَها لهُ تسعةَ أشهر في بطنِها ومحافظتها عليه واهتمامها به في سِنّي الطفولة ، فصعودُها لعالٍ مشكلٌ وهو في بطنها ، ونومُها صعبٌ ووضعُها أصعبُ من كلِّ ذلك وعن الصادقِ (ع) يقولُ في ذلك : « النفساء تُبعثُ من قبرها بغير

حساب لأنّها ماتت في غمّ نفاسها »(٨) .

وخلاصةُ الحكايةِ : إنَّ تحمُّلَ الأم للصعابِ والعَناء ، كلُّ ذلك من أجلِ بقاء طفلِها حيّاً .

الصبر جميل لو تعرض الإنسان لزجر الأم :

من الخطإ الفادحِ أنْ لا يتحملَ الفردُ غضبَ أُمِّه أوْ زجرَها له ، وقد تعرضَ القرآنُ الكريمُ لهذهِ المسألة حيث نهى الله تباركَ وتعالى عن التحدثِ للوالدين بصوتٍ عالٍ . أو عدمِ اطاعتِهما ولو بكلمةِ « أُفّ » فالتأففُ غيرُ جائز فكيف بالإساءة إليهما بكلام بذيء أو توجيهِ رفضِ إليهما عن أمرٍ أمراهُ به ﴿فلا تَقُل لَهُما أُفٍ ولا تَنْهَرْهُما وقُلْ لَهُما قَولاً كريماً﴾(٧) ؛ فالصبرُ على إساءةٍ قد تصدرُ من الأبوين فيها ثوابٌ جزيل وأجرٌ جميل لما لاساءتهما من شفاءِ غيظٍ قد يحملانِه » اما العكسُ من ذلك وهو الخروجُ عن طاعتِهما أو نهرِهما بكلامٍ جارحٍ فليسَ فيه إلّا الفوزُ بسوء العاقبة .

عاقبة لعن الأولاد السيئة :

إنَّ اللعنَ بشكلٍ اجمالي غيرُ محمود ، وأمّا لعنُ الآباء لأولادهِم فلهُ عواقبُ سيئة .

قد يَظنُّ بعضُ الآباء إنَّ وجودَ الأبناء يبعثُ على الفقرِ والفاقةِ فلذا نراهُم يلعنونَ أبناءَهم لأتفهِ الأسباب على الرغم من أنَّه ينبغي لهم أنْ يُبدوا الشفقةَ والعطفَ والرحمةَ على أبنائهم فاللعن قد يُحفّز الأبناء على انتهاكِ بعضِ حقوقِ الآباء والتجاوز عليهم بشكلٍ غيرِ محبب فالضربُ والشتمُ واللّعنُ لا يجدرُ أنْ يكونَ في البيت الأسري لما لَهُ من بواعثٍ على الفرقةِ والتشتتِ والإنفصام في

---

(٦) سفينة البحار : ج٣ ، ص٦٠٤ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

عرىٰ الأسرة الواحدة .

شلل الزمخشري وحكاية العصفور :

كانَ الزمخشريُّ صاحبُ تفسيرِ الكشاف الملقَّب بجارِ الله ذا رجلٍ سالمةٍ واحدة وقد عللَّ ذلك بدعاءِ أُمِّه عليه حين كانَ صبياً ، ففي يومٍ من أيّام الصبا تسلّق جداراً ليُنزل عصفوراً من عشّه . وحالَ انتباهُ العُصفور وأثناءَ طيرانِه أمسكَ الزمخشريُّ الصبي برجلهِ فقاومَ العصفورُ مسكةَ الصبي محاولاً الفرار ولكنْ الصبي لم ينزل من الجدار إلاّ ورجلُ العصفورِ في يدهِ ، وبعد أنْ رأتْ أمُّ الصبيّ ما حدث للعصفورِ من خَلْعٍ لرجلِه تأثرت كثيراً إلى درجةٍ دعتْ فيها على ابنها وقالت : « شلَّ الله رجلَك يا ولد » .

وقد يتبادرُ إلى ذهنِ البعضِ حمدُ الله وشكرُه على أنْ أُمَّه قد ماتت ولا يُمكن أنْ تدعو عليه بهكذا دُعاء ولكنَّ الأمرَ غير ذلك فقد تدعُو الأُمُّ من مكانِها في عالَم البرزخ على ابنِ شقيٍّ لها ويُقالُ إنَّ الخيراتِ والدعاء والإستغفار للأمّ يُرضيها عن أولادِها في الحياةِ الدُّنيا فلا تدعو لهم إلاّ بالخيرِ والصلاحِ والهدايةِ .

حق الجار :

ان رعايةَ حقِّ الجَارِ قضيةٌ مهمةٌ جداً ولقَد تعرضَ أميرُ المؤمنين إلى هذهِ القضية بشكلٍ مفصّلٍ في مجملِ أقوالهِ وأحاديثِهِ ولقد جاءَ عنه (ع) ما مضمونه : « ما زالَ رسولُ الله يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه » .

فرعايةُ حقوقِ الجيرة هي : أولاً : ستره ، فلو تأتىٰ لأحدٍ أنْ يرىٰ من جارِه ما يخفي فلا يجوزُ له اشاعته ؛ وثانياً : التسلط على الجار من أعلى البناءِ حرام ، وثالثاً : إذا خرجت رائحة الطبيخ من بيتك إلى بيت جارِك الذي احتوىٰ أطفالاً صغاراً فالأجدر بكَ أنْ تسلكَ أحدَ طريقين : اما أنْ تجعلَ من جارِك شريكاً لكَ في طعامِك أو لا تضَع قدراً على نار ؛ ورابعاً : لا يجوزُ لأحدٍ أن

يضعَ شيئاً على جدارِ جارٍ له بدونِ إذنِه وخامساً : عدمُ رمي الأوساخ في باب جارِك ، وفي ذلك يروى عن أمير المؤمنين (ع) ما يشير إلى موضوع الإيمان والجار :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه » .

فإذا ما احتاجَ الجارُ إلى صحنٍ أو قِدرٍ أو غيرِ ذلك من لوازمِ المنزل بعنوان مجيء ضيفٍ له فلا تمنعْه من ذلك .

اطعام بحر العلوم لجاره :

حين كانَ المرحومُ جواد العاملي ـ صاحبُ كتاب مفتاح الكرامة ـ يرومُ تناولَ عشاءه طُرقتْ بابُه وإذا به أستاذه السيد بحر العلوم المعروف بمكاشفاتِه واطلاعِه على عوالمِ عجيبة وغريبة فأدخلَه في الدارِ وجلَسا إلى مائدةِ الطعام وكان يبدو على بحرِ العلوم الإنزعاج والإنفعال فسألَه المرحوم جواد العاملي عن السبب في ذلِك فقال : هل تعلم بحالِ جارِك الذي لم تُشعل له نار ويوضَع عليها قدرٌ منذ سبعةِ أيام وله أولاد صغارٌ لا يأتيهم النومُ من جرَّاءِ جوعهم ، لقد ذهبَ جارُك عدةَ مرات ليقترضَ شيئاً من البقّال ولكنه قالَ له : لقد أثقلَ الحساب فاستحىٰ من ذلك ولم يذهب بعدَها وكان قرضُه ماءَ وجهِه لقاءَ تمرات ؛ فأجابَ سيد جواد : لا علمَ لي يا أستاذي الجليل بذلك فقاطَعه بحرُ العلوم قائلاً : لو كنتَ تعلمُ ولم تؤدِ ما عليكَ من حقِّ الجيرة لكنتَ خارجاً عن الإسلام ولكانَ الأحرى بك ان تغوصَ في الأرض وأنا أعترضُ عليكَ لغفلتِك عن جارِك وعدمِ سؤالك عنه فاملأْ صحونَك وارسلْ خادمَك بها إليه وارفقْ ما تُرسل بهذا الكيسِ من النقودِ ؛ وعليكَ ان تفعلَ ما أقول الآن وبعدَها يُمكنُ ان تجلسَ إلى طعامِك ، فعلَ السيد الجواد ما قيلَ له ولكن الخادمَ رجعَ إليه ليقولَ ان الجارَ لا يرضىٰ قبولَ الطعام إلاّ ان يعلمَ من الباعث له به ، ولكنّ بحرَ العلوم أبىٰ أنْ يُقال للجارِ باسمِ الذي بعثَ إليه الطعام ، فأصرَّ الجارُ إلاّ

العلم باسمِ المرسل ، فاضطرَّ الخادمُ للبوحِ باسمِ بحرِ العلوم وحينَها قالَ الجار : إلهي لا علمَ لأحدٍ بحالي غيرك .

أردتُ أنْ أقولَ هنا وأؤكد على حديثِ بحرِ العلوم حين قالَ لتلميذِه إن كُنتَ تعلمُ بحالِ جارك فلست من الإسلام في شيء ؛ فمن كانَ على علمٍ بوضعِ جارِه المزري ولم يكن سنداً له خارج من ذمّةِ الله ، فمن يدعي الإسلام عليه أنْ يتحرىٰ وضعَ جارِه ويسأل عن حالِه فقد يكونُ مريضاً وقد يكونُ له أولاد صغار .

رعاية حق الشريك في كل الأحوال :

حقُّ الشريك : يجبُ أنْ يكونَ العدلُ حاكماً بينك وبين الشريكِ لكي يتسنى لكَ رعاية حقِّه وكذا من يشاركك بيتك أو من تتعاملُ معه تجارياً أو من كانَ على سفرٍ معك .

من مستلزماتِ الشراكة بين اثنين من البشر هي عدمُ التصرفِ في مالِ الشركة إلاّ باكتسابِ الإذن من الشريك ويجب حفظُ مالِ الشركة أو المال الخاص على كلٍّ منهما قبالة الأخرة . إذ يسقطُ الفرقُ في الشركة بين المال الشخصي وحال الشركة في حالةِ غياب أحدهما ؛ ويتبلور العدل في الشركة فيما لو سعى كلٌّ منهما جاهداً مقابلَ سعي صاحبِه الجاد .

أسرتان يتخاصم أبناؤهما ويسري الأمرُ إلى الكبارِ فتبرز العصبية الجاهلية لتصلَ أوجَها في الوقتِ الذي تلتفت الأسرتان إلى أنَّ الأبناء بدأوا ثانيةً باللعبِ مع بعضِهم البعض .

ففي الشركةِ ينبغي مراعاة الدقة الشديدة ومن أجلِ هذه العبارة أشرعُ بسردِ حكاية لكم ليتوضحَ الأمر بشكل أعمق .

سمرة بن جندب والنخلة :

كانَ على صدرِ الإسلام شخص يسمى سمرة بن جندب كان لا يفهمُ

معنىٰ العـدل ولا يُدرك من الإيمـان شيئاً ، هـاتكاً للحُـرم متجاوزاً لحـدودِ الله وشرعتِه السـامية ؛ كـانت له نخلة في أحـدِ بيوتِ الأنصـار ، وكان يمـرُّ عليها اهتماماً بها ورعاية لها ، وعندما كان يُريد ذلك يدخلُ بيتَ الأنصاري بدونِ إذنٍ منه غير مبالٍ بمن في الدارِ من نسـاءٍ ورجالٍ وعندما واجهَـه الأنصاري بـذلك وأبدى له تأثره من هـذا الأمر ، ظهـرتْ منه خشـونة في الحـديث ووقاحـة في الإصرار على إدامةِ عملِه هذا متبجحاً بأنّه له حقُّ العبور فما السببُ في اكتسابِ الإذن .

شكى الأنصاريُّ سمرة بن جندب إلى الرسول الأكرم (ص) بعدما استنفذ كلَّ الطرقِ والوسائل لإيقاف سمرة عن تجاوزِ الحـرمات بسببِ وجـودِ نساء في الدار .

حَضر سمرة إلى الإحتكام عندَ الرسـول (ص) وخُيِّر باعطائِه نخلة في مكانٍ آخر مقابلَ نخلتِه في بيت الأنصاري ولكنه لم يمتثل لأمرِ الرسولِ الأكرم (ص) وقيلَ له بابدال نخلتِه بنخلتين فلم يقبل وبثلاثة فلم يرض وبأربعة وبخمسة . . حتى وصلَ الأمر إلى عشرة من النخيل فأبى إلاّ نخلته فقال لهَ الرسول (ص) : « لا أراكَ إلاَّ مضـاراً لا ضرر ولا ضـرار في الإسـلام ، . . . ، اقلعهـا وارم بهـا إليه » .

لم يكن من علاجٍ لهذا الخشنِ الجلف إلاَّ بقلعِ نخلتِه التي ما فتيء يصرُّ على وجودِها في بيتِ الأنصاري ، . . . انها النفسُ الأمّارةُ بالسوءِ المتأصلةُ في هذا الشخص ، ولا يمكنُ علاج هكذا نفس عدوانيةٍ إلاَّ بمثلِ ما أمرَ به رسولُ الإنسانية محمد (ص) لكي يوقفَ هذا السلوكَ العدوانيَّ عند حدِّه ، فظاهره كانَ مسلماً وباطنه خالياً من الإيمان والرحمة والشفقة .

عاقبة السوء تجلّت في اتهام علي (ع) :

كان حريصاً على مال الـدنيا أشـد الحرص فجـرّه ذلك لأن يكـون عدوّاً لأمير المؤمنين (ع) ، بهره لمعان الذهب الذي أغدقه عليه معـاوية فـذهب إلى

الشام وحينها قال له معاوية : لك «١٠٠» ألف درهم شريطة ان تعلوَ المنبر وتقول : ان الآية الشريفة ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[٨] نزلت بحقِّ ابنِ ملجم المرادي وليَست بحقِّ علي بن أبي طالب (ع) فأجابَ : يا معاوية إنَّ هذه كذبةٌ كبيرةٌ وان قيمتَها أكثرَ مما قلت بكثير ؛ فقال معاوية نعم ، هو كذلك فلك «٢٠٠» ألف درهم ان قلتَها فلم يرض حتى قرَّ القرارُ علىٰ «٤٠٠» ألف درهم .

قبضَ سمرة بن جندب دراهمَ الحرام نقداً وذهبَ إلى صلاةِ الجمعةِ ليعتلي المنبر ويقول كذبتَه في جمعٍ كبيرٍ من المسلمين ، فلم يعترضْه أحد .

هل تعلم أخي المسلم ماذا كانت عاقبةُ هذا المخادِع الحريص ؟ لقد كانت عاقبةُ أمرِه أنْ سقطَ في قدرِ ماءٍ يغلي ليهريَ جلدَه ويسلخه ؛ وفي الآخرة له عذاب إليم .

اجعل نفسك ميزاناً :

نسدلُ الستارَ على حقوقِ الآخرين بعدمَا تعرضنَا لحقوقِ الجار والشريك والأب والأم .

ولو كان مرامك مراعاةِ حقوقِ الآخرين ، وان تعمل بالعدلِ في معاملاتِك معهم عليكَ بالعملِ وفقَ جملة من جملاتِ علي (ع) حيث يقولُ فيها : « اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك »[١٠] .

أيها العطار : إنك لا ترغبُ في أنْ يكونَ ميزانُ البقال طفيفاً حين تشتري

---

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

(٩) سفينة البحار : ج١ ، ص٦٥٤ (فيها قصة سمرة والأنصاري لكن لم يكن الوارد هنا بالنص) .

(١٠) المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ الكتاب ٣١ ـ ٥٤ ص٩١ .

منه الرز ، فكن أنتَ كـذلك حينمـا يشتري النـاسُ منك الشـاي والقهوة ، كن منصفاً في معامـلاتِك مـع الآخرين مثلمَـا تُحبُّ أنْ يكـونَ الآخـرون منصفين معك ، يا من تتأثر حينَ يتحدثُ الناسُ عنك في غيبتِك فلا تتحدثْ عن الآخرين بما يفضحُ عيوبَهم المستورة . فإذا أردتَ أنْ لا يُظهر الناسُ عوراتِك فلا تحاول اظهارَ معائب الناس وفضح عوراتِهم .

أنكَ تريدُ أنْ يعفوا النـاس ويتجاوزوا عمـا بدرَ منـك من عملٍ قبيـحٍ ، وتريد أنْ يرحمَك الله تبارك وتعالى ويتجاوز عنكَ صفحاً فهل فعلتَ أنتَ ذلـك فيمن هو دونك ؟ هل ترحّمتَ أو رحمتَ صغيراً ؛ انكَ لا ترحمُ وتدعو يا أرحم الراحمين ؛ ان الله الرحمٰن الرحيم يتعاملُ معكَ وفقَ تعـاملك مع النـاسِ ومع نفسِك ، فحالك في الدنيا هي حالُكِ في الآخرة ، لم تكن رحيماً في الدنيا ، فـلا رحمةَ لـكَ في الآخرةِ ؛ انـك لا تنفق ولا تتصدق وتـدعو الله ان يعـطيكَ الجنة ، انها حقاً مغالطة ولا يمكنُ أنْ يمرّ على الله تبارك وتعالى من مثلك بلا حساب .

نريد الجنة للمؤمنين ولا نزاحم في الأموال :

يقال أنّه كان في أحدِ المساجد مؤمن يدعو الله بالجنة للمؤمنين ، وعنـد بابِ المسجد حين خـروجِه يصـلُ مسافـرٌ من مكانٍ بعيـد ليبشره أنَّ فـلاناً من عشيرتك لم يكن له وريث فجعلَ منـك وريثاً لـه ؛ وألقىٰ بينَ يديـه هميان من الذهبِ فأخذَه ورجعَ إلى باحةِ المسجـدِ ليقول لمن كـانَ هناك ، من كـانتْ له حاجة أو دَين فليجلس ويأخذ نصيبَه من هذا الذهب فلم يبقَ في المسجدِ أحدٌ إلاّ وأصابَه شيء ممـا كان في يـدِ الرجـل المؤمن حتى لم يبقَ منه شيء لـه ، وحينَها قالَ له رفيقُه وصاحبُه : أيُها المؤمنُ ما الذي صنعت ؟ انكَ لم تُبقِ شيئاً لنفسِك ، فقال : قبل أنْ يحدث ما حدث كنتُ أدعو لهؤلاءِ بالجنةِ فهل أسابقهم على مالِ الدنيا الفاني ؟!

فمن كان يتمنىٰ لأبيهِ النجاة من عذابِ البرزخ عليه ان يحلَّ معضلاتِ أصحابه أو يدفعَ السوءَ عن جارٍ له أو يسدَّ ديناً لأخٍ مؤمن ليساهمَ في فكِّ معضلِ أبيه ودفعِ السوء عنه واخراجهِ من المشكلِ الذي قد يكون فيه .

فالتعاملُ مع الله تبارك وتعالى كالآتي : ان كنتَ لا تمرر كلمـة لأحد ولا تتجاوزُ عن اشتباهٍ بدرَ من صاحبِك فلا تتوقع ان يتجاوزَ الله عنكَ أو يغفرَ لك كبارَ ما عملته من الذنوب .

وخلاصةُ الأمر اجعلْ من نفسِك ميزاناً بينَك وبين النـاس ليتسنى لكَ ان تكونَ عادلاً .

النجاة من المدعين الخصوصيين :

لقد وردتْ عبارة تثيرُ الدهشةَ في دعاءِ أبي حمزة الثمالي تشيرُ إلى أنّه في يوم القيامة يوجدُ مدّعون يطالبـون بحقوقِهم التي سلبت في زمنِ الحيـاة الدنيـا « ومن أيدي الخصماء غداً » فهم أي المدعون يُمسكون عليكَ أطرافَك يُريدون ما سَلبتَ منهم ظلماً وعدواناً ، وفي زمنِ الحياةِ الآخرة لا يتأتىٰ للفردِ ان يُرجِع إلى الآخرين حقوقَهم فيؤخذ من حسناتِه ليضاف إلى ميـزان الآخرين ؛ وان لم يكن لَهُ حسنات ، زيد في سيئاتِه باضافة سيئاتِ الدائنين إلى سيئاتِه ، وقد أشارَ الرسولُ الأعظم إلى ذلك ووجدناه مـذكوراً في الجـزءِ الثالث من بحارِ الأنوار حيث يصفُ النبي هذا الفردَ الذي لم يبق لديهِ من الحسـنات شيء ، بل زيد في سيئاتهِ يصفُه بأنه « مُفلس » .

لقد تطرقَ الكثيرُ من العلماء إلى هذه المسألةِ من خلال بحثِهم في القرآن الكريم والسنّة فوصلوا إلى أنَّ المدينَ ينبغي له انَّ يُرضي دائنيه بشكلٍ أو بآخر لئلا يطالب بذلك يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون ؛ علاوةً على طلبِ المساعدةِ من الله تبارك وتعالى والتوجه إليه بقلبٍ صادقٍ ونيّةٍ سليمةٍ لكي يرفعَ عنـكَ هذا البـلاء الذي ما بعدَه بلاء .

نداء من مصدر الجلال :

عندما يطالبُ ذوو الحقوق ويأخذون بأطراف المؤمن في يوم القيامة من مثل الأب ، الأم ، الأولاد ، الجار ، الشريكِ الصاحبِ ، أصحابِ الحقوقِ العرضية ، فيرى المؤمن حينَها تكالبَ الناسِ عليه ولكنه كان في الدنيا مؤمناً تقياً ولكن بعضَ الحقوقِ النسبية بقيت في عاتقه ؛ في ذلك يأتي النداء من مصدر الجلال والعظمة ليقولَ إن كانَ لكم حساب مع عبدي المؤمن فليكن معي فانظروا إلى ما علاكم من غُرَفٍ ومقامٍ حميد فهو لكم .

نداء موسى بن جعفر (ع) :

في حكايةٍ عن رؤيا صادقة شوهد فيها المرحومُ معتمدُ الدولة عمُّ ناصر الدين شاه ، والذي بنىٰ الصحن والرواق لحرمِ موسى بن جعفر (ع) ومحمد الجواد (ع) في مدينةِ الكاظمية الواقعة بالقرب من بغداد ، وفي ذلك الزّمان رأى أحدُ العلماء الكبار فيما يرى النائمُ أنَّ المرحومَ معتمدَ الدولة قد أحاطَ به ذوو الحقوق من كلِّ جانبٍ وفي هذه الأثناء يأتي نداء من قبرِ موسى بن جعفر (ع) أنْ اتركوه ، وخذوا حسابَكم منّي فأنا ضمنته ؛ والجديرُ بالذكر انَّ قبرَ معتمد الدولة هذا يكون بالتحديد في موضعِ أقدام الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) . وواقع الأمر انَّ الأئمةَ الأطهار (ع) هم الكهفُ الحصين وغياثُ المضطرِّ المستكين . لقد ذكرنا في ما مضىٰ انَّ العدلَ مع المخلوقِ يكونُ طبقاً للميزان الذي عيَّنه أمير المؤمنين (ع) حين قالَ لابنه الحسن (ع) « اجعل من نفسِك ميزاناً بينك وبين غيرك » وخلاصةُ ما ذكَرْنا أنَّه : لا يجبُ أنْ يتوقعَ الإنسانُ من الغيرِ العمل الحسن وهو يعملُ بالسوء فإذا ما أردْنا ان نكونَ عدولاً علينا أنْ لا نبخسَ حقَّ الناسِ حتى لا يبخسَ أحدٌ حقَّنا ، وعلى سبيلِ المثال : لو أساءَ أحدٌ إليكَ بكلمةٍ لا ينبغي لكَ أنْ تَرُدَّ عليه بعشرةِ كلمات على الرُّغمِ من أنَّكَ تتوقعُ العفوَ لو كنتَ أنتَ البادىءُ بكلمةٍ سيئةٍ وهذا عينُ الظلم .

ثلاثة تحت ظل عرش الله :

جاء في لآلىء الأخبار عن الإمام الهُمام جعفرِ بن محمد الصادق (ع) : « ثلاثة يسكنون تحت ظل عرش الله يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه ، رجل أعطى الناس ما هو سائلهم عنه ورجل لا يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً إلاّ برضى الله ورجل لا يعيب أحداً ما هو فيه حتى ينفي عنه ذلك العيب » .

إنَّ ظلَّ عرشِ الله تباركَ وتعالىٰ هو مكانُ الأنبياء والأولياء والأوصياء ، ولو أردتَ ذلكَ أيُّها المسلمُ العزيزُ عليكَ أنْ تنصفَ الناسَ من نفسِك مثلما تُريد ان يُنصفوكَ من أنفسِهم ، والطائفةُ الثانيةُ التي تعرضَ لها الإمام الصادق (ع) هم أولئك الرجال الذينَ لا يُقدمون رِجلاً ولا يؤخرون أخرى إلاّ في مرضاةِ الله جلَّت قدرتهُ ، ومتى يتحققُ ذلك ؟ يتحققُ ذلك حينما يخالفُ الرجلُ هواه ويعملُ خلافاً لما تميلُ إليه نفسُه وطبقاً لرضى الله تبارك وتعالى .

ولقد تواترت الرواياتُ على اختيارِ المكان الذي لا تريدُه النفس لو خُيِّرتَ بين مكانين أحدُهما عرسٌ والآخر تشييع جنازة .

اما الطائفةُ الثالثةُ : فهم أولئك الذينَ لا يَعيبُون على الناس أشياءهم لكونهم لا يستسيغون اعابة الخلقِ لهم .

وواقع الأمر انَّ الشخصَ الذي يعيبُ على فلان من الناس حرصَه وبخلَه وهو بخيل حريص فليسَ من الحياءِ والأخلاقِ في شيءٍ ، وقد يُجيب الحريص الثاني الذي أعابَ على الحريصِ الأول حرصَهُ بإني لا أملكُ من حطامِ الدنيا إلاّ مائة دينار وهو يملكُ الملايين . ونقولُ له : إنَّ حرصَ الأول في حدودِ الملايين وحرصُك في حدودِ المئات ولا فرقَ في الحرصِ ان كانَ على ملايين أو كانَ على مئات فالإثنان يُسميان حرصاً .

ابحث عن عيوبك :

لو تمعّنَ الإنسان في أعمالِه وسلوكِه وتابعَ ما يكون منه لَمّا تحدثَ عن

فلان أو فلان أو أشاعَ عيوبَ زيدٍ من الناس ، فقد يقولُ الإنسان : إن فلاناً لم يؤدِ ما عليه من حقوق على الرغم من أنّه ينبغي له أنْ يراجعَ نفسَه فهل أخرجَ الخمس لهذا العام ؟ وهل وصلَ أرحامَه ؟ وهل ردَّ الملهوف الفلاني الذي طلبَ منه قرضاً لشهرين ؟ فلو قُدِّر للإنسان أنْ يلاحقَ معايبَه وسيئاتِه لَما كانَ لَهُ الوقتُ الكافي لمتابعةِ معايبِ وإساءات الآخرين .

عيبه المتمادي لا يراه ويرى . . . . :

قالوا : لقد كانت الهندُ مركزاً للحكماءِ والعلماء وكانت مهدَ التمدن بعد اليونان حيث الفطنةُ والذكاءُ التي كانَ يتمتعُ بها أهلُ الهند ، وقد حاولَ الحكيمُ الهندي الذي كتبَ كتاب كليلة ودمنة ، وتُرجم بعد ذلك إلى عدّة لغات ان يُجريَ الحكمةَ على لسانِ الحيوانات ليتخذَ الإنسانُ منها عبرةً وعِظةً يستفيدُ منها في مجملِ حياته .

في ذلك الزّمان وفي مركزِ الاثني عشرَ ولاية أي في العاصمةِ يوجد تمثالان وُضعا بشكلٍ متقابل أي أحدهما يقابلُ الآخرَ ؛ تمثالٌ على اليمين غايةٌ في الحسنِ والجمالِ يُزيّنُ وجهَه خالٌ كحبةِ العنبر زادَه جمالاً إلى جمالِه وعلى الشمالِ تمثالٌ آخر غاية في القُبح وقد أشارَ بيدِهِ إلى تمثال الجمال .

تحتَ تمثال القُبح كُتب : هذا القبيحُ يقولُ للجميل إنَّ الخالَ الذي في وجهِك أسود وقبيح ـ فهو لا يرىَ قبحَه الكلّي ويُشْكِلُ على الآخرين بخالٍ زادَهم جمالاً وحُسناً .

والحقيقةُ إنّها حكمةٌ لمن أراد أنْ يُصلحَ نفسَه ويغض النظرَ عن عيوبِ الآخرين وينشغلُ بعيوبِ نفسِه وشكلِه وعقلِه .

فإذا ما أردتَ ان تكونَ تحتَ عرشِ الرحمةِ الإلٰهية ، عليك أنْ تجعلَ من حديثِ الإمام الصادق (ع) درساً لك لكي لا تعيبَ على الآخرين ما هم فيه وتنشغلَ بعيوبك التي لا تُعدُّ ولا تُحصى .

فالإنسان كلُّه عيوب ومن لا عيبَ فيه فان لم يكن في جمالِه فبعقلِه وان لم يكنْ بعقلِه فبقلبِه وان لم يكن بقلبِه فبنفسِه وهكذا ؛ إذنْ لا يُمكن لأحدٍ الإدعاء بأنّه كاملٌ وخالي من العيوب إلاّ أللّهم أنْ يكونَ معصوماً ؛ لذا كانَ حريّاً بنا ان نتخذَ من ميزانِ الأعمال نهجاً لنا ونقول : « السلام على ميزان الأعمال » .

العدل مع الذات والنفس :

حريٌ بالإنسان أنْ لا يكونَ ظالماً لنفسِه بل يُفترضُ به أنْ يكونَ عادلاً معَها ، فالإفراط والتفريطُ يُعتبر ظلماً ولقمةٌ زائدةٌ عن الحدِّ المعقول تُحتسب ضمنَ دائرةِ الظُّلم (ظلم النفس) ، وكذا السهر الذي يَضرُّ ببدنِك يُعتبر ظلماً لنفسِك إذ قد يتسبب الأكلُ الزائدُ والسهرُ الطويلُ في إمراضِك واقعادِك عما يجبُ ان تقومَ بِه من عبادةِ الله أو اجراء خيرٍ يُفيد الآخرين يمكن ان يقومَ على يَديك . ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[11] امتَنع عن الظلمِ في الأكلِ والنوم .

لا تظلم نفسك في أكلٍ أو منامٍ :

على الإنسانِ أنْ لا يكونَ ظالماً لنفسِه في كميةِ وكيفيةِ الطعامِ ، وقد تواترتْ الرواياتُ على أنَّ مثلَ الأكل كمثلِ الهمِّ أنْ زدتَ فيه ازددت هماً ، إذ لا يَنبغي الأكلُ على شبعٍ أو الأكل ترفاً كأنْ يكونَ التسابقُ عليهِ سمةٌ لك حينَها يكونُ مجلبةً للأمَراض فالمعدةُ بيتُ الداء .

فلا الإسراف يقولُ الله به ولا التقتير ، بل الأكل بمقادير ليتقوىَ الإنسان على عملِه ، فلا تظلم نفسَك بطعامٍ كثيرٍ قائلاً بدخلِك الكثير ورزقِك الوفير بل القناعةُ فيه لأنّنا أمةٌ وسط ؛ وكذا النّوم الزائد ففيهِ الضررُ وهكذا قلّة النوم ، بل نقولُ أيضاً وطبقاً لشريعةِ الله تبارك وتعالى بالاقتصاد في الملبس أيضاً والمسكن ، فبناءُ مسكن متعدد الطوابق من أجلِ استعراضِه علىَ الآخرين يدخلُ ضمنَ إطارِ الرياء والسمعة ورد في الأثر « من بنى بيتاً رياءً وسمعةً حمله

---

(١١) سورة الأعراف ، الآية : ٣١ .

الله يوم القيامة من الأرض السابعة وهو نار يشتعل منه ثم يطوق فيه عنقه ويلقى في النار » (وفُسر ببناءٍ زائدٍ على قدرِ حاجتِه استطالـة به على جيـرانهِ ومبـاهاةً لإخوانه فيكونُ مسرفاً) .

ظلم النفس معصية :

إنَّ الظلمَ من نظرةٍ حياتيةٍ قد يكونُ حباً للدنيا ، أمّا من الناحيةِ المعنويـةِ والأُخروية فكلُّ ظلمٍ مارَسْته في حقِّ النفسِ فهو تقريبٌ لنارِ جهنَّم من نفسِـك وقد أكّد القرآنُ والأخبار هذا المعنىٰ .

«٧٠» قتلة لقتلة واحدة :

عندما أرادَ الحجاج قتلَ سعيـد بن جبير عـالمِ زمانـه وبعد مـا جرىٰ من تفصيلٍ في حديثٍ جرىٰ بينَ الحجاج وسعيـد بن جبير سـأله : كيفَ تُـريد أنْ أقتلكَ فأجابَ سعيد (ره) : بالشكلِ الذي تريدُ أنْ يُقطعَ به رأسك .

وحقيقةُ الأمر أنَّ سعيداً عنى انّكَ تَقطع رأسَك ؛ وقـد ذكرَ الـدميري في حياة الحيوان أنَّ أحدَ الأخيار رأىٰ الحجاج في عالَمِ الرؤيا وسـأله عن معـاملةِ ملائكةِ الله معه فقالَ : في مقابلِ كُلِّ قتلٍ قُمتُ بـه قتلوني قتلةً واحدة إلاَّ في سعيد بن جبير فقد قُتِّلْتُ «٧٠» قتلة .

من هو الذي لم يظلم نفسه ؟

فرحٌ أنتَ ضربتَ فلاناً وظلمتَـه ولا تدري انـكَ ضربت نفسـكَ وظلمتَها وتظنُّ أنَّك منصورٌ حينما أشعتَ عيبَ فلان ولا تعرفُ انكَ أكلتَ لحماً لميّت ، انّك لا تَفهم معنىٰ عملِك هذا إلاّ بعدَ المرورِ من قنطرةِ الموت .

ظلمت فلاناً بأخذِ مالِه وأعطيتَ زيداً قليلاً من كثير مالِه ، وهكذا تفعلُ مع الآخرين ولا تعلمَ انَّك تسرقُ من نفسِك وتُقلُّ من ميزانِك فإذا ما جئتَ غداً في يومِ القيامةِ لن ترى غيرَ ما عملت ظلماً إلاّ بنفسِك فالكلُّ يحيطونَك يـطالبون بأموالِهم وما سرقتَ منهم فتعطيهم من حسناتِك ويُعطونك من سيئاتهم ؛ وكـذا

المرأة التي تتصرفُ في أموالِ زوجِها من دون علمِه تأتي غداً وتُشاهد الحسناتِ التي كانتْ تتوقعهَا لها قد ثُبِّتت في حساب زوجِها ؛ وخلاصةُ الحديث ان كلّ معصيةٍ يقومُ بهـا الإنسان لا يـظلمُ بهـا إلاّ نفسَـه ﴿ومن لم يتب فـأولئـك هم الـظالمون﴾[١٢] ، ويجـدر بنا في هـذا المقام ان نتـذكرَ دعـاءَ زينِ العـابـدين علي بن الحسين (ع) حيث كانَ يدعو الله ويقول : « وانقلني إلى درجة التوبـة إليك واعنّي على نفسي بما تُعين به الصالحين على أنفسهم واعنّي بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري » .

فـالطريقُ الـوحيدُ الـذي يجبُ انّ يسلكَه البشـرُ بعدَ هكـذا ظُلمٍ هو انْ يستوهبَ المظلومَ أولاً ويدعو الله تائباً ليُبَدد نورُ التوبةِ ظُلَمَ المعصيـة ، فالنـدمُ ومعاهدةُ الله على عدمِ تكرارِ المعصيةِ وردُّ الحقوقِ إلى أصحابِها قد تُساهِمُ في دفعِ ومحوِ المعاصي التي سُجلت في سجلِ الله الذي لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها .

يزيد أيضاً ظلم نفسه :

قلنا مراراً إنَّ مَن بدا منه الـظلم للآخـرين ما ظلمَ إلاّ نفسَـه ومن ضربَ الآخرين ما ضَرب إلاّ ذاتَه ومثل ذلك قالتْ الحوراءُ زينبُ بنت علي (ع) ليزيد الـطاغية حين بـدَت شماتتـه بقتل الإمـام الحسـين (ع) : « فوالله مـا فريت إلاّ جلدك ، ولا حززت إلاّ لحمك . . . فَكد كيدك واسع سعيك ونـاصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا . . . »[١٣] ، قالتها زينب (سـلام الله عليها) ولم يـذهبْ حديثُها سدىً انها سنّةُ الله في العالمين .

---

(١٢) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .

(١٣) مقتل الحسين ـ للمقرم ـ دار الكتاب الإسلامي ص٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[1]

والعدل على أربع شعب : غامض الفهم .

حسن العدل انه فطري يتحكم به العقل :

عنوانُ بحثِنا مقولةُ الإمام علي (ع) التي يقولُ فيها : « بنيَ الإيمان على أربعةِ دعائم » ؛ فإذا ما تداعَت دعامةٌ واحدة تخلخلَ وضعُ الإيمان والدعائمُ هذه هي الصبرُ واليقينُ وثالثُها العدل أي حينما يكونُ الإنسان مؤمناً يكونُ عادلاً وان لم يكُن كذلك فصفةُ الظلمِ ملاصقةٌ له ولا إيمان في قلبِه .

عنونًا بحثَنا بالعدلِ لنتعرفَ إلى الدعائمِ المهمةِ من الإيمان وبعدمِها يتداعى البناءُ من أساسِه حيث ينعدمُ الوصولُ إلى بناءٍ متزل .

فالعدلُ يقولُ العقلُ بوجوبِه وكذا الشرعُ المقدس وكذلك الإجماع حيث اتفاق العامة والخاصة على أنَّ حسنَ العدل وقبحَ الظلمِ فطري وعقلي ؛ وقد

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

تطرقَ القرآنُ الكريمُ إلى مثلِ ذلك حين حرّم الله الظلمَ وأوجبَ العدلَ فالظلمُ ظلماتٌ والعدلُ نورٌ وكل من عملَ بالعدلِ جعلَ الله في قبرِه نوراً يستأنسُ به ومن ظلَمَ جعلَ الله قبرَه ظلمات لا يكادُ يرىٰ يدَه من شدةِ الظلمة ، فالعدلُ سعادةٌ ، والظلمُ شقاوةٌ لذا حريٌّ بنا ان نتخذ لأنفسِنا نوراً في ظلمـاتِ القبر من خـلالِ ممارستِنا للعدلِ مع الله والناسِ وأنفسِنا ونمرَّ مرورَ الكرام على الظلمِ فلا نعملُ به ولا نتخذه نهجاً لنا .

معنى العدل :

لقد فسَّر المحققون معنىٰ العدلِ فقالوا : « بـاعطاء كـل ذي حق حقه » فعدمُ إعطاءِ الحقِ ظلمٌ محضٌ وتجاوزٌ على حدودِ العـدل ، والعدلُ هـو وضعُ الشيء في محلِه ومراعاةُ حقوقِ الآخرين وكثيرةٌ هي الحقوقُ ولا مجالَ لذكرِها كلِّهـا هنـا فحقٌ لله وحقٌّ للوالـدين وحقٌّ للجـار وحقٌّ لنفسِـك وحقٌّ . . . . . فالحقوقُ كثيرةٌ وكثيرة وكلُّها صُنّفت تحتَ ثلاثةِ عناوين .

حق الله هو ان تعلمَ انك عبده :

أولُ حقٍّ ، هو حقُّ الله عليك ، حقُّ المالكِ على المملوك ، حقُّ المولىٰ على العبد ؛ ان لله حقاً في عنقِك إذا أدّيتَه فأنتَ عادلٌ مع الله وان لم تفعلْ فأنتَ ظالماً فحقُّ الله هو أنْ تعلمَ وتفهمَ أنَّك عبدٌ له وإذا قُدِّر عدم سيرِك على صراطِ العبودية حينَها تُحسبُ متجاوزاً لحقوقِ الله عليك وبالمحصلةِ ظالماً لحقِّه تباركَ وتعالى إنَّ الله مالكٌ مطلقٌ ، ومعـرفتُك بـأنَّك عبـدٌ ومملوكٌ له تبـاركت قدرتُـه يوصلُك بالنتيجةِ إلى معرفته ، فالعـلاقةُ بينـك وبينَ الله القادرِ المقتـدر بدنُـك وعينُك وأذنُك ويدُك ورجلُك وغيرُ ذلك والأكثرُ من ذلك العلاقةُ الخارجيةُ التي تـربطُك بـهِ جلّتْ أسمـاؤه والتي هي فـرعٌ زائـدٌ على الأصـل والتي لا يمكن احتسـابُها على غيرِ الله من مثلِ الزوجة والأولاد وكل ما في يدِك فأنتَ ومن هم عيالُك وزوجُك وما في يدِك منه تعالتْ قدرته « العبد وما في يده كان لمولاه » .

وإنْ صادفَ قولُك بالإستقلالِ عن الله من خلال القول مالي ، وقوتي ،

وتعبي ، فأنا لوحدِي جمعتُ هذهِ الأموال وعملتُ هذه الروضةَ أو البستان فإن قلتَ بذلك فأنت ظالمٌ في قبالِ الله ـ ولا سمح الله ـ جعلت له شريكاً على الرغمِ من أنّه سبحانه وتعالى مالكُ الملك ومجري الفلك ومسخرُ الرياح وخالقُ الإصباح ﴿لله ملك السمٰوات والأرض﴾[٢] ـ ﴿له ملك السمٰوات والأرض﴾[٣] . ان ادعاءَك هذا لا جدوىٰ منه مطلقاً ، ومن هو الظالمُ في هكذا قضية ؟ نعم إنّه هو المتجاوزُ على الحدِّ المرسوم له ـ انّكَ لستَ بخالقٍ ولا بمالكٍ ولا بصانعٍ فلماذا هذا الإدعاء الكاذب ؟ أنا عملتُ كذا وأنا وأنا ، انتَ ظالمٌ لا غير إنّك تريدُ مبارزةَ مولاك وسيدك وخالقك ، فالمالكُ واحدٌ فَلِمَ تدّعي الملكية ، انك تسخرُ من نفسِك ؛ ألا تعلمُ بأنَّ الباري تعالى قد ائتمنك على نفسِك وأهلِك وما في يدِك فلا تسرحْ بكَ الخيالاتُ لتظن انَّك المالكُ المطلقُ ، انّك لا تمتلكُ حتى نفسك فكيفَ بالآخرين ولا تمتلُك رزقَك فكيفَ بالأموال والقصور والروضات .

إذا كنتَ تدعي صِدقاً انَّك وأنَّك فلا تجعلْها تهربُ منك ، بل خُذها معكَ إلى أي مكانٍ تشاء وخذها أيضاً إلى القبرِ وإلى الحياةِ الأخرى فهل تستطيعُ ذلك ؟ هذا ما يقولُ عنه أميرُ المؤمنين غامضُ الفهم .

حريٌّ بالمؤمنِ أنْ يكونَ دقيقَ التفكير ، كيّساً يفهم ما يقولُ ويُدركُ ما يقالُ له وما يقرأه في كتابِ الله المجيد فالفكرُ له أبوابٌ وإحدىٰ أبوابِه العلم وهو كالبحرِ وثاني أبوابِه الحكمة وهي كالجواهرِ التي تختفي في أعماقِ بحرٍ هائجٍ على مدِّ البصر .

بماذا يفوز العبد من ادعائه الاستقلالية ؟

يقالُ انَّ أحدَ الموالي اشترىٰ عدةً من العبيد وألبسَ كلَّ واحدٍ منهم لباساً

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٩ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٠٧ .

فاخراً وزينةً بزينةٍ ما بعدَها زينة ورتَّب له منزلاً ووضعاً حتى وصلَ الحدُّ بالعبيد إلى نسيانِ مولاهم مدعين الإستقلال عن مولاهُم والأنكى من ذلك مباهاتُهم وفخرُهم على أقرانِهم واخوانِهم من انَّهم ملوك وأبناءُ ملوك فاشتروا العبيدَ والإماء وحكموهم بالنارِ والحديدِ وزادوا في حجمِ لباسِهم فوسّعوا جُبَبَهم الغاليةَ الثمن وجلسوا على العروشِ وحكمُوا ظُلماً وجوراً .

من أنت أيُّها الإنسان انسيتَ أنَّك كنتَ نطفةً نجسةً ويؤول الأمرُ بكَ في نهايةِ المطاف إلى جيفةٍ نتنةٍ فلا تدّعي القدرةَ والعظمةَ والقوةَ انك ضعيفٌ جداً قبالةَ الموتِ الذي قهرَ اللّهُ به عبادَه .

تواترت الرواياتُ وأسهبَت في علي (ع) فعلىٰ إحدى الروايات التي جاءت في ذكرِ مناقبِ أمير المتقين علي (ع) حيث جاء فيها : انَّ علياً يبتاعُ لنفسِه قميصاً بدرْهَم ولخادمِه قنبر قميصاً بدرهمين ؛ ويقالُ انَّ بعضَ الكسبة في ذلك الزمان يقللونَ من القيمةِ الشرائية حينما يرون أميرَ المؤمنين يرومُ الشراء ولكنه يمتنعُ عن ابتياعِ أي شيءٍ منهم بل يذهبُ إلى من لا يعرفه ، وقد احتجَّ البعضُ على أمير المؤمنين عليّ (ع) بشرائِه قميصاً لقنبر خادمه أغلىٰ مما يلبسُ هو وعندما سأل منهم توضيحَ السببِ أجابوه بأنّه الخليفة وَلا ينبغي له انَّ يلبسَ أقلّ من خادمِه فيشيرُ إلى أنّه وخادمَه عبيد ومماليك لله خالقِ الخلق ؛ هذا هو عينُ العدلِ على الرغم من انَّه عليٌّ الذي شاد بأخلاقِه وفضائلِه العدو والصديق .

التكبر خلافاً للعبودية :

﴿ان كل من في السمٰوات والأرض إلاّ آتي الرحمٰن عبدا﴾[٤] .

فكلُّ البشرِ من أوّلِ شخصٍ إلى آخرِهم مروراً بحبيبِ الله محمد (ص) سواءٌ في العبودية لله تبارك وتعالىٰ فهو الملكُ المطلقُ ولا يجوّز لأحدٍ ممارسة

(٤) سورة مريم ، الآية : ٩٣ .

التكبر فهو المتكبرُ فقط لا غيرَ وعدمُ اطاعةِ أوامرِه ظلم ، والظلمُ معناه مدّ الرجل أكثر من الغطاءِ الذي يعلو الفردَ حين النوم .

عجباً لهذا الإنسان الذي خلُق من حفنةِ ترابٍ وينتهي إلى جيفةٍ تأكلُها الهوامُ يفخرُ على أبناءِ جنسِه الذينَ هم مماليك مثله فبماذا يزيد عليهم ، فالبعضُ تراهَ يتعاملُ مع خادمِه بشكلٍ وكأنّه هو الذي خلقَه ، على الرغم إنَّ الكلَّ يعرف بأنّه لا فرقَ بينَ الأستاذِ والطالبِ والعاملِ ورئيس المعمل من ناحيةِ العبودية لله تبارك وتعالى ، انّك تظنُّ كلَّ الظنون بالواحد الأحدِ وتجعلُ له شريكاً لأنّك تمتلك حفنة من الدنانير !؟ كلا فالأمرُ ليسَ كذلك يجدر بك ان تذهبَ هذه الليلة إلى المقبرة لترى من هم كانوا أثرى منك وأغنى أينَ صاروا ؟ وأين كانوا ؟ فاليوم ، تمتلكُ الأموال وغداً تصيرُ أموالُك إلى الورثةِ بدونِ أنْ يتغيرَ شيءٌ في ذراتِ حقيقتك ؛ انها ظنون وخيالٌ محض وإذا أحببتَ أنْ تنظرَ لمن هم مثلك من الظلمةِ فانظر إلى شخصٍ جلس خلفَ منضدةٍ كبيرة واتخذ من عبادِ الله خدماً له فهذا سكرتيرٌ وذاكَ حاجبٌ يأمر بالناسِ وينهى يحسب انّه مستقلٌ وجزءٌ من غيرِ كُلّ انّه ظالمٌ وحذار من أنْ تكونَ مثله فالويلُ والثبورُ لمن لم يفهَم ولم يُدرك معنى العبودية .

قوام الخلقة على العدل :

إنَّ الدعامةَ الثالثةَ التي يقومُ عليها الإيمان هي العدلُ والتي تعرّضَ لها أميرُ المؤمنين (ع) في أصولِ الكافي فالإيمان يلزمُه العدلُ وبغيرِه لا يمكنُ أنْ يكونَ الإنسان مؤمناً ، فكل مؤمنٍ عادل وكلُّ كافر ظالم .

ان الله تبارك وتعالى خلق السمٰواتِ والأرضَ ومن عليها وفيهما على أساسِ العدلِ **﴿شهد الله انه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾**(٥) .

---

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

العدلُ يعني الميزان لا زيادة ولا نُقصان ، ولا افراط ولا تفريط ، وضعُ كلِّ شيءٍ في محلهِ واعطاءُ كلِّ ذي حق حقَّه .

لو أمعنَ الإنسان النظرَ فيما فوقَه وفيما تحتَه لتجلّى له العدلُ في كلِّ مخلوقاتِ الله جلّتْ قدرتُه فكلُّ شيءٍ في السمٰواتِ والأرض خُلق طبقاً لعدالةِ الباري تعالى ؛ ولو أرادَ شخصٌ إحصاءَ مواردِ العدل الإلٰهية في عالمِ الخلقة لما استطاعَ إلى ذلكَ سبيلاً لكثرتها المتمادية ولكن يمكن استعراضُ انموذج مما هو فوقَنا وآخر مما هو تحتَنا ليتوضحَ العدلُ التكويني لكم وليكونَ مقدمةً لبيانِ العدل التكليفي .

ميزان العدل في نجوم السماء :

لا تُحصى ولا تُعد نجومُ السّماء ، لقد أحصىَ العُلماء قبل قرنٍ من الآن «٣٠٠» مليون نجمة وأحصوا على قرينا هذا من المجراتِ والمنظوماتِ ما يزيدُ على المليار مجرّة ومنظومة ويقولون ان هناكَ الكثيرَ من العوالم التي لم يصل نورُها إلى الأرض لحدِّ الآن ، نورٌ يتحركُ في كلِّ ثانيةٍ «١٠٠» ألف كيلومتر لم يصل هذا النورُ إلى الكرةِ الأرضية منذ أنْ خلقَها الله تبارك وتعالى وهذا ما يُدلِّل على النظمِ الدقيقِ والعدل في كلِّ مشاهدة أو مخلوقٍ إلٰهي ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾[٦] ، فهلْ علم أحدٌ بأنَّ هذهِ المجرات أو المخلوقات في حركةٍ دائمة منذ أنْ خلقَ الله الخليقةَ وإلى الآن ؟ منظومات لا نهاية لها ومجرّاتٌ في مسيرٍ دائمٍ ودؤوب ، انّها تتسارعُ دائماً بشكلٍ أسرعَ من الصوت ، ولا تصطدمُ ببعضِها البعض ، ولو اتفقَ ذلك لاختلتْ الجاذبيةُ بشكلٍ عام مما قد يؤثّر تأثيراً مباشراً على جميعِ المنظوماتِ والمجراتِ ومن ضمنِها الكرة الأرضية التي نعيشُ عليها ـ انها حساباتٌ دقيقة جداً وقد تصلُ بعضُ الحسابات إلى واحدٍ بالألف .

---

(٦) سورة الرحمٰن ، الآية : ٧ .

إنَّ البشرَ يُرسل المراكبَ الفضائيةَ لتصلَ بسرعتِها التعجيلية بثلاثةِ أيام فقط إلى القمرِ على الرغم أنَّ القمرَ دائم التحرك فكم هو الحسابُ دقيقٌ وجدّيٌّ ويستطيع بعضٌ من يعملون بتحقيقاتِ الأجرام الفضائية ان يحسبوا وضعيةَ القمرِ لثلاثةِ أيام مستقبلية ليتسنى لهم معرفةُ الوضعية الحقيقية له ولو تأخروا عن ذلك ثواني أو تقدموا لما عَرَفوا المكانَ الذي سيؤولُ إليه القمر ؛ فتصوّر أيُّها المسلمُ مقدارَ النظمِ والدقةِ في حركةِ الأجرام السماوية ؟!

حفظها الله بلطفه :

قبلَ عدةِ سنوات أعلنَت مراصدُ أوروبا انفصالَ قطعة من إحدى المنظومات وهي تتحركُ بتعجيلٍ عالٍ نحوَ الكرةِ الأرضية وإنّها في اليومَ الفلاني ستصطدمُ بالأرض وتُدمّرها .

لقد كانَ وقعُ الخبرِ على السكانِ كالصاعقةِ لأنَّ المرصدَ كان قد حدّدَ اليومَ والساعةَ التي ستنفى بها الأرض عن بكرةِ أبيها ، وخلَت المدنُ من ساكنيها واتجهوا صوبَ الصحاري ناهيكَ عن أولئك الذين انتحرُوا من هولِ سماع الخبرِ حيثُ ألقىٰ الكثيرُ منهم بنفسِه في البحر .

جاءَ اليوم وصارتْ الساعة إلى ما حدّدوا ولكن لم يحصُل ما قيل . لماذا ؟ انّهم حسبُوا الحساباتِ الدقيقة والمضنية وحسابهم كانَ صحيحاً لا غبارَ عليه ولكن نسوا أنَّ حركةَ هذه المتحركات لها مدبِّرٌ ونظامُها بيدِ صاحبها مثلما حسبَ حساباتِ تنظيم البشر من خلقةٍ وعقلٍ ونفسٍ وروحٍ ، انّه ميزانُ الله ونظامُه ولكنْ لا يعلمون .

يجب أن يسود العدل :

انَّ عدلَ الباري جلّت قدرتُه المتجلية في كلِّ شيءٍ شاهد حيٌّ على نظمِه تعالى ولو قُدِّرَ لنا أنْ نتطرقَ إلى ذلك فمن أينَ نبدأ ؟ من النباتاتِ أم من الحيواناتِ أم من الإنسان ، الصحراء ، الجماد ، من أين نشرع بالتدليلِ على

عدلهِ تبارك وتعالى .

أعطىٰ اللّٰهُ البشرَ قدرةً على الفهمِ والشعورِ والإختيار بواسطةِ العقلِ والوحي الإلٰهي الذي دلَّ الإنسانَ على جادةِ العدلِ والصواب ، ولقد أوجبَ الله العدلَ مثلما رتّبه على جميعِ مخلوقاتِه من غيرِ البشرية ، وأوجبَ العدلَ أيضاً على كلِّ فردٍ ضمنَ تعامليه الأسري والإجتماعي ، وفي زمانِنا هذا يظنُّ البعضُ أنَّ فلاناً أصبحَ عادلاً لذا يجبُ أنْ يكونَ إمامَ جماعة في الوقتِ الذي يجبُ أنْ يكونَ الجميع عدولاً رجلاً كان أو امرأة شاباً كانَ أو عجوزاً ، عالماً كانَ أو جاهلاً ﴿اعدِلوا هو أقربُ للتّقوى﴾[٧] .

انَّ العدلَ واجبٌ على كلِّ مسلم وكلُّ عملٍ يعملُه الإنسان يجبُ أنْ يستندَ إلى العدلِ ، عدل مع الله ، عدل مع الذات ، عدل مع الخلقِ مع الجارِ مع كلِّ أفراد البشر ـ أملُنا أنْ يفهمَ الجميعُ هذه العباراتِ ويرجعوا إلى صوابِهم ولا يتمادوا أكثرَ مما هم فيه من ظلمٍ وليبدأوا من جديدٍ حياةً طبيعيةً يكونُ العدلُ أساسَها ليتسنى لهم ان يحظَوا برضى الله ورضوانِه .

الأهل والأولاد والمال والأعضاء كلّها من الله :

العدلُ مع اللّهِ ، يعني العبودية لله والإعتراف بانّ هناكَ خالقاً وأنت المخلوق ، فالعبدُ المطيعُ لسيدِه إذا أنجزَ ما يأمرُه بهِ مولاه فهو عادلٌ وإذا ما عَمل خلافَ ذلك مدعياً الحريةَ والإستقلال فهو ظالمٌ .

فالعبد له طريقةٌ وسلوكٌ غيرُ طريقِ وسلوكِ الحرّ ، وأنتَ أيُّها الإنسان خُلقت مملوكاً ، ومرزوقاً وخالقُك ورازقُك هو الله القادر المتعال لقد أوصلَك إلى هذا العمرِ وكنتَ نطفةً وأعطاكَ المالَ ؛ فالمالُ مالُه والعقلُ منه والحافظةُ والفهمُ وكلُّ الأعضاء والجوارحِ منه وجعلَك أميناً على الدارِ والمرأةِ والولد

---

(٧) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

﴿ومن آياتِه أنْ خَلَقَ لكُم منْ أنفسِكم أزواجاً لتسكنُوا إليها﴾[8] .

لا تكن مثل فرعون وقارون :

من ادّعىٰ أنّه لم يكن ولا يكونُ عَبداً لأحدٍ فهو إذنْ بدونِ ربّ وهذا معناهُ الإشراك بالله سبحانَه وتعالى ﴿انَّ الشرك لظلم عظيم﴾[9] والظالمُ هو من لا يرىٰ المنعم ولا يعرفهُ ولا يعرفُ انَّه يقفُ في قبالِه ، ونقولُ للظالم لا يليقُ بك إلاّ أنْ تكونَ عَبداً ، عن الإمام أبي جعفر (ع) قال « العز رداءُ الله والكبر ازاره »[10] ولا ينبغي لكَ أنْ تكون متعالياً متكبراً كما كانَ قارون الذي قال : ﴿انَّما أوتيتُه على عِلمٍ عِندي﴾[11] يعني بذلك انَّه حصلَ على الأموال والخزائنِ بفطنتِه وذكائِه وعلمِه ؛ ولا تكن مثل فرعون الذي قال : ﴿أليسَ لي ملكُ مصرَ وهذِه الأنهارُ تَجري من تحتي﴾[12] فإذا ما أصبحتَ هكذا فلا فرقَ بينَك وبينَ قارون وفرعون في الظلمِ فهم ظَلَمَةٌ وأنتَ ظالم .

دولة سقطت بسبب . . . :

لقد نسيتَ بأنَّ لكَ ربّاً من جرّاءِ غرورِك بالأمور الإعتبارية الوهمية فاصبحتَ تقولُ أنا . . . أنا .

انَّ الخلافةَ الإسلامية لم تكن سلطنةً على بلدٍ أو بلدين بل كانتْ على جميعِ البُلدان الإسلامية وتحتَ تسلطِ الخليفة حينذاك .

كان مروانُ الحمار آخرَ خلفاءِ بني أمية على رأسِ جيشٍ عظيمٍ يزيدُ

---

(٨) سورة الروم ، الآية : ٢١ .

(٩) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(١٠) أصول الكافي : باب الكبر ج٢ ص٣٠٩ طبعة دار الأضواء بيروت .

(١١) سورة القصص ، الآية : ٧٨ .

(١٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥١ .

على «١٠٠» ألف نفر يتجهُ صوبَ جيوش أبي العباس السفاح الذي جاءَ لحربهِ ولكثرةِ جيشِ مروان وعدتِهم وآلاتهم الحربية كان مطمئناً جداً على نفسِه الأمر الذي جعلَه يشتركُ في هذا الجيشِ الجرّار .

ومنَ الصُّدفِ انَّ مرواناً كان مبتلى بسيلانِ البول بدونِ اختيار وقد اضطرَّه الأمرُ هذا قبلَ الإشارة لجيشهِ بالهجومِ والحملِ على عدوّهِ أنْ ينزلَ من حصانِه ليقضي حاجتَه ولكن لم يضبطْ لجامَ حصانِه مما يكونُ سبباً في فرارِه ، فيجري الحصانُ وسطَ الجيوش المروانية بدونِ فارس فيظنُّ عسكرُه ان مرواناً قد قتل « فتشيعُ الفوضى ويفرُّ جيشُه وتكونُ الغلبةُ لجيشِ أبي العباس السفّاح ، فيأسِرون الكثيرَ منهم ويقتلُون ويجرحون ويمسِكُون بمروان ويقطَعون لسانَه ويلقون به إلى قطةٍ لتأكلَه ، لقد ذهبَت الدولةُ ببولةٍ .

وبشكلٍ عامٍّ نجملُ ما تحدَّثنا به فنقول من كانَ مغروراً متناسياً لله وشرعِه المقدسِ فهو ظالمٌ كائنٌ من كان الحاجُ فلان أو السيد أو العالم أو أي شخصٍ مَهما كانت منزلته الـدنيويـة ؛ فمن ادعى الإستقلال والإنفصـال عن الله جلَّتْ قدرتهُ فهو أناني وظالمٌ ومصيرُه جهنَّم وبئس المصير .

فلباسُ البشرِ العبودية وليسَ الكبرياء « فالعبدُ عليه أنْ يتعبَّد وانْ لم يفعَل فهو ظالمٌ لمولاه ، فمن تركَ صلاتَه فهو معطِّلٌ لأمرٍ من أوامرِ الله وداخل ضمنَ الكفار الذين لا يقيمون أيَّ وزنٍ للفروعِ ولا للأصول لأنَّهم تكبّروا على وضعِ جباهِهم على الأرض مقابلَ مولاهُم وخالقِهم .

حديث موسى بن جعفر (ع) بصدد بشر الحافي :

جاءَ في مجالسِ المؤمنين ان الإمام موسى بن جعفرٍ الكاظم (ع) وبينما كانَ يمرُّ من علىَ دارِ بشر وإذا بصوتِ قيان يطرقُ أذنَه وبينما هو في حال العبورِ خرجت من الدارِ أمةٌ لبشر تريد رمي بقية طعام لها سألهـا الإمام (ع) أنْ : من صاحبُ هذِه الدار ؟ فأجابَت : إنَّها دارُ بشر فقال الإمام (ع) : أحرٌ هو أم عبد ؟

فأجابَت : انه حرٌّ وله من الإماء والعبيد الكثير فقال الإمام (ع) : صدقتِ لو كان عبداً لما فعلَ ذلك .

دخلت الأمة إلى داخل الدار فقال لها بشر : مع من كنتِ تتحدثين ؟ فقصّت عليه ما جرى فاضطربَ بشر وخرجَ من الدارِ حافياً يريد اللحاقَ بالإمام (ع) وقد كانَ بشرٌ من أصحابِ الثراء والشهرةُ والمنزلة ـ وعندمَا صارَ عند الإمام (ع) قال : يا آبنَ رسول الله أريدُ ان أكونَ عبداً على يدِ موسى بن جعفر (ع) ؛ فتابَ وتابَ الله عليه .

شرف البشر في العبودية لله :

هل أنت عبدٌ لله أم لا ؟ ان الطريقَ والطريقةَ التي تسلكُها والتهورُ الذي نراهُ منكَ وعدمُ الإهتمام بأحكامِ الدين شاهدٌ حيٌّ على انَّكَ غيرُ ذلك ، فعندَ الغروبِ شاهِد المساجدَ وأخبِر ما بها وشاهِد دورَ السينما وما بها أنهم يسألون ما الذي حَدا بكم إلى نارِ جهنَّم ﴿قالُوا لم نكُ من المصلين﴾[١٣] ؛ فيا أيّها الشقيُّ يا مَن هو لا يتجاوزُ حفنة من التراب ، انَّ التواضعَ يناسبك جداً لأنَّك عبدٌ عاجز ، حريٌّ بك ان تزورَ المقابرَ لترى ما آلَ إليها من هُم أشدُّ منك بأساً وقوةً ، انَّ عزتَك وشرفَك هو أنْ تطأطىء رأسَك لله ربّ العالمين لا للمالِ والجلالِ والمقامِ والجاهِ ؛ ومجملُ الحديثِ انَّ العدلَ مع الله يعني أنْ تكونَ دائماً في حالةِ العبودية له جلَّ اسمُه ولا تدعي وتقول أنا وأنا ، إعرفْ نفسَك وقدرَك واترك الأمرَ والحكمَ والمالَ والشأنَ جانباً ولا تكُن ظالماً وتذكر أقوالَ الرسولِ الأعظم (ص) في هذا المجال .

الرسول (ص) والعبودية لله :

روي عن رسولُ الله (ص) انه قال ما مضمونه : « خمس لا أدعهُن حتى الممات الأكلُ على الحضيضِ مع العبيدِ ، وركوبي الحمار موكفاً ، وحلبيَ

---

(١٣) سورة المدّثر، الآية: ٤٣ .

العنز بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنّةً بعدي » .

لقد ذكرنا بالأمس القريب انَّ أميرَ المؤمنين يشتري لنفسه قميصاً بدرهم بينما يبتاعُ لخادمهِ قنبر قميصاً بدرهمين ويُبرر ذلكَ بأنّه وخادمه عبدان لله ولا فرقَ بينهما .

مداراة الزوجة :

أمّا العدلُ مع الخلقِ فهو على أقسام ؛ فعدلٌ مع الأهلِ والولَدِ ، وعدلٌ مع الجارِ والرفيق ، وعدلٌ مع المشتري وصاحبِ الطريق ، والعدلُ مع الشريك . . . لا يَمرُّ يومٌ علينا إلاّ ولنا ظلمٌ مع فلان أو فلان من الناسِ ولا نَدري ماذا سيجرُّ علينا هذا الظلمُ في القبرِ وفي البرزخِ وفي الآخرة فمن لم يرفُق بزوجهِ فقد ظلمَ فالمرأة مخلوقٌ لطيفٌ ورقيقٌ ولا ينبغي ان تؤذىَ ويضغط عليها ، ولا يجدرُ بالزوج أنْ يشعرَها بسوءِ ظنّهِ بها فهي أنسٌ وسكينةٌ ، فالمحبةُ والألفةُ يجب ان تسودَ الأسرة ليسلم المجتمعُ من الإنزلاق في مهاوي الخطيئة ومن سعىٰ غير ذلك كأنْ يكون في البينِ الأسري تعاملٌ مادي فهو الظلم بعينهِ لأنّه وضع الشيء في غيرِ محلِه وفي هذا المضمار رواياتٌ كثيرةٌ تطرق إليها الرسولُ والأئمة الأطهار من أهل بيت العصمةِ توضّح السلوكَ الذي يجبُ أنْ يسلكَه الفردُ مع زوجِه .

العدل مع الزوجة والأولاد :

عدلُ المرأةِ مع زوجِها « احترامُها له وحفظُه في ظهرِ الغيب علاوةً على عدمِ افشاءِ الزوجةِ لأسرار الزوجية كأن يكونَ استعراضُها لحياتِها مع زوجِها لأهلِها ﴿حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله﴾[١٤] .

اما العدلُ مع الأولاد فهو على مراحل ؛ مرحلة الرضاعة التي هي من

---

(١٤) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

ناحيةٍ تكوينيةٍ أنْ يُرضِعَ الطفلُ أو يصلَ إليه الغذاء حين جوعتِه وهذه مسألة طبيعيةٌ حيث يُترحّمُ حتى علي الحيواناتِ ويهتمُّ بأمرِ غذائها فكيفَ بالطفلِ الإنسان ؛ ولو رجعنا إلى الوراءِ قليلاً إلى زمنِ الإمام علي (ع) عندما كان خارجاً من دارِ أم كلثوم وإحاطة الأوزّ له من كلِّ جانبٍ يتعرضنَ عليه خروجَه قبل اعطائِهن الطعام وقد تواترت الرواياتُ بشأنِ تغذية الحيواناتِ ومن لم يستطعْ يجبُ عليه إطلاقُها ، وعدم استخدامِها ترفاً بالقائِها في مشاجرات تكون مشاهدتها أنساً له .

المساواة في المحبة بين الأولاد :

إنَّ العدلَ مع الأولادِ يجبُ أنْ يكونَ بشكلٍ يتساوى فيه الجميع ، فالمحبةُ للكلِّ بدونِ استثناء والشراء للجميع ولكنَّ مستدركَ الوسائل يتضمنُ روايةً تقول بتقديمِ البنت على الولدِ الذكر في الشراء وفي العطف ؛ عكس أولئك الذين يرجحون الذكورَ من الأولاد على البنات .

والنقطةُ الثانيةُ هي مسألةُ الإرث فلو كان الأبُ غير راضٍ عن أحدِ أبنائه لا ينبغي له أنْ يحرمَه من الإرث ، ويمكن زيادةُ إرثِ الضعيفِ منهم بدنياً أو مالياً حيثُ يستطيعُ الشخصُ التنازلَ من ثلثِه إلى من يراهُ ضعيفاً ليتمكنَ من سدِّ ضعفِه ؛ اما ما يكونُ طبقاً للميولِ والرغباتِ والهوى فهذا خلافُ العدل .

العقوبة النفسية غير تربوية :

لا يليقُ بالإنسان أنْ يستخدمَ القضايا النفسية أو الحيوانية من مثلِ الضربِ والشتمِ بحجةِ أنّه ابنَه ، فهو أمانةُ الله بيدِك فلا تَخُنِ الأمانة ، فشفاءُ غيظِك فيه لا يدخلُ ضمن دائرةِ التربيةِ فمن ضربَ ابنَه على خدِّه واحمرّ خدُّه لذلكَ عليه أنْ يتصدقَ بمثقالِ ذهب وإذا اسودَّ فالتصدقُ يكون بستةِ مثاقيل .

وخلاصةُ الأمر انَّ التربيةَ لا تكونُ بهذهِ الكيفية فالإسلام حدد أموراً وشرعَ أخرى يُلفت النظرَ بها إلى التربيةِ الحقّةِ حيثُ العطفُ والشفقةُ والرحمةُ بالأولاد

ومخاواتهم حين يبلغوا سنَّ الرشد وما إلى ذلكَ من أمورٍ تجعلُ للأولاد شخصيةً مستقلة بهم وتحدوا بهم إلى الإعتماد على أنفسهم ، وكذا عدم الخصام أو الجَدَلِ أمامَهم مع من يحبّون من مثلِ أمهم لأن « من حقِّ الولدِ اكرامُ أمِّه وعدمُ الإساءة الموجبة لحرفه » كما في الروايات .

ومن حقِّ الوَلد على والدِه أنْ يُحسنَ انتخابَ اسمِه ولا يجعل منه سخريةً للساخرين اما البنتُ فما دامَ وجودُها في بيتِ أبيها فعليه رزقُها وكسوتُها بالمعروف ﴿وعلى المولود لهَ رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف﴾[١٥] .

تزويج الأولاد حق في عنق آبائهم :

من حقِّ البنتِ علىٰ أبيها أو بالأحرى من واجبِ الأبِ أنْ لا يردَّ طالبٍ عَرفَ فيه التقوى والصلاح ليدِ ابنتِهِ وبغيرِ هذا يُعتبر ظالماً لها وقد ذُكِرَ في وسائل الشيعة في بابِ النكاح ما يشابهُ ذلك فالبنتُ كالفاكهةِ في المنزل عندما يحينُ قطافُها يجبُ قطفُها وإلاّ فأمكانيةُ فسادها متوقع لذا لا ينبغي للأب أنْ يتحجج بحججٍ واهيةٍ تبعثُ على احتسابِه ظالماً ، ولنا في زواجِ علي من فاطمة سلامُ الله عليهما قدوةٌ حسنة .

زواج علي (ع) من فاطمة (سلام الله عليها) انموذجاً حياً . . . :

لقد كانَ عرسُ عليٍّ على خلافِ ما هو مرسومٌ فعلياً ، فقد اقترحت بعضُ نساء قريشٍ على أمير المؤمنين بالتسريع في الزواجِ من البنتِ التي كانَ قد تَمَّ عقدُ قرانِه منها ، فاحمرَّ خجلاً وحياءً وشجّعه الرسول (ص) علىٰ ذلك حين اقترَح عليه بيعَ درعِه والإبقاء على بعيرِه وسيفه .

باع عليّ (ع) الدرعَ وقدَّم ثمنَه للرسولِ (ص) فأعطاه الرسول (ص) إلى عدّة أشخاص منهم سلمان وأبي بكر وجابر ليشتروا للزوجين ما يلزمهم أساساً في حياةٍ جديدةٍ .

---

(١٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣ .

وفي ليلةِ الزّفاف جاءَ الرسول (ص) بابنتِهِ وسلَّمها بيد علي (ع) .

العادل هو من تمنى عدل إمام زمانه :

لماذا يبتعدُ الإنسان في بعضِ الأحيان عن الصدقِ والصَّفاءِ ، وهو يريدُ الزواجَ من أجلِ حفظ دينه ، من أجل الله ، لذا ينبغي عليه أنْ يضعَ الهوىٰ والرغباتِ جانباً ليعدِلَ في حياةٍ حرةٍ كريمة .

لو كانَ المسلمُون كلُّهم عادلين أو عدولاً لخَلُص المجتمعُ الإسلامي إلىٰ الأمنِ والسلامِ ولسادَ العدلُ جميعَ الشؤونِ الإجتماعية ؛ ولما بقي ظالمٌ يجولُ ويصولُ على هواه .

فالعادلُ هو من يُحبُّ أنْ يسودَ العدلُ ويُحبُّ ان يظهرَ صاحبُ الأمر والزمانِ فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، فإذا كنتَ ترومُ وصولَ المهدي العادل وتدّعي العدالةَ في كلِّ المجالات فلماذا لا تكون عادلاً . . .

وإذا كنتَ صادقاً في ما تقول فكُن عادلاً وتمنىٰ على الله أنْ يُعجلَ في ظهورِ إمامِ العصرِ والزّمان ليبسطَ عدلَه في كلِّ مكانٍ .

العدل الكامل في ظهور الإمام المهدي (عج) :

يقول أغنام الله انَّ المهدي جاءَ وذهبَ قبل «١٥٠» سنة ولا مجال لظهوره ثانية ، على الرُّغم من الأمّةِ الإسلامية خاصها وعامها [illegible] اتفقتْ على ظهورِه في آخرِ الزمان وانَّ لظهورِه علاماتٍ حتمية ، وقد أجمعَ المسلمون على أنَّ ظهورَه يُشبه أولَ طلوعِ الفجر في الأُفق الذي يزدادُ ضياءً حتى يعمّ كلَّ الأُفق بنورِهِ العادل ، فمن مكة الطلوع وحتى أقصىٰ نقاطِ الكرةِ الأرضيةِ وحينَها لا يبقى ذرةُ خلافٍ لحقيقةِ العدل التي تمتليء بها أقطابُ الأرض .

انّنا نَرى الآن ومنذ «١٥٠» عاماً مضت انَّ الظلمَ يتفاقم عاماً بعام ؛ فأين

بسطُ العدل ؟ بل ما رأيناه بسطَ الظلم حيثُ قامت اثنـان من الحروب العـالمية وقُتل الكثير وجُرح الملايين ، في حروبٍ ظالمة جاءت على الأخضـرِ واليابس ففي كُوريا وفيتنام وفي فلسطين ولبنان وغيرها كثيرٌ وكثير من إراقةِ الدماء ظلمـاً وعدواناً !! اما زمانُ المهدي (عج) فلا عداءَ ولا اعتداء ويقال انَّ البنتَ الجميلةَ تسير بحليّها من بغداد إلى الشام فلا ينظرُ أحدٌ إليها بعينٍ خائنةٍ ولا يمدُّ أحداً لها يداً خائنة .

ففي صحراءِ العدلِ وفي بحرِ العدلِ وفي مدينةٍ ومجتمـعِ العدل تصـلُ الحالُ إلى سرايةِ العدل حتى إلى الحيواناتِ فيموتُ شرُّ الذئبِ فلا يعتدي على الحملِ ولا غلبة إلاّ للملكوتِ على الملكِ ، فالعدلُ يعمُّ الجميعَ بل يعمُّ العالمَ بأسرِه .

« أين جـامع الكلمـة على التقـوى . . . أين المنصـورُ على مَن آعتـدىٰ وآفترى أينَ المضطرُ الذي يُجابُ إذا دعا أين صدرُ الخلائقِ ذو البرِّ والتّقوىٰ أينَ ابنُ النبيِّ المصطفى (ص) وابنُ عليّ المرتضى (ع) وابن خـديجة الغـراء وابن فاطمة الكبرى . . . »[١٧] .

---

(١٧) دعاء الندبة : في مفاتيح الجنان المعرب للشيخ عبـاس القمي ـ دار احياء التـراث العربي ـ بيروت ص٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

والجهـاد على أربع شعب : على الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر والصدق في المواطن وشنئآن الفاسقين (١) .

لقد شَرَعْنا في بداية بحوثنا بأقوال الإمام علي (ع) والتي كـانت : « بُني الإيمان عَلى أربعِ دَعائم : الصبرِ واليقينِ والعدلِ والجهاد » . ويكونُ الإيمان ناقصاً لو نقَصت دعامةٌ من هذه الدَّعائم الأربعة ، وقد تعرضنا فيمـا مضىٰ إلى ثلاث دعائم ، أمَّا اليوم فنتعرضُ إلى الدعامةِ الرابعة وهي الجهـاد ؛ وشرحُهـا يستوجب بيانَ أقسامِها وأنواعِها وكذا أحكامها من جهادٍ أكبر وجهادٍ أصغر والحالُ لا يسمحُ بالإسهاب في الشرحِ لذا نكتفي بشرحٍ إجمالي للشُعب الأربعة التي يضمُّها الجهاد .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« والجهادُ على أربعِ شُعب أولُها الأمرُ بالمعروف وثانيها النهي عن المنكرِ وثالثُها الصدقُ على كلِّ حالٍ ورابعُها البغضُ في الله .

---

(١) الأصول من الكافي ـ الكليني . دار الأضواء : ج٢ ص٥١ باب صفة الإيمان .

اما الأمرُ بالمعروفِ ، فقد أوجبَ الشرعُ الإسلامي الحنيف الجهادَ على كلِّ مسلم ويبدأ هذا الوجوبُ من بدايةِ بلوغِ الذكرِ لخمسةَ عشرَ سنة وعلى الأنثى من تسعةِ سنين حيثُ اداء الواجبات الشرعية بعد تعلّمِها ، وفهم كُلِّ كبائرِ الذّنوب والإبتعاد عنها ، ويجبُ التعليمُ ابتداءً بالأهل من خلالِ توجيهِهم نحوَ جادةِ الصّواب التي رسمَها الله سبحانَه وتعالى في كتابهِ العزيز وأجراها على لسانِ النبي محمد (ص) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) : ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾ [٢] والأهلُ عُنيَ بها هنا : الزوجة والأولاد والخادم وكلُّ شخص تتولىٰ أمره . ﴿**يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ [٣] فمن شذَّ عَن شرعةِ الله المقدسة منهم (أي من أهلك) فأنتَ مسؤولٌ أمامَ الله حيثُ ينبغي لكَ حفظُهم من الوقوعِ في مهاوي المعصيةِ ما استطعت ، ولا يجدُر بكَ أنْ تتنصلَ من هكذا مسؤولية فتقول : ما لي وما لَهم !!

تعرف على المعاصي لتجتنبها :

اما النهي عن المنكر ، فللعملِ به عليكَ أولاً أنْ تتعرفَ على الخطايا والمعاصي فتتجنّبَها ، بعد ذلكَ يمكنُ لكَ أنْ تُعلّمها أهلَك وتحذرَهم من ارتكابها مذكراً إياهُم بالعذابِ الشديد الذي ينتظرُ مَنْ يعملُ بها ؛ وبناءً على هذا فإنَّ التعلمَ يكونُ ذاتياً في بدايةِ الأمر ومن ثَمَّ الأهل بعدَها تشرع الأمهات بتعليمِ بناتِهن مسائلَ الحيضِ والنفاسِ والإستحاضة .

يتصدىٰ أحدُ الأجلاء لتوضيحِ ظاهرة تعددِ زوجاتِ النبيِّ الأكرم (ص) فيقول : لقد كانَ النبيُّ محمد (ص) يُفْهِمُ زوجاتِه المسائلَ المتعلقةَ بالنساءِ فيُفهمن بدورِهن بقيةَ النساءِ المسلماتِ وقد تحدثَتْ إحدىٰ الروايات عن تعرّقِ

---

(٢) سورة طه ، الآية : ١٣٢ .
(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

جبهةِ النبيِّ الأكرم (ص) حياءً عندما كانَتْ تعترضُه النساءُ الأجنبيات للسؤالِ عن المسائلِ المتعلقة بهن ؛ لذا كانَت زوجاتُ الرّسول (ص) وسيلةً جيدةً لإبلاغِ هذهِ الأحكام .

إنَّ التّعرفَ على كبائرِ الذّنوب من مستلزماتِ اجتنابِه ، لذا فالشخصُ المرتكِبُ لكبيرةٍ لا ينبغي لَه أنْ يعتذرَ ويقول بعدمِ معرفتِه أو علمِه بكبائرِ المعاصي فقد لا يُقبلُ عذرُه ، ويُقال له هَلاّ تعلمتَ ، فلا بأسَ ان يتعرفَ المسلمُ الحقيقيُّ إلى فهرستِ المحرمات ومن ثَمَّ يَشرع بافهامِ أهلِه بذلك . لأنَّ « كُلكُم راعٍ وكُلكُم مسؤولٌ عن رعيتِهِ » كما ورد في الأثر .

أضحىٰ الحجاب لباس العجائز :

قد نرىٰ في بعضِ الأحيان امرأةً عجوزاً التزَمتْ بحجابٍ بشكلٍ مرتّب ونرىٰ في مكانٍ آخر بنتاً تُظهِرُ محاسنَها بشكلٍ يُثيرُ على الدهشةِ على الرُّغمِ أنَّ القرآنَ الكريمَ أشارَ إلى القواعدِ من النساءِ بوضعِ ثيابِهن شريطة عدمِ التبرج بزينة ﴿والقواعدُ مِنَ النساءِ اللاّتي لا يرجون نكاحاً فليسَ عليهِن جناحٌ أنْ يضعْنَ ثيابهن غير متبرجات بزينةٍ﴾ [٤] .

يجدرُ بكَ أيُّها المسلمُ ويجبُ عليكَ شرعاً الوقوفُ حائلاً دونَ تبرُّجِ ابنتِك وحفيدتِك ، فأمرُ الله هو النهي عن المنكرِ ، وعليكَ أنْ تمنع ابنَتك عن عملِ المعصية .

كان من المفروضِ عليكَ منذُ البدايةِ افهامُ ابنتِك بأنَّ القُرآنَ نهىٰ عن إظهارِ بدنِها أمامَ الرجلِ الأجنبي حتى لا يصلَ بها الأمرُ إلى هذا الحدِّ من عدم التمييزِ بينَ الأجنبي والمحارِم وكذا افهامُ الولَدِ الذكَر بأنَّ لباسَ الشهرةِ حرامٌ والنظر إلى الأجنبية بتلذذ لا يَرضاهُ الله ولا يقبلُه : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من

---

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٠ .

أبصارهم . . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾[٥] فالنظرُ بشهوةٍ إلى جَسدِ الأجنبية حرامٌ فكيفَ باللَّمسِ ؟!

مبايعة النساء للنبي (ص) وعلي (ع) :

نقلت الروايات المتفقُ عليها بأنَّ مبايعةَ النساء للرسولِ الأكرم (ص) كانَتْ باغماسِ النساءِ أيديهنَّ في إناءٍ فيه ماء وكذا الرسول الأكرم اغمسَ يدَيه في نفسِ الإناء وفي نفسِ الوقت لتتم البَيعةُ بينَهما وهذا ما يعبّرُ عن المصافحةِ بينَ الرجال وكذلك ما شُوهد من بيعةِ النساءِ لعلي (ع) في غديرِ خم حيثُ بايعَنه على الولايةِ والإمامة بعدَ رسول الله (ص) فقد غَمَستْ النساءُ أيديهَن في إناءٍ فيه ماء وكذا الإمام غَمَسَ يدَه في نفسِ الحالِ وبذلكَ تمَتْ البيعة .

الغرضُ من حديثنا هذا هو أنْ الأحكامَ الإسلاميةَ المقدسةَ باتَتْ مهجورةً اليومَ ولا يُعتنى بها اما النظرُ بشهوةٍ والذي لا يَشُكُّ أحدٌ في حرمتِه وكذا نظرُ الريبة الذي تمارسُه بعضُ النساء أو البناتُ حيث لم يفرّق القرآنُ بينَ الجنسين في هذه الحالةِ فقد أُصبحَ أمراً عادياً عندَ الذين لا يلتزمونَ باجراء شرعة الله المقدسة .

وخلاصةُ القولِ : مُرْ أهلكَ بتنفيذِ الواجباتِ والإبتعاد عن كلِّ ما هُو حرام أو مشتبه به .

لو قُدّر لابنك أنْ يأخذَ قلمَ رفيقِه الذي هو معَه في المدينة ويأتي به إلى الدارِ حينَها يتوجبُ عليكَ نهيُهُ وردُّ القلمِ إلى صاحبِهِ ثم افهامه بحرمةِ إتلاف مالِ الغَير أو استخدامِه بدونِ إذنٍ من صاحبِه ؛ والويلُ للأمهات والآباء من يوم يفرّون فيه من أبنائِهم لعدمِ اعتراضِهم عليهم في سلبِهم أموال الغير ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيهِ * وأمِّه وأبيه * وصاحبتِه وبنيه﴾[٦] .

---

(٥) سورة النور ، الآية : ٣٠ ـ ٣١ .

(٦) سورة عبس ، الآية : ٣٤ ـ ٣٦ .

بالتشجيع والترغيب يُمكن النهي عن المنكر :

في المرحلةِ الأولى يجبُ أنْ يأمرَ ربُّ الأسرةِ بالمعروفِ وينهىٰ عن المُنكَرِ وفي المرحلةِ الثانية يبدأ تعليمُ الأهل للحلالِ والحَرامِ ليتمكنوا هم أيضاً من الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر ؛ اما المراحلُ التي تلي المرحلتَين الأولى والثانية فهي أمرُك بالمعروفِ لكلِّ من تتعاملُ معَه .

والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر له شرائطُ تشتملُ على ابداءِ النصحِ بالرفقِ والمحبةِ بعيداً عن الحدّةِ والتشدد ، لأنَّ في الأولى تأتي النتائج الإيجابيةُ وفي الثانيةِ تتأتىٰ النتائجُ السلبيةُ بل قد لا تحصلُ إلاّ النتائجُ العكسية ، وإذا اضطرَ الشخصُ في حالةِ أمرِه بالمعروفِ أنْ يستخدمَ النقودَ تشجيعاً للشخصِ المنهيّ عن منكرٍ ما ، فلا بأسَ بذلك بل قد يكونُ في هذِه الحالة واجباً ، فعلىٰ سبيلِ المثالِ لو كانَ ابنُك تاركاً للصلاةِ فلا ترمي به خارجَ الدّار ؟ لأنَّه قد يَعتاد على السلوكِ السيء والضربِ والشتم وأنت لا تريدُ إلاّ أنْ يكونَ لكَ أولادٌ صالحون ولا تريد إلاّ أنْ تكونَ قريرَ العين في أهلِك ومالِك وولدِك فالتشجيعُ والتلطفُ في الحديثِ واستخدامِ النُقود قد يؤدي إلى جلبِ الولد إلى جادةِ الصواب وهذا ما تُريدهُ فعلاً .

والجديرُ بالذكرِ انَّ هناكَ فرقاً بيناً بينَ الإرشاد والأمر والنهي ، فالإرشاد يعني التعليمَ والأمر والنهي يعني الإجبار والإكراه .

فلو قُدِّر لكَ التعاملُ مع جاهلٍ فيجبُ حينئذٍ ارشادُه بمعنى تعليمه ، لذا يقولُ البعضُ أنَّ النساءَ المبتعداتِ عن المسجدِ لا يعرفنَ ان الحجابَ من ضروريات الإسلام ولذا ينبغي افهامُهُنَّ وتعليمُهُنَّ لكي يلتزمن بالحجابِ ، عَجباً لهُن ألَم يعلَمْنَ أنَّ القرآنَ هكذا يقولُ : ﴿ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن﴾[7] .

(٧) سورة النور ، الآية : ٣١ .

فالمرأةُ التي تأتي عقدَ عرسٍ بوضعٍ لا يَرضاهُ الله ولا رسولهُ ولا المؤمنونَ حرامٌ فالتزينُ لا يكونُ إلاّ للزوجِ والتطيّب لا يكونُ كذلك إلاّ له « انّ المرأة إذا تطيبت وخرجت من منزلها كانت في لعنة الله إلى أنْ ترجع إلى منزلها » كما تروي الأخبار فهكذا نساءٌ يتوجب نهيهن عما هُنَّ فيه من منكرٍ وإنْ لم ينتهين فالحدَّةُ والشدةُ علاجُهن .

والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ على ثلاثِ مراحل فالمرحلةُ الأولى باللّسانِ والثانية باليدِ فإنْ لم تستطعْ فبالقلب أي استياءُ القلبِ من هكذا عمل ، وهي ما يُصطلحُ عليها بالمرحلة الثالثة وهي أضعفُ الإيمان .

لو دُعيتَ إلى مجلسٍ ورأيتَ شخصاً في المجلسِ ينتهكُ حرمةَ فلاناً الغائب أو يتعرضُ له بشكلٍ يطعن فيه أو يكشفُ عن عيبه المستور ولم تنهَهُ عن ذلك فأنتَ شريكُه أيْ انتَ والمتحدثُ سواء . فالدفاعُ عن الغائبِ واجبٌ ، ونهيُ المستغيبِ واجبٌ ومن لم يردَّ غيبةً فهو شريكٌ في أكلِ لحمِ أخيه المسلم وهذا يدخلُ ضمنَ اطارِ النهي عن المنكر .

وفي روايةٍ تقولُ أنَّ عابداً وقفَ للصلاةِ في مكانٍ كانَ فيه اثنان من الأطفال يمسكُونَ بديكٍ يستغيثُ ولا من مغيث ولكن العالمَ الفاقدَ للمروءة أطالَ صلاتَه في الوقتِ الذي ينبغي لَه أنْ يُقصِّر منها ليُدرِكَ الديكَ ويخلصه من أيدي الأطفال ، ولكنه استمرَ في صلاتِه حتىٰ ماتَ الديكُ من كثرةِ ما أوذي ، فخسفَ الله تبارك وتعالى بالعالمِ الأرض .

الويلُ والثبورُ لمن لا يُعينُ مظلوماً على ظالمٍ وهو قادرٌ على ذلك .

ذكرَ كتابُ معاني الأخبار أنَّ رجُلاً في سالفِ الأزمان كانَ قاضياً وعالماً وعابداً فمات ، وحين موته حضرتْه ملائكةُ العذابِ الإلٰهي وبيدها السياط تروم ضربَه ، فقال : لماذا تُريدونَ ذلك وأنا فلان الذي عملت كذا وأحسنتُ إلى فلان وفلان فأجابوه : مررتَ بمظلومٍ ولم تنصره ، ولكونِك عابداً وزاهداً وعالماً

فجزاؤك ضربةُ سوطٍ واحدة ؛ فَضُرِب فاشتعلَ القبرُ ناراً .

ولهذا يقولُ زينُ العابدين (ع) في معرضِ دعائه : « إلٰهي أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي ولم أنصره » .

فرؤيةُ مظلومٍ ونصرُه على الظالمِ مسألةٌ مهمةٌ جداً أعطاها الإسلام أهميةً عُظمىَ لأنَّ الله تَبارَكَ وتعالى عادلٌ ولا يُحبُّ الظلمَ ولا الظالمين . فلو رأيتَ امرأةً تُعاني من ظلمِ زوجِها يتوجبُ عليكَ اسداءُ النصيحة لِزوجِها وافهامه بأنَّ الإسلامَ سهلٌ سمحٌ علّه ينتهي مما هو عليه من ظلمٍ لزوجته ، ولو شاهدتَ رجُلاً يدخنُ السجائرَ في شهرِ رمضان وفي وضحِ النّهار لكانَ من الواجبِ عليكَ أنْ تنهاهُ عما يفعلُ وتُفهِمَهُ ان التجاهرَ بالإفطارِ حدَّد له الإسلام «٥» جَلدات لتأديبِ المتجاهر به ؛ فيا حبّذا أنْ ينتهيَ الإنسانُ عما حرَّم الله فالكاسبُ الذي يضعُ ما يبيعُ في وسطِ الشارعِ ويسدّ على الناس طريقَهم حريٌّ به أنْ لا يفعلَ ذلك ولا ينتظرُ مأمورَ البلديةِ يأتيه ويأخذُ ما عندَه بعنوان أنّه يسدُّ طريقَ الناسِ عليهم ، فأحكام دينه يجبُ أنْ يجريَها بدونِ أنْ يُشارَ إليه بذلك وبدونِ أنْ يُكرَه على عدمِ فعل ذلك .

فكلُّ اساءةٍ أو معصيةٍ تراها من شخصٍ يتوجبُ عليك نهيهُ عنها ، وإنْ احتملت جهلَه فاسلُك طريقَ الإرشاد والوعظ لينتهيَ مما هو عليهِ ولا تغفلْ عَن أنَّ النهيَ والإجبارَ لَه شروطٌ عليكَ الإلتزامُ بها .

نهيٌ عن منكر وارتكاب عدة منكرات :

في خبرٍ عَن عُمر بن الخطاب أنّه كان يتحرىٰ حواري المدينة ، وعند وصوله إلى بابٍ إحدىٰ الدورِ سمعَ غناءً وأصوات لَهو وما إلى ذلك فما كانَ منه إلاّ أنْ يأتي بسلّمٍ ويطلعَ إلى سطحِ الدارِ الذي خَرَجت منه أصواتُ الغِناء ليقول : « يا عدو الله اما تستحي الله » ؟

فخرج له صاحب الدارُ قائلاً : أردت ان تنهى عن المنكر فجرك ذلك إلى

ارتكاب ثلاث منكرات ؛ الأول : هو انّك لم تعمل بما قاله الله في كتابِه حين قـال : ﴿فـان لم تجـدوا فيهـا أحـداً فـلا تـدخلوهـا﴾ (٨) وأنتَ تعلمُ انَّ رسولَ الله (ص) لم يضَع قدمَه الشريفةَ في بيتِ ابنتِه فاطمة (سلام الله عليها) إلّا بعدَ اكتسابِ الإذن منها ذلكَ غيرُ سلامِهِ عليها قبل طلبِ الإذن بالدخولِ ، فكان يقول (ص) : السلامُ عليكُم يا أهلَ بيتِ النبوّة فإنْ قيلَ له : تفضّل ، دخلَ وإنْ لم يسمَع شيئاً ذهبَ إلى حالِه .

وفي رواية مضمونها أنّه كانَ يُريدُ الدخـولَ (ص) بصحبةِ جـابر فقـال : « لستُ وحدي فمعي جابر فأجيز وجابرا » .

وثانياً : قال الله في محكمِ كتابِه : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ (٩) وأنت اتيتَ من السطحِ مثلك كمثلِ اللصوص .

وثالثاً : انّـك لم تُسَلّم وتقولُ السلامُ عليكم على الرغمِ أنَّ الله تبـاركَ وتعالى ذكَر في كتابِه الشريف : ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلمـوا على أنفسكم تحيةً من عنـد الله﴾(١٠) هذا في حـالةِ عـدم وجودِ أحـد في الدار ، أي إذا لم يكن شخصٌ في الـدارِ فلا بـأسَ بالسـلامِ على عبادِ اللّهِ الصـالحين من المـلائكـةِ الكرامِ الكاتبين .

وبعدها قالَ صاحبُ الدارِ لعمر : أنا ارتكبتُ معصية واحدة وأنتَ تُريد ان تنهاني عن هذهِ المعصيةِ وإذا بك ترتكبُ ثلاث .

فالحالُ هذهِ تشبهُ حالَ ذلك الشخص الذي رأى فلانـاً من الناسِ واقفـاً يتبول وإذا به يقولُ له بشدة : انّك مثلُ الكلبِ في وقفتِك هذه ؛ يريد نهيه عن منكرٍ فيقع هو الآخر في معصيةٍ أو منكر ؛ فالنهيُ لا يكونُ بالمكروهِ أو بالمنكر

(٨) سورة النور ، الآية : ٢٨ .
(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٨٩ .
(١٠) سورة النور ، الآية : ٦١ .

وقد تعرضنَا لذلكَ حينَ قُلنا أنَّ للنهي عن المنكرِ شروطاً ينبغي مراعاتُها .

فالنهيُ عن المُنكر يأتي من العلاقةِ القلبيةِ بالحكمِ الحقِّ والعدل والإنصاف ولا يأتي من هوىٰ النفس ؛ فمن تحرّقَ شوقاً للعملِ الصوابِ لا يمكنُ أنْ يَستخدمَ ما يُسيء إلى الآخرين أو ما يَنزلقُ به في مهاوِي المنكرات .

لقد كانَ رسولُ الإنسانيةِ في بدايةِ دعوتِه يُرمىٰ بالحجارةِ حتى تدمىٰ رجلاه ولكنّه لا يجيبُ ولا يقولُ شيئاً إلاّ الدعاء بالخيرِ لقومِهِ وقد نقل حديث ما مضمونه « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » انّه كانَ رحمة للعالمين ، انّه كانَ يتمنىٰ على الله أنْ ترقىٰ أمتهُ على ارتكابِ المعاصي ، فاتخِذْ أخي المسلم الكريم من النبي محمد (ص) قدوةً حسنةً لكَ وانتهِ مما أنتَ فيه من معاصٍ ولا تغفلْ عن الواجباتِ وخاصةً في ليالي شهرِ رمضان المبارَك لتخرجَ منه كما ولدتْك أمك .

أعوذُ بجلال وجهك الكريمَ أنْ ينقضيَ عنّي شَهرُ رمضانَ أو يطلعَ الفجرُ من ليلتِي هذِهِ ولكَ قِبَلي تَبعةٌ أو ذَنبٌ تُعذبُني عليهِ يومَ ألقَاك .

والحمد لله رب العالمين .

« الفهرس »

القسم الثالث